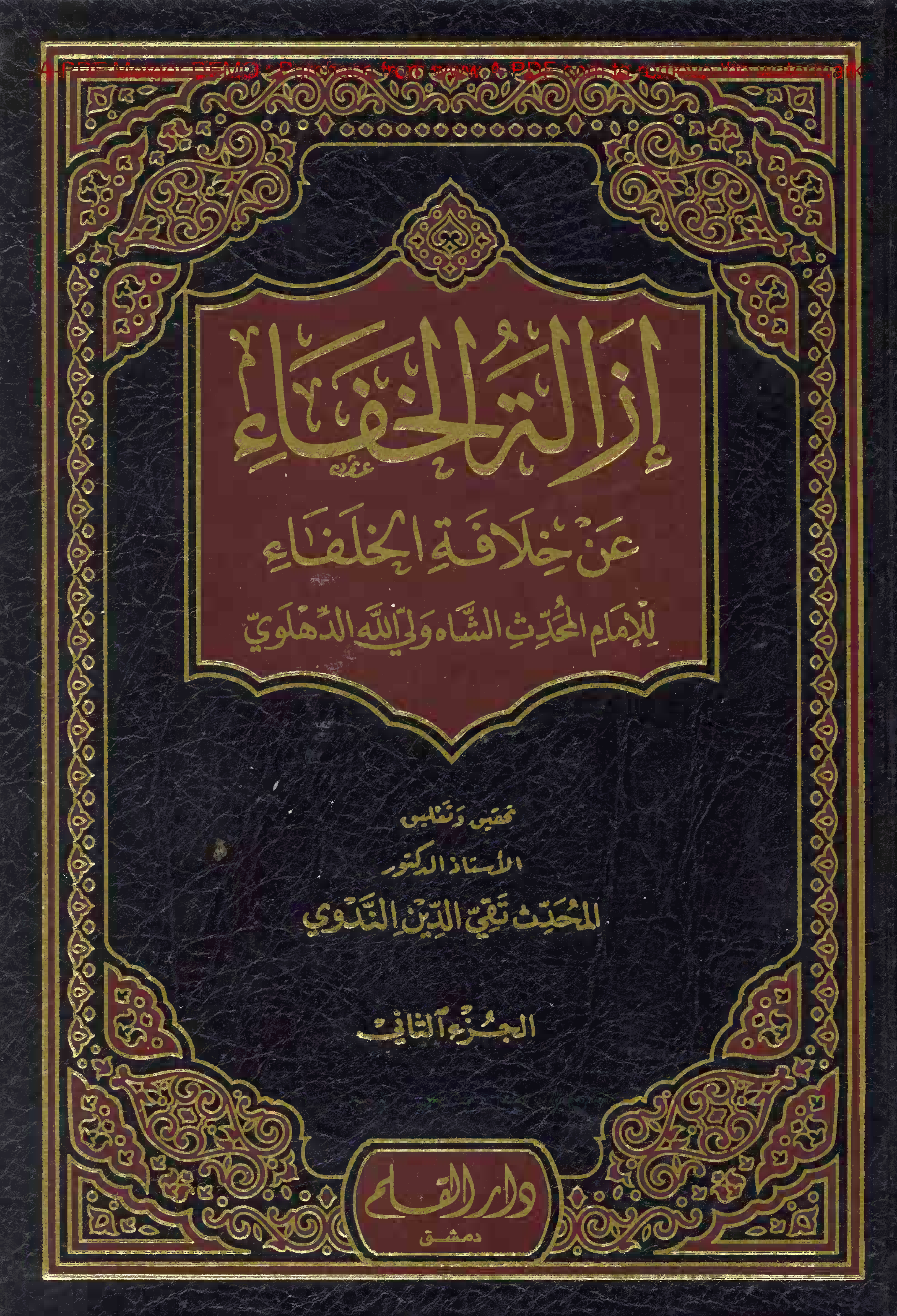


A-PDF Merger DEMO : Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark
إزالة الخفاء
عن خلافة الخلفاء
للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي
تحقيق وتعليق
الأستاذ الدكتور
المحدث تقي الدين الندوي
الجزء الثاني
دار القلم
دمشق

إزالة الخفاء

عن خلافة الخلفاء

للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي

ت ١١٧٦ هـ

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور

المحدث تقي الدين الندوي

تعريب

جاويد أحمد الندوي

الجزء الثاني





إزالة الخفاء

عن خلافة الخلفاء

[٢]

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م

إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء

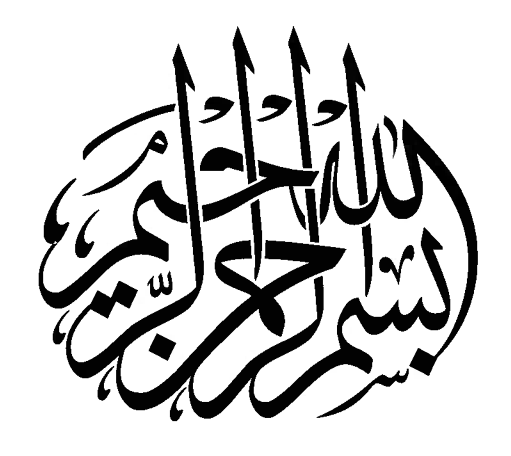
للإمام المحدِّث الشاه ولي الله الدهلوي
(ت١١٧٦هـ)

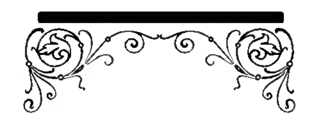
ترجمة
السيد جاويد أحمد الندوي

تحقيق وتعليق
الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

الجزء الثاني

دار القلم





الفصل السادس

[في بيان تفهيمات القرآن الكريم وتعريضاته، ممّا يدلّ على صفاتِ الخلافة الخاصّة، وعلى خلافة الخلفاء وفضائلهم وسوابقهم الإسلامية، وفي الآيات القرآنية التي وافقت آراء الخلفاءِ والآياتِ التي سببُ نزولها هو الخلفاءُ أنفسُهم]

إن علمَ الحديث ينقسِمُ من حيث طبيعته إلى خمسة فنون: ١ ـ **فَنُّ السُّنَن**؛ وهو أقواها باعتبار الإسناد، مثل: «الموطأ» و«جامع سفيان»، ٢ ـ وبعده **فن السيرة**؛ مثل: كتاب محمد بن إسحاق، وكتاب موسى بن عقبة، وتدخل فيه أبواب الشمائل أيضاً، ٣ ـ **وفن التفسير**؛ مثل: تفسير عبد الرزاق، وتفسير البخاري، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وغيرهم، ٤ ـ **وفن الزهد والرقائق**؛ مثل: «كتاب الزهد»، لابن المبارك في المتقدّمين، وكتاب «قوت القلوب»، وفروعُه في المتأخّرين، وأبوابُ الفتن، وأشراطُ القيامة، والبعث، والجنة والنار، داخلةٌ في الرقائق، ٥ ـ **وفن معرفة الصحابة**؛ مثل: «الاستيعاب»، و«مناقب الصحابة» يدخل ضِمْنَ هذا الفنّ أيضاً.

ومعظمُ الأحاديث ممّا له علاقةٌ ومناسبةٌ بفنّين أو ثلاثة من هذه الفنون، ويمكن تخريجُها في كلٍّ من هذه الفنون، وبعضُ الكتب المصنّفة في فنّ واحد، وبعضُها في فنّين وبعضها في ثلاثة فنون.

وأهمُّ الأغراضِ عندي مِنْ وضع هذا الفصل، أن أبيِّنَ دلائلَ

صفاتِ الخلافةِ الخاصّةِ ودلائل خلافة الخلفاء وحسناتهم السابقة من الأحاديث والآثار الواردة في **علم التفسير**، وذكر ما نُقِلَ عن الخلفاء في تفسير القرآن والمواعظ وغيرها تحت عمومات القرآن وتعريضاته، **وشرط الاستدلال بتعريضهم** أن تجتمع قرائنُ قوليةٌ وحاليةٌ كثيرةٌ تضطرّ التالي للقرآن الكريم إلى الجَزْمِ بأنَّ هناك شخصاً من نوع كذا وكذا تتَّجه إشارة الكلام إليه.

وإذا بقي الكلامُ على عمومه من دون أن تجتمعَ قرائنُ الحال مع شخص يحمل هذه الصفات والخصائص لا يجوزُ الاستدلال به.

ولكن رغم ذلك كلّه نذكرُ مرةً بقصد أنَّ صاحب هذا الأثر صحابيّاً كان أو تابعيّاً يقول بفضائل الخلفاء وأثره مُنْسَلِكٌ في سلك إجماع الأمة على تعظيم وتبجيل الخلفاء ﷺ.



آيات سورة الفاتحة

• **قال أبو العالية والحسن في تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة] هو رسول الله وصاحباه ـ من بعده أبو بكر وعمر[١] ـ.

يقول الفقير إلى رحمة الله: إنَّ توجيه هذا الكلام هو أنّ الله تعالى يقول في تفسير «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، ثم ذكر: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾، في موضعٍ آخرَ بأنّهم: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء].

وقد بيَّن النبي ﷺ في حديثٍ مستفيض أنّ أبا بكر صدّيقٌ وعمرَ شهيدٌ، ثم بيَّن ﷺ أصلَ المطلوبِ بقوله: «**اقْتَدُوا باللّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بكرٍ وعُمَرَ**»، فيمكِنُ الاستدلالُ بهذه الآية على أنَّ الله تبارك وتعالى يُعلِّمُ عباده طلبَ الهدايةِ منه إلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم عند المناجاةِ والدعاءِ، وقد اتّضحَ بالتقرير السابق أنّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إنّما هو طريق الشيخين، فلزم أن تكون الخلافةُ الخاصّةُ للشيخين لا محالةَ؛ إذ إنَّ الخليفةَ الخاصَّ لا يكونُ إلا مَنْ هو على الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم، والمطلوب في الشريعة التوجّه التام إليه.

❊ ❊ ❊

---

(١) «تفسير الطبري» (١/ ١٠٥).

آيات سورة البقرة

• قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة].

يقول الفقير إلى رحمة الله ـ عُفِيَ عنه ـ: إنَّ الله تعالى لم يذكر قصصَ الأولين إلّا لتكونَ عبرةً للآخرين، فتُفهم من ضوءِ هذه الآية الكريمة بعضُ مسائل الخلافة الخاصة.

أولاً: إذا وقعت غلبة الكفّار على المسلمين، وقد حان وقت دفعهم بصورة وجوبُ الجهادِ، أو قَرُبَ أجلُ موعودِ الفتحِ بصورةِ وجوبِ الجهادِ ابتداءً وكلُّ ما يوجَدُ عند ذلك الوقت من رئيس ومرؤوس، وعُدّة وعِدّة ولم يكفِ لإنجاز المقصود، لزم في قدر الله وقضائه تفويضُ المَلكِ لشخصٍ قد كُتِبَ الفتحُ باسمه في الغيب، وإذا بلغ الأمرُ إلى هذا الحَدِّ وجبَ استخلافه لا محالة، ويصبحُ هو خليفة خاصّاً من عند الله تبارك وتعالى وفي قدره وقضائه، كما أنَّ بني إسرائيل قد غُلِبوا بيد العمالقة فَسُبِيَ أولادهم ونهبت أموالهم، والوضعُ الذي كانوا فيه لم يكن يكفيهم للفتح والغلبة، فاستخلف الله طالوت، وجعله ملكاً، وأمر نبيَّ العصر بمعرفته بعلامة كذا وكذا، وإثبات الخلافة له.

وثانياً: إن الإعراضَ عن قَبول خلافته، وإثارة الشبهات الواهية حول استحسان تقديمه بعد استقرار الخلافة له بنصّ من الشارع معصيةٌ

من المعاصي، كما أنَّ بني إسرائيل لمَّا قالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]؛ يعني: مهما كانت منزلةُ طالوت في بني إسرائيل نسباً وسلالةً، فإنه لم تكن له سابقة في الملك والحكم، إذ إنه كان دبّاغاً أو سقّاءً، ولم يرضَ الله منهم بهذا القول، ولم يلتفت إلى ذلك.

وثالثاً: إنّ الأصلَ في باب الاستخلاف إنّما هو تصميم القدر في الغيب أنَّ الفتح يتحقّق بتدبيره وباسمه، ومجرَّدُ استخلاف الله لأحد يستلزمُ اصطفاءَه، ومدارُ هذا الاصطفاء ليس على الصفات التي هي مدار المدح والثناء عند عامة الناس، مثل كثرة المال وعلوِّ الحسب، بل مدارُ ذلك على الصفاتِ التي تناسِبُ الخلافة ومصالحها، ومع ذلك جرت سُنَّة الله أنه يعطي له فضيلة جزئية لكي تطمئنّ قلوبُ الناس له، كما أنه تعالى لم ينظر إلى قلّة استخلافِ «طالوت»، ولا إلى كونه سقّاءً ازدراءً، بل نظر إلى بسطة علمه وجسمه في ميزان الاعتبار، لتطمئنّ قلوب الناس بتقدّمه في الحكم والملك، والله أعلم.

• **وقال الله تعالى**: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

• **وقال تعالى**: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠].

• **أخرج البغوي عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**وَإِنَّ هَـذِهِ الأُمَّـةَ تُـوفِـي سَـبْـعِـيـنَ أُمَّـةً هِـيَ آخِـرُهَـا وَأَكْـرَمُـهَـا**

عَلَى اللهِ عَجَلَ»[١].

• وأخرج الدارمي عَنْ كَعْبٍ: فِي السَّطْرِ الأَوَّلِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ عَبْدِيَ الْمُخْتَارُ، لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا صَخَّابٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ.

وَفِي السَّطْرِ الثَّانِي: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، يَحْمَدُونَ اللهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيُكَبِّرُونَ اللهَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، رُعَاةُ الشَّمْسِ، يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا، وَلَوْ كَانُوا عَلَى رَأْسِ كُنَاسَةٍ، وَيَأْتَزِرُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَيُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَأَصْوَاتُهُمْ بِاللَّيْلِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ كَأَصْوَاتِ النَّحْلِ[٢].

وأخرج الدارميُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: نَجِدُهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يُولَدُ بِمَكَّةَ، وَيُهَاجِرُ إِلَى طَابَةَ، وَيَكُونُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ، وَلَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللهَ فِي كُلِّ سَرَّاءٍ، وَيُكَبِّرُونَ اللهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَيَأْتَزِرُونَ فِي أَوْسَاطِهِمْ، يَصُفُّونَ فِي صَلَاتِهِمْ كَمَا يَصُفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُسْمَعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ[٣].

• قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾ [البقرة: ١٤٣] أراد الله أن يزكّي

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٩٦٨).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٨)، «موقع وزارة الأوقاف المصرية».
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٧).

المهاجرين والأنصار بيد النبيِّ ﷺ، ويزكّي سائرَ الأُمم بيد المهاجرين والأنصار، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ...﴾ [البقرة: ٢٨٥].

• **أخرج البغوي**[1] عَنِ **النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ**، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلا تُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ**».

• **أخرج البغوي**[2] عَنْ **عَبْدِ اللهِ**، قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦﴾ [النجم]، قَالَ: «**فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ**»، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لا يُشْرِكُ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً الْمُقْحِمَاتُ[3].

يقول الفقير إلى رحمة الله ـ عُفي عنه ـ: لمَّا تعيّنت الصورة المحمدية على صاحبها الصلوات والتسليمات في أزل الآزال للنبوة ظهرت معها الأُمّة أيضاً، ذلك لأنَّ النبوّة أمرٌ إضافيٌّ لا تتمثّل صورتها من دون تصوّر الأُمّة.

تشريفِ دستِ سلطان چوگان بزد وليكن

بي گوئي روز ميدان چوگان چه كار دارد

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٢٩٥). (٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٨٩٤).

(٣) المقحمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار؛ أي: تلقيهم فيها. «النهاية» (ص٧٣٤).

وأما الذين كانوا وسائط بين النبي ﷺ وبين أمته، فقد ظهروا بصورة الواسطة، وهم الشهداء على الناس.

وأما ظهور الدين وغلبته ثم انحطاطه ونقصانه، فمثاله: أنك إذا تمثَّلْتَ كرةً متحركةً فلا بدَّ أن يتفرّع من صُلْبِ هذا التصوّر صورة المحور والقطبين والدائرة العظيمة من حيث تشعر أو لا تشعر، ولذلك كلّما جاءَ ذِكْرُ النبيِّ ﷺ في أي موضع من الكتب السماوية جاء مقترناً بذكر أمته.

وقد تقرّر في ذلك الموضع أنَّ عاقبتهم مغفرةٌ من الله تعالى، وأنّهم يكلَّفون بشريعة سهلة سمحة، وقد تمثّل كُلُّ ذلك بصورة الدّعاء وإجابته، وقد أنزل الله تعالى هاتين الآيتين من ذلك الموضع، وأُخبر النبيُّ ﷺ بهذا السرِّ.

بالجملة: فإنّ ما كانَ مقصوداً في أزل الآزال وقع بصورته وهيئته، وما لم يظهر لم يكن مقصوداً، بل ليس ذلك إلّا وهماً كأنياب الغول والإنسان ذي عشرة الرؤوس.

وأسفاً على مَنْ يظنُّ أنَّ الخلافةَ تقرّرت في الشرع في حقِّ شخص ووقعت بالفعل في أشخاص آخرين.

فإن قلتَ: إنَّ الفتنَ تدخلُ تحت قضاء الله تعالى، ولها حكم إلٰهي قبل وقوعها، فإذا وقعت في الخارج فلها حكم آخر.

قلنا: إنَّ الصورةَ التي نحن بصدد شرحها وإيضاحها إنّما هي صورة التشريع التي ظهرت بالرحمة والإحسان والكرم، وصورة رسالة النبي ﷺ وقيام أمته المرحومة باقتدائه ﷺ ليست صورتها كالفتن والمعاصي وخلاف مرضاة الله، وشتّان ما بينهما.

• **قال الله تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة].

• **وقال الله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة].

• **وقال سبحانه**: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة].

يقول الفقير إلى رحمة الله ـ عُفِيَ عنه ـ: إنَّ فضائل الأعمال التي تقرِّب الإنسان إلى الله تعالى على قسمين:

أحدهما: أنّ جميعَ الملل والأديان تتساوى فيه ويتقرّب به أفراد البشر في جميع العصور إلى الله تعالى، وهو بِرٌّ حقيقي، **قال الله تعالى**: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ. . .﴾ [البقرة: ١٧٧].

والآخر: هو مدارُ الفضل ومناطُ القُرْب في بعض الملل دون البعض، ومنه الهجرة والجهاد.

وقد شرح القرآن العظيم هذا النوع من الفضائل بصفة خاصة وفصّله تفصيلاً، وعلّق به علوّ المراتب في الدنيا والآخرة، ويستغني هذا الادعاء عن ذكر الدلائل لكثرته، ولكن لمّا دخلت العلوم الأجنبية في المسلمين، واختفى الحق وجبَ أن نذكر الدلائل.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧]؛ يعني: يَذْكُرُ الله تعالى فرقتين متضادّتين، فيمدحُ إحداهما، ويذمُّ الأخرى، ويبيِّنُ من صفات الفرقة الممدوحة أنّهم يبذلون نفوسهم في طلب مرضاة الله جلَّ شأنه في المهالك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾، نصٌّ صريحٌ في فضيلة المهاجرين والأنصار.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ...﴾ إلخ، والمفهوم بحسب العرف إنما هو كثرة الإنفاق في مصارف الخير مرةً بعد أخرى وكَرَّةً بعد أولى.

ولا شكّ في أنّ الخلفاء رضوان الله عليهم جميعاً بذلوا نفوسهم في طلب مرضاة الله تعالى.

فقام **أبو بكر الصدِّيق** رضي الله عنه بتبليغ الدعوة الإسلامية في مكة حتى ضربوه وأدموه وآذوه، ورافق النبي ﷺ في الهجرة، مع أنَّ الكفَّار قد أرسلوا رجالاً في طلبهما، وقرّروا ديةً للذي يقبض عليهما ـ وهي مائة ناقة ـ.

وقام **عمر الفاروق** بإعلان إسلامه قبل الهجرة إلى أن ضربوه وآذوه، وقد أبلى في الهجرة بلاءً حسناً.

ونام **عليٌّ المرتضى** رضي الله عنه على فراش النبيِّ ﷺ عند الهجرة من حيث لو أنّ الكفار هاجموا لهجموا عليه.

وتحمّل **عثمان ذو النورين** رضي الله عنه من عمّه وقومه مشقّات ومصائبَ ولم يَنْقُضْ عَقْدَ الإيمانِ خلال ذلك، وهاجر في سبيل الله مرتين: **إحداهما**: الهجرة إلى الحبشة، **والأخرى**: الهجرة إلى المدينة.

وقام هؤلاء السعداء الأعزاء جميعاً بعد ذلك رغم قلّة الأحبّاء، وكثرة الأعداء، بالقتال والجهاد في المعارك والملاحم تحت راية النبي ﷺ، وأبلوا بلاءً حسناً في القتال، ثم بذل هؤلاء جميعاً أموالهم في مشاهد الخير، فكان هؤلاء مصداق هذه الآيات، بل هم في طليعتهم، وهو المقصود هنا.

وإذا قال متعصِّب: إنَّ هذه الآيات كلُّها واردةٌ على العموم، يحتملُ أنْ يكون المرادُ بها أفراداً آخرين.

قلنا: قَصْرُ العامِ على بعضِ الأفراد له حدٌّ، ولكنْ إذا استُعْمِلَ

اللفظُ العام في اللغة العربية يدخل فيه بالضرورة من اشتهر بذلك الوصف، وأسبقهم فيه، بحيث لو ذكر هذا الكلام لتبادرت أذهان السامعين إليه، والذي يقول بخلافه هو جاهلٌ بالبلاغةِ، قليلُ البضاعةِ في اللغة العربية، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وإذا رجع المتعصِّبُ يقول: إنَّ هذه الفضائل وُجِدَتْ فيهم، لكنَّ الله تعالى أحبطها بسبب بعض السيئات.

قلنا: هذا أسوأ من القول السابق، فإنَّ الناسَ يقرؤون هذه الآيات في الصلوات والمحافل والمجالس، ويتلونها إلى قيام الساعة، ولو لم يكن المعنى المتبادر إلى الذهن مراداً للزم أن يظهرَ وقعُ تدليس عظيم في كلِّ زمان وفي كلِّ طبقة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وروي عن **ابن عباس في قوله تعالى**: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣]، قال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي[١].

يقول الفقير إلى رحمة الله: إنَّ هذا الأثرَ ضعيفٌ من جهة الإسناد، قويٌّ من جهة المعنى، وقد فصَّلنا القول فيه في معنى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].

• **وقوله تعالى**: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ...﴾ الآية [البقرة: ٩٧]، هذه الآيةُ من موافقات عمر رضي الله عنه.

رُوي ذلك عن الشعبي، وعِكرمة، وقتادة، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى والسُدِّي، وذلك من المراسيل الصحيحة، لاستفاضة طُرُقها عن عكرمة، قال: كان عمرُ يأتي يهود يكلِّمهم فقالوا: إنّه ليس من أصحابِكَ أحدٌ أكثرَ إتياناً إلينا منك، فأخبرنا مَنْ صاحِبُ صاحِبكَ الذي يأتيه بالوحي؟

(١) «الدر المنثور» (١/ ٣٥).

فقال: جبريل.

قالوا: ذاك عدوّنا من الملائكة، ولو أنَّ صاحبَه صاحبُ صاحبِنا لاتبعناه.

فقال عمر: من صاحِبُ صاحبِكم؟

قالوا: ميكائيل.

قال: وما هما؟

قالوا: أمّا جبريلُ فينزِلُ بالعذابِ والنِّقْمةِ، وأمّا ميكائيلُ فينزِلُ بالغيث والرحمة، وأحدهما عدوٌّ لصاحبه.

فقال عمر: وما منزلتُهما؟

قالوا: إنّهما من أقربِ الملائكةِ منه، أحدهما عن يمينه، وكلتا يديه يمين، والآخر على الشقِّ الآخر.

فقال عمر: لئن كانا كما تقولون ما هما بعدوّين، ثم خرج من عندهم، فمرّ بالنبي ﷺ فدعاه فقرأ عليه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية، فقال عمر: والذي بعثك بالحقِّ إنّه الذي خاصمتُهم به آنفاً[1].

• **وأخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ لي وزيرينِ مِنْ أهلِ السَّماءِ، ووزيرينِ مِنْ أهلِ الأرضِ، فأمّا وزيرايَ مِنْ أهلِ السَّماءِ جبريلُ وميكائيلُ، وأمّا وزيرايَ من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعُمَرُ**»[2].

• **وأخرج الطبراني** بسندٍ حسنٍ عَنْ **أُمِّ سَلَمَةَ**، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَكَيْنِ، أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِالشِّدَّةِ، وَالآخَرُ يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَكُلٌّ**

---

(١) «الدر المنثور» (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٢٩٠) برقم: (٣٠٣٧).

مُصِيبٌ، جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَنَبِيَّانِ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَالآخَرُ يَأْمُرُ بِالشِّدَّةِ، وَكُلٌّ مُصِيبٌ، وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحاً، وَلِي صَاحِبَانِ، أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَالآخَرُ بِالشِّدَّةِ، وَكُلٌّ مُصِيبٌ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ»(١).

● **وأخرج البزَّار والطبراني** في «الأوسط» **والبيهقي** في «الأسماء والصفات» عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: بينا رسول الله ﷺ يحدّثنا على باب الحُجُرَاتِ، إذ أقبل أبو بكر وعمر، ومعهما فِئامٌ من الناس، يجاوِبُ بعضهم بعضاً، ويردّ بعضُهم على بعضٍ، فلمّا رأوا رسولَ اللهِ ﷺ سكتوا، فقال: «**ما كلامٌ سمعتُه آنفاً، جاوبَ بعضُكم بعضاً، ويردُّ بعضُكم على بعضٍ؟**».

فقال رجل: يا رسول الله، زعم أبو بكرٍ أنّ الحسناتِ مِنَ الله، والسيئاتِ من العبادِ، وقال عمر: السيئاتُ والحسناتُ مِنَ الله، فتابعَ هذا قومٌ، وتابعَ هذا قومٌ، فأجابَ بعضُهم بعضاً، وردّ بعضُهم على بعضٍ.

فالتفتَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى أبي بكر، فقال: «**كيف قلت؟**».

فقال قوله الأول.

والتفت إلى عمر، فقال قوله الأول.

فقال: «**والّذي نفسِي بيدِهِ لأقضينَّ بَيْنَكُما بقضاءِ إسرافيلَ بين جبريلَ وميكائيلَ**».

فتعاظَمَ ذلك في أَنْفُسِ النّاسِ، وقالوا: يا رسول الله، وقد تكلّم في هذا جبريل؟

فقال: «**إي والَّذي نَفْسِي بيدِهِ، لهما أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تكلّمَ فيه، فقال ميكائيلُ بقولِ أبي بكرٍ، وقال جِبْرِيلُ بقولِ عُمَرَ، فقال جبريلُ لميكائيلَ:**

(١) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (١٧/ ١٤٣).

إنّا متى نختلِفُ أهل السماءِ يختلِفُ أهلُ الأرضِ، فلنتحاكَم إلى إسرافيلَ، فتحاكما إليهِ، فقضَىٰ بينَهما بحقيقةِ القَدَرِ، خيرِهِ وشرِّه، حُلوِه ومُرِّهِ، كلُّه من اللهِ ﷻ، وإنِّي قاضٍ بينَكما».

ثم التفتَ إلى أبي بكر، فقال: «**يا أبا بكرٍ! إنّ اللهَ تبارَكَ وتعالى لو أرادَ أَنْ لا يُعْصَىٰ لم يَخْلُقْ إبليسَ**».

فقال أبو بكر: صدقَ اللهُ ورسولُه[1].

• **قوله تعالى**: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] هذه الآية من موافقاتِ عمر.

فقد أخرج **البخاري والترمذي** وغيرهما عن **عُمَر** قال: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾»[2] الحديث.

• **ومن قيام عمر بحفظ شعائر الله ﷻ** إعادتُه المقامَ في مكانه بعد ما دحرجته السيول.

• **عن سفيان بن عُيينة**، عن حبيب بن أبي الأشرف قال: كان سيلُ أُمِّ نهشلٍ قبل أن يَعْمَلَ عمرُ الرَّدْمَ بأعلى مكة، فاحتملَ المقامَ من مكانه، فلم يُدْرَ أينَ موضِعُه؟ فلما قدم عمرُ بنُ الخطّاب سأل: مَنْ يعلمُ موضِعَه؟

فقال عبد المطلب بن أبي وداعة: أنا يا أمير المؤمنين! قد كنتُ قدّرته وذرّعته بمِقَاطٍ، وتخوّفتُ عليه هذا من الحِجْرِ إليه، ومِن الرُّكْنِ إليه، ومِنْ وَجْهِ الكعبةِ.

فقال: ائتِ به، فجاءَ به فوضعَه في موضعِه هذا، وعمل عمر

---

(١) انظر: «المعجم الأوسط»، للطبراني (٦/ ٢٠٥).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٤٠٢)، و«سنن الترمذي» برقم: (٢٩٦٠).

الردمَ، عند ذلك قال سفيان: فذلك الذي حدّثنا هشامُ بنُ عروة عن أبيه، أنّ المقام كان عند سَقْعِ البيت، فأمّا موضعه الذي هو موضعه، فموضعه الآن، وأمّا ما يقول الناس: إنّه كان هنالك موضعه فلا[١].

قلت: المِقاطُ بالكسر حبلٌ صغيرٌ شديدُ الفتلِ، والجمعُ: مُقُطٌ[٢].

• **وعن عمرَ في قوله تعالى**: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، إذا مرَّ بذكرِ الجنّةِ سأل اللهَ الجنّة، وإذا مرّ بذكرِ النّارِ تعوَّذَ باللهِ من النارِ[٣].

• **ورُوي من طُرُقٍ متعددةٍ**: لـمّا دخلَ المصريونَ على عثمانَ والمصحفُ بين يديه، فضربوه بالسيفِ على يديه، فجرى الدمُ على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]، فمدَّ يده وقال: واللهِ لِأنها أوَّلُ يدٍ خطّتِ المُفَصَّلَ[٤]، قيل: فما ماتَ منهم رجلٌ سوياً.

• **وروى أحمد وأبو داود** من حديث **معاذ بن جبل**: كان عمرُ قد أصابَ من النساء من جارية أو من حرّة بعد ما نام، وأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧][٥].

• **وأخرج الطبراني** في الأوسط عن **عمر بن الخطاب** قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ذاكرُ اللهِ في رمضانَ مغفورٌ له، وسائلُ اللهَ فيه لا يَخِيبُ**»[٦].

• **وعن عمر في قوله تعالى**: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٧]،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ١٨٢)، و«العين» (١/ ٣٨٩).

(٣) انظر: «فتح القدير» (١/ ١٧٢). (٤) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٢٧٥).

(٥) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٢١٢٤).

(٦) انظر: «المعجم الأوسط»، للطبراني (١٦/ ١٢٨).

قال: شوّالُ، وذو القعدةِ، وذو الحِجَّةِ[١].

• **وعن عمر بْنِ الْخَطَّابِ** قَالَ: افْصِلُوا بَيْنَ حَجِّكُمْ وَعُمْرَتِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَتَمُّ لِحَجِّ أَحَدِكُمْ، وَأَتَمُّ لِعُمْرَتِهِ أَنْ يَعْتَمِرَ فِي غَيْرِ أَشْهُرِ الْحَجِّ[٢].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** أنه قال في خطبته: الصدقُ أمانةٌ، والكَذِبُ خيانةٌ، الكَيْسُ التُّقَىٰ، والعَجْزُ الفُجُورُ[٣].

• **وعن عمر** أنه كتب إلى ابنه عبد الله: أمّا بعدُ: فإنِّي أوصيكَ بتقوى اللهِ، فإنَّه مَنِ اتّقاه وَقَاهُ، وَمَنْ أقرضَهُ جَزَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ، واجعلِ التقوى نُصْبَ عينِكَ، وجلاءَ قلبِكَ.

واعلم أنّه لا عَمَلَ لِمَنْ لا نيّةَ له، ولا أجرَ لِمَنْ لا حسنةَ له، ولا مَالَ لِمَنْ لا رِفْقَ له، ولا جديدَ لمن لا خَلِقَ له[٤].

وأخرج **الشافعيُّ** في **الأمّ** عن عروة عن أبيه: أنّ عمرَ حين دَفَعَ من عرفةَ قال:

إليكَ تعدو قَلِقاً وَضِينُها ... مُخَالِفاً دِينَ[٥] النّصَارَىٰ دِينُها[٦]

(١) انظر: «المعجم الأوسط»، للطبراني (٤/ ١٠٤)، و«الدر المنثور» (١/ ٤٣٧).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٢٥٩)، وورد هذا الحديث في الأصل الفارسي بلفظ: «عن عمر افصلوا بين حجكم وعمرتكم، اجعلوا الحج في أشهر الحج واجعلوا العمرة في غير أشهر الحج، أتم لحجك وعمرتك»، ولكن ما عثرنا على هذا اللفظ المروي عن عمر في أي كتاب من كتب الحديث المتداولة.

(٣) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٤٤٣)، وفيه: «. . . أكيس الكَيْس التُّقى، وأنوك النَّوك الفجور».

(٤) كذا ورد في الأصل الفارسي، وأما الذي ورد في «عيون الأخبار» (١/ ١٠٦)، و«تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٥٦)، ففيه بعض الاختلاف في اللفظ دون المعنى.

(٥) كذا ورد في الأصل الفارسي، وأما الذي ورد في «عيون الأخبار» (١/ ١٠٦)، و«تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٥٦)، ففيه بعض الاختلاف في اللفظ دون المعنى.

(٦) انظر: «الأم» (٢/ ٢٣٤)، و«الدر المنثور» (١/ ٤٤٨).

وأخرج **البيهقي** عن **أبي هريرة** أنَّ رجلاً مرَّ بعمرَ بنِ الخطّاب، وقد قضى نسكَه، فقال له عمرُ: «أحججتَ؟».

قال: نعم.

قال: «اجتنبتَ ما نُهيتَ عنه؟».

فقال: ما آلوت.

قال عمر: «استقبِلْ عملكَ»[1].

• **قيل لعطاء بن أبي رباح**: أبلغك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَسْتَأْنِفُونَ العَمَلَ**»؛ يعني: الحاج؟[2].

فقال: لا، ولكن بلغني عن عثمان بن عفان، وأبي ذر الغفاري أنهما قالا: يستقبلون[3] العملَ[4].

• **وعن سالم** [بن عبد الله بن عمر]، عن أبيه، عن **عمر بن الخطّاب** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائلينَ**»[5].

• **وعَنِ ابْنِ أَبِي نجيح** عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سُئِلَ **ابْنُ عُمَرَ** عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ فَقَالَ: حَجَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ عُمَرَ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ عُثْمَانَ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَأَنَا لَا أَصُومُهُ، وَلَا آمُرُ بِهِ وَلَا أَنْهَى عَنْهُ[6].

• **وروى صهيبٌ** أنّ المشركين لما أطافوا برسول الله ﷺ [فأقبلوا

---

(١) انظر: «شعب الإيمان»، للبيهقي (٣/ ٤٧٩) برقم: (٤١١٨).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «الحجاج». (٣) وفي الأصل الفارسي: «لا يستقبلون».

(٤) انظر: «شعب الإيمان»، للبيهقي (٣/ ٤٧٩) رقم: (٤١١٧).

(٥) انظر: «شعب الإيمان»، للبيهقي (١/ ٤١٣) برقم: (٥٧٢).

(٦) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٧٥١).

على الغار وأدبروا قال: «**واصُهَيْبَاهُ ولا صُهَيْبَ لي**»، فلمّا أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ الخروجَ بعثَ أبو بكر رضي الله عنه مرّتين وثلاثاً إلى صُهَيْبٍ[1]]، فوجده يصَلِّي، فقال أبو بكر رضي الله عنه للنبيِّ ﷺ: وجدته يصلِّي، فكرهتُ أن أقطعَ عليه صلاتَهُ قال: «**أصبتَ**».

وخرجا من ليلتهما، فلما أصبحَ، خرجَ، حتى أتى أُمَّ رُومَانَ زوجةَ أبي بكر رضي الله عنه فقالت: ألا أراكَ ههنا وقد خرجَ أخواك، ووضعا لك شيئاً مِنْ زادهما؟.

قال صهيبٌ: فخرجتُ حتى دخلتُ على زوجتي أُمَّ عُمرَ، فأخذتُ سيفي وجعبتي وقوسي، حتى أقدمَ على رسولِ اللهِ ﷺ المدينةَ فَأَجِده وأبا بكرٍ رضي الله عنه جالسينِ، فلمّا رآني أبو بكر قامَ إليَّ، فبشّرني بالآيةِ التي نزلتْ فيَّ، وأخذ بيدي، فلمتُه بعضَ اللائمةِ، فاعتذَرَ وربَّحَني رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**ربحَ البيعُ أبا يحيى**»[2].

● **وعن عكرمة أنّ عمرَ بنَ الخطاب** كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ إلى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٧]، قال: اقتتل الرجلان.

والمقصود مِنْ هذا الكلامِ أنَّ عمرَ رضي الله عنه قد عُرِفَ بفراسته أنَّ السيف يشهر بين الأُمة المرحومة، وذلك بأنْ يكونَ الخليفة ظالماً، فيقومُ رجلٌ مؤمنٌ يكون حاله «يشري نفسه» ينكِرُ على ظلمه، ولا تحاسب الجماعة أعمالها من أجل إنكاره عليه، حتى يؤول الأمرُ إلى القتال، فيقع هذا النوعُ من المقاتلة، مع أنّ معظم التقاتل يحدث من أجل اتباع الهوى من كلا الجانبين.

---

(١) سقط في الأصل الفارسي.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم: (٧٣٠٨).

• **عن أبي بكر** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنِ اغبرّتْ قَدَمَاهُ في سَبِيلِ اللهِ حرّمها الله على النّارِ**»[١].

• **وعن عثمانَ** سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**حَرَسُ ليلةٍ في سبيلِ اللهِ أفضلُ مِنْ ألفِ ليلةٍ يُقامُ ليلُها، ويُصَامُ نهارُها**»[٢].

• **وعن أبي بكر الصدّيق** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما تَرَكَ قومٌ الجهادَ إلّا عمّهم اللهُ بالعذابِ**»[٣].

• **وعن عمرَ** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، لا تَأْتُوا النِّسَاءَ في أَدْبارِهِنَّ**»[٤].

• **وعن زيد بن أسلم** قال: [بلغني أنه[٥]] جاءت امرأة إلى **عمر بن الخطاب** فقالت: إنّ زوجها لا يصيبُها، فأرسل إلى زوجِها، فسأله، فقال: كبرتُ وذهبتْ قوّتي.

فقال له: في كَمْ تُصيبُها؟

قال: في كلِّ طُهْرٍ مَرّةَ.

فقال عمر: اذهبي فإنّ فيه ما يكفِي المرأةَ[٦].

• **وعن الحسن** قال: سأل **عمر** ابنتَه حفصة: كم تَصْبِرُ المرأةُ عن الرَّجُلِ؟

فقالت[٧]: ستّةَ أَشْهُرٍ.

---

(١) أخرجه البزّار في «مسنده» (١/ ٧٦) برقم: (٢٢).
(٢) أخرجه أبو عمر في «معرفة الصحابة» (١/ ٣٠٥).
(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٣٤) برقم: (٣٩٨١).
(٤) أخرجه البزّار في «مسنده» (١/ ٤٧٤) برقم: (٣٣٩).
(٥) كذا ورد في الأصل الفارسي.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ٢٥٧) برقم: (١٠٧٣٧).
(٧) وفي الأصل الفارسي: «قلت».

فقال: لا جرمَ لا أُجَمِّرُ[١] رجلاً أكثرَ مِنْ سِتَّةِ أشهُرٍ[٢].

• **وعن عُمَر بْن الْخَطَّابِ** رضي الله عنه قال: وَاللهِ إِنِّي لأُكْرِهُ نَفْسِي عَلَى الْجِمَاعِ رَجَاءَ أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنِّي نَسَمَةً تُسَبِّحُ[٣].

وعن أشعث بن أسلم البصري قال: بينا **عمر** يصلِّي، ويهوديان خلفَه، قال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ «فلما انتعل عمر قال: أرأيت قول أحدكما لصاحبه أهو هو؟»[٤].

قالا: إنّا نجده في كتابنا قرناً من حديدٍ يعطى ما يعطى حزقيل الذي أحيا الموتى بإذنِ اللهِ.

فقال عمرُ: ما نجدُ في كتابِ الله حزقيلَ ولا أحيا الموتى بإذن الله إلّا عيسى.

قالا: إنّا نَجِدُ في كتاب الله: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

فقال عمر: بلى.

قالا: وأمّا إحياء الموتى فسنحدثك أنّ بني إسرائيل وقعَ عليهم الوباءُ، فخرجَ منهم قومٌ حتّى إذا كانوا على رأسِ ميلٍ أماتهم الله، فبنوا عليهم حائطاً، حتى إذا بَلِيَتْ عظامُهم بعثَ الله حِزْقيلَ، فقام عليهم فقال ما شاء الله، فبعثَهُمُ اللهُ له، فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ...﴾ الآية [البقرة: ٢٤٣][٥].

• **عن ابن عمر**، أن عمرَ بنَ الخطّاب خرج ذات يوم إلى الناس

---

(١) في الأصل الفارسي: «لا أجمّر». (٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٩).
(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٩).
(٤) لا يوجد في الأصل الفارسي. (٥) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ١٢٥).

فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن، وأعدلها، وأخوفها، وأرجاها؟ فسكت القوم.

فقال ابن مسعود: على الخبير سقطتَ، «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**أعظمُ آيةٍ في القُرآنِ:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **وأَعْدَلُ آيةٍ في القرآن:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] إلى آخرها، **وأَخْوَفُ آيةٍ في القرآن:** ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، **وأرجى آيةٍ في القُرآنِ:** ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣]»[(١)].

وعن **أبي الدرداء** قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْتَدُوا باللّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أبي بكرٍ وعُمَرَ، فإنَّهما حَبْلُ اللهِ الممدودُ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بهما،** ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦]»[(٢)].

• **وعن ابن عباس** قال: قال عمر يوماً لأصحاب النبيّ ﷺ: فيم تَرَون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟

قالوا: الله أعلم!

فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم.

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيءٌ يا أميرَ المؤمنين!

فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقّر نفسَك.

قال ابن عباس: ضُرِبَتْ مثلاً لِعَمَلٍ[(٣)].

قال عمر: أيُّ عملٍ؟

قال ابن عباس: لعملٍ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/١٥٣). (٢) انظر: «فتح القدير» (١/٣٧٤).

(٣) وفي الأصل الفارسي: «ضربت مثل العمل».

قال عمر: لرجلٍ غنيٍّ يعملُ بطاعةِ اللهِ، ثم بعثَ اللهُ له الشيطانَ فعمِلَ بالمعاصي حتّى أغرقَ أعمالَه(١).

وعن **ابن عباس** قال: قال عمرُ بنُ الخطّاب: قرأتُ الليلةَ آية أسهرتني: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] فقرأها كلها [فقال(٢)]: ما عنى بها؟(٣).

فقال بعضُ القوم: الله أعلمُ!

فقال: إنِّي أعلمُ أنَّ الله أعلمُ، ولكن إنّما سألتُ إن كان عندَ أحدٍ منكم عِلْمٌ، وسمعَ فيها شيئاً أن يخبِرَ بما سَمِعَ؟

فسكتوا، فرآني وأنا أهمسُ قال: قل يا ابن أخي، ولا تُحقِّر نفسك.

قلت: عنى بها العمل.

قال: وما عُني بها العمل؟

قلت: شيءٌ ألقي في رُوعي فقلتُه.

فتركني وأقبل وهو يفسِّرها: صدقتَ يا ابنَ أخي! عُني بها العملُ، ابنُ آدمَ أفقرُ ما يكونُ إلى جنّتِهِ إذا كَبُرَتْ سِنُّه، وكَثُرَ عيالُه، وابنُ آدمَ أفقرُ ما يكونَ إلى عملِهِ يومَ القيامةِ، صدقتَ يا ابنَ أخي(٤).

● **أخرج الدارقطني عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** قَالَ: إِنَّمَا سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ فِي هَذِهِ الأَرْبَعَةِ: الْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالزَّبِيبِ، وَالتَّمْرِ(٥).

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ١٨٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣١٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٩٥).

(٢) لا يوجد في الأصل الفارسي.

(٣) وفي الأصل الفارسي: «ما عُني بها».

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ١٨٨).

(٥) انظر: «سنن الدارقطني» (٥/ ١٥٥) برقم: (١٩٣٦).

وعَنْ **أَبِي بَكْرٍ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى أَعْوَادِ الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تُقِيمُ الْعَوَجَ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ، وَتَقَعُ مِنَ الْجَائِعِ مَوْقِعَهَا مِنَ الشَّبْعَانِ**»[١].

وأخرج **أبو داود والترمذي** عن **عُمَر بن الْخَطَّابِ** رضي الله عنه قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**»، قُلْتُ: مِثْلَهُ.

قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**»، قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيءٍ أَبَداً[٢].

• **وعن الشعبي** قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ...﴾ [البقرة: ٢٧١]، في أبي بكر وعمر، جاء عمرُ بِنِصْفِ ماله يحمله إلى رسول الله ﷺ على رؤوس الناس، وجاء أبو بكر بماله أجمع، يكادُ أن يخفيه من نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قال: عِدَةُ اللهَ وعِدَةُ رسوله، فقال عمر لأبي بكر: ما استبقنا[٣] إلى بابِ خيرٍ قَطّ إلا سبقتنا إليه[٤].

وأخرج **أحمد** عَنِ **ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ** قَالَ: كَانَ رُبَّمَا سَقَطَ الْخِطَامُ مِنْ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٨٦).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٦٧٨).

(٣) كذا في الأصل الفارسي، غير أنه ورد في «الدر المنثور»، للسيوطي بلفظ: «ما سبقناك».

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٢١)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٣٠).

يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ: فَيَضْرِبُ بِذِرَاعِ نَاقَتِهِ، فَيُنِيخُهَا، فَيَأْخُذُهُ. [قَالَ[١]]: فَقَالُوا لَهُ: أَفَلَا أَمَرْتَنَا نُنَاوِلُكَهُ[٢].

فَقَالَ: إِنَّ حبِيبِي[٣] رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً[٤].

● **وأخرج أحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري** قال: **قال عمر**: يا رسول الله! لقد سمعتُ فلاناً [وفلاناً يُحْسِنان الثناءَ، يذكران أنّك أعطيتهما دينارين، قال: فقال النبيُّ ﷺ: **لكنْ واللهِ فلاناً] ما هُوَ كذلك، لقد أعطيتُه مِنْ عَشْرَةٍ إلى مِائةٍ، فَمَا يقولُ ذاكَ، أَمَا واللهِ إنَّ أحدَكُم ليُخرِجُ مَسْأَلَتَهُ[٥] مِنْ عِنْدِي يتأبَّطُها**» [يعني: تكون تحت إبطه؛ يعني: ناراً].

قال: قال عمر: يا رسولَ اللهِ! لِم تعطيها إياهم؟

قال: «**فَمَا أَصْنَعُ؟ يَأْبَوْنَ إلّا ذاكَ، ويَأْبَىٰ اللهُ لِيَ البُخْلَ**»[٦].

وأخرج **البخاري ومسلم** عَنْ سَالِمٍ **أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ** ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي.

فَقَالَ: «**خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ، [فَتَمَوَّلْهُ إنْ شِئْتَ كُلَّهُ، وإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ]، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**».

قَالَ سَالِمٌ: فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لا يَسْأَلُ أَحداً شَيْئاً وَلَا

---

(١) كذا في الأصل الفارسي. (٢) وفي الأصل الفارسي: «نتناولكه».
(٣) كذا في الأصل الفارسي، وورد في «مسند أحمد» بتحقيق شعيب الأرنؤوط: «حِبِّي».
(٤) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٦٥). (٥) وفي الأصل الفارسي: «بمسألة».
(٦) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١١٠١٧) واللفظ له، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٤٩٠) برقم: (١٣١٧).

يَرُدُّ شَيْئاً أُعْطِيَهُ[(١)].

• **وعن ابن إسحاق** قال: لمّا قُبِضَ أبو بكر واستُخْلِفَ عُمَرُ، خطبَ الناسَ فحَمِدَ الله، وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: «أيُّها الناسُ! إنَّ بعضَ الطمع فقرٌ، وإنَّ بعضَ اليأس غنىً، وإنّكم تَجْمَعُونَ ما لا تَأْكُلون، وتأمَلُونَ ما لَا تُدْرِكُون، واعلموا أن بعضَ الشُّحِّ شعبةٌ مِنَ النفاقِ، فأنفقوا خيراً لأنْفُسِكُم، فأينَ أصحابُ هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة]»[(٢)].

وعن **عمر** أنّه قال: مِنْ آخرِ ما أُنْزِلَ آيةُ الرِّبا، وإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قُبِضَ قَبْلَ أَنْ يُفَسِّرَها لنا، فَدَعَوا الرِّبا والرِّيبة[(٣)].

وعن **أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ أحبَّ أَنْ يَسْمَعَ اللهُ دَعْوَتَهُ، ويُفَرِّجَ كُرْبَتَهُ في الدُّنيا والآخِرَة، فَلْيُنْظِرْ مُعْسِراً، وَلْيَدْعُ له، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُظِلَّهُ اللهُ مِنْ فَوْرِ جَهَنَّم يَوْمَ القِيَامَةِ، ويَجْعَلَهُ في ظِلِّهِ فلا يَكُونَنَّ على المؤمنينَ غَلِيظاً، وَلْيَكُنْ بهم رَحِيماً»**[(٤)].

وعن **عثمان بن عفان** رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **«أَظَلَّ اللهُ عَبْداً في ظِلِّه يَوْمَ لا ظِلَّ إلّا ظِلَّه أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ تَرَكَ لِغَارِمٍ»**[(٥)].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٤٧٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٠٤٥).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٣٦).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٤٠).
(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٥٣٧).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٥٣٢).

آيات سورة آل عمران

• قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ [آل عمران].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: لقد بيَّن الله تعالى في هذه الآيات حقيقة الخلافةِ الخاصّة، وحقيقةَ الفتنة التي ظهرت بعد أيّام الخلافة، وأعربَ عن رضاه بالحالةِ الأُولى، وعن سخطه بالحالةِ الثانية، وأمر ـ أولاً ـ بلزوم التقوى، والاستقامة عليها، ثم أمرَ بالاجتماع على الاعتصام بحبل الله، ونهى عن التفرّق فيه، ثم أشار إلى أنَّ المراد من الاجتماع أمران:

أحدهما: أن لا يختلفوا في فهم شرائع اللهِ من كتاب الله، وذلك أن يختارَ رجلٌ مذهباً لنفسه، ويختارَ الآخرُ غيرَ ذلك، ولقد ورد هذا المضمون في آية: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، بالإجمال، وورد في آية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾

بالتفصيل، فإذا اختلفت المعاني في أذهانهم، فعليهم المشاورةُ فيما بينهم، ونزع الاختلاف من بينهم، حتى يجمعوا على معنىً واحد، ويدخلوا في ساحة الاتفاق والإجماع، وقد جرت عادة الله في أنّ الإجماع لا يقعُ ولا يُرفَعُ الخلافُ إلّا بتصدّي الخليفةِ الراشدِ العالمِ المُسَلَّمِ فضلُه فيما بين الناس.

والثاني: أن يُصمِّم الجميعُ العزمَ والهمةَ على إعلاء كلمة الله، وأن ينسَوْا أحقادَهم القديمة التي كانت في الجاهلية فيما بينهم، وقد وقعت الإشارةُ إلى ذلك في آية: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ...﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثم يبيِّن بعد ذلك أنَّ سبب هذا الاجتماع بحسب جريان سُنَّة الله أن تقوم الجماعة الخاصة منهم بإحياء علوم الدين، والقيام بالجهاد، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقومَ أخرى ـ الجماعة العامة ـ بامتثال أمرهم، وذلك ـ أي: قيامُ مثل هذه الجماعة ـ من فروض الكفاية، وعادةُ اللهِ أنّ أمرَ هذه الأمة المفلحة لا يقوم بدون أن يتصدّى لإقامة هذا الأمر شخصٌ مسلَّمٌ فضلُه فيما بين الناس.

ثم يشدِّدُ الله ﷻ في النهي عن التفرُّقِ في الدِّين حتّى لا يكونوا كأهل الكتاب الذين اختلفوا مِنْ بعدِ ما تبيَّن لهم الحقُّ، وثبتت حجةُ اللهِ، ولزم التكليفُ، وبعد وقوع الخلاف بينهم يكون حالُهم يومَ القيامة ﴿تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

ثمَّ يبيِّن ﷻ بعد ذلك فضيلة تلك الجماعة التي تقوم بإحياء الدين في الأمة المحمدية، على الجماعة التي قامت بهذا الأمر في الأمم السابقة، ويذكر سبب تأخُّر اليهود والنصارى عن هذه المنزلة، وذلك بقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

بالجملة: إنّ الخلافةَ الخاصّةَ تتحققُ بإجماعِ الأمةِ على شخصٍ بالمعنيين المذكورينِ ـ أي: قيام الطبقة الخاصة بإعلام كلمة الله وإقامة الحدود، والطبقة العامة بالامتثال لأوامرهم ـ واتفاق الطبقة العامة في المذاهب، ونزع الأحقاد التي نشأت في قلوبهم من أجل ثورة النفس السبُعية والبهيمية من بينهم، وأن يكون القرن من خير القرون، وقال النبي ﷺ: «**خير القرون قرني**»[١] الحديث.

إن أيامَ الفتنة أيامٌ يظهَرُ فيها الخلافُ في المذاهب والآراء، وتفرّق المسلمين بسبب الأحقاد إلى فرق مختلفة، وقد شرحنا هذه المعاني، وأوردنا ما رُوي عن النبيِّ ﷺ في هذا الباب في الأخبار المشهورة فيما تقدّم فارجع إليه.

ثم نقول: إنّه قد ثبت بهذه الآية أنّ جماعةً عظيمةً من أصحاب النبي ﷺ كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وقد ثبت بالتواتر أنّ هذه الجماعة قد اتخذت في التصدّي لإقامة الدين رجلاً منهم رئيساً لهم، وقد تكرّر ذلك غير مرّة، وقاموا بمهمة الدعوة إلى الخير وِفْقَ أمره، وهذا هو معنى الخلافة.

فإن قيل: إن اتفاقهم على الباطل واتخاذهم غير الصالح للرئاسة رئيساً لم يكونوا خير أمة.

وإن قيل: إن جماعة اتخذت غير صالح للرئاسة وغير المستحق للرئاسة رئيساً، وجماعة أخرى سكتت على ذلك، ولم تقم بإنكار هذا المنكر، كانت الجماعتان معزولتين عن الخيرية، سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» برواية محمد بن الحسن (٣/ ٢٩٥).

• **قال الله تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: قد اختلف المفسِّرون في تفسير هذه الآيات، فذهب أكثرُهم إلى أنّ الآيتين: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ [آل عمران: ١٧٢] و﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] نزلتا في بدر الصغرى.

وبالجملة: إنّ الخلفاء كانوا ممن شهدوا بدراً الصغرى(١)، فتحقق في شأنهم قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، وناهيك به من الشرف.

• **وقال الله تعالى**: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَـٰجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟

---

(١) وقعت غزوة بدر الصغرى بعد أُحد، وكانت موضع سوق للعرب في الجاهلية. انظر: «تاريخ الخميس» (١/ ٤٦٥)، أما غزوة بدر الكبرى فهي معروفة في التاريخ وقعت سنة ٢هـ.

مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ هذه الآيات نزلت في فضائل المهاجرين الأولين، وإن لم يذكر في بدايتها عنوان المهاجرين، ولكن لمَّا جاء في أواخرها: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥] ﴿فَٱلَّذِينَ هَـٰجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥] عُلِمَ أنّ هذه الجماعة جماعة المهاجرين الأولين، الذين أُخرجوا من ديارهم، وأُوذوا في سبيل الله، وقاتلوا، فقُتِلَ بعضُهم، وبلغ البعضَ الآخر مبلغَ المقتولين، وبذلوا نفوسَهم، وحفظهم الله من المهلكة، كما قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وهم متّصفون بالأدعية الخاصة والإخلاص التامّ، فإن صدرت منهم زَلَّةٌ كانت بحكم: «**لعلَّ اللهَ اطّلَعَ على أهلِ بَدْرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(١)] مغفورةٌ لهم، ومآلُهم وحالُهم دخولُ الجنَّة، وما أعظمها من بشارةٍ.

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه مَنْ قرأَ البقرةَ وآلَ عمرانَ والنساءَ كُتِبَ عندَ الله من الحكماءِ[(٢)].

• **وأخرج الدارمي عن سليمان بن يسار** أن رجلاً يقال له: صَبِيغٌ، قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمرُ، وقد أعدّ له عراجينَ النخلِ، فقال: من أنت؟

قال: أنا عبدُ اللهِ صَبِيغ.

[فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه، وقال: أنا عبدُ اللهِ

---

(١) ورد هذا الحديث في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وهو من أصحاب بدر.
(٢) انظر: «شعب الإيمان» (٢/٤٦٨).

عُمَرُ[١]]، فجعل له ضرباً حتّى دَمِيَ[٢] رأسُه، فقال: يا أمير المؤمنين حَسْبُكَ، قد ذهبَ الذي كنت أَجِدُ في رأسي[٣].

وعن أبي عثمان النهدي: أن عمر كتبَ إلى أهلِ البصرةِ، أَنْ لا يجالِسُوا صَبِيغاً، قال: فلو جاءَ ونحنُ مائةٌ لتفرَّقنا[٤].

وعن **محمد بن سيرين** قال: كتب عمرُ بنُ الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أَنْ لا يجالِسَ صبيغاً، وأن يُحْرَمَ عطاءه ورزقَه[٥].

• **قال الشافعيُّ**: حكمي في أهل الكلام حُكْمُ عمرَ في صَبِيغ، أَنْ يُضْرَبوا بالجريدِ، ويُحْمَلوا على الإبلِ، ويُطافُ بهم في العشائر والقبائل، ويناديٰ عليهم؛ هذا جزاءُ مَنْ ترك الكتاب والسُّنَّة، وأقبل على علم الكلام[٦].

وأخرج **الدَّارميُّ** عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ[٧].

• **وعن أبي هريرة** قال: كُنّا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل يسأله عن القرآن: أمخلوق هو أو غير مخلوق؟

فقام عمر فأخذ بمجامع ثوبه حتّى قاده إلى عليٍّ بن أبي طالب فقال: يا أبا الحسن أما تسمع ما يقول هذا؟

---

(١) في الأصل الفارسي اختلاف في الترتيب فقط، وهو حسب ما يأتي: «فقال: وأنا عبدُ اللهِ عمرُ، فأخذ عُمَرُ عُرجوناً من تلك العراجين فضربَ به».
(٢) في الأصل الفارسي: «دمّى».
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٦) برقم: (١٤٤).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٤).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٤).
(٦) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٥).
(٧) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١١٩).

قال: وما يقول؟

قال: جاءني يسألني عن القرآن: أمخلوق هو أو غير مخلوق؟

فقال علي: هذه كلمةٌ، وسيكون لها ثمرةٌ، لو وَليتُ من الأمرِ ما وَلِيتَ ضربتُ عُنقَه(١).

• **عن قتادة** في هذه الآية: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥] قال: ذكر لنا أنَّ عُمَرَ بْنَ الخطّاب كان يقول: اللَّهُمَّ زيَّنْتَ لنا الدُّنيا، وأنبأتنا أنَّ ما بعدَها خيرٌ منها، فاجعلْ حظَّنا في الذي هو خيرٌ وأبقى(٢).

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: لو تركَ الناسُ الحجَّ لقاتلتُهم عليه، كما نقاتِلُهم على الصّلاةِ والزّكاةِ(٣).

• **وعن عثمان** أنه قرأ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران](٤).

يقول الفقير: ليس معنى هذا الحديث أنّ عثمان كان يظنُّ أنَّ هذه الكلمة ـ أي: يستغيثون على ما أصابهم ـ من القرآنِ، إذ إنه قد تواتر في الملّة أنَّ هذه الكلمة لم تكن في المصاحف العثمانية، بل معنى هذا الكلام أنَّ هذه الكلمة مفهومةٌ من فحوى هذه الآية، وهذا كما يقول المفسِّر في قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: واسأل أهل القرية، وتوجيهُ هذه الكلمة أنَّ منصبَ الخليفةِ الراشدِ لا ينحصر في توجيه الدعوة الظاهرة باللسان فقط، بل هو تصميمُ العزم والهمة، والابتهالُ إلى الله تعالى لدفع البلاء عن الأمة.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٥).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٩٥).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٣٩٣).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٠٥).

والحاصل أنَّ مِنْ متمّمات الخلافةِ الراشدةِ دفع البلاء عن الملّة بدعاء الخليفة.

• **وعن عمر** قال: لو شاء الله لقال: أنتم، فكنَّا[1] كلنا، ولكن قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران] في خاصة أصحاب محمد، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

وعن عمر في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: تكون لأوَّلنا، ولا تكون لآخرنا[3].

وعن قتادة قال: ذُكِرَ لنا أنَّ عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية، ثم قال: يا أيها الناس مَنْ سرَّه أن يكونَ من الأُمَّةِ التي أُخْرِجَتْ للناس فليؤدِّ شرط الله فيها[4].

• **وعن عياض الأشعري** قال: شهدتُ اليرموكَ، وعلينا خمسةُ أمراءُ: أبو عبيدة، ويزيدُ بن أبي سفيان، وابن حَسَنَةَ، وخالد بن الوليد، وعياض، وليس عياضٌ هذا قال، وقال عمر: إذا كان قتالٌ فعليكم أبو عبيدة، فكتبنا إليه أنّه قد [جاش[5]] إلينا الموتُ، واستمددناه.

فكتب إلينا أنْ جاءني كتابُكم تستمدُّونني، وإنِّي أدلُّكم على مَنْ هو أعزُّ نصراً، وأحضرُ جُنداً، الله ﷻ، فاستنصروه، فإنَّ محمداً ﷺ قد نُصِرَ يومَ بدرٍ في أقلِّ من عِدَّتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تُراجعوني.

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «فقلنا»، ولعلَّ هذا غير صواب، والله أعلم.
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/٤٠٩). (٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/٤٠٩).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/٤٠٩).
(٥) كذا في الأصل الفارسي، وورد في «الدر المنثور»: «حاس».

فقاتلناهم فهزمناهم أربعة فراسخ(١).

أخرج **أبو داود والترمذي** عَنْ **أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»**(٢).

• **ومن موافقات عمر قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾** [آل عمران: ١٤٤].

• **عن كليب** قال: خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر «آل عمران»، [ويقول: إنها أُحُدِيَّة]، ثم قال: تفرَّقنا عن رسول الله ﷺ يوم أُحد، فصعدتُ الجبلَ، فسمعتُ يهودياً يقول: قُتِلَ محمَّدٌ، فقلت: لا أسمعُ أحداً يقول: قُتِلَ محمَّدٌ إلا ضربتُ عنقه، فنظرت فإذا رسولُ اللهِ ﷺ والناسُ يتراجعون إليه، فنزلت هذه الآية: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾**(٣).

أخرج **البخاريُّ** عن أبي سَلَمَةَ، عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ**: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، [فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

أَمَّا بَعْدُ! مَنْ كَانَ [مِنْكُمْ] يَعْبُدُ مُحَمَّداً ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ [مِنْكُمْ] يَعْبُدُ اللهَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ [لَا يَمُوتُ]، قَالَ اللهُ: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾** إِلَى قَوْلِهِ: **﴿الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾**.

وَقَالَ: [وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ(٤)] لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٣٤٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٤٢١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٧) برقم: (٣٣٨٣٣).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٥١٤) واللفظ له، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٥٥٩).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٤٨).

(٤) وفي الأصل الفارسي بلفظ: «فوالله لكأنهم».

تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، [فَتَلَقَّاهَا[١]] مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَراً مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا[٢].

ورُوي عن **أبي هريرة وعروة** وغيرهما نحو ذلك.

وقال إبراهيم: قال أبو بكر: لو منعوني [ولو] عِقالاً أَعْطَوْا رسولَ اللهِ ﷺ لجاهدتهم، ثم تلا: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ**﴾[٣].

• **وعن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه في قوله: ﴿**وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤**﴾ [آل عمران]، قال: الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه، فكان عليّ يقول: كان أبو بكر أميرَ الشاكرين[٤].

• **وروي عن ابن عباس** ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال: أبو بكر وعمر[٥].

• **وفي رواية عن ابن عباس** قال: نزلت هذه الآيةُ في أبي بكر وعمر، فقال النبيُّ ﷺ: «**لَوْ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا**»[٦].

وتنشأُ شبهةٌ في هذا الموضع؛ إذ إنَّ سياق الآيات للذين وقع منهم تقصيرٌ وزلّة في غزوة أُحد، وأراد النبيُّ ﷺ أن يعفوَ عن تقصيرهم، ويزيلَ غبارَ الندامةِ عن وجوههم، اختياراً لأنواع الملاطفات والمعاملات الحسنة، ومن نوع هذه الملاطفات مشاورتهم في الحرب، ولم تصدر زلّةٌ من الشيخين في غزوة أُحد، حتى يكونا مصداق هذه الآية.

وجوابها: أنَّ ذكر عبد الله بن عباس للشيخين في هذا الموضع

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «فتلاها».
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٤٥٤).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٥١).
(٤) انظر: «فتح القدير» (٢/ ٣٤).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٦٩).
(٦) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٦٩).

مَذْهَبٌ يخالِفُ المذاهب المشهورة في التفسير، وهو أنَّ العرب يقولون: إنّما يُذْكَرُ الشيءُ بالشيءِ، فَتَفَطَّنْ لهذه النكتة، فإنّها تنفعُكَ في كثير من المواضعِ لحلِّ المشكلاتِ في التفسيرِ.

وعن **ابن عمرو** قال: كتب أبو بكر الصدِّيق إلى عمرو: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يشاوِرُ في الحربِ فعليك به[١].

وعن **الضحَّاك** قال: كان عُمَرُ بن الخطاب يشاوِرُ حتّى المرأةَ[٢].

● **قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

أخرج **البخاري** من حديث **ابن عمر** أَمَّا فِرَارُهُ ـ أي: عثمان بن عفان ـ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ[٣].

● **وعن الحسن** في قصة بدر الصغرى، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَبِعُوهُمْ[٤].

وقالت **عائشة** رضي الله عنها في قصة حمراء الأسد: فَانْتَدَبَ[٥] مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ[٦].

● **ومن موافقات أبي بكر الصدِّيق** قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١][٧]، رُوي ذلك من طرق متعددة، منها ما يدلّ على موافقته، ومنها ما يدلّ على تصديقِ مقالته.

روي عن **عكرمة**: أنَّ النبيَّ ﷺ بعث أبا بكر إلى فنحاص اليهودي

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٧٠). (٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٦٩).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٤٠٦٦).

(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٢٦٨). (٥) أي: بادروا بالإباحة.

(٦) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٧٧).

(٧) انظر: «الكشف والبيان» (٣/ ٣٠٢).

يستمدّه، وكتبَ إليه، وقال لأبي بكر: لا تَفْتَتِ[١] عليَّ بشيء، حتى ترجعَ إليَّ.

فلمّا قرأ فنحاصُ الكتابَ قال: قد احتاجَ ربُّكم.

قال أبو بكر: فهممت أن أقره[٢] بالسيف، ثم ذكرت قول النبي ﷺ: لا تفتت عليّ بشيء، فنزلت: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وما بين ذلك في يهود بني قينقاع[٣].

وفي روايةٍ: فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربةً شديدةً وقال: والّذي نفسِي بيدِهِ، لولا العهدُ الذي بيننا وبينك لضربتُ عنقَك يا عدوَّ الله.

فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمَّدُ، انظر ما صنعَ صاحبُك بي.

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**ما حَمَلَكَ عَلىٰ مَا صَنَعْتَ؟**»

قال: يا رسول الله! قال قولاً عظيماً، يزعُمُ أنَّ الله فقيرٌ، وأنهم [عنه] أغنياء، فلمّا قال ذلك غضبتُ للهِ ممّا قال، فضربتُ وجهه.

فجحَدَ فنحاص فقال: ما قلت ذلك، فأنزل [الله] فيما قال فنحاص تصديقاً لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية، ونزل في [أبي بكر و]ما بلغه في ذلك من الغضب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية[٤].

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «لا تفت».

(٢) في الأصل: «أن أقرّه»؛ أي: أبرده، وفي «الدر المنثور»: «أمده».

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/٦).

• **وعن السدي** في قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾، قالها فنحاص اليهودي من بني مرثد، لقيَهُ أبو بكر فكلَّمه، فقال له: يا فنحاص اتّقِ الله، وآمِن وصدِّق، وَأَقْرِضِ اللهَ قرضاً حسناً.

فقال فنحاص: يا أبا بكر! تزعُمُ أنَّ ربنا فقيرٌ، وتستقرِضُنا أموالَنا، وما يستقرِضُ إلّا الفقيرُ من الغنيِّ، إنْ كانَ ما تقولُ حقّاً، فإنَّ الله إذن لفقيرٌ، فأنزل الله هذا، فقال أبو بكر: فلولا هدنةٌ كانت بين بني مرثد وبين النبيِّ ﷺ لقتلتُه[١].

وعن مجاهد قال: صكَّ أبو بكر رجلاً منهم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ لِمَ يَسْتَقْرِضُنا وهو غنيٌّ، وهم يهود[٢].

• **أخرج الترمذي عن عثمان بن عفّان** سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ**[٣] **فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ**»[٤].

ولفظ ابن ماجه: «**مَنْ رابطَ ليلةً في سبيلِ اللهِ سبحانَه كانتْ كَأَلْفِ ليلةٍ صيامها وقيامها**»[٥].

يقول الفقير ـ عُفِيَ عنه ـ: قد بيّنّا سابقاً أنَّ الفضائل التي يَتَقَرَّبُ بها عبادُ اللهِ إلى ربِّهم على قسمين:

أحدهما: أنها تُخْرِجُ أفراد البشر من سجن طبيعتهم[٦]، وتقرِّبهم إلى حظيرة القُدْس، وذلك بمنزلة المذهب الطبيعي ـ فإنّ هذه الصفةُ

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٦).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٧).
(٣) وفي الأصل الفارسي: «موقف ساعة»، وأخرج نحوه ابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٤٦٢) برقم: (٤٦٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٤٠) برقم: (٤٢٨٦).
(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (١٦٦٧).
(٥) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٢٧٦٦).
(٦) أي: من اللذات النفسية.

المذكورةُ داخلةٌ في طبيعتها ـ، ولا شكَّ أنَّ هذا القسم مأمورٌ به في جميع الأديان والملل، مثل التوكل، واليقين، والصبر، والصلاة، والصوم، والصدقة، وذكر الله تبارك وتعالى.

والقسم الثاني: أنّ تأثيرَه في أفرادِ البشرِ يختصُّ بزمان خاصّ على ما تقتضيه العناية الإلـٰهية، مثل: الهجرة، والجهاد، والحج، وهذا القسم مقرِّب للبشر في بعض الملل يقرب أفرادَ البشرِ إلى حظيرة القدس دون بعضِها، مثلاً في شريعتنا تعلّقت الإرادة الإلـٰهية بإهلاكِ الملل الضالّة مثل: المشركين واليهود والنصارى والمجوس، وصورتهم تمثّلت في حظيرة القدس بهذه الصفة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾ [الحج: ٤٠]، في هذه الحالة انهمكت جماعةٌ من البشر في تنفيذ الداعية الإلـٰهية ببركة صحبة النبي ﷺ كمثل جبريل عند صيحة ثمود، ثم هُم تعرّضوا للنفحات الإلـٰهية، وصار بينهم وبين الملأ الأعلى مشابهةٌ ومناسبةٌ، وإنَّ هذه الحالة فتحت عليهم باباً عظيماً من القرب إلى الله، لو اشتغلوا مائة سنة في الرياضة البدنية والنفسانية لم يفوزوا بعشر معشارها، ولم تتعلّق هذه الداعية والإرادة في الملل الأخرى، ولم تبعث الأمم لهذه الغاية، لذلك فإنّ الهجرة والجهاد لم يكونا من الأعمال المقرِّبة إلى الله في مللهم.

وقد فُصِّلَت في القرآنِ والسُّنَّةِ هاتين الفضيلتين تفصيلاً، وعُني بالفضيلة الثانية عنايةً بالغةً بصفة خاصة، وجعلهما مناط التفاضل بين الناس، فإذا لم يتّصف المرءُ بهذين القسمين لا يكون مستحقاً للإمارة والسيادة، قد بيَّن الله تعالى في سورة النساء كلا الفضيلتين، وقد أثنى النبي ﷺ على أصحابه بهما؛ ليكون ذلك حجةً للناس، وينكشف أمر تقدمهم على الناس في التكليف.

❁ ❁ ❁

آيات سورة النساء

• قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء].

وقد أفاد قبل هذه الآية[1] أن المؤمنين الذين يشهدون بالتوحيد لا يصحُّ إيمانهم حتى يظهر منهم تسليم كامل لحكم الرسول ﷺ عند المشاجرات والمخاصمات التي هي مظهر النفس السبعية، ثم يبيّن بعد ذلك أن هؤلاء المطيعين يكونون مع النبيين والصدِّيقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً، وهذه الآية شبيهة بالآية الأخرى وهي: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين]، ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين].

وكمال هؤلاء الأبرار أن يحشروا مع هذه الفرق الأربع، وأن يكونوا معدودين فيهم، وهذه الفرق الأربع المرحومة في طليعة أهل النجاة، وهم في الطبقة العليا من طبقات الأمة المرحومة.

وقد عبّر عن هذه الجماعة في مواضع أخرى بـ«المقرّبين» و«السابقين»، وقد وضح ذلك بهذه الآية وضوحاً لا يبقى معه خفاء، ثم أخبر النبي ﷺ في الأحاديث المشهورة ـ التي هي قطعية ـ التكليفَ عملاً واعتقاداً أنَّ أبا بكر صدِّيقٌ، وعمرَ وعثمانَ وعليّاً شهداءُ، فصار هذا برهاناً لرئاستهم المعنوية على سائر طبقات الأمة، ولم يبقَ خفاءٌ في الملّة الإسلامية في هذا المعنى.

(١) وهي: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

• **قال الله تعالى:** ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

يبيّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ الصحابة ليسوا على درجة واحدة، بل بعضُهم أفضلُ من بعضٍ، ومناطُ الفضل إنّما هو الجهاد في سبيل الله بالأنفس ـ يعني: مباشرة القتال مع الكفار ـ وبالأموال ـ يعني: بالإنفاق في سبيل الله ـ وقد وضّح بهذه الآية أنّ المجاهدين بأنفسِهم وأموالِهم هم طليعةُ الأمة، وهم من الطبقة العليا في الأمة، وهم أفضل من غيرهم.

وقد ثبت في الأحاديث المشهورة التي يقوم بها التكليف، ولا يبقى عذر بعد ثبوتها، أنّ هؤلاء السعداء رافقوا النبيّ ﷺ في جميع مشاهد الخير، إلا لعذر في بعض الأوقات، وقد أكثر بعضُهم الجهادَ بالنفس، وبعضُهم الجهادَ بالمالِ، وفعل بعضُهم كليهما على وجه الكمال.

• **قال الله تعالى:** ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

يفرض الله في أول المبحث الهجرة من ديار الكفر، ويبيّن عقوبة تركها، ويستثني الضعفاء الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يقدرون على الخروج من ديارهم، ثم يذكر بعد ذلك فضيلة الهجرة، ويذكر أجرها في الدنيا والآخرة، ومن خرج من بيته مهاجراً ولم يبلغْ غايتَه، وأدركه الموتُ، وعده ثواباً جزيلاً، وأجراً عظيماً، فَتَعْرِفُ من هذه الآية فضيلةَ المهاجرين، والله أعلم.

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: إني أنزلتُ نفسي من مالِ اللهِ بمنزلة

وليِّ اليتيم، إن استغنيتُ استعففتُ[١]، وإن احتجتُ أَخذتُ منه بالمعروفِ، فإذا أيسرتُ قضيتُ[٢][٣].

• **وعن ابن مسعودٍ** قال: كان عمرُ بنُ الخطّاب إذا سلكَ بنا طريقاً فاتبعناه، ووجدناه سهلاً، وإنه سُئِلَ عن امرأة (زوجة) وأبوين، فقال: للمرأةِ الربع، وللأمِّ ثلثُ ما بَقِيَ، وما بَقِيَ فللأب[٤].

• **وعن ابن عباس** أنّه دخلَ على **عثمان**، فقال: إنَّ الأخوين لا يردّان الأمّ عن الثلث، قال الله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]، والأخوان ليس بلسان قومِكَ إخوةٌ، فقال عثمانُ: لا أستطيعُ أن أردّ ما كان قبلي، ومضى في الأمصارِ، وتوارثَ به الناسُ[٥].

وأجابَ زيدُ بنُ ثابتٍ بجواب آخر فقالوا له: يا أبا سعيد إنَّ الله يقول: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾، وأنتَ تحجبُها بأخوينِ، فقال: إنَّ العربَ تسمِّي الأخوينِ إخوةً[٦].

يقول الفقير: لا خلافَ بين القولين، بل تمسَّكَ عثمانُ ﷺ بذلك الأصل أنَّ حكمَ الخليفة الراشد إذا نفّذ، ومضى عليه المسلمون، فهو حجةٌ في الدِّين، وأمَّا زيدُ بنُ ثابت فذكر المعنى الذي فهمه الصحابة عند المشاورة.

• **عن ابنِ شهابٍ** قال: قضى عمرُ بنُ الخطّاب أنَّ ميراثَ الإخوة من الأمِّ بينهم للذكر مثل الأنثى، قال: ولا أرى عمر قضى بذلك حتّى

---

(١) فيه إشارة إلى قول الله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

(٢) أي: إذا صرت غنياً أديت.

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠).

(٤) انظر: «فتح القدير» (٢/ ٩٩).

(٥) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٩).

(٦) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٥٠).

علمه من رسولِ اللهِ، ولهذه الآية [التي] قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ [النساء: ١٢][(١)].

• **وعن عمر وعلي وابن مسعود وزيد** ﭫ: في أمٍّ وزوجٍ وإخوةٍ لأبٍ وأمٍّ وإخوةٍ لأم: «أنَّ الإخوةَ من الأبِ والأمِّ شركاءُ للإخوة من الأمِّ في ثلثهم، وذلك أنّهم قالوا: هم بنو أمٍّ كلهم، ولم يزدهم الأبُ إلا قرباً، فهم شركاءُ في الثلث»[(٢)].

• **كتب عمرُ بنُ الخطّاب** ﭬ إلى أبي موسى الأشعري: إذا لهوتم فالهوا بالرمي، وإذا تحدّثتم فتحدّثوا بالفرائض[(٣)].

• **وعن عُمَر بن الخطاب** قال: تعلّموا الفرائض واللحن[(٤)] والسُّنَّة كما تعلّمونَ القرآن[(٥)]، وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أفرضُ أُمّتي زيدُ بنُ ثابتٍ**»[(٦)].

يقول الفقير: إنّ في هذا الحديثِ لمعجزةً عظيمةً، وأصلاً من أصول المسائل حتّى يرتفعَ خلافُ ابن عباس وغيره ـ ويكون قولُ زيدٍ قولاً صحيحاً ـ.

• **وعن الزهري** قال: لَوْلَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَتَبَ الْفَرَائِضَ لَرَأَيْتُ أَنَّهَا سَتَذْهَبُ مِنَ النَّاسِ.

• **وعن عمر** أنه كان يقول: عجباً للعمّةِ تُورَثُ، ولا تَرِثُ[(٧)].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٣٠)، و«الدر المنثور» (٣/ ٥١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ٥٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٧٤) برقم: (٧٩٧٠).

(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٧٠) برقم: (٧٩٥٢).

(٤) أي: اللغة.

(٥) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (٦/ ٢٠٩) برقم: (١١٩٥٦).

(٦) أخرجه الحاكم في «مستدركه على الصحيحين» (٤/ ٣٧٢) برقم: (٧٩٦٢).

(٧) أخرجه البيهقي في «السنن الصغرى» (٢/ ١٨٧).

• **وعن قبيصة بن ذؤيب** قال: جاءت الجَدَّةُ إلى أبي بكر ﷺ [بعد رسول الله ﷺ] فقالت: إنّ لي حقّاً، [إنّ] ابن أو ابن ابنةٍ لي ماتَ.

قال: ما علمتُ لكِ في كتابِ الله حقّاً، ولا سمعتُ من رسولِ اللهِ ﷺ فيه شيئاً وسأسألُ الناسَ، فسألهم فشهدَ المغيرةُ بنُ شعبة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ أعطاها السدس، قال: مَنْ سمعَ ذلك معك؟ فشهد محمّد بنُ مسلمة، فأعطاها أبو بكرٍ السُّدُسَ[(١)].

• **وعن زيد بن ثابت أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب** ﷺ لما استشارهم في ميراثِ الجدّ والإخوة، قال زيدٌ: وكان رأيي أنّ الإخوة أولى بالميراث من الجدّ، وكان عمرُ ﷺ يرى يومئذٍ أنّ الجَدّ أولى [بميراثِ ابنِ أبيه من إخوته[(٢)]].

قال زيدٌ: فحاورته، وضربتُ له مثلاً، وضرب عليّ بنُ أبي طالبٍ وعبدُ الله بنُ عبّاس ﷺ لعمرَ مثلاً يومئذ السيل[(٣)] يضربانه ويصرفانه على نحو تصريف زيد[(٤)].

يقول الفقير: قد نقلتُ بعده كلماتٍ عن الفاروق والمرتضى تدلّ على أنهما رجعا عن هذا الرأي، وليس في هذه المسألة قول مستحكم من قول الصدِّيق حيث أنزله ـ أي: الجد ـ أباً، أخرجه البخاري[(٥)].

• **وعن ابن عباس** قال: أوّل مَنْ أعالَ الفرائضَ عمرُ، تدافعت عليه، وركب بعضها بعضاً، قال: واللهِ ما أدري كيفَ أصنعُ بكم، واللهِ

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٧٦) برقم: (٧٩٧٨).
(٢) في الأصل الفارسي: «أولى من الإخوة».
(٣) في الأصل الفارسي: «السبيل».
(٤) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٧٧) برقم: (٧٩٨٢)، و«الدر المنثور» (٣/ ٥٢).
(٥) في «صحيحه» برقم: (٣٦٥٨).

ما أدري أيُّكُم قدَّمَ اللهُ، ولا أيُّكُم أخَّرَ، وما أجدُ في هذا المالِ شيئاً أحسن من أنْ أقسمه عليكم بالحِصَصِ، ثم قال ابن عباس: وايم اللهِ، لو قدَّم من قدَّم الله، وأخَّر من أخَّر الله، ما عالت فريضته.

فقيل له: وأيُّها قدَّم الله؟

قال: كلُّ فريضةٍ لم يهبطها الله من فريضة إلا إلى فريضةٍ، فهذا ما قدَّم الله، وكلُّ فريضةٍ إذا زالت عن فرضِها لم يكن لها إلّا ما بقي، فتلك التي أخَّر اللهُ، فالذي قدَّم كالزوجين والأم، والذي أخَّر كالأخوات والبنات، فإذا اجتمعَ مَنْ قدَّم اللهُ وأخّر، بدأ بمن قدَّم، فأعطى حقَّه كاملاً، فإن بقيَ شيءٌ كان لهن، وإن لم يبقَ شيءٌ فلا شيءَ لهنَّ[١].

• **وذكر عند عمر** الثلث في الوصية، فقال: الثلثُ وسطٌ، لا بخس ولا شطط[٢].

• **وعن أبي عبد الرحمٰن السلمي** قال: قال عمرُ بنُ الخطّاب: لا تُغَالوا في مهورِ النّساءِ.

فقالت امرأةٌ: ليس ذلك لك[٣] يا عُمَرُ! إنّ اللهَ يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ مِنْ ذَهَبٍ [النساء: ٢٠] ـ قال: وكذلك [هي] في قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿فَلَا يَحِلُّ لَكُم أَن تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ ـ.

فقال عمر: إنّ امرأةً خاصمت عُمَرَ فخصمتْهُ[٤].

• **وعن بكر بن عبد الله المزني** قال: قال عمر: خرجتُ، وأنا أريدُ أن أنهاكم عن كثرةِ الصَّدَاقِ، فعرضت لي آيةٌ من كتاب الله

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٥٢).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٢٢٦) برقم: (٣٠٩١٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «ليس لك ذلك» بالتقديم والتأخير.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ١٨٠).

﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠][١].

• ورُوي أنّ رجلاً [من بني شمخ] تزوّجَ امرأةً ولم يدخلْ بها، ثم رأى أمَّها فأعجبته، فاستفتى ابنَ مسعودٍ، فأمره أن يفارِقَها، ثم يتزوّجَ أمها، ففعل، وولدت له أولاداً، ثم أتى ابنُ مسعودٍ المدينةَ، فسألَ عمر، وفي لفظ: فسألَ أصحابَ النبيِّ ﷺ فقالوا: لا تصلحُ، فلمّا رجعَ إلى الكوفةِ قال للرجل: إنّها عليكَ حرامٌ ففارِقْها[٢].

• وسُئِلَ عن المرأةِ وابنتِها من مِلْكِ اليمين[٣] هل توطأ إحداهُما بعد الأخرى؟ فقال عمر رضي الله عنه: ما أحبُّ أن أجيزَهما جميعاً، ونهاه[٤].

• **وأخرج مالك والشافعي عن قبيصة بن ذؤيب**: أنَّ رجلاً سأل عثمانَ بنَ عفّان عن الأختين في ملك اليمين: هل يجمع بينهما؟

فقال: أحلَّتهما آيةٌ، وحرَّمتهما آيةٌ، وما كنتُ لأصنعَ ذلك، فخرجَ مِنْ عندِهِ، فلقي رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ، أراه عليَّ بنَ أبي طالب، فسأله عن ذلك فقال: لو كانَ لي مِنَ الأمرِ شيءٌ، ثم وجدتُ أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً[٥].

ورُوي هذا الشك عن علي أيضاً من طريق أبي صالح عن علي رضي الله عنه قال: في الأختين المملوكتين أحلّتهما آية وحرّمتهما آية، فلا آمرُ ولا أنهى ولا أحلّ ولا أحرّم، ولا أفعله أنا، ولا أهل بيتي[٦].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٦٥).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٧٠)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٧/ ١٥٩)، و«مصنف عبد الرزاق» (٦/ ٢٧٣) برقم: (١٠٨١١).
(٣) وفي الأصل الفارسي: «عن جاريتين أختين».
(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٦٤) برقم: (١٣٧١٠).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٧٢).
(٦) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٦٤) برقم: (١٣٧١٣).

• **وعن عمرَ** رضي الله عنه أنّه خطبَ فقال: مَا بَالُ رِجَالٍ يَنْكِحُونَ هَذِهِ الْمُتْعَة، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهَا؟! لَا أُوتَى بِأَحَدٍ نَكَحَهَا إِلَّا رَجَمْتُهُ[(١)].

وسئل ابنُ عمرَ عن المتعة، فقال: حرامٌ، فقيل له: إنَّ ابنَ عباسٍ يفتي بها.

قال: فهلَّا تزمزم[(٢)] بها في زمان عمر[(٣)].

• **وعن عاصم بن بَهْدَلة** أنَّ مسروقاً أتى «صِفّين»، فقام بين الصفَّين فقال: يا أيُّها الناس! أنصتوا، أرأيتُم لو أنَّ منادياً ناداكم من السماء فرأيتموه وسمعتُم كلامه، فقال: إنَّ الله ينهاكم عمّا أنتُم فيه، أكنتُم منتهينَ؟

قالوا: سبحان الله!

قال: فواللهِ لقد نزل بذلك جبريلُ على محمّد، وما ذاك بأبينَ عندي منه، إنّ الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء] ثم رجع إلى الكوفة[(٤)].

وعن **داود بن الحصين** قال: كنتُ أقرأ على أُمِّ سعد ابنة الربيع، وكانت يتيمةً في حِجْر أبي بكر، فقرأتُ عليها: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فقالت: لا، ولكن ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣]، إنّما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمٰن حين أبى أن يُسْلِمَ، فحلف أبو بكر أن لا يورثه،

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٢٠٦) برقم: (١٣٩٤٩).

(٢) الزمزمة: صوت خفي لا يكاد يُفهم، والمراد هلّا تكلّم بحلّتها في زمانه. انظر: «النهاية» (ص٤٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/٥٥١) برقم: (١٧٠٧٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/٨٩).

فلمّا أسلم أمره الله أن يورثه نصيبه[١].

• **وعن عمر** قال: ما استفادَ رجلٌ ـ أو قال: عبدٌ ـ بعدَ إيمانٍ بالله خيراً من امرأةٍ حسنةِ الخُلُقِ، ودودٍ ولودٍ، وما استفادَ رجلٌ بعدَ الكفرِ باللهِ شراً من امرأةٍ سيئةِ الخُلقِ حديدةِ اللسانِ[٢].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: النساءُ ثلاثٌ: امرأةٌ، عُفيفةٌ، مسلمةٌ، هيّنةٌ، لينةٌ، ودودٌ، ولودٌ، تعينُ أهلها على الدَّهرِ، ولا تعينُ الدَّهرَ على أهلِها، وقليلٌ ما تجدُها، وامرأةٌ كانت وعاءً، لم تزدْ على أَنْ تَلِدَ الولدَ، وثالثةٌ غلٌّ قَمْلٍ[٣]، يجعلها الله في عُنُقِ مَنْ يشاء، وإذا أرادَ أن ينزعَه نزعَه[٤].

• **وعن ابن عباس** قال: بُعثت أنا ومعاوية حكمين، فقيل لنا: إنْ رأيتُما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتما أن تفرِّقا فرقتما، قال معمر: وبلغني أنَّ الذي بعثهما عثمانُ[٥][٦].

• **وعَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»**[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٢٩٢٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٥٥٩) برقم: (١٧١٤٢).

(٣) الغل: طوق من حديد أو جلد. وقَمِل: أي: ذو قمل، وهي حشرة متطفلة تصيب الإنسان وتمتص دمه. كانوا يأخذون الأسير، فيشدّونه بالقِدّ وعليه الشعر، فإذا يبس قمّل في عنقه، فتجتمع عليه محنتان: الغل والقمل، ضربه مثلاً للمرأة السيئة الخلق، الكثيرة المهر، لا يجدُ بعلها منها مخلصاً. «النهاية» (ص٦٧٧).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤١٦) برقم: (٨٧٢٥).

(٥) غرض ذكر هذه الحكايات بيان **أنّ الخلفاء الراشدين كانوا أصحابَ خبرةٍ وبصيرةٍ في أمور الدنيا.**

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ٥١٢).

(٧) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (١٩٤٦).

وقال **عمر بن الخطاب**: إنّ القُبْلَةَ من اللمسِ، فتوضَّؤوا منها(١).

وقال **عثمان**: اللمسُ باليدِ(٢).

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: الجِبْتُ: الساحِرُ، والطاغوتُ: الشيطانُ(٣).

• **قرئ عند عمر**: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، فقال عمر: أَعِدْها، فأعادَها.

فقال معاذُ بنُ جبلٍ: عندي تفسيرها: «تُبَدَّلُ في ساعةٍ مائةَ مرّةٍ».

فقال عمر: هكذا سمعتُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ(٤)، وفي رواية أُبَي مكان معاذ.

• **وقال عمر**: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ: «**إنّ أوّل ما يُرفَعُ من النَّاسِ الأمانةُ، وآخرَ ما يَبْقَىٰ الصلاةُ، وربَّ مُصَلٍّ لا خيرَ فيه**»(٥).

• **عن عكرمة**: في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: أبو بكر وعمر(٦).

• **وعن الكلبي** ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ قال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود(٧).

• **وعن عكرمة** أنّه سئل عن أمهات الأولاد، قال: هُنَّ أحرارٌ.

قيل: بأي شيءٍ تقوله؟

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٢٩) برقم: (٤٧٠).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ١٥٣) برقم: (١٧٥٦).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ١٤٤).
(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠/ ٢٣٠).
(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١/ ٢٥٩).
(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٧).
(٧) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ١٥٣).

قال: بالقرآن.

قالوا: بماذا من القرآن؟

قال: قول الله ﷻ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وكان عُمَرُ من أولي الأمر قال: أُعْتِقَتْ وإنْ كان سقطاً[(١)].

• **وعن عمران بن الحصين** قال: كان عمرُ إذا استعملَ رجلاً كُتِبَ في عهده: اسمعوا له وأطيعوا ما عَدَلَ فيكم[(٢)].

• **وعن عمر** قال: اسْمَعْ وأَطِعْ، وإن أُمِّر عليكَ عبدٌ حبشيٌّ مُجَدَّعٌ، إن ضربَكَ فاصبرْ، وإنْ حرمَكَ فاصْبِرْ، وإن أرادَ أمراً ينتقِصُ دينَكَ، فقل: دمي دونَ دِيني[(٣)].

• **وأخرج الثعلبي عن ابن عباس** في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآية [النساء: ٦٠]، قال: نزلت في رجلٍ من المنافقين يقال له بشر، خاصمَ يهودياً، فدعاه اليهوديُّ إلى النبي ﷺ، ودعاه المنافِقُ إلى كعب بن الأشرف، ثم إنّهما احتكما إلى النبيِّ ﷺ، فقضى لليهودي، فلم يرضَ المنافِقُ، وقال: تعال نتحاكَمُ إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهوديُّ لعمرَ: قضى لنا رسولُ اللهِ ﷺ فلم يرضَ بقضائه.

فقالَ للمنافقِ: أكذلك؟

قال: نعم.

فقال عمر: مكانَكُما حتَّى أَخْرُجَ إليكما، فدخلَ عمرُ، فاشتمل على

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الصغرى» (٣/ ٣٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٥٤٤) برقم: (٣٣٧١٦).

(٣) السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٥٤٤) برقم: (٣٣٧١١).

سيفِهِ، ثم خرجَ فضربَ عنقَ المنافِقِ حتّى بردَ، ثم قال: هكذا أقضي لِمَنْ لم يرضَ بقضاءِ اللهِ ورسولهِ، فنزلت[(١)].

وللحديثِ طرقٌ متعدِّدةٌ يعتضد بها، عن ابن لهيعة عن أبي الأسود. وعن عتبة بن ضمرة عن أبيه، وعن مكحول وغير ذلك.

وأخرج **مسلم** في حديث **ابن عباس** عن **عمر بن الخطاب** قال: لمّا اعتزل نبيُّ الله ﷺ نساءه قال: دخلتُ المسجدَ، فناديتُ بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]، فكنتُ أنا استنبطتُ ذلك الأمرَ[(٢)].

• **وعن يعلى بن أمية** قال: قلت **لعمر بن الخطاب**: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ﴾ [النساء: ١٠١]، فقد أمن الناس فقال: عجبتُ ممّا عجبتَ منه، فسألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن ذلك فقال: «**صدقةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم، فاقبلوا صدقته**»[(٣)].

• **وعن عمرو بن دينار**، أنّ رجلاً قال لعمر: احكم بيننا بِمَا أَرَاكَ اللهُ، قال: مَهْ، إنّما هذه للنبيِّ ﷺ خاصَّة[(٤)]؛ يعني: اجتهادُ النبيِّ معصوم عن الخطأ قطعاً دون غيره.

• **وعن ابن وهب** قَالَ: قَالَ لِي مَالِكٌ: الْحُكْمُ الَّذِي يُحْكَمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى وَجْهَيْنِ: فَالَّذِي يَحْكُمُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْمَاضِيَةِ، فَذَلِكَ الْحُكْمُ الْوَاجِبُ وَالصَّوَابُ، والْحُكْمُ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِيهِ الْعَالِمُ نَفْسَهُ فِيمَا لَمْ يَأْتِ

---

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (١/ ٧)، و«الدر المنثور» (٣/ ١٥٨).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٤٧٩).
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٦٨٦).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٩).

فِيهِ شَيْءٌ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يُوَفَّقَ، قَالَ: وَثَالِثٌ مُتَكَلِّفٌ لِمَا لا يَعْلَمُ، فَمَا أَشْبَهَ[١] ذَلِكَ أَنْ لا يُوَفَّقَ[٢].

• **ورُوِي** من طرق متعدّدةٍ عن **علي** قال: سمعتُ أبا بكر يقول: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عبدٍ أذنب، فقامَ فتَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قامَ فصلَّىٰ، واسْتَغْفَرَ مِنْ ذَنْبِهِ، إلا كانَ حقّاً على اللهِ أَنْ يَغْفِرَ له؛ لأنَّ اللهَ يقولُ:** ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء]»[٣].

• **وعن زيد بن أسلم** عن أبيه: أنّ **عمر بن الخطاب**، اطّلع على أبي بكرٍ وهو يمدُّ لسانه، قال: ما تصنعُ يا خليفةَ رسولِ اللهِ؟

قال: إنّ هذا الذي أوردني الموارِدَ، إنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الجَسَدِ إلا يَشْكُو ذَرَبَ اللسانِ على حِدّتِهِ**»[٤].

• **عن مالك** قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُلاةُ الأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَناً، الأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ، لَيْسَ لأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا، وَلا تَبْدِيلُهَا، وَلا النَّظَرُ فِيمَا خَالَفَهَا، مَنِ اقْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَصَلّاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً[٥].

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «فما أحسبه».
(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ٣٤٢).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٠).
(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠/ ٤٤٧).
(٥) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ٣٥٦).

• **وعن ابن عمرَ** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَانَ يَنْهَى عَنْ إِخْصَاءِ[(١)] الْبَهَائِمِ، وَيَقُولُ: وَهَلِ النَّمَاءُ إِلَّا فِي الذُّكُورِ[(٢)].

• **وقد صحّ** من طرقٍ متعدِّدةٍ، **عن أبي بكر الصدِّيق** أنه قال: يا رسول الله كيف الصلاحُ[(٣)] بعدَ هذه الآية: ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١٢٣]، فكُلُّ سوءٍ عَمِلْنا جُزينا به؟

فقال رسول الله ﷺ: «**غَفَرَ اللهُ لَكَ يا أبا بكرٍ! ألستَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللأواءُ؟**»[(٤)].

قال: بلى.

قال: «**فهو ما تُجْزَوْنَ بِهِ**»[(٥)].

وفي رواية عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾**﴾ [النساء]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَا أُقْرِئُكَ آيَةً أُنْزِلَتْ عَلَيَّ؟**».

قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: فَأَقْرَأَنِيهَا فَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنِّي قَدْ كُنْتُ وَجَدْتُ انْقِصَاماً فِي ظَهْرِي، فَتَمَطَّأْتُ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ!**»

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَأَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءاً، وَإِنَّا لَمُجْزَوْنَ بِمَا عَمِلْنَا؟

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «اختصاء».

(٢) انظر: «السنن الكبرى»، البيهقي (١٠/ ٢٤) برقم: (١٩٥٨٠).

(٣) في الأصل الفارسي: «الفلاح» مكان «الصلاح».

(٤) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٦٨).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ! وَالْمُؤمِنُونَ فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى تَلْقَوْا اللهَ وَلَيْسَ لَكُمْ ذُنُوبٌ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيُجْمَعُ ذَلِكَ لَهُمْ، حَتَّى يُجْزَوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)].

• **وعن محمد بن المنتشر** قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: إني [لا] أعرف أشدَّ آيةٍ في كتاب الله، فأهوى عمرُ فضربه بالدِّرة وقال: ما لك نقبت عنها؟ فانصرف حتى كان الغدُ، قال له عمر: الآية التي ذكرت بالأمس؟

فقال: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾، فما منّا أحدٌ يعمل سوءاً إلا جُزِيَ به.

فقال عمر: لبثنا حين نزلتْ ما ينفعُنا طعامٌ ولا شرابٌ حتى أنزل الله بعدَ ذلك، ورخّص وقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء][(٢)].

• **وأخرج مالك ومسلم** عن **عمر** قال: ما سألتُ النبيَّ ﷺ عن شيءٍ أكثرَ ما سألته عن الكلالة[(٣)]، حتى طعنَ بأصبعه في صدري، وقال: «**تكفِيكَ آيةَ الصَّيْفِ التي في آخرِ سورةِ النِّساءِ**»[(٤)].

• **وأخرج البخاري ومسلم** عن **عمر** قال: ثلاثٌ وَدِدْتُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان عَهِدَ إلينا فيهنَّ عهداً ننتهي إليه: الجَدُّ، والكلالة وأبوابٌ من أبوابِ الربا[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٠٣٩).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٣/٢٥٦).
(٣) الكلالة: أن يموت الرجل ولا يدع والداً ولا ولداً يرثانه. «النهاية» (ص٨١١).
(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٥٦٧).
(٥) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٥٨٨)، و«صحيح مسلم» برقم: (٣٠٣٢) واللفظ له.

• **وعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه كتب في الجَدِّ والكَلالة كتاباً، فمكث يستخيرُ الله، يقول: اللَّهُمَّ إنْ علمتَ فيه خيراً فأمضِهِ حتّى إذا طُعِنَ، دعا بالكتابِ، فمُحِيَ، فلم يدر أحدٌ ما كان فيه، فقال: إنِّي كتبتُ في الجَدِّ والكلالة كتاباً، وكنتُ أستخيرُ الله فيه، فرأيتُ أن أترككم على ما كنتمُ عليه(١).

• **وعن الشعبي** قال: سئل أبو بكر عن الكلالة؟ فقال: إني سأقول فيها برأيٍ، [فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكنْ خطأً فمني ومن الشيطان]: أراه ما خلا الولد والوالد، فلمّا استُخْلِفَ عُمَر قال: الكلالة ما عدا الولد، فلمّا طُعِنَ عمر، قال: إني لأستحيي اللهَ أن أخالِفَ أبا بكر رضي الله عنه(٢).

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه أنه قال: مَنْ ماتَ ليس له ولدٌ ولا والدٌ فَوَرَثَتُه كلالةٌ، فضجَّ(٣) منه عليٌّ، ثم رجع إلى قوله(٤).

• **وعن قتادة** قال: ذُكِرَ لنا أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال في خطبته: ألا إنَّ الآيةَ التي أُنْزِلَتْ في سورة النساء في شأن الفرائض أنزلَها اللهُ في الولدِ والوالدِ، والآيةُ الثانيةُ أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآيةُ التي ختمَ بها سورةَ النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآيةُ التي ختم بها سورةُ الأنفالِ أنزلها في أُولي الأرحامِ بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله، ممّا جرتْ به الرَّحِمُ من العصبة(٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/ ٣٠١).
(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٢٣)، وفي «السنن الصغرى» (٢/ ١٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٨) واللفظ له.
(٣) في الأصل الفارسي: «فشمخ»؛ أي: تكبَّر وأعرض.
(٤) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٨).
(٥) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٠).

آيات سورة المائدة

• قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ [المائدة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنَّ هذه الآياتِ إنّما هي أدلّ دليلٍ على الخلافةَ الخاصّة لأبي بكر الصدِّيق، وعلى فضائلهِ وفضائلِ التابعين له وذلك بحيث لا يُعْذَرُ مَنْ يجهلُها، ولا تبقى الحجَّةُ في الإسلام لمن ينكرها.

وتفصيل هذا الإجمال أنّ الله تعالى أخبر في هذه الآيات بارتداد جماعةٍ من المسلمين، ووعدَ بإخراجِ جماعةٍ من المحبّين والمحبوبين الذين يحملون من الصفات كذا وكذا، ومعنى الإخراج أنَّ الناسَ يخرجون من بين قبائل العرب أفواجاً، ويجتمعون بمحض توفيق الله تعالى، ويقاتلون المرتدّين عن الإسلام.

تمّ هذا الوعد الإلٰهي بصورته وهيئته في زمن أبي بكر الصدِّيق، حيث خرج الناسُ من مختلف قبائل العرب أفواجاً، واجتمعوا تحت راية أبي بكر الصدِّيق، وقاتلوا بأمره، حتى خمدت نار الفتنة، وعاد العالم إلى هيئته الأولى، ولم تقع حادثةُ قتالِ المرتدِّين بهذه الصفة إلى يومنا هذا بعد مضي مدة مديدة، فثبتَ أنَّ أبا بكر الصدِّيق وأتباعه قد اتّصفوا بهذه الفضائل العظيمة التي لا تفوقها فضيلة في الإسلام، وهذا هو معنى الخلافة الخاصة وهو المقصود.

• **وأخرج البخاري ومسلم** عن طارق بن شهاب عن **عمر بن الخطاب** أنَّ رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آيةٌ في كتابِكُم تقرؤونها لو علينا معشرَ اليهودِ نزلتْ لاتّخذنا ذلك اليوم عيداً.

قال: أي آية؟

قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الآية [المائدة: ٣].

قال عمر: واللهِ إنِّي لأعلمُ اليومَ الذي نزلتْ على رسولِ اللهِ ﷺ فيه، والساعةَ التي نزلتْ فيها، نزلتْ على رسولِ اللهِ ﷺ عشيةَ عرفةَ يومَ جمعةٍ[١].

• **وعن عنترة**[٢] قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبيّ ﷺ: «**ما يبكيك؟**».

قال: يا رسول الله! أبكاني أنّا كُنّا في زيادةٍ من ديننا، فأمّا إذا كمل، فإنّه لم يكملْ قطُّ شيء إلا نَقَصَ.

قال: «**صدقت**»[٣].

• **وعن علقمة بن عبد الله المزني** قال: حدّثني رجل، قال: كنت في مجلس فيه عمر بن الخطاب بالمدينة، فقال عمر لرجل من القوم: يا فلان! كيف سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ ينعتُ الإسلام؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الإسلامَ بَدَأَ جَذْعاً، ثُمَّ ثَنِيّاً، ثُمَّ رُباعِيّاً، ثُمَّ سُدَيْسيّاً، ثم بازِلاً**».

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٥ ـ ٤٤٠٧ ـ ٤٦٠٦ ـ ٧٢٦٨)، و«صحيح مسلم» برقم: (٣٠١٧)، و«الترمذي» رقم: (٢٩٦٩)، و«النسائي» رقم: (٤٩٢٦).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «ميسرة».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٨٨) برقم: (٣٤٤٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٢).

قال عمر: فما بعد البزولِ إلا النقصان[١].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: المسلمُ يتزوّجُ النصرانيةَ، ولا يتزوّجُ[٢] النصرانيُّ المسلمة[٣].

• **أخرج مسلم عن بريدة** قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ عند كُلِّ صَلَاةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ توضّأ ومسحَ على خُفَّيْهِ، وصَلَّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يا رسول الله! إنك فَعَلْتَ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ.

قَالَ: «**إني عَمْداً فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ**»[٤].

• **وعن عليٍّ أنه قرأ** ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾، قال: عاد إلى الغَسْلِ[٥].

• **وعن ابن مسعود أنه قرأ**: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] بالنصب[٦].

• **وعن عروة** أنه كان يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ يقول:

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٥٨٠٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٤).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «ولا تتزوج المسلمة النصراني».

(٣) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٨)، والشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ٢٧٥).

(٤) أخرجه مسلم رقم: (٢٧٧)، والنسائي في «سننه» برقم: (١٣٣)، وانظر: «الدر المنثور» (٣/ ٢٦).

(٥) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).

(٦) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).

رجع الأمر إلى الغَسْلِ[١].

• **وعن أبي عبد الرحمٰن السلمي** قال: قرأ الحسن والحسين ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾، فسمع عليٌّ ذلك، وكان يقضي بين الناس، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ هذا مِنَ المقدَّمِ والمؤخَّرِ في الكلام[٢].

• **وعن الأعمش** قال: كانوا يقرؤونها ﴿بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾، بالخفض، وكانوا يغسلون[٣].

وعن **عبد الرحمٰن بن أبي ليلى** قال: اجتمعَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ على غَسْلِ القدمين[٤].

وعن **الحكم** قال: مضت السُّنَّة مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ والمسلمينَ بِغَسْلِ القدمين[٥].

وعن **أنس** قال: نزل القرآن بالمَسْحِ، والسُّنَّة بالغَسْلِ[٦].

---

(١) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٢) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٣) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٤) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ٢٦) برقم: (١٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣٢).
(٦) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣٢).

قلت: خالفهم ابنُ عباس فقال بالمسح، وكان عملهُ على الغَسْلِ.

وعن **ابن عباس** قال: أبى الناسُ إلّا الغسل، ولا أجدُ في كتابِ اللهِ إلّا المسحَ[١].

وعن **ابن عباس** قال: الوضوءُ غسلتانِ ومسحتانِ[٢].

وعن **ابن عباس** قال: افترضَ الله غسلتينِ ومسحتينِ، ألا ترى أنّه ذكر التيممُ، فجعل مكانَ الغسلتين مسحتين، وترك المسحتين[٣].

• **وأخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها [قالت]: سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ وَنَحْنُ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِي ﷺ وَنَزَلَ، فَثَنَى رَأْسَهُ فِي حجْرِي رَاقِداً، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ، فَبِي الْمَوْتُ لِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ [وَقَدْ أَوْجَعَنِي].

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ، وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ، فَالْتُمِسَ الْمَاءُ، فَلَمْ يُوجَدْ[٤]، فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ...﴾ [المائدة: ٦]، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ[٥].

• **ذكر عكرمة** في حديث طويلٍ [أنّ رجلينِ من المسلمينَ قتلا رجلينِ كان بين قومهما] وبين النبيِّ ﷺ موادعةٌ[٦]، فقدم قومهما على النبيِّ ﷺ يطلبون عقلهما، فانطلقَ النبيُّ ﷺ ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، حتى دخلوا

---

(١) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٤) وفي الأصل الفارسي: «فلم يجد».
(٥) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٠٨).
(٦) في الأصل الفارسي: «مواعدة».

على بني النضير يستعينونهم في عقلهما، فقالوا: نعم، فاجتمعت يهودُ على أن يقتلوا النبيَّ ﷺ وأصحابه، فاعتلُّوا له بصنعة الطعام، [فلمّا أتاه جبريل بالذي أجمع له يهودٌ من الغدر[١]] خرجَ، ثم أعاد[٢] عليّاً فقال: «**لا تبرح من مكانك هذا، فمَنْ مرَّ بِكَ من أصحابي فسألك عني فقل: وجه إلى المدينة فأدركوه**».

فجعلوا يمرّون على عليٍّ فيقول لهم الذي أمره النبيّ ﷺ، حتى أتى عليه آخرهم، ثم تبعهم، ففي ذلك أنزلت: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ حتى ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣][٣].

• **وعن مسروق** قال: قلت لعمر بن الخطاب: أرأيتَ الرشوةَ في الحكم، أَمِنَ السحْتِ هي؟

قال: لا، ولكنْ كفراً، إنّما السحتُ أن يكون للرجلِ عند السلطانِ جاهٌ ومنزلةٌ، ويكون إلى السلطان حاجة، فلا يقضي حاجته حتى يهدي إليه هدية[٤].

• **وعن عمر** قال: بابان من السُّحْتِ يأكلهما الناس، الرُّشا في الحكم، ومهر الزانية[٥].

• **عن ليث** قال: تقدَّم إلى عمر بن الخطاب خصمان فأقامهما، ثم عادا فأقامهما، ثم عادا ففصل بينهما، فقيل له في ذلك فقال: تقدما إليَّ، فوجدتُ لأحدِهما ما لَمْ أجدْ لصاحبِهِ، فكرهتُ أن أفصل بينهما،

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «فأتاه جبريل بالذي اجتمعت له يهود من الغدر».
(٢) وفي الأصل الفارسي: «دعا».
(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤١).
(٤) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٢).
(٥) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٢).

ثم عادا فوجدتُ بعضَ ذلك فكرهت، ثم عادا وقد ذهبَ ذلك، ففصلت بينهما[١].

● **عن عياض** أنَّ عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم[٢] واحد، وكان له كاتب نصراني، فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إنَّ هذا لحفيظٌ، هل أنت قارئ لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام؟

فقال: إنّه لا يستطيع أن يدخلَ المسجدَ.

قال عمر: أجُنب هو؟

قال: لا، بل نصراني، فانتهرني[٣] وضربَ[٤] فخذِي، ثم قال: أخرجوه، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ . . .﴾ [المائدة: ٥١][٥].

● **عن قتادة** قال: أنزل الله هذه الآية[٦] وقد علم أنّه سيرتدّ مرتدّون من الناس، فلمّا قَبَضَ اللهُ نبيَّه ﷺ، ارتدّ عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهلِ الجواثى من عبد القيس، وقال الذين ارتدّوا: نصلّي الصلاة ولا نزكّي، واللهِ لا تُغْصَبُ[٧] أموالُنا، فكُلِّمَ أبو بكر[٨]، في ذلك ليتجاوزَ عنهم، وقيل له: إنّهم لو قد فقهوا

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٩٠)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٣/ ٣٩٠).

(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٩/ ٢٠٤) برقم: (١٨٥٠٧).

(٣) في الأصل الفارسي: «نهرني».

(٤) في الأصل الفارسي: «صرف».

(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠٤) برقم: (١٨٥٠٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٩٩) واللفظ له.

(٦) الآية المقصودة هي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤].

(٧) كذا في «فتح القدير»، وفي الأصل الفارسي: «لا نُغصب».

(٨) في الأصل الفارسي: «فتكلم أبو بكر»، وورد في «تفسير الطبري» (١٠/ ٤١٢)، و«الدر المنثور» (٣/ ٤٤١)، بلفظ: «كُلِّم».

أدّوا الزكاة، فقال: واللهِ لا أفرّق بين شيءٍ جمعه الله، ولو منعوني عقالاً مما فرضَ الله ورسوله لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصائبَ مع أبي بكر، فقاتلوا حتى أقروا بالماعون، وهو الزكاة[(١)].

• **قال قتادة**: فكنا نحدّث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، إلى آخر الآية[(٢)].

• **وعن الضحاك** في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتدّ من العرب عن الإسلام، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردّهم إلى الإسلام[(٣)].

• **عن الحسن** في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال: هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله ﷺ، أبو بكر وأصحابه[(٤)].

• **عن القاسم بن مخيمرة** قال: أتيت ابن عمر فرحَّب بي، ثم تلا: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾، ثم ضربَ على منكبي وقال: أحلفُ باللهِ أنهم لمنكم أهلَ اليمنِ ثلاثاً[(٥)].

عن **أبي موسى الأشعري** قال: تُلِيَتْ عند النبيِّ ﷺ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية، فقال: «**هؤلاءِ قومٌ مِنْ أهلِ اليَمَنِ، ثُمَّ مِنْ كِنْدَةَ، ثُمَّ مِنْ السَّكُونِ، ثُمَّ مِن تَجِيبَ**»[(٦)].

يقول الفقير: لقد وقع هذا الأمر، وتحقّق قتال المرتدّين بإمداد أهل اليمن.

---

(١) انظر: «فتح القدير» (٢/ ٣٢٤).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠١).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠١).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠١).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٢).
(٦) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠١)، و«فتح القدير» (٢/ ٣٢٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٢).

• **عن عمر بن الخطاب** قال: إنِّي أَحْلِفُ لا أعطي أقواماً، ثم يبدو لي أَنْ أعطيَهم، فأُطْعِمُ عشرةَ مساكينَ، كلَّ مسكينٍ صاعاً من شعيرٍ، أو صاعاً من تَمْرٍ، أو نِصْفَ صاعٍ من قَمْحٍ(١).

• **وعن عائشة** قالت: كان أبو بكر إذا حلف لم يحنث، حتى نزلت آيةُ الكفّارة، فكان بعدَ ذلك يقول: لا أحلفُ على يمينٍ فأرى غيرَها خيراً منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ، وقَبِلْتُ رخصةَ اللهِ(٢).

• **وأخرج الترمذي** عَنْ **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ [٢١٩]: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ**﴾ الآية.

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي النساء [٤٣]: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ**﴾.

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي المائدة [٩١]: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١**﴾، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا(٣).

• **وأخرج النسائي** عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ ﷺ يَقُولُ: اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٦١٤)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٥٢) واللفظ له.

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٤٩).

رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ، تَعَبَّدَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَاباً أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ، عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْساً، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ.

قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْساً فَسَقَتْهُ كَأْساً، قَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرِمْ[1] حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ[2].

• **عن ابن عباس** ﭫ قال: إنَّ الشُّرَّابَ كانوا يُضْرَبُونَ على عهد رسولِ اللهِ ﷺ بالأيدي والنعال والعِصِيّ حتى توفِّي رسول الله ﷺ، وكانوا في خلافة أبي بكر ﭬ أكثرَ منهم في عهد رسولِ اللهِ ﷺ، فقال أبو بكر ﭬ: لو فرضنا لهم حدّاً، فتوخَّى نحواً ممّا كانوا يضربون في عهد رسول الله ﷺ، فكان **أبو بكر** ﭬ يجلدهم أربعين حتى توفي.

ثم قام من بعده **عمر**، فجلدهم كذلك أربعين، حتى أُتي برجلٍ من المهاجرين الأولين، وقد كان شَرِبَ فأمر به أن يُجْلَدَ.

فقال: لِمَ تجلدني، بيني وبينك كتابَ الله ﻷ؟

فقال عمر ﭬ: في أيِّ كتابِ اللهِ تجد أنِّي لا أجلدُك؟

فقال: إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: ٩٣]، فأنا من الذين آمنوا، وعملوا

(١) في الأصل الفارسي: «فلم يزل».
(٢) انظر: «سنن النسائي» (٨/٧١٨) برقم: (٥٦٦٦).

الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ بدراً، والحديبية، والخندق، والمشاهد.

فقال عمر رضي الله عنه: ألا تردّون عليه ما يقول؟

فقال ابن عباس: إنّ هؤلاءِ الآياتِ[١] أُنْزِلَتْ عُذْراً للماضين [بأنهم لقوا الله عز وجل قبل أن يُحَرِّمَ عليهم الخمرَ]، وحجةً على الباقين؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]، ثم قرأ حتى أنفذَ الآية الأخرى[٢]، ومن الذين آمنوا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾، فإنّ الله عز وجل قد نهى أن تُشْرَبَ الخمرُ.

فقال عمر رضي الله عنه: صدقتَ فماذا ترون؟

فقال عليٌّ رضي الله عنه: نرى أنّه إذا شَرِبَ سَكِرَ، وإذا سَكِرَ هَذَىٰ، وإذا هَذَىٰ افترى، وعلى المفتري ثمانونُ جلدةً، فأمرَ عمرُ رضي الله عنه فجُلِدَ ثمانين[٣].

• **وعَنِ الْحَكَمِ**، في آية جزاء الصيد أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ فِي الْخَطأِ وَالْعَمْدِ[٤].

• **وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ**، أَنَّ أَعْرَابِيّاً أَتَى أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: قَتَلْتُ صَيْداً وَأَنَا مُحْرِمٌ، فَمَا تَرَى عَلَيَّ مِنَ الْجَزَاءِ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَهُ: مَا تَرَى فِيهَا؟

---

(١) في الأصل الفارسي: «هؤلاء الآيات»، وكذا في كتاب «الاستذكار» (٨/ ٧).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «بلغ الآية الأخرى».

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤١٧) برقم: (٨١٣٢)، وأبو عمر في «الاستذكار» (٨/ ٧).

(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ٨٩).

قَالَ: قَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَتَيْتُكَ وَأَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْأَلُكَ، فَإِذَا أَنْتَ تَسْأَلُ غَيْرَكَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا تَذْكُرُ قَوْلَ اللهِ: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، فَشَاوَرْتُ صَاحِبِي حَتَّى إِذَا اتَّفَقْنَا عَلَى أَمْرٍ أَمَرْنَاكَ بِهِ(١).

عن **بكر بن عبد الله المزني** قال: كان رجلان من الأعراب محرمين(٢)، فأجاش(٣) أحدُهما ظبياً فقتله الآخر، فأتيا عمر وعنده عبد الرحمٰن بن عوف، فقال له عمر: ما ترى؟

قال: شاة.

قال: وأنا أرى ذلك، اذهبا فأهديا شاةً.

فلما مضيا قال أحدهما لصاحبه: ما أدرى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه فسمعها عمر فردّهما، وأقبل على القائل ضرباً بالدِّرة وقال: تقتلُ الصيدَ وأنتَ مُحرِمٌ، وتَغْمِصُ(٤) الفتيا؟، إن الله يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ثم قال: إن الله لم يرض بعمر وحده، فاستعنت بصاحبي هذا(٥).

• **عن ابن عباس** قال: خطبَ أبو بكرٍ الناسَ فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٩٦] قال: وطعامُه ما قذف به(٦).

• **وعن أنس عن أبي بكر الصدِّيق** في الآية قال: صيدُه ما حويت

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ٩٣).

(٢) في الأصل الفارسي: «كان رجلان محرمين».

(٣) في الأصل الفارسي: «فحاش» وفي «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٣) «فأحاش».

(٤) قوله: «تغمص»؛ أي: تحتقر وتستهين وتطعن حكم الشريعة... إلخ.

(٥) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٨١). (٦) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٦).

عليه، وطعامُه ما لَفظ إليك[١].

عن **أبي هريرة** قال: قدمتُ البحرينِ، فسألني أهلُ البحرينِ عمّا يَقْذِفُ البحرَ من السمك؟ فقلت لهم: كلوا، فلمّا رجعتُ سألت عمر بن الخطاب عن ذلك، فقال: بم أفتيتَهم! قال: أفتيتُهم أن يأكلوا، قال: لو أفتيتَهم بغيرِ ذلك لعلوتُك بالدِّرة، ثم قال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾، فصيدُه ما صِيْدَ منه، وطعامُه ما قذف[٢].

وعن **الحارث بن نوفل** قال: حجَّ عثمانُ بن عفّان، فأتي بلحم صيدٍ صادَه حلالٌ، فأكل منه عثمانُ ولم يأكل عليٌّ، فقال عثمان: واللهِ ما صِدْنا ولا أمَرْنَا ولا أَشَرْنا، فقال علي: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[٣].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يُطلَقُ الصيدُ مرّةً على مصدر صاد، يصيد[٤]، ويطلق أُخرى على الحيوان الذي يُصاد[٥]، ولكلٍّ وجهةٌ هو مولّيها.

عن **الحسن** أنّ **عمر بن الخطاب** لم يكن يرى بأساً بلحم الصيد للمحرم إذا صِيدَ لغيره، وكرهه علي بن أبي طالب[٦].

● **عن الحسن** أن **أبا بكر الصدِّيق** حين حضرته الوفاةُ قال: ألم ترَ

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٥٥) برقم: (١٨٧٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٦) واللفظ له.

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٧).

(٤) يقصد به عملية الاصطياد.

(٥) هذا من المصدر المفعول به أي الشيء المصاد.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٣٠٧) برقم: (١٤٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٨) واللفظ له.

أنَّ اللهَ ذكر آيةَ الرَّخاءِ عندَ آيةِ الشدّةِ، وآيةَ الشدّةِ عند آيةِ الرَّخاءِ، ليكونَ المؤمِنُ راغباً راهباً، لا يتمنَّى على اللهِ غيرَ الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة[١].

• **وعن أبي هريرة** قال: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو غضبانُ محمارٌّ وجهه حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجلٌ فقال: أين آبائي؟ قال: «**في النار**»، فقام آخر فقال: مَنْ أبي؟ فقال: «**أبوك حذافة**»[٢]، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيّاً، وبالقرآن إماماً، إنَّا يا رسولَ اللهِ حديثو عهدٍ بجاهليةٍ وشِرْكٍ[٣]، والله أعلم مَنْ آباؤنا، فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ**﴾ [المائدة: ١٠١][٤].

عَنْ **قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ** عَنْ **أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَؤونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ**﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**»[٥].

عن **أبي ذر** قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! قمتُ الليلةَ بآيةٍ من القرآن، ومعك قرآنٌ لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه؟ قال: «**دعوتُ لأُمّتي**»، قال: فماذا أُجبت؟ قال: «**أُجِبْتُ بالّذي لو اطَّلعَ**

---

(١) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٢).
(٢) في الأصل الفارسي: «فلان» بدلاً من «حذافة».
(٣) في الأصل الفارسي: «بالجاهلية والشرك».
(٤) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٥).
(٥) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢١٦٨).

كثيرٌ مِنْهُم عليه تَرَكُوا الصَّلَاة»، قال: أفلا أبشِّرُ النّاسَ؟ قال: «**بلى**»، فقال عمر: يا رسول الله إنّكَ إن تبعثْ إلى الناسِ بهذا يتّكلوا، ويدعوا العبادةَ[1]، فناداه أنِ ارجع فرجع، وتلا الآية التي يتلوها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة][2].

---

(١) في الأصل الفارسي: «اتكلوا عن العبادة».

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٢٧)، و«تفسير الألوسي» (٥/ ٢٠٣).

آيات سورة الأنعام

• قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام].

لقد أنزل الله تعالى في سورة الأنعام ثلاث آيات تتضمّن الفضيلة لثلاث فرقٍ من المهاجرين الأولين.

الفرقة الأولى: هي جماعةُ أذكياءِ الصحابة، ممّن آمنوا في أول مبعث النبيِّ ﷺ، وقاموا بالتصديق بشهادة العلوم الإجمالية الكامنة في صدورهم، ومِنْ هذه الجماعة **عثمانُ بنُ عفّان**، وعلى رأسِهم الصدِّيق رضي الله عنه حيث إنّ تركَ عبادة الأصنام، وإثباتَ التوحيد، واجتنابَ الزنا، والنفور من الخمر وسائر الرذائل والقبائح كان داخلاً في جبلّته وفطرته.

ورأى رؤىً عديدةً دالّة على رسالة النبي ﷺ، فآمن لمجرّد دعوته ﷺ، ولم يحتج إلى تكرار الدعوة وطلب المعجزات وأنواع المخاصمات، فالله ﷻ عرّض بحال هؤلاء، بل بحال رئيسهم، وقارن بينهم وبين جماعة الكفار ممّن هم على الجانب المقابل لهم كمقارنة النور مع الظلمة، والنهار مع الليل، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٥].

والفرقة الثانية: هم الذين قَضَوْا جزءاً من أعمارِهم في الكفر وعداوة النبيِّ ﷺ، وابتُلوا مدّةً طويلةً بموتٍ معنويٍّ: وهو إنكار رسالة النبي ﷺ بعد بعثته، ثم إنَّ التوفيقَ الإلٰهيَّ غشيهم، ورباهم تربيةً حسنةً، ورزقهم الحياة المعنوية، ورقّاهم إلى أعلى درجات المسلمين، مثل حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب، ورئيسُ هذه الجماعة **عمر بن الخطاب**، والله يعرّض بحالهم، بل بحال رئيسهم ويقارن بينهم وبين الكفار الذين أصرّوا على الكفر وماتوا عليه، مثل أبي جهل ومَنْ هم على شاكلته.

والفرقة الثالثة: هم ضعفاءُ المسلمين من موالي قريش وأمثالهم ممّن استنكفت قريشٌ من مجالستهم، وفيهم نزلت آية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾ [الأنعام: ٥٢].

وليعلم أن حقيقة التعريض لا تتمُّ حتى تجتمعَ القرائن القولية والحالية على شخص واحد دون غيره، ففي هذه الصورة يمكن البحث عن ذلك الشخص الخاص، سواء كان الكلام عامّاً أو مطلقاً.

فالقرينة الأولى: هي أنّ المفسِّرين أجمعوا على أنَّ سورة الأنعام نزلت بكاملها مرة واحدة بمكة المكرمة، وذلك عند قرب إسلام عمر رضي الله عنه، وكان الصدِّيق قد أسلم قبل ذلك بمدّة مديدة، ولذا لا

تتناول كلمة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ و﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، المتأخّرين من المهاجرين والأنصار ولا مَنْ تبعهم بإحسان، بل المراد هو الخمسون أو الستون ممن كانوا مسلمين عند نزول هذه الآيات لا غير، ـ هذه قرينة حالية، وأما القرينة القولية فستأتي فيما بعد ـ.

والقرينة الثانية: هي أنَّ آية: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] تدلّ على أنَّ مدّة طويلة قد مضت على بعثة النبي ﷺ، ولم يتشرّف ذلك الصحابي المشار إليه بالإيمان بعدُ، ثم وُفِّقَ له بعدها، ورسخت قدمُه في الإسلام، وهو يحمِلُ عزماً قوياً، وقوّةً حتى يُعْتَبَرَ مقابلاً لـ«أكابر مجرميها».

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ...﴾ [الأنعام: ١٢٥] لا يتحقّق مقتضاه على أتمِّ وجهٍ إلا أن يؤمنَ ذلك الرجلُ من أعماق قلبهِ، بدون تكرارِ الدعوة إلى الإسلام، وبدون المخاصمة، ولا تثورُ شكوكٌ وشبهاتٌ في خاطره، فيقول: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ومثل هذه التخيلات لا تختلف إلى قلبه، وهو يعرف سرّ الشرائع بأكمل الوجوه من تِلقاءِ نفسِه، وفي ضوء هذه القرينة لزم تقليل الشركاء من المؤمنين في ذلك العصر.

والقرينة الثالثة: هي أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وهذه الآيةُ تدلُّ على أنّه هو المهتدي والهادي معاً، ويحصل به نفعٌ عظيمٌ للمسلمين، وهذا الوصف ينحصر في ذات عمر بن الخطاب مِنْ بين هذا الفريق من حيثُ لا يخفى.

والقرينة الرابعة: هي أنَّ القرآنَ جعلَ هذا الرجلَ المشارَ إليه عديلاً بأكابر مجرميها، وقد قال النبيُّ ﷺ لأبي جهل حين قُتل: «**ماتَ اليومُ**

فرعونُ هذه الأمة»[١]، وقد سأل النبيُّ ﷺ الله ﷻ: «**اللَّهُمَّ أيّدني بأحبِّ هذين الرَّجُلينِ إليكَ: عمرَ بنِ الخطّابِ أو عمرِو بنِ هشام**[٢]»، فاستجيب لدعائه ﷺ في حقّ عمر بن الخطاب، فلما اجتمعت هذه القرائنُ تبادَرَ إلى الذهنِ الشيخان: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في أول نظر.

ثم ليُعْلَمْ أنّ الله تعالى يمدحُ أحدَهما بشرح صدره للإسلام الذي هو حقيقةُ الصدّيقية، ويصف الآخرَ بالحياة المعنوية والنور الذي يمشي به في الناس، ويؤثر فيهم، وذلك حقيقة الخلافة الخاصَّة وحقيقة المحدَّثية[٣]، ثم يعدهم جميعاً بالجنّةِ، ويثبِتُ لهم الاستقامةَ على الصراط المستقيم، ويقول فيهم: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وناهيك به من شرفٍ، وكلُّها من صفات الخلافة الخاصة.

وقال في مدح الفرقة الثالثة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ثم نصّ على إخلاصهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وعدهم بالمغفرة والحسنى، فأي فضيلةٍ أحسنُ من هذه الفضائل.

● **عن عمر بن الخطاب** قال: الأنعامُ من نواجبِ القرآنِ[٤].

قلتُ: في «الدرّ النثير» الأنعامُ من نجايبِ القرآنِ أو نواجبه؛ أي: أفاضلِ سورهِ، جمع نجيبةٍ، والنواجِبُ هي عتاقُهُ[٥].

---

(١) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (٩/ ٩٢) برقم: (١٧٩٤٥).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦١٨)، و«مسند أحمد» برقم: (٥٦٩٦)، وفيهما: «**اللَّهُمَّ أعز الإسلام**» مكان «**اللَّهُمَّ أيّدني**».

(٣) أشار المصنف إلى ما وقع في الحديث: «**قد كان في الأمم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب**»، فسر في الحديث بالملهمين؛ أي: من يلقى في نفسه شيء فيخبر به حدساً وفراسةً يختصُّ اللهُ به مَنْ يشاءُ مثل عمر. انظر: «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤٦٣)، و«النهاية» (ص١٩١).

(٤) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٥٤٥).

(٥) جمع عتيق وهو القديم الأول، وفي الحديث: «**إنهنَّ من العتاق الأول**»؛ أي: السور =

وعن **قيس** قال: دخل عثمان بن عفان على عبد الله بن مسعود فقال: كيف تجدك؟ قال: مردودٌ إلى مولايَ الحقّ، فقال: طِبْتَ[١].

وأخرج **الترمذي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ**»[٢].

يقول الفقير: لقد ورد قوله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] في قتال المسلمين، وكان ذلك كائناً بعد انقضاء خمس وثلاثين، وقد ورد في الحديث المتواتر[٣] أن الحكم الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ صار مرتفعاً بفضل دعاء النبي ﷺ، وبقي: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ...﴾ [الأنعام: ٥٢].

أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبيِّ ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدَّث نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢][٤].

= التي أنزلت أولاً بمكة، وأنها من أول ما تعلمه من القرآن. «النهاية» (ص٥٩١)، و«مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥١٤).

(١) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٦٧).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٦٦).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٣١٣)، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٠٦٥).

(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٤١٦).

عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أنه سئل عن هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال: ما تقولون؟ قالوا: لم يظلموا، قال: حملتم الأمر على الشدّة، بظلم: بشرك، ألم تسمع إلى قول الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان][١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك[٢].

• **وعن عكرمة** قال: لمّا تزوّجَ عمرُ رضي الله عنه أمَّ كلثوم رضي الله عنها بنت علي اجتمع عليه أصحابه فباركوا[٣] له، ودعَوْا له، فقال: لقد تزوَّجتُها، وما بي حاجةٌ إلى النساء، ولكنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ كُلَّ نَسَبٍ وسَبَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ القيامةِ إلّا سَبَبِي ونَسَبِي**»، فأحببتُ أن يكونَ بيني وبين رسولِ اللهِ ﷺ نَسَبٌ[٤].

• **وعن ابن عباس** في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾، قال: كان كافراً ضالّاً فهديناه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ هو القرآن ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] الكفر والضلالة[٥].

• **عن زيد بن أسلم** في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال: أُنْزِلَتْ في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام، كانا ميتين في ضلالتهما، فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزَّه، وأقرَّ أبا جهل في ضلالته وموته، وذلك أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دعا فقال: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بأبي جَهْلٍ بنْ هِشَامٍ**

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٩٠).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٩٠).
(٣) في الأصل الفارسي: «فبرّكوا».
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٠٢).
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).

أو بِعُمَرَ بْنِ الخَطّابِ»[١].

• وعن الحسن مثله عن الضحَّاك في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قال: أبو جهل بن هشام[٢].

• وعن أبي سنان ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال: نَزَلَتْ في عمرَ بنِ الخطّاب[٣].

يقول الفقير: هذه الآيةُ تعريضٌ بحال عمر بن الخطاب وأبي جهل عند جمهور المفسِّرين.

• عن عبد الله بن مسعود قال: إنَّ اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلبُ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاه لنفسِهِ، فابتعثه برسالتِهِ.

ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمَّدٍ، فوجدَ قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلهم وزراءَ نبيِّه، يقاتِلُونَ على دينِهِ، فما رأى المسلمونَ حسناً فهو عِنْدَ الله حَسَنٌ، وما رأوا سَيِّئاً فهو عندَ اللهِ سَيِّئٌ[٤].

• عن أبي الصلت الثقفي: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، بنصب الراء، وقرأها بعضُ مَنْ عِنْدَهُ من أصحاب رسول الله ﷺ (حَرِجًا) بالخفض، فقال عمر: أبغوني رجلاً من كنانة، واجعلوه راعياً، [ولكن مُدْلجياً[٥]]، فأتوه به، فقال له عمرُ: يا فتى! ما الحَرَجَةُ فيكم؟

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٣٦٠٠).
(٥) سقطت في الأصل الفارسي.

قال: الحَرَجَةُ فينا: الشجرةُ تكونُ بين الأشجارِ، التي لا تصلُ إليها راعيةٌ، ولا وحشيةٌ، ولا شيءٌ.

فقال عمر: كذلك قلبُ المنافِقِ لا يصلُ إليه شيءٌ من الخير[١].

• **وعن علي بن أبي طالب** قال: لمّا أمرَ الله نبيَّه ﷺ أن يَعْرِضَ نفسَه على قبائل العرب خرجَ إلى مِنىً، وأنا معه وأبو بكر، وكان أبو بكر رجلاً نسّابةً، فوقف على منازلهم ومضاربهم بمنىً، فسلّمَ عليهم، وردّوا السّلام، وكان في القوم مفروقُ بنُ عَمْرٍو، وهانئُ بن قُبيصة، والمُثَنَّى بنُ حارثة، والنعمان بن شريك، وكان أقربَ القومِ إلى أبي بكر مفروقٌ، وكان مفروقٌ قد غلبَ عليهم بياناً ولساناً، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال له: إلام تدعو يا أخا قريش؟

فتقدم رسولُ اللهِ ﷺ، فجلسَ، وقام أبو بكر يُظِلُّه بثوبه، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَدْعُوكُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إلـهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأنّي رسولُ اللهِ، وأَنْ تؤوُوني وتَنْصُرُونِي وتَمْنَعُوني[٢] حتّى أُوَدِّيَ عَنِ اللهِ الذي أَمَرَنِي به، فإنَّ قُرَيْشاً قد تظاهَرَتْ علىٰ أمرِ اللهِ، وكذَّبَتْ رسولَهُ، واسْتَغْنَتْ بالباطلِ عَنِ الحَقِّ[٣]، واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**».

قال له: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريشٍ؟

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

فقال له مفروقٌ: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قُرَيْشٍ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كانَ من كلامِهِم لعرفناه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٣١).

(٢) في الأصل الفارسي: «ولا تؤذوني وتضربوني وتمنعوني».

(٣) في الأصل الفارسي: «وأعانت الباطل على الحق».

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ. . .﴾ [النحل: ٩٠].

فقال له مفروقٌ: دعوتَ ـ واللهِ يا قُرَيشيّ ـ إلى مكارمِ الأخلاقِ ومَحَاسِنِ الأعمالِ، ولقد أَفِكَ قومٌ كذّبوكَ، وظاهروا عليكَ؟

وقال هانئُ بنُ قبيصةَ: قد سمعتُ مقالتَكَ، واسْتَحْسَنْتُ قولَكَ يا أخا قُريش، ويُعْجِبُني ما تكلَّمْتَ به.

ثم قال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنْ لم تَلْبَثُوا إلّا يَسِيراً، حتّى يَمْنَحَكُمُ اللهُ بلادَهُم وأموالَهم** ـ يعني: أرضَ فارسَ وأنهارَ كِسْرَىٰ ـ وَيُفْرِشَكُمْ بَنَاتِهِم، أتُسَبِّحُونَ اللهَ وتُقَدِّسُونَه؟»، فقال له النعمان بن شريك: اللَّهُمَّ وإن[1] ذلك يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]، ثم نهضَ رسولُ اللهِ ﷺ قابضاً على يدِ أبي بكرٍ[2].

● **عن ابن عباس** قال: خطبنا عُمَرُ فقال: أيُّها الناسُ! سيكونُ قومٌ من هذه الأمة يكذِّبون بالرَّجْم، ويكذِّبون بالدجالِ، ويكذِّبونَ بطلوعِ الشَّمْسِ مِنْ مغرِبِها، ويكذِّبونَ بعذابِ القبْرِ، ويكذِّبونَ بالشفاعةِ، ويكذّبونَ بقومٍ يخرجون من النارِ بعد ما امتُحِشُوا[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) كذا في «الدر المنثور» وفي الأصل الفارسي: «وأنّى»، وفي «كنز العمال» (٣٥٦٨٤): «اللّهم فلك».

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/١٥٩).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/٧٣).

آيات سورة الأعراف

• **قال الله تعالى**: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

مفادُ هذه الآياتِ أنَّ موسى عليه السلام ناجى مجيبَ الدعوات بقوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾؛ يعني: ربنا اكتب لنا وقدّر، وأنزل علينا في ملكوت القضاء ثبوت الحسنة، واخلُقْ صورةً مثاليةً لثبوتِ الحسنة في الدنيا والآخرة لأُمّتي، فاتّجه إليه خطاب ربِّ الأرباب أنَّ اليهودَ لا يبقون على حالٍ واحدةٍ: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾، وتكونُ فيهم جماعةٌ تصيبهم عقوبة الدنيا، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤]، وتكون الأُخرى تدركهم رحمةُ الله تعالى كما قال عزّ من قائل: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة].

ومعنى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ يعني: سأكتب حسنةً في الدنيا والآخرة في مستقبل الأيام للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون.

وقد فُهِمَ مِنْ هنا أنَّ أمةً ستظهرُ في الزّمانِ الآتي، وتتّصفُ بهذه

الصفات، ويؤتهم اللهُ حسنةً في الدنيا التي هي عبارةٌ عن الفتحِ والنصرِ وسَعَةِ الرزق، ورئاسةِ العالم، وانحصارها فيهم، وأنَّ الآخرين يكونون تحت حكمهم، ويعطون الجزية وهم صاغرون، ويكونون بأيديهم أسرى وأرقّاء، ويؤتيهم الله حسنةً في الآخرة، وهي عبارة عن المغفرة والنجاة ورفع الدرجات، فيؤتيهم الله كلتا النعمتين.

ثم يقول الله تعالى: إنَّ الأمةَ الموعودةَ هم الذين يتّبعون النبيَّ الأميَّ، وقد صدق عليهم ذلك الموعود الإلٰهي، وقد كتبنا لهم حسنة في الدنيا والآخرة، يعني: قد قررنا القضاء في الملكوت أنَّ الذين يتّبعون النبيّ الأميّ وآمنوا به، وعزّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنْزِلَ معه، يعني: اتبعوا القرآن: هم من الناجين المغفور لهم.

ومن صفات النبيّ الأميّ ما يجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل، وتتلوه اليهود في التوراة، والنصارى في الإنجيل، وقد ثبتت الحجةُ أيضاً على سائر الأمم من جهة ظهور معجزات موسى وعيسى عليهما السلام وثبوت نبوتهما، وشهرتهما بين الناس، فلمّا وُجِدَ وصفُ النبيِّ ﷺ في الكتب الإلٰهية في الدنيا، وأخبر به الأنبياءُ الصادقون، تحققت الحجّةُ على سائر الناس، فإذا لم يعترفوا به لم يكونوا معذورين عند الله تعالى.

وهذا الوصفُ أنّ النبيَّ يأمرُ بالمعروفِ، وينهى عن المنكرِ، ويحلُّ لهم الطيّبات، ويحرّمُ عليهم الخبائث، ويضع عنهم إِصْرَهم، والأغلال التي كانت عليهم؛ يعني: يقومُ بنسخ الشرائع الشاقّة الشديدة، ويأمر بالملّة الحنيفية السهلة السمحة، والنبوة التي تكون على هذه الصفة هي كمال الرحمة وتمام الرأفة.

ويُثْبِتُ اللهُ تعالى ـ في هذه الآيات بمنطوقها ـ الفلاحَ لأصحاب النبي ﷺ، ويُثبت بمفهومها حسنةَ الدّنيا والآخرة كذلك، ولا شكّ في أنَّ

الخلفاءَ قد آمنوا به، وعزّروه، ونصروه، وذلك في أيّامِ حياته ﷺ وبعد وفاته على السواء، فاتصفوا بهذا الفضل، الذي لا يتصوّر فوقه فضلٌ، وهو المقصود.

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: أعطيتُ ناقةً في سبيل الله، فأردتُ أن أشتريَ من نسلها، فسألتُ النبيَّ ﷺ فقال: «**دَعْهَا تأتي يومَ القيامةِ هِيَ وأولادُها جميعاً في مِيزَانِكَ**»[(١)].

• **عن الحسن** قال: رأيتُ عثمانَ على المِنْبَرِ قال: يا أيها الناس! اتقوا الله في هذه السرائر، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**والذي نفسُ محمّدٍ بيدِهِ مَا عَمِلَ أحدٌ عَمَلاً قطّ سِرّاً إلّا أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهُ علانيّةً، إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وإنْ شَرّاً فَشَرٌّ**»، ثم تلا هذه الآية (وَرِياشاً) ولم يقل: وريشاً ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ قال: «**السَّمْتُ الحَسَنُ**»[(٢)].

• **عن الحسن** قال: دخل عمرُ على ابنه عبد الله بن عمر، وإذا عندهم لحم، فقال: ما هذا اللحمُ؟ قال: اشتهيتُه، قال: وكلّما اشتهيتَ شيئاً أكلتَهُ؟ كفى بالمرء إسرافاً أن يأكلَ كلّما اشتهى[(٣)].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: إيّاكم والبِطنةُ في الطعام والشراب، فإنّها مفسدةٌ للجسد، مورِثةٌ للسّقم، مَكْسَلَةٌ عن الصّلاةِ، وعليكم بالقَصْدِ فيهما، فإنّه أصلحُ للجسدِ، وأبعدُ من السّرَفِ، وأنّ الله تعالى ليُبْغِضُ الحَبْرَ السّمين، وإنَّ الرجلَ لن يهلِكَ حتّى يُؤْثِرَ شهوته على دينه[(٤)].

وعن **ابن المسيّب** قال: لمّا طُعِنَ عمر قال كعبٌ: لو دعا الله عمرُ

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٩٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٩٧) واللفظ له.
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٢١٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ٢).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٢١٨).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٢١٩).

لأَخَّر في أجلِهِ، فقيل له: أليس قد قال الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]؟

فقال كعب: وقد قال الله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١].

[قال الزهري: وليس أحدٌ إلا له عمر مكتوبٌ، فرأى أنّه ما لم يحضر أجله]، فإنّ الله يؤخِّرُ ما شاءَ وينقص ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[1].

عن **ابن أبي مليكة** قال: لمّا طُعِنَ عمر جاء كعبٌ، فجعل يبكي بالبابِ، ويقول: واللهِ لو أنَّ أميرَ المؤمنين يُقْسِمُ على اللهِ أن يؤخِّره لأَخَّرَهُ، فدخل ابنُ عبّاسٍ عليه فقال: يا أميرَ المؤمنين هذا كعبٌ يقول كذا وكذا؟ قال: إذاً واللهِ لا أسأله[2].

• **عن سالم بن عبد الله، وأبان بن عثمان، وزيد بن حسن،** [يَذْكُرُونَ[3]] أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أُتي برجلٍ قد فَجَرَ بغلام من قريش معروف النسب، فقال عثمان: [ويحكم أين الشهود] أحصن؟ قالوا: قد تزوّجَ بامرأةٍ ولم يدخل بها بعدُ، فقال علي لعثمان رضي الله عنه: لو دخلَ لها لحلَّ عليه الرجمُ، فأمّا إذا لم يدخل بأهلِهِ فاجلده الحَدَّ، فقال أبو أيوب: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول الذي ذكر أبو الحسن، فأمر به عثمانُ رضي الله عنه فجُلِدَ مائةً[4].

• **عن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: قال موسى عليه السلام: يا ربِّ ما لِمَنْ عَزَّىٰ الثكلى؟

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ٢٢٣).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٢٢٣).
(٣) سقط في الأصل الفارسي.
(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ١٣٢).

قال: أظلّه بظلّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظلّي[١].

• **عن خالد الرَّبَعِي** قال: قرأتُ في كتابِ اللهِ المنزل أنّ عثمانَ بنَ عفّان [يأتي[٢]] رافعاً يديه إلى الله يقول: يا ربِّ قتلني عبادُكَ المؤمنون[٣].

• **عن مسلم بن يسار الجهني** أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «**إنّ اللهَ خَلَقَ آدمَ، ثم مَسَحَ ظهرَه بيمينِهِ، واستخرجَ مِنْهُ ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاءِ للجنّةِ، وبعملِ أهل الجنَّةِ يعملونَ، ثم مَسَحَ ظهرَه، فاستخرجَ منه ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاءِ للنّارِ وبعملِ أهلِ النّارِ يعملونَ**».

فقال رجل: يا رسول الله! ففيمَ العملُ؟

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عز وجل إذا خَلَقَ العبدَ للجنَّةِ استَعْمَلَه بِعَمَلِ أهلِ الجَنَّةِ حتّى يموتَ على عَمَلٍ مِنْ أعمالِ أهلِ الجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ به الجَنَّةَ، وإذا خَلَقَ العَبْدَ للنّارِ استعمَلَهُ بعملِ أهلِ النّارِ حتّى يموتَ على عملٍ من أعمالِ أهلِ النّارِ، فيدخلَه به النَارَ**»[٤].

عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: أنه خطب بالجابية، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/٣٠٨).

(٢) زاد في الأصل الفارسي.

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٣٢٤).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٠٧٥)، ومالك في «الموطأ» برقم: (٣٣٣٧)، وأحمد في «مسنده» برقم: (٣١١).

فقال له فتى[١] بين يديه كلمةً بالفارسية، فقال عمرُ لمترجم يترجم له: ما يقول؟ قال: يزعمُ أنّ اللهَ لا يُضِلُّ أحداً.

فقال عمر: كذبتَ يا عدوَّ اللهِ! بل اللهُ خلقَكَ وهو أضلَّك، وهو يدخلَكَ النّارَ إن شاءَ اللهُ، ولولا أنَّ بيننا عقداً لضربتُ عنقَكَ، فتفرّقَ الناسُ، وما يختلفونَ في القَدَرِ[٢].

• **وأخرج البخاري عن ابن عَبَّاسٍ** قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي! هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ، قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللهِ ﷻ[٣].

❁ ❁ ❁

(١) وفي بعض الروايات «قُسٌّ» مكان «فتى» وكذا في الأصل الفارسي، فانظر مثلاً: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ٢٩٥).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٣٨٢).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٨٦).

آيات سورة الأنفال

• قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال].

يقول الفقير: إنّ المفسِّرين قد اختلفوا في معنى هذه الفتنة، فقالت طائفةٌ منهم: إنّ هذه الفتنة هي أنَّ جماعةً من المسلمين يرتكبون المعاصي، والأُخرى تكفُّ عن النهي عن المنكر، فيأخذُ عذابُ الله الجميعَ، يأخذ العصاة بعصيانهم، والتاركين للنهي عن المنكر بتركهم للنهي عن المنكر، وفيه بحث؛ لأنَّ كل واحدٍ حينئذٍ مأخوذٌ بظلمه من الفعل أو الكفّ ـ أي: الطائفة الأولى بارتكاب المعاصي، والثانية: بكف النهي عن المنكر ـ.

والمعنى الصحيح أنّ هذه الفتنة إنما هي فتنة الخلافة، وهي الفتنةُ التي تموجُ كموجِ البحرِ، حين يتفرّق المسلمون إلى جماعات وطوائف، ويقوم كلٌّ منها في طلب الخلافة، فينشأ عن ذلك إفناءُ النفوس، ونهبُ الأموال، وغلبةُ الكفار، الذين يحاولون دائماً انتهاز مثل هذه الفرصة.

وتتفرّع من هذه الفتنةِ فروعٌ كثيرةٌ، ولا يكون أيُّ مسلم بمأمن منها، سواء كان من أهل الحضر أو البدو، وسواء كان خاملاً أو مشهوراً، أو معتزلاً أو مختلطاً، والله تعالى يحذِّرُ من هذا النوع من الفتنة.

ويقول عقب ذلك: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

[الأنفال: ٢٦]؛ يعني: كنتم مغلوبين بيد الكفار، تذوقون مرارة الجوع والعطش، فبدّل الله حالكم هذه بالنصر والتأييد وسَعةِ الرزق، فموجب الشكر على هذه النعمة ألا تفعلوا عملاً يسبّب غلبة الكفّارِ واختلالَ مكاسبكم وأرزاقكم.

• **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال].

يقول الفقير: إنّ الله يذكرُ في هذه الآيات فضيلةَ المهاجرين الأولين في الدنيا والآخرة، ويقول: إنّ المهاجرين الأوّلين والأنصارَ أَكْفَاءُ فيما بينهم، وبعضُهم أولياءُ بعضٍ، فإذا وقع أحدٌ منهم في آفةٍ أو مصيبةٍ وجبَ على الآخر نصرتُه، ولا يجب ذلك على المسلمين الذين لم يهاجروا، إلّا أنّ تأجّج نارُ الحربِ بينهم وبين المشركين الحربيين، ولو كان ذلك لسبب العداء الدنيوي، فيجب في هذه الحالة نصرتهم ومساعدتهم؛ إذ إنّ الكفّار بعضُهم أولياء بعضٍ، فإذا لم يقم المسلمون بنصرتهم ومساعدتهم غلبَ الكفرُ، وارتدَّ الناس عن الإسلام، وهذا هو المراد بقوله: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال].

ثم يبيّن بعد ذلك فضيلة المهاجرين الأولين والأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾ الآية [الأنفال]، وأيّ فضيلةٍ أكبرُ من هذه الفضيلة؟.

ويذكر بعد ذلك المهاجرين متأخري الهجرة ضمن بيانهم، ويُشبِّههم بالأولين، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ الآية، بيان وجوب التناصر بقرابة الرحم، فلا منافاة بين هذه الآية والآيات السابقة، وعلى هذا التوجيه لا يكونُ نسخٌ في هذه الآيات، وهذا أصحُّ التوجيهات عند الفقير ـ عُفي عنه ـ.

• **عن عمر بن الخطاب** قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرضِ لرجحَ إيمانُ أبي بكر[1].

يقول الفقير: إنّ إصابةَ الرأي للشيخين ﵄ وفراستَهما قد ظهرت على وجه الكمال يوم بدر.

ذكر موسى بن عقبة قصة بدر مفصّلةً، فذكر من فراستهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أَشِيرُوا علينا في أمرِنا ومسيرِنا**».

فقال أبو بكر: [يا رسول الله] إنَّا أعلمُ الناسِ بمسافةِ الأرضِ، أخبرنا عدي [بن أبي الزغباء] أنّ العيرَ كانت بوادي كذا وكذا[2]، [قال ابن فليح في روايته]: فكأنّا وإيّاهم فرسا رهان إلى بدر، [ثم اتفقا، قال:] ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أشيروا عليّ**»، فقال عمرُ بنُ الخطّاب ﵁: يا رسول الله، إنّها قريشٌ وعزُّها، واللهِ ما ذلّت منذُ عزّت، ولا آمنتْ منذ كفرتَ، واللهِ لتُقَاتِلَنَّكَ، فتأهّبْ لذلك أهبتَه، وَأَعْدِدْ له عُدّته[3].

• **وذكر من فراسة أبي بكر الصدِّيق** ﵁ فقال: فلما طلع المشركون قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ هذه قريشٌ قد جاءتْ بخُيلائِها وفخرِها تحادُّك وتكذِّبُ رسولَك، اللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُك ما وعدتَّني**» ـ ورسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٢) برقم: (٣٥).

(٢) في الأصل الفارسي: «تعادي كذا وكذا».

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١١٣).

ممسِكٌ بِعَضُدِ أبي بكر يقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك ما وَعَدتَّني**».

فقال أبو بكر: أبشرْ فوالّذي نفسِي بيده لينجزنَّ اللهُ لكَ ما وعدَكَ، فاستنصرَ المسلمون الله واستغاثوه، فاستجابَ الله لنبيِّه وللمسلمين[١].

• **ثم ذكر** أنّه عجّ المسلمون إلى الله يسألونه النصر حين رأوا القتال قد نَشَبَ، ورفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يديه إلى الله تعالى يسأله ما وعده، ويسأله النصر، ويقول: «**اللَّهُمَّ إنْ ظَهَرُوا**[٢] **على هذه العصابةِ ظَهَرَ الشِّرْكُ، ولم يَقُمْ لكَ دِينٌ**»، وأبو بكر رضي الله عنه يقول: يا رسولَ اللهِ! والذي نفسِي بيدِهِ لينصرنَّكَ اللهُ عز وجل، وليبيضنَّ وجهَكَ، فأنزل الله عز وجل من الملائكة جُنداً في أكتافِ العدوِّ، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أنزلَ اللهُ نَصْرَهُ، ونَزَلَتِ الملائكةُ، أَبْشِرْ يا أبا بكر، فإنِّي قد رأيتُ جبريلَ** عليه السلام **معتجِراً، يقودُ فرساً بينَ السماءِ والأرضِ، فلمّا هبطَ إلى الأرضِ جلسَ عليها، فتغيَّب عنِّي ساعةً ثم رأيتُ على شَفَتَيْهِ غباراً**»[٣].

• **وعن عليٍّ** رضي الله عنه قال: نزل جبريلُ عليه السلام في ألفٍ من الملائكة عن ميمنةِ النبيِّ ﷺ وفيها أبو بكر رضي الله عنه، ونزل ميكائيلُ عليه السلام في ألفٍ من الملائكةِ عن مَيْسَرَةِ النبيِّ ﷺ وأنا في المَيْسَرَةِ[٤].

• **وعن عمر بن الخطاب** في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١٦] لا تغرنكم هذه الآية، فإنّها كانت يوم بدر، وأنا فئةٌ لكلِّ مسلم[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١١٣).
(٢) في الأصل الفارسي: «ظهروا».
(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١١٣).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٢٠).
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٢٦).

• **أخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس** قال: حدّثني عمر بن الخطاب قال: لمّا كان يومُ بدرٍ، نظرَ النبيُّ ﷺ إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة رجلٍ، وبضعة عشر رجلاً، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل نبيُّ اللهِ ﷺ القبلةَ، ثم مدَّ يديه، وجعلَ يهتِفُ بربه: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي ما وَعَدتَّنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هذِهِ العصابةَ مِنْ أهلِ الإسلامِ لا تُعْبَدُ في الأَرْضِ**»، فما زالَ يهتِفُ بربِّه، مادّاً يديه، مستقبلَ القبلةِ، حتّى سقطَ رداؤه، فأتاه أبو بكر ﷺ فأخذَ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبيَّ الله! كفاكَ مناشدتُكَ ربَّك، فإنّه سينجِزُ لك ما وعدَكَ، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴿٩﴾﴾ [الأنفال].

فلما كان يومئذٍ، والتقوا، هزم الله المشركين، فقُتِلَ منهم سبعون رجلاً.

واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليّاً ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله! هؤلاء بنو العمِّ والعشيرةِ، وإنِّي أرى أن تأخذ منهم الفديةَ، فيكونُ ما أخذنا منهم قوّةً لنا على الكفّارِ، وعسى اللهَ أن يهديَهم فيكونوا لنا عَضُداً.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابنَ الخطّابِ؟**».

قلتُ: لا واللهِ، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنِّي أرى أن تمكِّنني من فلانٍ قريبٍ لعمر فأضربَ عنقَه، [وتمكّن عليّاً من عَقِيلٍ، فيضرِبَ عنقَه، وتمكّن حمزةَ من فلانٍ أخيه، فيضربَ عنقَه] حتّى يعلمَ اللهُ تعالى أنّه ليس في قلوبِنا مودّةٌ للمشركين، هؤلاء صناديدُهم وأئمتُهم وقادتُهم.

فهوى رسول اللهِ ﷺ ما قال أبو بكر ﷺ، ولم يهوَ ما قلتُ وأخذَ منهم الفداءَ.

فلمَّا كان من الغدِ قال عمرُ رضي الله عنه: فغدوتُ إلى النبيِّ ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله! أخبرني ماذا يبكيك أنتَ وصاحبُك؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجدْ بكاءً تباكيت لبكائِكُما؟.

قال النبي ﷺ: «**الذي عَرَضَ على أصحابِكَ**[1] **مِنْ أَخْذِ الفداءِ**» [ثم قال]: «**قد عُرِضَ عليَّ عذابُكم**[2] **أدنى من هذِهِ الشجرةِ**» لشجرة قريبة، وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]، من الفداء، ثم أحلَّ لهم الغنائمَ.

فلمّا كان يومُ أُحدٍ من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهمُ الفداءَ، فقُتِلَ منهم سبعون، وفرَّ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، وكُسِرَتْ رباعيتُه، وهُشِّمَتِ البيضةُ على رأسه، وسال الدمُ على وجهه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] بأخذكم الفداء.

قال **ابن عباس** رضي الله عنهما: بينما رجلٌ من المسلمينَ يشتدُّ في أثرِ رجلٍ من المشركين أمامه، إذ سمعَ ضربةً بالصوتِ فوقه، وصوتُ الفارس يقول: أقدم حيزومُ، إذ نظر إلى المشرك أمامَه، فخرَّ مستلقياً، فنظرَ إليه، فإذا هو قد خُطِمَ أنفُه، وشُقَّ وجهُه كضربةِ السوطِ، فاخْضَرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاريُّ فحدّث ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**صَدَقْتَ، ذاكَ مِنْ مَدَدِ السماءِ الثالثةِ**» فقتلوا يومئذٍ سبعينَ، وأسروا سبعينَ[3].

---

(١) في الأصل الفارسي: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك»، وكذا ورد في «صحيح مسلم».

(٢) في الأصل الفارسي: «عذابهم».

(٣) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٧٦٣)، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٠٨١)، و«الدر المنثور» (٤/ ٤١٩) واللفظ له.

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، أنّه سمع غلاماً يدعو: اللَّهُمَّ إنّكَ تحولُ بينَ المرءِ وقلبِهِ، فَحُلْ بيني وبين الخطايا، فلا أعملُ بسوءٍ منها، فقال عمر رضي الله عنه: رَحِمَكَ الله، ودعا له بخيرٍ(١).

• **وعن مطرف** قال: قلنا للزبير رضي الله عنه: يا أبا عبد الله ضيَّعتمُ الخليفةَ حتى قُتِلَ، ثم جئتم تطلبون بدمِهِ.

قال الزبير رضي الله عنه: إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. لم نكن نحسبُ أنّا أهلُها حتى وقعت فينا حيثُ وقعتْ(٢).

• **وعن قتادة** رضي الله عنه في الآية قال: عَلِمَ ـ والله ـ ذو الألباب من أصحابِ محمّدٍ ﷺ حين نزلت هذه الآية أنّه سيكون فتنٌ(٣).

• **وعن الحسن** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ قال: نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير(٤).

وعن **الضحَّاك** قال: نزلت في أصحاب محمد ﷺ خاصة(٥).

وعن **السدي**: أُخبِرْتُ أنّهم أصحاب الجمل(٦).

• **وعن رفاعة بن رافع**، أنّ النبيَّ ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: اجمع لي قومَكَ، فجمعَهم، فلمّا حضروا بابَ النبيِّ ﷺ دخل عليه عمر، فقال: قد

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٤١٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٣٦) واللفظ له.

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٦).

(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٦).

(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٦).

جمعتُ لكَ قومي، فسمعَ ذلك الأنصارُ، فقالوا: قد نزلَ في قريشٍ الوحيُ، فجاءَ المستمعُ والناظِرُ ما يُقالُ لهم.

فخرجَ النبيُّ ﷺ، فقام بين أظهُرِهم فقال: **«هل فيكم مِنْ غيرِكم؟»**.

قالوا: نعم، فينا حليفُنا وابنُ أختنا وموالينا.

قال النبي ﷺ: **«حليفنا منّا، وابن أختنا منّا، وموالينا منّا، وأنتم تسمعون: إنَّ أوليائي منكم المتّقون**[١]**، فإنْ كنتُم أولئك فذاكَ، وإلا فانظروا! لا يأتي الناسُ بالأعمالِ يومَ القيامةِ، وتأتونَ بالأثقالِ، فيُعْرَضُ عنكم»**[٢].

● **وعن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى** قال: سألت عليّاً ﷺ فقلت: يا أمير المؤمنين! أخبرني كيف كان صُنْعُ أبي بكر وعمر ﷺ في الخمس نصيبكم؟.

فقال: أمّا أبو بكر ﷺ فلم تكن في ولايته أخماسٌ. وأمّا عمر ﷺ فلم يزلْ يدفعُه إليَّ في كلِّ خُمُسٍ، حتّى كان خُمُس السوس وجند نيسابور، فقال وأنا عنده: هذا نصيبُكم أهلَ البيتِ من الخُمُسِ، وقد أحلَّ ببعض المسلمين، واشتدّت حاجتُهم.

فقلت: نعم.

فوثب العبّاس بنُ عبد المطلب فقال: لا تعرض[٣] في الذي لنا.

فقلت: ألسنا أحقَّ من المسلمين[٤] وشفع أمير المؤمنين؟ فقبضه،

---

(١) في الأصل الفارسي: «إن أوليائي منكم إلا المتقون».

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٤٩).

(٣) في الأصل الفارسي: «لا تفرض».

(٤) في الأصل الفارسي: «ألسنا أحق من أرفق المسلمين».

فوالله ما قبضناه[١] ولا صدرتْ عليه[٢] في ولايةِ عثمان رضي الله عنه.

ثم أنشأ عليٌّ رضي الله عنه يحدِّثُ فقال: إنّ الله حرّمَ الصدقةَ على رسوله، فعوّضه سهماً من الخمس عوضاً عمّا حرَّمَ عليه، وحرّمها على أهل بيته خاصة، دون أمّته، فضربَ لهم مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم سهماً عوضاً ممّا حرّم عليهم، ورغبتُ لكم عن غُسالةِ الأيدي؛ لأنَّ لكم في خُمُسِ الخُمُسِ ما يغنيكم أو يكفيكم[٣].

● **وعن علي** رضي الله عنه قال: ولّاني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس الخمس، فوضعته مواضعه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٤].

● **وعن قتادة** رضي الله عنه: أن أبا بكر أوصى بالخمس وقال: أوصي[٥] بما رضي الله به لنفسه، ثم قال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١][٦].

وعن **حيان**[٧] **بن واسع بن حيان** عن أشياخ من قومه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّل صفوفَ أصحابه يومَ بدرٍ، ورجع إلى العريش، فدخله، ومعنا أبو بكر رضي الله عنه، وقد خفقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «**أبشر يا أبا بكر! أتاك نصرُ اللهِ، هذا جبريلُ آخذٌ بعنان فرسٍ يقوده على ثناياه النَّقْعِ**[٨]»[٩].

---

(١) في الأصل الفارسي: «فوالله ما قضانا».

(٢) في الأصل الفارسي: «ولا قدرت عليه».

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٥٥).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٥٨).

(٥) في الأصل الفارسي: «أرضى».

(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٥٨).

(٧) في الأصل الفارسي: «حبان».

(٨) في الأصل الفارسي: «المنتقع».

(٩) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٦١).

• **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: أنزل الله جل جلاله على نبيِّه صلى الله عليه وسلم بمكة: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! أي جَمْعٍ؟ ـ وذلك قبل بدر ـ، قال: فلمّا كان يومُ بدرٍ وانهزمت قريشٌ، نظرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارِهم مُصْلِتاً بالسيف، يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[١].

• **وعن حرام بن معاوية** قال: كتبَ إلينا عمرُ بنُ الخطّاب: لا يجاورنّكم خنزيرٌ، ولا يرفَعُ فيكم صليبٌ، ولا تأكلوا على مائدةٍ يُشْرَبُ عليها الخَمْرُ، وأدِّبوا الخيلَ، وامشوا بين الغَرَضَيْنِ[٢][٣].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٩/ ٤٥٤).

(٢) أي: لا ترملوا بين الركن اليماني والحجر فإنه أيسر للاستلام عند الازدحام.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ٦١) واللفظ له، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٣٢٧).

آيات سورة التوبة

• قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير: ـ عُفِيَ عنه ـ: سببُ نزول هذه الآيات أنّ كفّار قريشٍ قد فاخروا المهاجرين ولا سيمّا عليّاً المرتضى رضي الله عنه، فقالوا: نحن نَعْمُرُ المسجدَ الحرام، ونقومُ بسقاية الحاجّ، فلذلك نحنُ أفضلُ منكم.

فأجابَ المهاجرون: نحن آمنا بالرسول واليوم الآخر، وهاجرنا، وجاهدنا في سبيل الله، فنحن أفضلُ منكم، فأنزل الله تعالى حُكْماً فصلاً في مشاجراتهم هذه، فقال: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة].

يعني: أنّ عمارة المسجد الحرام عملٌ من الأعمال الصالحة، وشرطُ قبول العمل الصالح عندَ اللهِ إنّما هو الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخرِ وإقامةِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاةِ، والإخلاصِ في خشيةِ الله تعالى.

ولمَّا كانت هذه الصفاتُ لا توجد في كفّارِ قريشٍ حبطتْ أعمالُهم،

وأصبحت كأنْ لم تكنْ شيئاً، ولم تحصلْ لهذه الجماعة فضيلةٌ بالنسبة لهذه الأعمال، فضلاً عن أن يبلغوا إلى فضيلة المهاجرين.

ثم يقول الله تعالى: لو فُرِضَ أنّ هذه الأعمال تحقّقت منهم، ولم تحبط، ففي موازنتها بالهجرة والجهاد خطأٌ بيِّنٌ، لا يستوون عند الله.

ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ٢٠]؛ يعني: أعظمُ درجةً من عمارة المسجد الحرام وسقايةِ الحاجّ وسائر أعمالهم.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة]؛ يعني: بيده كلّ شيء، يعطي من يشاء، وعلى ما يشاء، وقد عُلِمتْ بهذه الآية فضيلةُ المهاجرين والمجاهدين، وفضيلة أعمالهم على سائر أعمال الخير، وتبيّن مآلهم وعواقب أمورهم بأصرح ما يكون، وهو المقصود.

• **قال الله تعالى:** ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ الله تعالى يوبِّخُ المسلمين، ويقول: إلّا تنصروا الرسول فلا تضرّوا إلا أنفسكم، ولا يلحق بالرسول ضررٌ.

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾؛ يعني: أنزل الله الملائكة في غزوة بدر وغيرها.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة]، إنّ الأخبار المتواترةَ، واتفاقَ الأمة المرحومةِ ـ مع اتفاق أهل الأهواء؛ أي: الشيعة ـ دالٌّ على أنَّ صاحب الرسول في الغار إنّما هو أبو بكر الصدِّيق ﷺ، وهذه فضيلةٌ عظيمةٌ، وتنويهٌ عظيمٌ بحاله، وإشارةٌ جليةٌ إلى قبوله عند الله من جهة هذا العمل المبارك، ولولا أنّه كان على أعظمِ رتبةٍ من العزِّ والقبولِ لما كان له هذا التشريف والتعظيم من الله وهو المقصود.

• **قال الله تعالى**: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يبيّن اللهُ في هذه الآياتِ مآلَ المنافقين والمؤمنين، ومن صفاتِ المنافقين أنّهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون في الحقوق المالية الواجبة، وعاقبتُهم أنّهم يخلّدون في جهنم، لموافقتهم الكفار، ويكونون في لعنة وعذاب مقيم.

ويشبههم بالكفار الأولين، وينذرهم بأنّ عاقبتهم ستكون كعاقبتهم.

ومن صفات المؤمنين التناصرُ في الحقّ، والأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر، وإقامةُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وإطاعةُ الله والرسولِ، ومآلُهم أنَّ الله وعدَهم ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾، وكلُّ ذلك كان لهم في الجنّة.

ولا شكّ أنَّ الخلفاء كانوا متّصفين بهذه الصفات في ضوء الأخبار المتواترة التي لا يتطرّق إليها أي نوع من الشبهة، فهم المبشَّرون بهذه البشارة الربانية العظيمة، وهو المقصودُ.

• قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ الله ﷻ يُبيّن في هذه الآية مآل أصحاب النبي ﷺ وحُسن حالهم، ويقول: السابقون الأولون ممن آمنوا من المهاجرين والأنصار قبل بدرٍ، أو قبلَ تحويلِ القبلةِ من بيت المقدس إلى الكعبةِ، وهاتان الواقعتان متقاربتان من حيث الزمان ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، فهاجروا ونصروا، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾، وفي هذه الآيةِ تشريفٌ عظيمٌ للصحابة الكرام، وإخبارٌ برضى الله عنهم ورضاهم عنه سبحانه وتعالى، وناهيكَ به من فضيلة.

• قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير: إنّ هذه الآية نزلت في غزوة تبوك، ومفادُها أنّ الله توجّه برحمته؛ يعني: برحمةٍ ورأفةٍ أكثرَ وأغزرَ من ذي قبلُ، وأنعمَ على النبيِّ والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العسرة، بعد ما كادَ يزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم، لأجل شدّة الموقف والحال، ورغم أنَّ فريقاً منهم كان ضعيفَ الصبرِ، أنزل الله رحمته عليهم جميعاً، وإنّه بهم رؤوفٌ رحيمٌ.

وفي هذه الآيةِ فضيلةٌ عظيمةٌ للذين شهدوا غزوة تبوك، وذلك من عدة أوجه:

أولاً: أنّه سبحانه وتعالى جمعَ الجميعَ مع النبيِّ ﷺ بنسقٍ واحدٍ.

ثانياً: أنّه سبحانه نصّ على عنايته بهم برحمة.

ثالثاً: أنّ الصابرين وغير الصابرين من المسلمين، هم أصحابُ الفضلِ جميعاً، والله أعلم بالصواب.

• **قال الله تعالى**: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة].

يوجِّه الله تعالى اللومَ إلى المتخلِّفين عن سفر تبوك، ويقول: وما كان لهم أن يتخلّفوا، ذلك بأنّ غُزاةَ عسكرِ النبيِّ ﷺ لا يُصيبهُم ظمأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ في سبيل الله، ولا يعبرون موضعاً يغيظُ الكفّارَ عبورهُ، ولا يتعرّضون للكفّار؛ يعني: يقتلونَهم، ويأخذون أموالهم، أو يلحقون بأحدِهم الجرحَ، أو يأسرون بعضَهم، أيّاً كان من هذه الأنواع، فإنّه يكتب للغزاةِ به عملٌ صالحٌ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً، ولا يقطعون وادياً، إلا كُتِبَ لهم عملٌ صالحٌ، ليجزيَهم اللهُ أحسنَ ما كانوا يعملون.

وقد علمتَ بهذه الآيات فضائلَ جهاد «تبوك» خصوصاً، وسائر الجهاد عموماً بوجه صريح، ومعلومٌ بالقطعِ أنّ الخلفاء كانوا ممّن شهدوا هذه الوقعة، وسائرَ مشاهدِ الخير، فاستحقّوا هذا الجزاءَ مِنَ الله تعالى، وهو المقصود.

أخرج **الترمذي** عن **ابْن عَبَّاسٍ** قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا

حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى «الْأَنْفَال» وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي[١] وَإِلَى «بَرَاءَة» وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَالِ، مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ، دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ، فَيَقُولُ: **«ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا»**، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ: **«ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا»**، وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أكتب بينهما سطر بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَالِ[٢].

• **وعن عثمان بن عفان** رضي الله عنه قال: كانت «الأنفالُ» و«براءةُ» يُدْعَيانِ في زَمنِ رسول الله ﷺ «القرينتين»، فلذلك جعلتُهما في السبعِ الطوالِ[٣].

• **وعن أبي عطية [الهمداني]** قال: كَتَبَ عمرُ [أو قال عمر:] تعلَّموا سورةَ «براءةَ»، وعلِّموا نساءَكم سورةَ النور[٤].

---

(١) **المثاني**: يراد بها السور التي آياتها أقلُّ من ذات المئين. **وذات المئين**: ترادُ بها السورُ التي تكون فيها الآيات أقلّ من مائة. **والسبع الطوال**: هي سبعُ سورٍ طويلةٍ: البقرةُ، آلُ عمران، النِّساءُ، المائدةُ، الأنعامُ، الأعرافُ، التوبةُ.

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٨٦).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٨٥)، وفيه: وكانتا تدعيان القرينتين، ولذلك وضعتا في السبع الطوال.

(٤) انظر: «شعب الإيمان» (٢/ ٤٧٧).

• **وعن الشعبي**: أنّ أبا ذر أو الزبير بن العوام سمعَ أحدُهما من النبيِّ ﷺ آيةً يقرؤها وهو على المنبر يوم الجمعة، قال: فقال لصاحبه: متى أُنزِلتْ هذه الآية؟ قال: فلمّا قضى صلاته قال له عمر بن الخطاب: لا جمعةَ لكَ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، قال: فقال: «**صدقَ عُمَرُ**»[1].

• **وعن ابن عمر** رضي الله عنهما: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ استعمل أبا بكر رضي الله عنه على الحَجِّ، ثم أرسل عليّاً رضي الله عنه ببراءة على أَثَرِهِ، ثم حجَّ النبيُّ ﷺ المقبل، ثم خرجَ فتوفّي.

فولي أبو بكر رضي الله عنه فاستَعْمَلَ عمرَ رضي الله عنه على الحجّ، ثم حجَّ أبو بكر رضي الله عنه من قابلٍ، ثم ماتَ.

ثم ولي عمرُ رضي الله عنه، فاستعملَ عبدَ الرحمٰنَ بن عوفٍ على الحج، ثم كان يحجُّ بعد ذلك هو حتّى مات.

ثم ولي عثمانُ رضي الله عنه، فاستعمل عبدَ الرحمٰنِ بنَ عوفٍ على الحجّ، ثم كان يحجُّ حتّى قُتِلَ[2].

• **أخرج الدارمي والنسائي عن جابر**: أنّ النبيَّ ﷺ بعثَ أبا بكر على الحجِّ، ثم أرسل عليّاً ببراءةَ، فقرأ على النّاسِ في مواقف الحجِّ حتى ختمها[3].

• **وعن عروة** رضي الله عنه قال: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أبا بكر أميراً على النّاسِ سنة تسعٍ، وكتبَ له سُنَنَ الحج، وبعثَ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه بآياتٍ من براءة، فأمره أن يؤذّنَ بمكة وبمنى وعرفة وبالمشاعر كلِّها بأنّه

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٥٨) برقم: (٥٣٠٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٧).

(٣) انظر: «سنن النسائي» (٥/ ٢٧٣)، و«سنن الدارمي» (٦/ ٢٤).

برئتْ ذمّةُ رسولِهِ مِنْ كلِّ مشركٍ حجَّ بعدَ العام، أو طافَ بالبيتِ عُريانَ، وَأَجَّلَ من كان بينه وبين رسولِ اللهِ ﷺ عهدٌ أربعةَ أشهرٍ.

وسار عليٌّ رضي الله عنه على راحلته في النّاس كلِّهم[1] يقرأ عليهم القرآن: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١] وقرأ عليهم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١][2].

يقول الفقير: إنّ بعض الرواةِ وقعوا في شبهةٍ في هذه القصّة، فقالوا: أرجع النبيَّ ﷺ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وأصلُ القصّة أن أبا بكر كان أميرَ الحجِّ بلا نزاع، وأعطى ﷺ أبا بكر «سورة براءة» أولاً، ثم نزل جبريل وأمر بإرسال علي المرتضى بها.

• **وأخرج الترمذي** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِبَرَاءَة مَعَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: «**لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُبَلِّغَ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي**» فَدَعَا عَلِيّاً فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا[3].

• **وعن سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر رضي الله عنه ببراءة إلى أهل مكة، ثم بعثَ عليّاً رضي الله عنه على أثره فأخذها منه، فكأنَّ[4] أبا بكر رضي الله عنه وجد في نفسه؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا بَكْرٍ إنَّه لا يُؤَدِّي عنِّي إلَّا أنا أو رَجُلٌ مِنِّي**»[5].

• **أخرج البخاري ومسلم** عن **أبي هُرَيْرَةَ** قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ [بعثهم] يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنىً، أَنْ لَا يَحُجَّ

---

(١) في الأصل الفارسي: «سار على راحلته والناس كلهم».
(٢) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٥/ ٣٨٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٩).
(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٩٠).
(٤) في الأصل الفارسي: «وقال».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٦).

بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيّاً، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةٍ، قَالَ **أَبُو هُرَيْرَةَ**: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنىً يَوْمَ النَّحْرِ لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ(١).

• **وأخرج الترمذي وحسّنه والحاكم وصحّحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلِيّاً، [فَبَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، إِذْ سَمِعَ رُغَاءَ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْقَصْوَاءِ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَزِعاً، فَظَنَّ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ عَلِيّاً أَنْ يُنَادِيَ بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ]، فَانْطَلَقَا، فَحَجَّا، فَقَامَ عَلِيٌّ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ فَنَادَى: ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ بَرِيئَةٌ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ(٢)، فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَا يَحُجَّنَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا مُؤْمِنٌ، وَكَانَ عَلِيٌّ يُنَادِي، فَإِذَا عَيِيَ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَادَى بِهَا(٣).

• **وعن الحسن** رضي الله عنه، أنّه سُئِلَ عن الحجِّ الأكبر؟ فقال: ما لكم وللحجِّ الأكبر؟ ذاك عامٌ حجّ فيه أبو بكر رضي الله عنه، استخلفه رسولُ اللهِ ﷺ فحجَّ بالناس، واجتمع فيه المسلمون والمشركون، فلذلك سُمِّي الحجَّ الأكبر، ووافق عيد اليهود والنصارى(٤).

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٩)، «صحيح مسلم» برقم: (١٣٤٧).

(٢) في الأصل الفارسي: «إن الله بريء من المشركين ورسوله»، وكذا في «المستدرك» (٣/ ٥٣) برقم: (٤٣٧٥).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٩١)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٣) برقم: (٤٣٧٥).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١١).

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: الحجُّ الأكبرُ يومُ عرفةَ[١].

• **وعن ابن أبي مُليكة** رضي الله عنه قال: قدمَ أعرابيٌّ في زمان عمر رضي الله عنه فقال: مَنْ يُقرئني ما أنزل الله على محمّدٍ ﷺ؟ فأقرأه رجلٌ فقال: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ)، بالجرّ، فقال الأعرابيُّ: أقد برئَ الله مِنْ رسولِهِ؟ إنْ يكنْ اللهُ بريئاً من رسولِهِ فأنا أبرأُ منه، فبلغَ عمرُ مقالةَ الأعرابيِّ، فدعاه فقال: يا أعرابيُّ! أتبرأُ من رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: يا أميرَ المؤمنين! إنِّي قدمتُ المدينةَ، ولا علمَ لي بالقرآنِ، فسألتُ مَنْ يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) فقلت: إنْ يكنِ اللهُ بريئاً مِنْ رسولِهِ فأنا أبرأُ منه، فقال عمرُ رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابيُّ، قال: فكيفَ هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [التوبة: ٣]، فقال الأعرابيُّ: وأنا والله أبرأُ ممّا بَرِئَ اللهُ ورسولُه منه، فأمرَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه أَنْ لا يُقرِئَ الناسَ إلا عالمٌ باللغة، وأمرَ أبا الأسود رضي الله عنه[٢] فوضعَ النحو[٣].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ بَنَىٰ مَسْجِداً يُذْكَرُ اسمُ اللهِ فيه بَنَىٰ اللهُ له بَيْتاً فِي الجَنَّةِ**»[٤].

• **وعن عبد الله بن هشام** رضي الله عنه قال: كُنّا مع رسول الله ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: واللهِ لأنتَ يا رسول الله! أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلّا مِنْ نفسي، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتّى أكونَ**

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٢).

(٢) المعروف أنّ الذي أمرَ بهذا هو علي بن أبي طالب، فالجمعُ بين القولين أنَّ عمر رضي الله عنه أمر بتدوين النحو لأبي الأسود، ودلّ على طريقة تدوين النحو لأبي الأسود هو علي بن أبي طالب.

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٢٦).

أحبَّ إليه مِنْ نفسِهِ»[١].

• **وعن جابر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لَئِنْ بقيتُ [لقابلٍ] لَأُخْرِجَنَّ المشركينَ مِنْ جزيرةِ العَرَبِ»**، فلمّا وَلِيَ عمرُ أخرجهم[٢].

• **وعن جعفر عن أبيه**: أنّ عمر بن الخطاب استشارَ النّاسَ في المجوس [في الجزية]، فقال عبد الرحمٰن بن عوف: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«سنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكِتَابِ»**[٣].

• **عن سعيد بن أبي سعيد**: أنَّ رجلاً باع داراً [له] على عهد عمر رضي الله عنه، فقال له عمر: احرز ثمنها، واحفر تحتَ فراش امرأتك، فقال: يا أميرَ المؤمنين أو ليس بكنزٍ؟ قال: ليس بكنزٍ ما أُدِّيَ زكاتُه[٤].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]، كَبُرَ ذلك على المسلمين، وقالوا: ما يضعُ[٥] أحدٌ منّا لولده ما لا يبقى بعده، فقال عمر رضي الله عنه: أنا أفرِّجُ عنكم، فانطلقَ عمرُ رضي الله عنه، واتّبعه ثوبانُ رضي الله عنه، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا نبي الله، إنّه قد كَبُرَ على أصحابك هذه الآية، فقال: **«إنَّ اللهَ لم يَفرِضِ الزكاةَ إلّا ليطيِّبَ بها ما بقيَ من أموالِكُم، وإنَّما فرضَ المواريثَ مِنْ أموالٍ تبقى**[٦] **بعدَكُم»**.

فكبّر عمر رضي الله عنه، ثم قال له النبي ﷺ: **«ألا أُخْبِرُكَ بخيرِ ما يَكْنِزُ**

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٤٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٤٣٠) برقم: (٣٢٦٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤١١) برقم: (١٠٥١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٧) واللفظ له.

(٥) في الأصل الفارسي: «ما يضع».

(٦) في الأصل الفارسي: «من مالٍ يبقى».

المَرْءُ؟ المرأةُ الصالحةُ التي إذا نظرَ إليها سَرَّتْهُ، وإذا أمرَها أطاعَتْهُ، وإذا غابَ عنها حَفِظَتْهُ»[١].

• **عن بُرَيْدَةَ** رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ الآية، قال أصحاب رسولَ اللهِ ﷺ: نزل اليومَ في الكنز ما نزلَ! فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ ماذا نكنِزُ اليومَ؟ قال: «**لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجةً صالحةً، تعينُ أحدَكم على إيمانِهِ**»[٢].

• **وأخرج البخاري ومسلم** عن **البراء بن عازب** رضي الله عنه قال: اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازبٍ رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال لعازبٍ: مُرِ البراء فليحمله إلى منزلي، فقال: لا، حتّى تحدِّثنا كيف صنعتَ حيث خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وأنتَ معه؟.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: خرجنا، فأدلجنا، فأحثثنا[٣] يوماً وليلة حتى أظهرنا، وقام قائمُ الظهيرةِ، فضربتُ ببصري، هل أرى ظلّاً فآوي إليه؟ فإذا أنا بصخرةٍ فأهويتُ إليها، فإذا بقيةُ ظلِّها، فسوّيته لرسولِ اللهِ ﷺ، وفرشتُ له فروةً، وقلتُ: اضطجع يا رسولَ اللهِ، فاضطجع، ثم خرجتُ أنظرُ هل أرى أحداً مِنَ الطَّلَبِ، فإذا أنا براعي غنم، فقلت: لِمَنْ أنتَ يا غلام؟.

فقال: لرجلٍ مِنْ قريشٍ، فسمّاه، فعرفته.

فقلت: هل في غنمِكَ من لبنٍ؟

قال: نعم.

فقلتُ: وهل أنتَ حالبٌ لي؟

قال: نعم.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/٥٨).

(٢) المصدر نفسه (٥/٥٨).

(٣) في الأصل الفارسي: «أحيينا».

قال: فأمرتُه، فاعتقلَ لي شاةً منها، ثم أمرتُه فنفَضَ ضَرْعَها [من الغبارِ، ثم أمرتُه فنفضَ كفّيه، ومعي إِداوةٌ على فَمِها خرقةٌ]، فحلبَ لي كُثْبةً من اللبنِ، فصببتُ على القدح من الماء حتّى بردَ أسفلُه، ثم أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فوافقته(١) قد استيقظَ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشربَ حتى رضيتُ، ثم قلت: هل آنَ الرحيلُ؟(٢).

قال: فارتحلنا والقومُ يطلبونا فلم يدركْنا منهم إلا سراقةُ [على فرسٍ له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا.

فقال: «**لا تَحْزَنْ إنّ اللهَ معنا**».

حتّى إذا دنا فكان] بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، فقلت: يا رسولَ اللهِ هذا الطلبُ قد لَحِقَنا وبكيتُ!

قال: «**لِم تبكي؟**».

فقلت: أَمَا واللهِ لا أبكي على نفسِي ولكنّي أبكي عليكَ.

فدعا رسول الله ﷺ وقال: «**اللَّهُمَّ اكفِنَاهُ بما شِئْتَ**».

فساخت فرسه إلى بطنِها في أرضٍ صلدٍ، ووثبَ عنها، وقال: يا محمّدُ إنَّ هذا عملُكَ، فادعُ اللهَ أن ينجيَني ممّا أنا فيه، فوالله لأعمينَّ على مَنْ ورائي مِنَ الطَّلَبِ، وهذه كنانتي، فخذْ منها سهماً، فإنّكَ ستمرُّ بإبلي وغنمي في موضِعِ كذا وكذا، فَخُذْ منها حاجتَكَ.

فقال رسول الله ﷺ: «**لا حاجةَ لي فيها**».

ودعا رسول الله ﷺ فأطلق، ورجعَ إلى أصحابِهِ، ومضى رسولُ اللهِ ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينةَ، فتلقّاه الناسُ، فخرجوا على

(١) في الأصل الفارسي: «فوافيته».
(٢) في الأصل الفارسي: «ألم يأن للرحيل».

الطُّرُقِ، وعلى الأجاجيرِ[١]، فاشتدَّ الخدمُ والصبيانُ في الطرق[٢]: الله أكبرُ جاءَ رسول الله ﷺ محمّد، [تنازع القومُ أيّهم ينزِلُ عليه]، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنزلُ الليلةَ على بني النجّارِ أخوالِ عبدِ المطّلبِ لِأُكْرِمَهُم[٣] بذلكَ**»، فلمّا أصبحَ غدا حيث أمر[٤].

• **وعن ضبة بن محصن العبري** قال: قلتُ لعمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه: أنتَ خيرٌ من أبي بكر، فبكى وقال: واللهِ لَليلةٌ من أبي بكر ويومٌ خيرٌ من عمر، هل لكَ أن أحدّثكَ بليلتِهِ ويومِهِ؟.

قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: أمّا ليلتُه، فلمّا خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ هارباً من أهل مكة، خرجَ ليلاً، فتبعَهُ أبو بكر رضي الله عنه، فجعل يمشي مرةً أمامَه، ومرّةً خلفَه، ومرّةً عن يمينِهِ، ومرّةً عن يسارِهِ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما هذا يا أبا بَكْرٍ [ما أَعْرِفُ هذا] مِنْ فِعْلِكَ؟!**»

قال: يا رسولَ اللهِ! أذكرُ الرَّصَدَ فأكونُ أمامَكَ، وأَذْكُرُ الطّلَبَ فأكونُ من خلفِكَ، ومرّةً عن يمينِكَ، ومرّةً عن يسارِكَ لا آمنُ عليك.

فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه، حتى حفيت رجلاه، فلمّا رآه أبو بكر رضي الله عنه أنَّها قد حفيت حمله على كاهلِهِ، وجعل يشتدُّ به، حتى أتى فَمَ الغارِ، فأنزله، ثم قال: والّذي بعثك بالحقِّ لا تَدْخُلُه حتى أدخلَه، فإنْ كان فيه شيءٌ نزل بي قبلَكَ، فدخلَ، فلمَ يرَ شيئاً

(١) في الأصل الفارسي: «الأحاجر»، والأجاجير: السطوح. «النهاية» (ص٢٧).
(٢) في الأصل الفارسي: «الطريق».
(٣) في الأصل الفارسي: «فنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لإكرامهم».
(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٥٥٢)، «صحيح مسلم» برقم: (٢٠٠٩)، و«الدر المنثور» (٥/٧٣) واللفظ له.

فحملَه فأدخلَه، وكان في الغار خَرْقٌ[1] فيه حيّات وأفاعي، فخشي أبو بكر رضي الله عنه أن يخرجَ منهنَّ شيءٌ يؤذي رسول الله ﷺ فألقمَه قدمه، فجعلنَ يضربنه، وتلسعه الأفاعي والحيات، وجعلت دموعُه تَنْحَدِرُ[2]، ورسول الله ﷺ يقولُ له: «**يا أبا بَكْرٍ لا تَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنا**»، فأنزل الله سكينته؛ أي: طمأنينته لأبي بكر رضي الله عنه، فهذه ليلته.

وأمّا يومه، فلما توفّي رسول الله ﷺ وارتدّتِ العربُ، فقال بعضُهم: نصلّي ولا نزكّي، وقال بعضُهم: لا نصلّي ولا نزكّي، فأتيتُه ولا آلوه نُصحاً، فقلت: يا خليفةَ رسولِ اللهِ تألّف الناسَ، وارفقْ بهم.

فقال: جبَّارٌ في الجاهليةِ خوَّارٌ في الإسلام، بماذا أتألّفهم، أبشعر مفتعل، أو بشعر مفترىً؟ قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ وارتفعَ الوحي، فواللهِ لو منعوني عقالاً ممّا كانوا يعطونَ لرسولِ اللهِ ﷺ لقاتلتهم عليه.

قال: فقاتلنا معه، فكان ـ واللهِ ـ رشيدَ الأمرِ؛ فهذا يومُه[3].

• **وعن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه قال: إنّ الله ذمّ النّاسَ كلَّهم، ومدح أبا بكر رضي الله عنه، فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠][4].

• **وعن أبي بكر** رضي الله عنه أنه قال: ما دخلني إشفاقٌ من شيءٍ، ولا دخلني في الدين وحشةٌ إلى أحدٍ بعد ليلةِ الغار، فإنّ رسولَ اللهِ ﷺ حين رأى إشفاقِي عليه وعلى الدِّين، قال لي: «**هوّن عليك، فإنَّ اللهَ قد قَضَىٰ**

(١) في الأصل الفارسي: «فرق». (٢) في الأصل الفارسي: «تنحدر».
(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٩)، و«الدر المنثور» (٥/ ٧٦) واللفظ له.
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٧٧).

لهذا الأمرِ بالنصرِ والتَّمَامِ»[١].

• **وعن أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: لمّا كانت ليلةُ الغارِ، قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ! دعني فلأدخلْ قبلَكَ، فإن كانَت حيةٌ أو شيءٌ كانت فيَّ قبلك.

قال: «**ادخل**».

فدخل أبو بكر رضي الله عنه، فجعل يلمس بيديه، فكلمّا رأى جُحْراً، قال بثوبه فشقّه، ثم ألقمه الجُحْرَ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، وبقي جُحْرٌ، فوضع عليه عَقِبَهُ، وقال: ادخل، فلما أصبحَ قال له النبيُّ ﷺ: «**فأين ثوبك؟**» فأخبره بالذي صنع، فرفعَ النبيُّ ﷺ يديه وقال: «**اللَّهُمَّ اجعلْ أبا بكرٍ معي في درجتي يومَ القيامةِ**»، فأوحى الله إليه أنّ الله قد استجابَ لك[٢].

• **وعن جندب بن سفيان** رضي الله عنه قال: لمّا انطلقَ أبو بكر رضي الله عنه مع رسولِ اللهِ ﷺ إلى الغار، قال له أبو بكر رضي الله عنه: لا تدخلْ يا رسولَ اللهِ حتّى أستبرئه[٣]، فدخل أبو بكر رضي الله عنه الغارَ، فأصابَ يده شيءٌ، فجعل يمسحُ الدمَ عن أصبعه، وهو يقولُ:

هَلْ أنتِ إلّا أصبعٌ دَمِيتِ ... وفي سبيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ[٤]

• **عن عمرو بن الحارث** عن أبيه: أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أيُّكم يقرأ سورة التوبة؟

قال رجل: أنا.

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٧٧). (٢) المصدر نفسه (٥/ ٧٨).
(٣) في الأصل الفارسي: «أستبريه».
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٧٨).

قال: اقرأ، فلما بلغ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠] بكى وقال: والله أنا صاحبه[١].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أبو بكرٍ أخي وصاحبِي في الغارِ، فاعرفوا ذلك لَهُ، فَلَوْ كُنْتُ متَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلاً، سُدُّوا كُلَّ خوخةٍ في هذا المسجدِ غيرَ خوخةِ أبي بكرٍ**»[٢].

وعن **عبد الله بن الزبير** رضي الله عنهما: أنّ النبي ﷺ قال: «**لو اتخذتُ خليلاً غيرَ ربِّي لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنْ أخي وصاحبِي في الغارِ**»[٣].

• **وأخرج البخاري عن أنس** رضي الله عنه قال: أقبل النبيُّ ﷺ إلى المدينة وهو يردف[٤] أبا بكر رضي الله عنه، وهو شيخٌ يُعرف، والنبيُّ لا يُعرفُ، فكانوا يقولون: يا أبا بكر مَنْ هذا الغلامُ بينَ يديكَ؟ فيقول: هادٍ يهديني السبيلَ[٥]، قال: فلمّا دنونا[٦] من المدينةِ نزلنا[٧] الحَرَّةَ، وبعثَ إلى الأنصارِ فجاؤوا قال: فشهدتُه يومَ دخلَ المدينةَ، فما رأيتُ يوماً كان أحسنَ ولا أضوأَ من يوم دخلَ علينا فيه، وشهدتُه يومَ ماتَ، فما رأيتُ يوماً كان أقبحَ ولا أظلمَ مِنْ يومٍ ماتَ فيه ﷺ[٨].

• **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، قال: على أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن النبيَّ ﷺ لم تزلِ السكينةُ معه[٩].

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٨٠).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٨٠).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٨٠).
(٤) في الأصل الفارسي: «مردف».
(٥) في الأصل الفارسي: «قال: هذا يهديني إلى السبيل».
(٦) في الأصل الفارسي: «دنا».
(٧) في الأصل الفارسي: «نزل».
(٨) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩١١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٤٧)، و«الدر المنثور» (٥/ ٨١) واللفظ له.
(٩) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٨١).

وعن **حبيب بن أبي ثابت** رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ قال: على أبي بكر رضي الله عنه، فأمّا النبيُّ ﷺ فقد كانت عليه السكينةُ(١).

• **ومن موافقات عمرَ** رضي الله عنه آية: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

• **أخرج البخاري والنسائي** عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: بينما النبيُّ ﷺ يقسمُ قِسْماً إذ جاءه ذو الخُوَيْصِرَةِ التميمي، فقال: اعدلْ يا رسولَ اللهِ، فقال: «**وَيْلَك، ومَنْ يَعْدِلْ إذا لَمْ أَعْدِلْ؟**».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقَه.

فقال رسول الله ﷺ: «**دَعْهُ فإنّ لَهُ أصحاباً يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم وصيامَه مع صيامِهم، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرميَّةِ، فينظرُ في قذذِهِ، فلا يوجَدُ فيه شيءٌ، [ثم ينظرُ في نَضْيِهِ، فلا يرى فيه شيءٌ، ثم ينظر في رصافِهِ، فلا يرى فيه شَيْءٌ]، ثم ينظر في نصلِهِ، فلا يوجَدُ فيه شيء، قد سبقَ الفَرْثُ والدَّمُ، آيتُهم رَجُلٌ أسودُ إحدى يديه** ـ أو قال: **ثدييه** ـ **مثل ثدي المرأةِ، أو مثل البضعةِ تدردر، يخرجونَ على حين فرقةٍ من النَّاس**» قال: فنزلت فيهم آية: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ...﴾ [التوبة: ٥٨].

قال أبو سعيد: أشهد أنِّي سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ، وأشهدُ أن عليّاً حين قتلهم وأنا معه جِيءَ بالرَّجُلِ على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ(٢).

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٨١).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦١٠)، و«سنن النسائي الكبرى» (٥/ ١٥٩) برقم: (٨٥٦١)، «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٩٧) واللفظ له.

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه مرَّ برجل من أهل الكتاب مطروحٌ على بابٍ، فقال: استكدُّوني، وأخذوا مني الجزية حتى كُفَّ بصري، فليس أحدٌ يعودُ عليَّ بشيءٍ.

فقال عمر: ما أنصفنا إذاً، ثم قال: هذا من الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] ثم أمرَ له أنْ يُرْزَقَ ويُجْرَى عليه[١].

• **وعن عمر** في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ قال: هم زَمْنى[٢] أهل الكتاب[٣].

• **عن الشعبي** رضي الله عنه قال: ليست اليوم مؤلفة قلوبهم[٤]، إنما كان رجال يتألّفهم النبيُّ ﷺ [على الإسلام]، فلما أن كان أبو بكر رضي الله عنه قطع الرشا في الإِسلام[٥].

• **وعن عبيدة السلماني** قال: جاء عُيَيْنَةُ بن حصن[٦] والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا: يا خليفة رسول الله ﷺ إنَّ عندنا أرضاً سبخة، ليس فيها كلأٌ ولا منفعة، فإن رأيتَ أن تعطيناها[٧] لعلَّنا نحرثها ونزرعها ولعلَّ الله أن ينفعَ بها، فأقطعها إياهما، وكتب لهما بذلك كتاباً، وأشهد لهما، فانطلقا إلى عمر ليشهداه على ما فيه، فلمّا قُرِئَ على عمرَ ما في

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٩٩).
(٢) في الأصل الفارسي: «زمناء».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٩٩).
(٤) في الأصل الفارسي: «ليست اليوم يعني قوله: والمؤلفة قلوبهم».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٠٠).
(٦) في الأصل الفارسي: «حصين».
(٧) في الأصل الفارسي: «تقطعناها»، وكذا ورد في «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٩٩)، و«السنن الكبرى للبيهقي» (٦/ ١٠٧٥).

الكتاب، تناوله من أيديهما، فتفل فيه فمحاه، فتذمرا[١] وقالا له مقالة سيئة، فقال عمر: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يتألّفهما والإسلامُ يومئذٍ قليلٌ، وإن الله قد أعزّ الإِسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا أرعى الله عليكما إن أرعيتما[٢][٣].

• **عن يزيد بن هارون** قال: خطب أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه فقال في خُطبته: يُؤْتَىٰ بعبدٍ قد أنعمَ اللهُ عليه، وبسطَ له في الرزقَ، قد أصحَّ بدنَهُ، وقد كفر نعمةَ ربِّه، فيُوقَفُ بين يدي الله تعالى، فيقال له: ماذا عملتَ ليومِكَ هذا؟ وما قدَّمت لنفسك؟ فلا يجده قدَّمَ خيراً، [فيبكي حتّى تنفدَ الدموعُ، ثم يعيَّرُ ويخزى بما ضيّع من طاعةِ اللهِ، فيبكي الدمَ، ثم يعيّرُ ويُخْزَى، حتّى يأكلَ يديه إلى مرفقيه، ثم يعيّرُ ويُخْزَىٰ بما ضيّع من طاعةِ اللهِ]، فينتحِبُ حتّى تسقطَ حدقتاه[٤] على وجنتيه، وكلُّ واحد منهما فرسخ في فرسخ، ثم يُعيّرُ ويُخْزَى، حتى يقول: يا ربِّ ابعثني إلى النارِ، وارحمني من مقامي هذا، وذلك قوله: ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة][٥].

• **ومن موافقات عمر** رضي الله عنه عن **شريح بن عبيد** رضي الله عنه: أن رجلاً قال لأبي الدرداء رضي الله عنه: يا معشرَ القرّاء! ما بالكم أجبن منّا وأبخل إذا سئلتم، وأعظم لُقماً إذا أكلتم؟

فأعرض عنه أبو الدرداء، ولم يردَّ عليه شيئاً، فأخبر بذلك عمرُ بنُ

---

(١) في الأصل الفارسي: «فتذامّوا».
(٢) في الأصل الفارسي: «إن رعيتما»، وكذا في «السنن الكبرى»، للبيهقي (٦/ ١٠٧٥).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٠٠).
(٤) في الأصل الفارسي: «حدقاته».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٠٥).

الخطّاب ﵁، فانطلق عمرُ إلى الرجل الذي قال ذلك، فقاله[١] بثوبه وخنقه، وقاده إلى النبيِّ ﷺ، فقال الرجلُ: إنّما كُنّا نخوضُ ونلعبُ، فأوحى الله تعالى إلى نبيِّه ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥][٢].

• **وموافقات عمر:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٨٠].

• **أخرج البخاري** عن **ابن عباس** قال: سمعتُ عمرَ يقول: لما توفّي عبدُ اللهِ بنُ أُبيّ دُعِيَ رسولُ اللهِ ﷺ للصلاة عليه، فقام عليه، فلما وقف قلت: أعَلى عدوّ الله عبد الله بن أُبيّ القائل كذا وكذا، والقائل كذا وكذا؟ أعدِّد أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسّم، حتى إذا أكثرتُ قال: «**يا عمرُ أخِّرْ عنِّي، إنِّي قد خُيِّرْتُ، قَدْ قِيلَ لي:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾**، فلو أعلمُ أنِّي إنْ زِدتُّ على السبعينَ غُفِرَ له، لَزِدتُّ عليها**».

ثم صلّى عليه رسولُ اللهِ ﷺ، ومشى معه، حتى قامَ على قبرِهِ، حتّى فرغَ منه، فعجبتُ لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ، واللهُ ورسولُه أعلم، فواللهِ ما كانَ إلا يسيراً حتّى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]، فما صلّى رسولُ اللهِ ﷺ على منافقٍ بعدُ حتى قبضَه اللهُ ﷻ[٣].

أخرج **البخاري ومسلم** عن **ابن عمر** قال: لمّا توفّي عبدُ الله بنُ أُبيّ ابن سلول، أتى ابنُه عبدُ الله رسولَ اللهِ ﷺ، فسأله أن يعطيَه قميصَه ليكفِّنه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلِّيَ عليه، فقام رسولُ اللهِ ﷺ، فقام

---

(١) في الأصل الفارسي: «فقال». ولعل الصواب: (فَتَلَّهُ).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٠٧).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٧٢)، و«فتح القدير» (٣/ ٢٩٤) واللفظ له.

عمرُ، فأخذَ ثوبهِ، فقال: يا رسولَ اللهِ، أتصلِّي عليهِ، وقد نهاكَ اللهُ أَنْ تصلّي على المنافقينَ؟ فقال: «**إنَّ رَبِّي خيَّرني وقالَ**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، **وسأزيدُ على السَّبْعِينَ**» فقال: إنّه منافقٌ، فصلّى عليه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ الآية، فترك الصلاة عليهم[1].

وعن **حبيب بن الشهيد** عن عمرو بن عامر الأنصاري، أنّ عمر بن الخطاب قرأ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فرفع الأنصار، ولم يلحق الواو في الذين، فقال له زيد بن ثابت: والذين، فقال عمر: الذين، فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم، فقال عمر رضي الله عنه: ائتوني بأُبي بن كعب، فأتاه فسأله عن ذلك؟ فقال أُبي: والذين، فقال عمر رضي الله عنه: فنعم إذن فتابع أُبياً[2].

عن **أبي صخر** حُميدِ بنِ زياد قال: قلتُ لمحمّد بن كعب القُرَظي رضي الله عنه: أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنّما أريد الفتن؟

فقال: إنّ الله قد غفرَ لجميع أصحابِ النبيِّ ﷺ، وأوجبَ لهم الجنة في كتابه، محسنهم ومسيئهم.

قلت له: وفي أيِّ موضع أوجبَ الله لهم الجنة في كتابهم؟

قال: ألا تقرأ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه فيهم.

قلت: وما اشترط عليهم؟

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٧٢)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٧٧٤)، و«فتح القدير» (٣/ ٢٩٦) واللفظ له.

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٤٥).

قال: اشترط عليهم أن يتّبعوهم بإحسان، يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك، قال أبو صخر: لكأنّي لم أقرأْها قبلَ ذلك، وما عرفتُ تفسيرها حتى قرأها عليّ محمّدُ بنُ كعب[1].

● **عن ابن عمر** في قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة] قال: مع محمد ﷺ وأصحابه.

وقال **سعيد بن جبير**: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقال **الضحَّاك**: أُمروا أن يكونوا مع أبي بكر وعمر وأصحابهما.

وقال **ابن عباس**: مع علي بن أبي طالب.

وقال **أبو جعفر**: مع علي بن أبي طالب[2].

● **وعن سفيان** رضي الله عنه قال: ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد به هذا وهذا[3].

● **وعن يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب** قال: أرادَ عمرُ بنُ الخطّاب أن يجمعَ القرآن، فقام في الناسِ، فقال: مَنْ كان تلقّى مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ شيئاً من القرآن فليأتِنَا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكانَ لا يَقْبَلُ من أحدٍ شيئاً حتّى يشهدَ شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه، فقام عثمان بن عفان فقال: مَنْ كانَ عنده شيءٌ من كتابِ الله فليأتنا به، وكان لا يَقْبَلُ مِنْ أحدٍ شيئاً حتى يشهد به شاهدان، فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، فقالوا: ما هما؟ قال: تلقّيت من رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٤٨).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٨٦).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٢٣٣).

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، إلى آخر السورة.

فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين ترى أن نجعلهما؟

قال: اختم بهما آخر ما نزلت من القرآن، فختمت بهما براءة[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٢٠١).

آيات سورة يونس

• قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إن هذه الآية نصّ على فضيلة أولياء الله، وذلك من عدّة أوجه:

أولاً: يقول الله في بيان حالهم: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾؛ أي: لا يكون عليهم في الآخرة خوف من أي جهة مخوفة ومكروهة، ولا هم يحزنون على أي فائت محبوب.

ثانياً: يبيّن حقيقة الولاية بما تنطبق عليه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾، فتتحقّق حقيقة الولاية في الجماعة التي يتصفون بالإيمان الحقيقي الذي جاء شرحه في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٢]، ويتصفون بصفة التقوى كذلك.

ثالثاً: يبيّن بعض لوازم الولاية بقوله: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، وهذه بشارة بالجنَّة تجري بألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وهذه من أعظم أنواع البشارة، أو بالرؤيا أو بالفراسة الصادقة ـ أي: المكاشفة ـ وهذان دون ذلك، وقد علم هذا القدر على وجه العموم من الآية، ولكن الأشخاص الذين اتصفوا بهذه الصفات السنية في زمن النبي ﷺ، من هم بتحديد شخصياتهم؟ فهذا مما يقتضي بعض التأمّل.

ولكلمة «ولي» معنيان:

أحدهما: بمعنى المحبة والصداقة، فمعنى الولي: الصديق والنصير.

والآخر: بمعنى تقلُّد الأمر والقيام به، فمعنى الولي: من ولي أمراً وقام به، مثل كلمة «حارّ» يطلق على صيغتي الفاعل والمفعول، فإذا كان المراد المعنى الأول فإن الله تعالى يقول في حق الصدِّيق وأتباعه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وإذا كان المراد المعنى الثاني فإن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف].

وقد مدح النبيُّ ﷺ هذه الجماعة بوصف الصدّيق والشهيد في الأحاديث المتواترة، التي لا مدخلَ للشبهةِ إليها، وشهد بإيمانهم وتقواهم وبشّرهم بالجنّة، بل بأعلى درجات الجنّة، وهو المقصود.

• **عن الأحنف** قال: صلّيت خلف عمر الغداة فقرأ يونس وهود ونحوهما[1].

• **وعن قتادة** في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس]، قال: ذُكِرَ لنا أنَّ عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية فقال: صدق ربُّنا، ما جعلنا خلائف في الأرض إلا لينظرَ إلى أعمالِنا، فأروا الله خيرَ أعمالِكم بالليلِ والنهارِ والسرِّ والعلانيةِ[2].

• **عن ابن عمر** أنّ تميماً الداري سأل عمرَ بنَ الخطاب عن ركوب البحر فأمره بتقصيرِ الصلاة قال: يقول الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢][3].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ٣١٠) برقم: (٣٥٤٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٢١٨).

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٥٤) برقم: (٥٢٧٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٢٥) واللفظ له.

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِنْ عباد الله ناساً يَغْبِطُهُمُ الأنبياءُ والشُّهداءُ**».

قِيل: من هم يا رسول الله؟

قال: «**قومٌ تحابّوا في اللهِ مِنْ غيرِ أموالٍ ولا أنْسَابٍ، لا يَفْزَعُونَ إذا فَزِعَ الناسُ، ولا يَحْزَنُونَ إذا حَزِنُوا**»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس][1].

❋ ❋ ❋

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/٢٤٨).

آيات سورة هود

• قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود].

إنّ الله ﷻ في أولِ هدّد الكفار، وشدّد عليهم، فقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥] إلخ، ثم بيّن بعد ذلك حال جماعة المؤمنين المحقّقين، ليكون فارقاً بين ظلمة الكفر ونور الإيمان، مثل الفارق بين الليل والنهار، وبَيْنَ بُعْدِ المشرق وبُعْدِ المَغْرِب، وتلك سُنَّة الله التي تجري في تمام القرآن العظيم غالباً في بيان التفاوت بين الدرجتين، وإظهار التباين بين المرتبتين، وذلك في كلِّ سورة من سور القرآن الكريم، وإنّما يُعرف الشيءُ بضدِّه، فلمّا آل الأمرُ إلى بيان حال المؤمنين المحققّين قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

اختلف المفسِّرون في معنى الآية، وأمّا ما ثبت بالتحقيق والتنقيح وتعميق النظر فيه بحيث لا يحتمل معنى آخر فهو أنّ بعضَ أهل الحق قد تلقّوا أصول الشرائع قبل بعثة النبيِّ ﷺ بشهادة قلوبهم، ولذلك استكرهوا عبادة الأصنام، ووجدوا شناعة الخمر والزنا في قلوبهم من عند أنفسهم، وأدركوا تعيّن النبيِّ الذي بُعِثَ في ذلك العصر، وذلك بطريق الرؤيا والفراسة، واطمأنت نفوسُهم بكلِّ ذلك، وقبلت عقولهم أيضاً، وهذا العلمُ الإجماليُّ الكامنُ المبثوث في صدورهم، هو بيّنةٌ من رب العالمين.

ثم نزل بعد ذلك القرآن وشهد بذلك العلمَ الإجمالي، وفصّل، المجمل وجعل المظنون كالمشاهَدِ، فالشاهِدُ الذي جاء من الله ﷻ إظهاراً للحقِّ على أكمل وجه هو القرآن، وكان مِنْ قبله كتابُ موسى إماماً لأهل الدين والحق، ورحمةً من الله تعالى، أدّى شهادةً مثل شهادته.

وكانت جماعة من عظماء الصحابة متّصفةٌ بهذا الوصف، ومنهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وأبو ذر الغفاري وغيرهما، والصدِّيقُ الأكبر هو أكملُهم شأناً، وأسبقُهم إلى الإسلام، ومن جهة هذه المناسبة الباطنية لم يتوقّف في إظهار الإسلام والإيمان، ولم يسأل معجزةً من المعجزات، فهو على رأس أهل هذه الآية، بل أغلبُ الآراءِ أنّ في هذه الآية تعريضاً به وإشارة إليه، والله أعلم.

• **أخرج الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ شِبْتَ.

قَالَ: **«شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»**[1].

وعن **أبي سعيد** قال: قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ! أسرعَ إليك الشيبُ فقال: **«شيَّبتني هود وأخواتها: الواقعة، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»**[2].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: لما استقرّتِ السفينةُ على الجودي، لبث نوحٌ عليه السلام ما شاء الله، ثم إنّه أذن له فهبط على الجبل،

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٢٩٧).
(٢) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (١/ ٣٥٩).

فدعا الغرابَ فقال: ائتني بخبر الأرض، فانحدرَ الغراب، وفيها الغرقى من قومِ نوحٍ، فأبطأ عليه فلعنه، ودعا الحمامة، فوقع على كفِّ نوحٍ، فقال: اهبطي فائتيني[١] بخبر الأرض، [فانحدر]، فلم يلبثْ إلّا قليلاً حتى جاءَ ينفضُ ريشَةً[٢] في منقاره فقال: اهبط فقد أبينت[٣] الأرضُ.

قال نوح: باركَ الله فيك، وفي بيتٍ يؤويك، وحبَّبك إلى الناسِ، لولا أنْ يغلبِكَ الناسُ على نفسك لدعوتُ الله أن يجعلَ رأسكَ من ذهبٍ[٤].

• **وعن محمد بن المنكدر ويزيد بن حفصة وصفوان بن سليم**، أنّ خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أنّه قد وجدَ رجلاً في بعض نواحي العرب يُنْكَحُ كما تُنْكَحُ المرأة، وقامت عليه بذلك البيِّنةُ، فاستشارَ أبو بكر رضي الله عنه أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنَّ هذا ذنبٌ لم تعصِ اللهَ به أمةٌ من الأمم إلا أمةٌ واحدةٌ، فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرّقه بالنار.

فاجتمع أصحابُ النبيِّ ﷺ على أن يحرّقوه بالنار، فكتبَ أبو بكر رضي الله عنه إلى خالدٍ رضي الله عنه أن أحرقه بالنار، ثم حرَّقهم ابنُ الزبير رضي الله عنه في إمارته، ثم حرَّقهم هشام بن عبد الملك[٥].

• **عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَعَلَى مَا نَعْمَلُ؟ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ.

---

(١) في الأصل الفارسي: «فلتأتينيّ».
(٢) في الأصل الفارسي: «جاء بنفض وريشة».
(٣) في الأصل الفارسي: «أثبتت».
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣١٠).
(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٣٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٣٥) واللفظ له.

قَالَ: «**بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ. يَا عُمَرُ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[١].

• **عن أبي بكر الصدِّيق** ﷺ قال: قام فينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**سَلُوا اللهَ العافيةَ، فإنّه لم يُعْطَ أحدٌ أَفْضَلَ من معافاةٍ بعدَ يقينٍ، وإيّاكُم والريبةَ، فإنّه لم يؤتَ أحدٌ أشرَّ**[٢] **من ريبةٍ بعدَ كُفْرٍ**»[٣].

• **عن أبي اليسر** قال: أتتني امرأةٌ تبتاع تمراً، فقلت: إنَّ في البيت تمراً أطيبَ منه، فدخلت معي البيت، فأهويت إليها، فقبّلتها، فأتيتُ أبا بكر فذكرتُ ذلك له قال: استر على نفسِكَ وتُبْ، فأتيتُ عمرَ، فذكرت ذلك له فقال: استُرْ على نفسِكَ وتب، ولا تخبِرْ أحداً، فلم أَصْبِرْ، فأتيتُ رسول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقال: «**أَخَلَفْتَ غازياً في سبيلِ اللهِ في أهلِهِ بِمِثْلِ هذا؟**» حتّى تمنّى أنّه لم يكنْ أسلمَ إلّا تلكَ الساعةَ، حتى ظنَّ أنَّه من أهل النار، وأطرقَ رسولُ اللهِ ﷺ طويلاً حتّى أوحى الله إليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود]، قال أبو اليسر: فأتيتُه فقرأها عليَّ فقال أصحابه: يا رسولَ الله ألهذا خاصَّةً؟

قال: «**بل للنّاسِ كافّةً**»[٤].

• **وعن سليمان التيمي** قال: ضربَ رجلٌ على كِفْلِ امرأةٍ، ثم أتى إلى أبي بكر وعمر فسألهما عن كفّارةِ ذلك، فقال كلٌّ منهما: لا أدري،

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣١١١).

(٢) في الأصل الفارسي: «أشدّ».

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٤٩).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣١١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٢) واللفظ له.

ثم أتى النبيَّ ﷺ فسأله؟ فقال: «**لا أدري**»، حتى أنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية[١].

• **عن عثمان** قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضَّأُ، ثم قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ وضوئي هذا، ثم قام، فصلَّى صلاةَ الظُّهْرِ، غُفِرَ له ما كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ صلاةِ الصُّبْحِ، ثم صلَّى العَصْرَ، غُفِرَ لَهُ مَا كانَ بينه وبينَ صلاةِ الظُّهْرِ، ثم صلَّى المَغْرِبَ، غُفِرَ له ما كان بينه وبينَ صلاةِ العَصْرِ، ثم صلَّى العِشَاءَ، غُفِرَ له ما كانَ بينه وبين صلاةِ المَغْرِبِ، ثم لعلَّه يبيتُ يتمرّغُ ليلتهِ، ثم إنْ قامَ فتوضَّأَ، وصلَّى الصبح، غُفِرَ له ما بينها وبين صلاةِ العشاءِ، وهُنَّ الحسناتُ يُذْهِبْنَ السيئاتِ**».

قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هي لا إلٰه إلا الله، وسبحان الله، والحمدُ للهِ، واللهُ أكبرَ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العلي العظيم[٢].

• **وأخرج مالكٌ** عن **عثمان بن عفان** أنه قال: لأحدثنَّكم حديثاً لولا آية[٣] في كتاب الله ما حدَّثتكموه، ثم قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما مِن امْرِئٍ يتوضَّأُ، فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، ثم يصلِّي الصلاةَ، إلّا غَفَرَ اللهُ له ما بينه وبين الصلاةِ الأُخْرَىٰ حتّى يصلِّيَها**».

قال مالك: أراه يريد هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[٤].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٥٤).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٥٤).
(٣) في الأصل الفارسي: «أنه».
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٨٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٥٦) واللفظ له.

آيات سورة يوسف

• **قال الله تعالى**: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف].

يقول الفقير ـ عُفِيَ عنه ـ: طلبَ يوسفَ ـ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ـ من مَلِكِ مصرَ إمارةَ بيتِ المال، وذكر استحقاقه لها بقوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾، فعُلِمَ من هنالك أنَّ شرط التصرُّفِ في بيت المال، إنّما هو الحِفْظُ من الضياع وخيانة الخائنين، والعلم بمكانِ أخذه وصَرْفِهِ، وبما أنَّ التصرّفُ في بيتِ المالِ هو من حقِّ الخليفةِ، لزم أن تتحقق الخلافةُ الخاصّةُ المرضيّة في وقتٍ كان الخليفة حفيظاً عليماً فيه، وذلك من لوازم الخلافة الخاصة، كما قد ذكرنا سابقاً.

• **عن خالد بن عَرْفَطة** قال: كنتُ جالساً عند عمر، إذ أتاه رجلٌ من عبدِ القيس، فقال له عمر: أنتَ فلانٌ العبدي؟

قال: نعم.

فضربه بقناةٍ معه.

فقال الرجل: ما لي يا أميرَ المؤمنين؟!

قال: اجلس، فجلس، فقرأ عليه بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف] فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً.

فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟

فقال: أنتَ الذي نسختَ كتابَ دانيالَ.

قال: مُرْنِي بِأَمْرِكَ أَتّبِعُه.

قال: انطلقْ فامحُهُ بالحميمِ والصوفِ، ثم لا تقرأه، ولا تُقرئه أحداً من الناس، فلئن بلغَنِي عنكَ أنَّكَ قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنَّك عقوبةً.

ثم قال: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقتُ أنا فانتسختُ كتاباً من أهلِ الكتابِ، ثم جئتُ به في أديمٍ، فقال لي رسول الله ﷺ: **«ما هذا في يدِكَ يا عمرُ؟»**.

فقلت: يا رسولَ اللهِ، كتابٌ نسخته لنزدادَ به علماً إلى علمنا، فغضبَ رسولُ اللهِ ﷺ حتّى احمرّت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالتِ الأنصارُ: أغضبَ نبيُّكم، السلاحَ [السلاحَ][1]، فجاؤوا حتى أحدقوا بمنبرِ رسولِ اللهِ ﷺ فقال: **«يا أيُّها الناسُ! إنِّي قد أُوْتِيتُ جوامعَ الكلمِ وخواتِيمَه، واختُصِرَ لي الأمورُ اختصاراً، ولقد أتيتُكم بها بيضاءَ نقيةً، فلا تتهوّكوا، ولا يغرنّكم المتهوِّكُونَ»**، قال عمرُ رضي الله عنه: فقمتُ فقلتُ: رضيتُ باللهِ ربّاً، وبالإسلامِ ديناً، وبك رسولاً، ثم نزل رسول الله ﷺ[2].

وعن **إبراهيم النخعي** رضي الله عنه قال: كان بالكوفةِ رجلٌ يطلب كُتُبَ دانيال، وذلك الضرب، فجاء فيه كتابٌ من عمر بن الخطاب أن يُدْفَعَ[3] إليه، فلمّا قَدِمَ على عمرَ رضي الله عنه علاه بالدِّرة، ثم جعل يقرأ عليه: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ①﴾، حتى بلغ ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ ③﴾، قال: فعرفتُ ما يريدُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! دعني، فواللهِ لا أدعُ عندي شيئاً من تلك

---

(١) وقع في الأصل الفارسي مكرراً، وهو الصواب.
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٦٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «أن يرفع».

الكتبِ إلّا حرّقته، قال: فتركه[١].

• **عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك** رضي الله عنه، عن أبيه قال: سمع عمرُ رضي الله عنه رجلاً يقرأ هذا الحرف: (لَيَسْجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ)، فقال له عمر رضي الله عنه: مَنْ أقرأكَ هذا الحرفَ؟

قال: ابن مسعود رضي الله عنه.

فقال عمر رضي الله عنه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [يوسف]، ثم كتب إلى ابن مسعود رضي الله عنه: سلام عليك، أما بعدُ: فإنّ الله أنزلَ القرآنَ، فجعله قرآناً عربياً مبيناً، وأنزله بلغةِ هذا الحيِّ من قريشٍ، فإذا أتاكَ كتابي هذا فأقرئ الناسَ بلغةِ قريش، ولا تقرئهم بلغة هُذيلٍ[٢].

• **عن عمر** رضي الله عنه أنّه استأذن عليه رجلٌ فقال: استأذنوا لابن الأخيار.

فقال عمر رضي الله عنه: ائذنوا له، فلما دخل، قال له عمر: مَنْ أنت؟

قال: أنا فلان ابن فلان، قال: فجعل يعدُّ[٣] رجالاً من أشراف الجاهلية.

فقال له عمر: أنتَ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؟

قال: لا.

قال: ذاك ابن الأخيار، وأنت ابن الأشرار، إنّما تعدُّ عليَّ رجال[٤] أهلِ النّارِ[٥].

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: استعملني عمرُ رضي الله عنه على البحرين، ثم

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/٣٦٨).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/٤٠٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «فعدّ». (٤) في الأصل الفارسي: «خبال».
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٣٧٨).

نزعني، وغرّمني اثني عشر ألفاً، ثم دعاني بعدُ إلى العمل فأبيتُ، فقال: لم؟ وقد سأل يوسفُ ﷺ العملَ، وكان خيراً منك.

فقلت: إنَّ يوسف ﷺ نبيٌّ ابنُ نبيٍّ ابنِ نبيٍّ ابنِ نبيٍّ، وأنا ابن أُميمة، وأنا أخافُ أَنْ أقولَ بغيرِ حلم، وأن أفتيَ بغيرِ عِلْمٍ، وأن يُضْرَبَ ظهري، ويُشْتَمَ عِرْضي، ويؤخذ مالي[١].

• **عن عبد الله بن شداد** رضي الله عنه قال: سمعتُ نشيجَ عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه وإنّي لفي آخر الصفوف في صلاةِ الصبحِ، وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦][٢].

• **وعن علقمة بن أبي وقاص** رضي الله عنه قال: صلّيتُ خلفَ عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه العشاءَ، فقرأ سورة يوسف ﷺ، فلمّا أتى على ذكر يوسف ﷺ، نشجَ حتى سمعتُ نشيجَهُ وأنا في مؤخَّرِ الصفوف[٣].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٢٣).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٤٢).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٤٢).

آيات سورة الرعد

• **قال الله تعالى**: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد].

يقول الفقير: معنى هذه الآية: إنْ أريناكَ بعضَ ما نَعِدُكَ من الفتحِ وغلبةِ الإسلام، أو توفّيناكَ من قبلِ وقوعِ ما وعدناك من الفتح وغلبةِ الإسلام، لا بأسَ في الصورتين، إذ إنّه ما عليكَ إلا البلاغ، وعلينا الحساب.

ثم أوضحَ ذلك: أنّ المراد بالوعدِ هو الفتوحات الإسلامية حيث يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾؛ يعني: دخل الإسلامُ إلى المدينة وإلى قبائل «أسلم» و«غِفَار» و«جُهينة» و«مُزينة» وغيرها، وأسلمت منها جماعةٌ، ووقعت في شوكة الكفر ثلمةٌ عظيمةٌ، وذلك من مقدّماتها وأماراتها.

يقول الفقير: في هذه الآيةِ إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ بعض الفتوحات الإسلامية التي ثبت وعدُها يظهر في زمن النبيِّ ﷺ، ويتحقّق بعضُها الآخر من بعد وفاته ﷺ، ولا بدّ أن تظهرَ هذه المواعيدُ على يدِ أحد خلفائه ﷺ، وذلك أحد لوازم الخلافة الخاصة، والله أعلم.

• **قال الله تعالى**: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾

وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

يقول الفقير ـ عُفِيَ عنه ـ: يبيّن الله ﷻ تباينَ مراتبِ السُّعداءِ والأشقياء، كما هو عادته المستمرّة في جميع القرآن، ويثبت الحسنى للذين يقبلون دعوة الحق، وهي كلمةٌ جامعةٌ لجميع الخيرات، وينذر الذين لا يقبلون دعوته بعذاب أليم، حيث يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ﴾.

ثم يبيّن فرقاً آخر بين الفريقين، وهو أنَّ أحد الفريقين هو عالمٌ بحقيقةِ الكتاب المنزّل، والآخر أعمى.

ثمّ يشيرُ إلى أنَّ المراد بالعلم هنا هو العلم المقرون بإصلاح القوّةِ العاملة، وذلك من جهة أنَّ التذكّر هو بمعنى أخذ العبرة والموعظة، والتأدب بعلم الحق، وذلك لا يتيسّر بدون صحة العمل، ثم يذكر بعض الخصال لتصحيح العمل بصفة خاصة، **وهي حسبما يلي**:

- الوفاء بعهد الله ورسوله.
- وصلة الأرحام.
- وحسن المعاملة مع الجيران وغيرهم.
- وأعظم من كل ذلك مراعاة العلاقة بالنبيِّ ﷺ.
- والخشية لله ﷻ.

- والإيمان بحساب الآخرة.
- والصبر على مشقات الطاعة وعلى شدّة المصائب ابتغاء وجه الله.
- وإقام الصلاة.
- وإنفاق المال في سبيل الله.
- والتخلُّق بالحِلم والأناة.
- وجزاء السيئة بالحسنة.

ثم يذكر مآل هؤلاء السعداء بقوله: ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ الآيات.

ثمّ يذكر قبائح أعمال الأشقياء، **ومنها:**

- نقض عهد الله من بعد ميثاقه.
- وقطع الأرحام.
- وعقوق الآباء والأمهات.
- وأسوأُ من كلِّ ذلك هو عصيان النبيّ المبعوث فيهم من عند الله ﷺ، المرسل لهداية الخلق، وقد قرن الله طاعته بطاعته.

ومنها:

- إفسادٌ في الأرض.

ثم يبيِّن مآل هؤلاء الأشقياء بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد].

ثم يقول الفقير: إنّ في عدّ هذه الصفاتِ بخصوصها من بين صفاتِ السعداءِ تعريضاً بحال جماعة المهاجرين الأولين السابقين، الذين اشتهر اتّصافهم بهذه الصفات، كأبي بكر الصدِّيق، وعمر الفاروق، وأمثالهما، ممّن آمنوا بالنبي ﷺ، وعقدوا الميثاقَ لنصرته، والقيامِ بإعلاءِ كلمة الله، فاستقاموا على ذلك، وما حادوا عن ذلك قِيدَ شعرة، وما بدّلوا تبديلاً.

وحافظوا على أداء حقوق النبيّ ﷺ وأصحابه، بحيث قال النبيُّ ﷺ: «**أمنّ الناس عليَّ في صُحْبَتِهِ ومالِهِ أبو بكرٍ**».

وقد ظهرت منهم الخشيةُ للهِ، والصبرُ على إيذاءِ الناس، وإكثارِ الصلوات، والإنفاقِ على رسولِ اللهِ ﷺ وفقراءِ الصحابةِ، والحلمِ مع جَهْلِ الجهلاء على أكملِ وَجْهٍ ممكن، والكتبُ المؤلّفة على أحوالهم شاهدُ عدلٍ على ذلك، وهو المقصود.

• **عن كنانة العدوي** رضي الله عنه قال: دخل عثمانُ بنُ عفّان رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العبد، كم معه من مَلَكٍ؟

فقال: «**مَلَكٌ عن يمينِكَ[1] على حَسَناتِكَ، وهو أمينٌ[2] على الذي على الشِّمَالِ، إذا عملتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْراً، فإذا عملتَ سيئةً، قال الذي على الشِّمالِ للذي على اليمينِ: أَكْتُبُ؟ قال: [لَا]، لعلَّه يستغفرُ اللهَ ويتوبُ، فإذا قال ثلاثاً قال: نعم اكتبْهُ، أراحنا الله منه، فبئس القرينُ، ما أقلّ مراقبتَه للهِ، وأقلّ استحياءَه منه؟! يقول الله:** ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

ومَلَكانِ مِنْ بينِ يديكَ ومِنْ خلفِكَ، يقول الله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ﴾ [الرعد: ١١].

ومَلَكٌ قابِضٌ على ناصيتِكَ، فإذا تواضعتَ للهِ رفعَكَ، وإذا تجبَّرْتَ على اللهِ قَصَمَكَ.

وملكانِ على شفتيكِ، ليس يحفظان عليكَ إلّا الصلاةَ على النبيِّ ﷺ.

ومَلَكٌ قائمٌ على فيكَ، لا يدعُ أن تدخلَ الحيةُ في فِيكَ.

---

(١) في الأصل الفارسي: «على يمينك». (٢) في الأصل الفارسي: «أمير».

ومَلَكَانِ على يمينِكَ.

فهؤلاءُ عشرةُ أملاكٍ على كلِّ بني آدم، ينزِلُ[1] ملائكةُ الليلِ على ملائكةِ النهارِ؛ لأنَّ ملائكةَ الليلِ سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرونَ مَلَكاً على كلِّ آدمي، وإبليسُ بالنهارِ، وولدُه بالليل»[2].

• عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِۦ﴾ [الرعد: ١٦]، قال: فأخبرَني ليثُ بنُ أبي سُليم[3]، عن ابن محمد[4]، عن حذيفة بن اليمان، عن أبي بكر، إمّا حضر ذلك حذيفةُ مِنَ النبيِّ ﷺ مع أبي بكر، وإمّا حدَّثه إياه أبو بكر عن النبي ﷺ، قال: «الشِّرْكُ فيكم أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ».

قال أبو بكر: يا رسول الله، وهل الشركُ إلّا ما عُبِدَ من دون الله، أو مَا دُعِيَ مع الله!

قال: «ثكلتْكَ أُمُّكَ، الشِّرْكُ فيكم أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، ألا أخبِرُكَ بقولٍ يُذْهِبُ صغارَهُ وكبارَه؟ أو قال: لصغيره وكبيره؟»

قال: بلى.

قال: «تقولُ كلَّ يوم ثلاثَ مرّاتٍ: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وأنا أَعْلَمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلمُ، والشِّرْكُ أَنْ تقولَ: أعطاني الله وفلان، والندُّ أن يقولَ الإنسانُ: لولا فلانٌ قتلني فلانٌ»[5].

---

(١) في الأصل الفارسي: «ينزلون» والصواب ما أثبتناه.

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٨٣).

(٣) في الأصل الفارسي: «ليث بن أبي سليمان».

(٤) في الأصل الفارسي: «عن أبي محمد».

(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٩٦).

• **وعن مَعْقِل بن يسار** يقول: انطلقتُ مع أبي بكر الصدِّيق ﵁ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «**يا أبا بكر، لَلشّرْكُ فيكم أخفى مِنْ دبيبِ النملِ**».

فقال أبو بكر: وهل الشركُ إلّا مَنْ جعلَ مع الله إلـٰهاً آخر؟

فقال النبيُّ ﷺ: «**والّذي نفسِي بيدِهِ، لَلشركُ أخفى من دبيبِ النَّمْلِ، ألا أدلُّك على شيءٍ إذا قُلْتَهُ ذهبَ عَنْكَ قليلُه وكثيرُه؟**»، قال: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وأنا أَعْلَمُ، وأستغفِرُكَ لَمَا لا أَعْلَمُ**»[1].

• **عن مجاهد** ﵁ قال: قرأ عمرُ ﵁ على المنبر: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الرعد: ٢٣]، فقال: أيها الناسُ، هل تدرون ما جنات عدن؟ قصرٌ في الجنّةِ له عشرةُ آلافِ بابٍ، على كلِّ باب خمسةٌ وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ[2].

ورُوي نحو ذلك عن عبد الله بن عمر ورفعه، وعن أبي مسعود والحسن والضحَّاك وكعب الأحبار موقوفاً عليهم، وهذا شاهِدُ عدل على ما قلنا من أنّ في الآيةِ تعريضٌ بأبي بكر وعمر ﵄، والله أعلم.

• **عن ابن عمرَ** ﵄ قال: ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ «طُوبَى»، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا بكرٍ، هل بلغَكَ ما طوبى؟**»[3]

قال: اللهُ تعالى ورسولَهُ أعلم.

قال: «**طُوبَى شجرةٌ في الجنّةِ، لا يَعْلَمُ طولَها إلا اللهُ تعالى، يسيرُ الراكِبَ تحتَ غُصْنٍ من أغصانِها سبعينَ خريفاً، ورقُها الحُلَلِ، يقعُ عليها الطيرُ كأمثالِ البُخْتِ**».

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣/ ٣٦).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢).
(٣) في الأصل الفارسي: «هل بلغك ما طوبى؟».

قال أبو بكر رضي الله عنه: إنّ ذلك الطيرُ ناعمٌ.

قال: «**أنعمُ مِنْهُ مَنْ يأكلُه**[١]**، وأنتَ مِنْهُم يا أبا بكرٍ إنْ شاءَ اللهُ**»[٢].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنّه قال وهو يطوفُ بالبيت: اللَّهُمَّ إن كنتَ كتبتَ عليَّ شقاوةً[٣] أو ذنباً فامْحُه، فإنّكَ تمحو ما تشاءُ وتُثْبِتُ، وعندكَ أمُّ الكتابِ، فاجعله سعادةً ومغفرةً[٤].

• **وعن السائب بن ملجان**[٥] من أهل الشام ـ وكان قد أدرك الصحابة رضي الله عنهم ـ قال: لمّا دخلَ عمرُ رضي الله عنه الشّامَ، حَمِدَ الله، وأثنى عليه، ووعظ، وذكر، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ثم قال: إنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قام فينا خطيباً كقيامي فيكم، فأمرَ بتقوى الله، وصلةِ الرحم، وصلاحِ ذاتِ البين، وقال: «**عليكم بالجَمَاعةِ، فإنَّ يَدَ اللهِ عَلى الجَمَاعَةِ، وإنَّ الشيطانَ مَعَ الواحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثنينِ أَبْعَدُ، لا يخلونَّ رَجُلٌ بامرأةٍ، فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما، ومَنْ ساءَتْهُ سيئتُهُ وسرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فهو أمارةُ المُسْلِمِ المُؤْمِنِ، وأمارةُ المنافِقِ الذي لا تسوؤه سيِّئته ولا تسرُّه حسنتُه، إنْ عَمِلَ خيراً لم يرجُ مِنَ اللهِ في ذلك ثواباً؛ وإنْ عَمِلَ شرّاً لم يَخَفْ مِنَ اللهِ في ذلك الشَّرِّ عقوبةً، وأَجْمِلُوا في طَلَبِ الدُّنيا، فإنَّ اللهَ قد تكفَّلَ بأرزاقِكُم، وكلٌّ سيتم له عملُه الذي كان عاملاً، استعينوا بالله على أعمالِكُم، فإنّه يمحو ما يشاءُ ويثبِتُ، وعنده أُمُّ الكتاب**»، صلى الله على

---

(١) في الأصل الفارسي: «من أكله».

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٢).

(٣) في الأصل الفارسي: «شقوة».

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٢).

(٥) في الأصل الفارسي: «ملحان»، وفي «شعب الإيمان» للبيهقي: «مهجان».

نبيِّنا محمد وآله، وعليه السلام ورحمة الله، والسلام عليكم[١].

• **عن الزهري** رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديداً على رسولِ اللهِ ﷺ، فانطلقَ يوماً حتّى دنا من رسولِ اللهِ ﷺ وهو يصلِّي، فسمعه وهو يقرأ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، حتى بلغ: ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وسمعه وهو يقرأ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد]، إلى قوله: ﴿عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد]، فانتظره حتى سلّم، فأسرع في أثره فأسلم[٢].

(١) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٢٣) واللفظ له، و«شعب الإيمان»، للبيهقي (٢٢/ ٤٦٩).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣٠).

آيات سورة إبراهيم

• قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يبيّن الله تعالى التباينَ بين ظلمةِ الكُفْر ونورِ الإيمانِ بأساليبَ مختلفة، ومنها أنّه تعالى يقول: من صفات كلمة الحق ودين الإسلام أنّه نزل بأمر الله من فوق سبع سماوات إلى الأرض، حاملاً إلهاماتِ وبركاتِ عالم الملكوت إلى الأرض، وشاع فيها وساد في معظم الأقاليم الصالحة المعتدلة؛ كشجرة طيّبة تؤتي ثمرها، أصلها ثابت في الأرض، وفرعها في السماء.

ومن صفات الكلمة الخبيثة التي هي عبارةٌ عن الشرك واليهودية والنصرانية والمجوسية التي دخل فيها التحريفُ والتغييرُ، ولم يترسّخ أساسُها، ولم يتحكّم بنيانُها بأمر الله ووحيه تعالى، ولم يحصل لها تأييدٌ من الملكوت، بل تكوّنت صورتها بسبب الشبهات الواهية الركيكة الناشئة في صدور بني آدم ومساعيهم وفق هذه الشبهات، وتبعثرت وتشتّتت في أقلّ مدة بعناية الله عن طريق بعثة الأنبياء والرسل وبظهور دينهم، مثلها كمثل شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

ثم يبيِّن الله تعالى حال جماعةٍ من رؤساء المسلمين وأئمتهم الذين تمسّكوا بالتوحيد، واستعدّوا لنصرته، وانتشر الحق بمساعيهم، وحال جماعة من رؤساء الكفار، الذين بذلوا كل ما في وسعهم من الجهود لترويج كلمة الباطل.

ثم يثبّتُ الفرقةَ الأولى بالقولِ الثابتِ وكلمةِ الحق، ويثبّتُ كلمةَ الحقِّ في الحياة الدنيا بالنصرِ والتأييدِ والغلبةِ على سائر الأمم، وفي الآخرةِ بالنجاةِ، ورفع الدرجات، وسبقهم في الدخول في الجنَّة.

ويذمّ رؤساء الكفار لأجل كفرانهم لنعم الله، وسوق قومهم إلى دار البوار.

يقول الفقير: هذه كلمة مجملة، لمَّا أصبح المهاجرون الأولون من رؤساء أهل النجاة في الدنيا والآخرة بسبب أخذهم بالقول الثابت، وانتشرت الملّةُ الحقّةُ بجهودهم وازدهرت، ووقع أعداؤهم من قريش في نكالٍ ووبالٍ إزاءهم، صار هذا المجمل مفصّلاً، وتمثّل ذلك المعنى صورةً، وظهرت فضيلةُ هذه الجماعة كالشمس في رابعة النار، وهو المقصود.

• **وأمّا ما جاء** في الحديث الصحيح في تفسير هذه الآية من أنَّ المرادَ بالتثبيت هو توفيق الله للمؤمن لإجابته أمام منكر ونكير في القبر إجابةً صحيحةً، فإنه لا يتعارضُ مع مبحثنا، بل هو بيانٌ بعض أنواع التثبيت الذي يمكن أن يكون من أهمّ أنواعه، وذلك على نحو ما يفسّر: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، بالرمي، مع أنّ الفروسية والطعن من جملة أنواع القوة، لكن وقع هنا تخصيص لأهم أنواعها.

• **عن عدي بن حاتم** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ اللهَ قلَّبَ العبادَ ظهراً وبطناً، [فكانَ خيرَ عبادِهِ العربُ، وقلّبَ العَرَبَ ظهراً وبطناً] فكان**

خيرَ العربِ قُريشاً، وهي الشجرةُ المباركةُ التي قال الله في كتابه: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾؛ يعني: القرآن ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ **يعني: بها قُريشاً** ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ **يقول: أصلُها كبير** ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ **يقول: الشرف الذي شرَّفهم الله بالإسلام، الذي هداهم الله له، وجعلهم من أهله»**[1].

• **عن ابن عباس** قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنتَ يا عمرُ إذا انْتُهِي بك إلى الأرض، فحفر لك ثلاثةُ أذرعٍ وشبرٍ في ذراعٍ وشبرٍ، ثم أتاكَ منكرٌ ونكيرٌ أسودان يجرّان شعرهما[2]، كأنَّ أصواتهما الرعدُ القاصف، وكأنَّ أعينهما البرقُ الخاطِفُ، يحفران الأرض بأنيابهما، فأجلساكَ فَزعاً فَتَلْتَلَاكَ وتَوَهّلاك؟»**

فقال: يا رسول الله، وأنا يومئذٍ على ما أنا عليه؟

قال: **«نعم»**، قال: أكفيكهما بإذن الله يا رسول الله[3].

ورُوي نحو ذلك من حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر... الحديث.

• **وعن عثمان بن عفان** ﷺ قال: مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بجنازةٍ عندَ قبرٍ، وصاحبُه يُدْفَنُ فقال: **«اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكم، واسألوا له التثبيتَ، فإنَّه الآنَ يُسْأَلُ»**[4].

• **عن عمر بن الخطاب** ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٥٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «أشعارهما».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٥٨).
(٤) المصدر نفسه (٦/ ٦١).

بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]، قال: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأمّا بنو المغيرة، فكفيتموهم يوم بدر، وأمّا بنو أمية، فَمُتِّعوا إلى حينٍ[١].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما أنّه قال لعمر رضي الله عنه: يا أميرَ المؤمنين! هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾؟ قال: هم الأفجران من قريش: أخوالي وأعمامُكَ فأما أخوالي فاستأصلهم الله يومَ بدرٍ، وأمَّا أعمامُك، فأملى الله لهم إلى حينٍ[٢].

• **عن عمرَ بنِ الخطّاب** رضي الله عنه، أنه قال: اللَّهُمَّ اغفرْ لي ظُلْمِي وكفري.

قال قائل: يا أمير المؤمنين! هذا الظلم، فما بال الكفرُ؟

قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم][٣].

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٦٤).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ٦٤).
(٣) المصدر نفسه (٦/ ٦٧).

آيات سورة الحجر

• قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر].

يقول الفقير: وعد الله بأنّه يحفظ القرآن من التغيير والتبديل والنسيان، ومعنى الحفظ الإلٰهي أن يُنْشِئَ سبباً في الخارج يُناط به حفظ القرآن الكريم، وأوّلُ سببٍ لحفظه في الخارج هو سعيُ المشايخ الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، إذ إنّ لهم مساعيَ جميلةً في هذا الباب، وقضوا طول أيام خلافتهم في العناية به، حتى جُمِعَ بين الدفّتين، واتفق العالم عليه، ويشهد على ذلك نقل متواتر، فعُلِمَ من هنالك أنَّ وعد حفظ القرآن قد تمّ بأيديهم، وهذه مأثرةٌ من مآثر الخلافة الراشدة.

• **عن الحسن البصري** قال: قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: فينا ـ والله ـ أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر][1].

• **وعن كثير النواء** قال: قلتُ لأبي جعفر: إنَّ فلاناً حدّثني عن علي بن الحسين، أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال: واللهِ إنّها لفيهم أُنزلت، وفيمن تنزل إلا فيهم؟

قلت: وأي غلّ هو؟

قال: غلّ الجاهلية، إنَّ بني تيم وبني عدي وبني هاشم، كان بينهم

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٠١).

في الجاهلية، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابّوا، وأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يُسخِّن يده فيكوي[١] بها خاصرةَ أبي بكر، فنزلت هذه الآية[٢].

• ورُوي من طرق كثيرة، عن علي أنه قال لابن طلحة: إني أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾، فقال رجل من همدان: إنَّ الله أعدلُ من ذلك، فصاحَ عليٌّ عليه صيحةً تداعى لها القصر، وقال: فمن إذن إن لم نكن نحنُ أولئك[٣].

وعن **علي** قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان والزبير وطلحة ممن قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[٤].

• **وعن عمر بن الخطاب** في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]، قال: السبع الطوال.

ورُوي ذلك أيضاً عن ابن عُمر وابن عباس ومجاهد وسفيان وغيرهم، وتوجيهه في قول الضحّاك قال: «الْمَثَانِي» القرآن، يَذْكُرُ الله القِصّةَ الواحدةَ مراراً[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) في الأصل الفارسي: «فيكمد».
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٠١).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٠١).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٠٢).
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١١٠).

آيات سورة النحل

• قال الله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يُبيِّن الله تعالى تبايُنَ مراتبِ الكفر والإيمانِ في القال والحال والمآل، ويصفُ أحد الفريقينِ بأنّهم يقولون: إنَّ القرآن هو «أساطير الأولين»، ويشبِّههم بأقوام الأنبياء الأولين، الذين ابتلوا بأنواع من العقوبات بسبب الكفر، ويُثبت لهم الخزي في الآخرة، ويذكر بالخطابات العنيفة التي يسمعونها من الملائكة عند قبض أرواحهم.

ويمدح الآخر بأنهم يقولون في حقّ القرآن: «أنزل الله خيراً» ويُثبت لهم حسنة الدنيا، التي هي عبارة عن النصر والغلبة على سائر أمم العالم، والخلافة والتسلّط على الجميع، ويثبت لهم حسنةَ الآخرةِ، التي هي عبارة عن الثواب العظيم، وجنات عدن، ويذكر خطابات اللطف والمحبّة التي يسمعها هؤلاءِ تَصْدُرُ من الملائكة عند قبض أرواحهم.

ثم يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: هذه سورةٌ مكيةٌ، نزلت عند الصراع القائم بين المهاجرين الأولين وكفار قريش من المجادلة والمخاصمة والمقاولة، ففي حكاية هذه الأقوال والأحوال تعريضٌ ظاهِرٌ بتلك الجماعة، التي كانت في طليعة المجادلين للكفار والمشركين وقتئذٍ، وهم المهاجرون الأولون، وهو المقصود.

• **قال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: مفادُ ما قال الله تعالى: الذين هاجروا في سبيل الله ابتغاءً لوجهه مِنْ بعدِ ما ظُلِمُوا لنحيينّهم في الدنيا بحالة حسنة، وهي عبارة عن الغلبة على سائر الأمم، والحصول على غنائم كثيرة، وكونهم في رغد من العيش، وسعة من الحياة، ولأجرُ الآخرةِ أعظمُ وأكبرُ، ولو كان الكفّار يعلمون لفعلوا مثل فعلهم برحابة الصدر وطلاقة الوجه.

ثم يقول الفقير: هذه الآية نصٌّ على وعد الله للمهاجرين بحسنة الدنيا وأجر الآخرة، وبعد ذلك رأينا بأُمِّ أعيننا أنَّ جماعة المهاجرين قد حصّلوا الحسنة في الدنيا، وآمنا أنَّ لهذه الجماعة أجراً عظيماً في الآخرة، وقد ذكر النبيُّ ﷺ في حديثٍ مستفيضٍ تعيين أسماء هذه الجماعة، وهو الصادِقُ المصدوقُ فيما قال، وهو المبيّن لكلام الملك المتعال.

• **عن عمر بن الخطاب** رفعه إلى النبيِّ ﷺ قال: «**يقولُ اللهُ: مَنْ تواضَعَ لي هكذا** ـ وأشار بباطِنِ كفِّه إلى الأرضِ وأدناه من الأرضِ ـ **رَفَعْتُهُ هكذا** ـ وأشار بباطن كفه إلى السماء ـ **ورفعَها نحو السماءِ**».

• **عن عمر** أنه قال على المنبر: يا أيها الناس! تواضعوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تواضع لله رفعه الله، وقال: انْتَعِشْ رَفَعَكَ اللهُ، فهو في نفسِهِ صغيرٌ، وفي أعيُنِ الناسِ عظيمٌ، ومن تكبّرَ،**

وضعه اللهُ، وقال: اخْسَأْ خَفَضَكَ اللهُ، فَهُوَ في أَعْيُنِ الناسِ صغيرٌ، وفي نفسِهِ كبيرٌ، حتّى لهوَ أهونُ عليهم من كَلْبٍ أو خِنْزِيرٍ»[١].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنّه كان إذا أعطى الرجلَ مِنَ المهاجرينَ عطاءً يقول: خُذْ باركَ اللهُ لَك، هذا ما وعدكَ اللهُ في الدُّنيا، وما ادّخرَ لكَ في الآخرةِ أفضل ثم قرأ هذه الآية: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل][٢].

• **عن عمر** أنّه سألهم عن هذه الآية: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[٣] [النحل: ٤٧]، فقالوا: ما نرى إلَّا أنّه عند تنقُّص ما يرده من الآيات، فقال عمر: ما أرى إلّا أنّه على ما ينقصون من معاصي الله، فخرج رجل ممن كان عند عمر فلقي أعرابياً، فقال يا فلان: ما فعل ربُّكَ؟

قال: قد تخيفته؛ يعني: انتقصته، فرجع إلى عمر فأخبره، فقال: قد رأيته ذلك[٤].

يقول الفقير: هذا التفسير ملازم لأمر، وهو أنَّ معنى التخوُّف أن المجرمَ المعاقبَ يرى بعض قرائنِ العقابِ قبل وقوعه، ويستولي على قلبه خوفٌ من أجل ذلك، فإذا عصى عبدٌ عاصٍ بعد ورود الوعيد من الله تعالى يستولي على قلبه خوفٌ مِنْ قَبْلِ وقوع العقاب عليه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٢٧).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٤٠).
(٣) أي: النقصان في الأموال والأبدان والثمرات.
(٤) انظر: «فتح القدير» (٤/ ٢٢٧).

• **عن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ** رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ بَعْدَ الزَّوَالِ، تُحْسَبُ بِمِثْلِهِنَّ فِي صَلَاةِ السَّحَرِ**». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيُسَبِّحُ اللهَ تِلْكَ السَّاعَةَ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ۝٤٨﴾ [النحل]، الْآيَةَ كُلَّهَا[١].

• **عن ابن عباس** قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ [النحل: ٧٦]، في رجلين [أحدُهما] عثمان بن عفان، ومولىً له كافر، وهو أسيد بن أبي العيص، كان يكره الإسلامَ، وكان عثمانُ ينفِقُ عليه ويكفُلُه، ويكفيه المؤنةَ، وكان الآخر ينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما[٢].

• **عن سليم بن عمر** قال: صحبتُ حفصةَ زوج النبي ﷺ وهي خارجة من مكة إلى المدينة، فأُخبِرَتْ أنَّ عثمانَ قد قُتلَ فرجّعت، وقالت: ارجعوا بي، فوالذي نفسي بيده إنَّها للقرية التي قال الله: ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢]، إلى آخر الآية[٣].

• **عن أبي نضرة**[٤] قال: قرأتُ هذه الآية في سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦] إلى آخر الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣١٢٨).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٥٥).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٧٧).
(٤) في الأصل الفارسي: «عن أبي بصيرة».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٧٩).

• **عن ابْنِ مَسْعُودٍ**، قَالَ: عَسَى رَجُلٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ بِكَذَا، وَنَهَى عَنْ كَذَا، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُ: كَذَبْتَ، أَوْ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ كَذَا، وَأَحَلَّ كَذَا، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٢٧).

آيات سورة بني إسرائيل

• **قال الله تعالى**: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الإسراء].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنَّ المؤمنين الأولين كانوا يطعنون في الكفار ويلعنونهم، فازدادت الفتنة من أجل ذلك، واستحكمت العداوة بينهم، وتوقف انتشار الإسلام بشكل كبير، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ إلخ؛ يعني: يقولوا من القول ما هو أحسن وأقرب إلى الحلم ومصلحة الدعوة الإسلامية، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ يعني: يقوم بتهييج الغيظ والغضب بينهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾.

ثم يقول الفقير: إنّ سورة بني إسرائيل إنّما هي من أوائل السور المكية، فلا يكون المراد بكلمة (عِبَادِي) إلا جماعة المهاجرين السابقين، ممن ناقشوا الكفار، وجادلوا عصاة قريش، إضافة تشريف تحل مقاماً عظيماً. وفي كلمة (عِبَادِي) من اللطف والرحمة والاختصاص، فهؤلاء السعداء متصفون بهذا الاختصاص واللطف، وهو المقصود.

أخرج **أبو يعلى وابن عساكر**، عن **أم هانئ** رضي الله عنها قال: دخل عليّ النبي ﷺ بغلس وأنا على فراشي، فقال: «**شعرتُ أنّي نمتُ الليلةَ في المسجدِ الحرامِ، فأتاني جبريلُ، فذهبَ بي إلى بابِ المسجدِ، فإذا دابةٌ أبيضُ فوقَ الحمارِ، ودونَ البغلِ، مضطربُ الأُذنين، فركبته، فكان يضعُ**

حافِرَهُ مَدَّ بصرِهِ، إذا أخذَ بي في هبوطٍ طالت يداه، وقَصُرَتْ رجلاه، وإذا أخذ بي في صعودٍ طالتْ رجلاه وقَصُرَتْ يداه، وجبريلُ لا يفوتني حتى انتهينا إلى بيتِ المقدسِ، فأوثقتُهُ بالحلقةِ التي كانتِ الأنبياءُ توثِقُ بها، فَنُشِرَ لي رهطٌ من الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ منهم: إبراهيم، وموسى، وعيسى، فصلَّيت بهم، وكلَّمتهم، وأُتيتُ بإناءين أحمر وأبيض، فشربتُ الأبيضَ، فقال لي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: شربتَ اللبنَ، وتركت الخمرَ، لو شربتَ الخمرَ لارتدّت أمتُك، ثم ركبته فأتيتُ المسجدَ الحرام، فصلّيت به الغداة».

فتعلّقتُ بردائه، وقلتُ: أنشدُكَ اللهَ يا ابنَ عمٍّ، إنْ تحدّث بها قريشاً، فيكذِّبُكَ مَنْ صدّقك، فضربتُ بيدي على ردائه، فانتزعته من يدي، فارتفع عن بطنه، فنظرت إلى عكنه فوق إزاره كأنها طَيُّ القراطيس، وإذا نورٌ ساطِعٌ عند فؤاده، كاد يختطِفُ بصري، فخررتُ ساجدةً، فلمّا رفعتُ رأسي إذا هو قد خرج، فقلتُ لجاريتي: ويحَكِ اتبعيه، وانظري ماذا يقول وماذا يقال له، فلما رجعتْ أخبرتني أنّه انتهى إلى نفرٍ من قُريشٍ، فيهم المُطعِم بن عدي، وعمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة، فقال: «**إنِّي صلّيتُ الليلةَ العِشاءَ في هذا المسجدِ، وصلّيت به الغداةَ، وأتيتُ فيما بين ذلك ببيت المقدسِ، فَنُشِرَ لي رهطٌ من الأنبياءِ فيهم إبراهيمُ وموسى وعيسى، فصلّيت بهم وكلّمتُهم**»، فقال عمرو بن هشام ـ كالمستهزئ ـ: صفهم لي، فقال ﷺ: «**أمّا عيسى ففوق الرَّبْعَةِ، ودون الطويلِ، عريضُ الصدرِ، جَعْدُ الشعرِ، يعلوه صهبةٌ كأنّه عروة بن مسعود الثقفي، وأمّا موسى فضخمٌ آدمُ طوالٌ، كأنه من رجال شنوءة، كثيرُ الشعر، غائرُ العينين، متراكِبُ الأسنانِ، مقلص الشفة، خارج اللثة عابس، وأمّا إبراهيمُ فواللهِ لأنا أشبهُ الناسِ به خَلْقاً**»[١].

(١) في الأصل الفارسي: «فوالله لأشبه الناس بي خلقاً وخلقاً».

فضجّوا، وأعظموا ذاك، فقال المطعم: كل أمرِكَ قبل اليوم كان أمماً غير قولك اليوم، أنا أشهدُ أنّك كاذِبٌ، نحنُ نضرِبُ أكبادَ الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً، ومنحدراً شهراً، تزعم أنك أتيتَه في ليلةٍ، واللات والعزى لا أصدّقك.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا مطعم! بئس ما قلتَ لابن أخيك جَبَهْتَهُ وكذّبته، أنا أشهدُ أنّه صادق.

فقالوا: يا محمد، صِفْ لنا بيت المقدس، قال: «**دخلتُه ليلاً، وخرجتُ منه ليلاً**»، فأتاه جبريل عليه السلام فصوّره في جناحه، فجعل يقول: «**بابٌ منه كذا في موضع كذا، وبابٌ منه كذا في موضعِ كذا**»، وأبو بكر رضي الله عنه يقول: صدقتَ صدقتَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ: «**يا أبا بكر! إنَّ الله قد سمَّاك الصِّدِّيقَ**».

قالوا: يا محمد! أخبرنا عن عيرنا.

قال: «**أتيتُ على عِير بني فلانٍ بالرَّوْحَاءِ قد أضلّوا ناقةً لهم، فانطلقوا في طلبِها، فانتهيتُ إلى رحالِهم، ليس بها مِنْهُم أحدٌ، وإذا قدحُ ماءٍ فشربتُ منه، ثم انتهيتُ إلى عِيرِ بني فلان، فنفرت منِّي الإبلُ، وبرك منها جملٌ أحمرُ عليه جوالِقٌ مخطط ببياضٍ، لا أدري أكسر البعير أم لا، ثم انتهيتُ إلى عير بني فلانٍ في التنعيم، يقدمها جملٌ أورقُ، وها هي ذه تطلع عليكم من الثنيّة**».

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر، فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠][1].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٠٤).

وفي رواية أخرى: وقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: «**يا جبريلُ! إنّ قومي لا يصدِّقوني، قال: يصدِّقك أبو بكر وهو الصدّيق**»(١).

• **وعن عمر** رضي الله عنه قال: لما أُسريَ برسولِ اللهِ ﷺ رأى «مالكاً» خازنَ النار، فإذا رجلٌ عابِسٌ يُعْرَفُ الغضب في وجهه(٢).

• **وعن عبيد بن آدم** أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية، فذكر فتح بيت المقدس، فقال لكعب [رضي الله عنه]: أين ترى أن أصلِّي؟ قال: خلفَ الصخرةِ، قال: لا، ولكنْ أصلِّي حيث صلّى رسول الله ﷺ، فتقدَّم إلى القبلةِ فصلّى(٣).

• **وعن علي** قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ليلةَ أُسريَ بي، رأيتُ على العرشِ مكتوباً لا إلـهَ إلّا اللهُ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ، أبو بكر الصدّيق، عمر الفاروقُ، عثمانُ ذو النورينِ**»(٤).

• **وعن أبي الدرداء**، عن النبي ﷺ قال: «**رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي في العرش فريدةً(٥) خضراءَ، فيها مكتوبٌ بنورٍ أبيضَ: لا إلـهَ إلّا اللهُ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ، أبو بكر الصدِّيق، عمر الفاروق**»(٦).

• **وعن أنس بن مالك** قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لمّا عُرِجَ بي رأيتُ على ساقِ العَرْشِ مكتوباً: لا إلـهَ إلّا اللهُ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ، أيَّدتْهُ بعليٍّ**»(٧).

• **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: لمّا رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ أُسريَ

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٠٦).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ٢٠٩). (٣) المصدر نفسه (٦/ ٢٠٩).
(٤) المصدر نفسه (٦/ ٢١٤). (٥) في الأصل الفارسي: «فرندة».
(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢١٤).
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٤٤).

به، فكان بذي طُوَىٰ قال: «**يا جبريلُ، إنَّ قومي لا يصدّقوني، قال: يصدّقك أبو بكر وهو الصدِّيق**»[١].

وأخرج **الحاكم** عن **عائشة** ﵂ قالت: لما أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجدِ الأقصى، أصبحَ يحدِّثُ الناسَ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممّن كانوا آمنوا به وصدَّقوه، وسَعَوْا بذلك إلى أبي بكر ﵁، فقالوا: هَلْ لكَ في صاحبِكَ يزعمُ أنّه أُسري به الليلة إلى بيتِ المقدسِ.

قال: أو قال ذلك؟

قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك، لقد صدق.

قالوا: فتصدِّقه أنّه ذهبَ الليلةَ إلى بيتِ المَقْدِسِ، وجاءَ قبل أن يُصْبِحَ؟

قال: نعم، إنِّي لأصدِّقه بما هو أبعدُ مِنْ ذلك، أصدِّقه بخبرِ السماءِ في غَدْوَةٍ أو رَوْحَةٍ، فلذلك سُمِّي أبا بكر الصدِّيق[٢].

• **وعن زيد بن أسلم** قال: كان للعبّاس بنِ عبدِ المطّلب دارٌ إلى جنب مسجد المدينة، فقال له عمر ﵁ بعنيها، وأرادَ عمرُ أن يدخلها[٣] في المسجدِ، فأبى العبّاسُ أن يبيعَها إيّاه، فقال عمر ﵁: فهبها لي، فأبى، فقال عمر: فوسعها أنتَ في المسجدِ، فأبى، فقال عمر: لا بدَّ لك من إحداهنَّ، فأبى عليه، قال: فخذ بيني وبينك رجلاً، فأخذا أُبيَّ بنَ كعبٍ، فاختصما إليه، فقال أُبيّ لعمر: ما أرى أن تخرجه من داره حتّى تُرضيه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢١٦).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨١) برقم: (٤٤٥٨)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢١٦) واللفظ له.

(٣) في الأصل الفارسي: «أن يزيدها».

فقال له عمر: أرأيت قضاءك هذا في كتاب الله [وجدتَه]، أم سُنَّةً من رسول الله ﷺ؟

قال أُبيّ: بل سُنَّة من رسول الله ﷺ.

فقال عمر: وما ذاك؟ قال: إني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ سليمانَ بنَ داودَ لمّا بنى بيتَ المقدسِ جعلَ كلّما بنىٰ حائطاً أصبحَ منهدماً، فأوحى اللهُ إليه أنْ لا تبنِ في حقِّ رجلٍ حتّى ترضيَهُ**».

فتركه عمر رضي الله عنه فوسّعها العباسُ رضي الله عنه بعد ذلك في المسجد[1].

ورُوي نحو من ذلك عن سعيد بن المسيب وابن عباس وسالم أبي النضر.

• **وعن كعب** قال: أوحى الله إلى داودَ عليه السلام: ابنِ لي بيتَ المقدسِ، فعارضه ببناء له[2]، فأوحى الله إليه، يا داودُ! أمرتُكَ أن تبنيَ بيتاً لي، فعارضته ببناءٍ لك[3] ليس لك أن تبنيَه.

قال: يا ربِّ! ففي عقبي؟

قال: في عقبِكَ.

فلمّا وليَ سليمانُ عليه السلام أوحى الله إليه، أنِ ابْنِ بيت المقدسِ، فبناه، فلمّا كَمَلَ خرَّ ساجداً شاكراً لله تعالى، قال: يا ربِّ! مَنْ دخلهُ مِنْ خائفٍ فأمِّنْهُ، أو مِنْ داعٍ فاسْتَجِبْ له، أو مستغفرٍ فاغْفِرْ له، فأوحى الله إليه، أنِّي قد خَصَصْتُ لآل داود الدعاء، قال: فذبح أربعةَ آلافِ بقرة، وسبعةَ آلافِ شاة، وصنعَ طعاماً ودعا بني إسرائيل إليه»[4].

وفي رواية **رافع بن عُمير**: ثُمَّ أَخَذَ فِي بناءِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا تَمَّ

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٢٦).

(٢) في الأصل الفارسي: «بيتاً له». (٣) في الأصل الفارسي: «بيتاً لك».

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٢٨).

السُّورُ سَقَطَ ثُلُثَاهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ عَجَلَّ، فَأَوْحَى اللهُ عَجَلَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لا يَصْلُحُ أَنْ تَبْنِيَ لي بَيْتاً.

قَالَ: أَيْ رَبِّ! وَلِمَ؟ قَالَ: لِمَا جَرَتْ عَلَى يَدَيْكَ مِنَ الدِّمَاءِ.

قَالَ: أَيْ رَبِّ! أَوَ لَمْ يَكُنْ فِي هَوَاكَ وَمَحَبَّتِكَ؟

قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ عِبَادِي، وَأَنَا أَرْحَمُهُمْ.

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: لا تَحْزَنْ فَإِنِّي سَأَقْضِي بناءَهُ عَلَى يَدَيِّ ابْنِكَ سُلَيْمَانَ.

فَلَمَّا مَاتَ دَاوُدُ أَخَذَ سُلَيْمَانُ فِي بنائِهِ، فَلَمَّا تَمَّ قَرَّبَ الْقَرَابِينَ، وَذَبَحَ الذَّبَائِحَ، وَجَمَعَ بني إِسْرَائِيلَ، فَأَوْحَى اللهُ عَجَلَّ إِلَيْهِ: قَدْ أَرَى سُرُوراً بِبُنْيانِ بَيْتِي فَسَلْنِي أُعْطِكَ، قَالَ: أَسْأَلُكَ ثَلاثَ خِصَالٍ: حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَكَ، وَمُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وَمَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ لا يُرِيدُ إِلا الصَّلاةَ فِيهِ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا اثْنَتَيْنِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ**»(١).

أخرج **الترمذي** عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنّه لبس جديداً فقال: الحمدُ للهِ الذي كساني ما أُوَارِي به عَوْرَتي، وأتجمَّلُ به في حياتي، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ لَبِسَ ثوباً جديداً فقال: الحَمْدُ للهِ الذي كَسَاني ما أُوَارِي به عَوْرَتِي، وَأَتَجَمَّلُ به في حَيَاتِي، ثم عَمَدَ إلى الثَّوْبِ الذي خَلَقَ فتصدَّقَ به، كان في كَنَفِ اللهِ، وفي حِفْظِ اللهِ، وفي سَتْرِ الله حيّاً وميتاً**» قالها ثلاثاً(٢).

---

(١) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٤/ ٣٩٨).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٥٦٠) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٣١) واللفظ له.

• **عن عطاء بن السائب** قال: أخبرني غيرُ واحد أنّ قاضياً من قضاة أهل الشام أتى عمر، فقال: يا أميرَ المؤمنين! رأيتُ رؤيا أفظعتني.

قال: وما رأيت؟

قال: رأيتُ الشمسَ والقمرَ يقتتلانِ، والنجومُ معهما نصفين.

قال: فمع أيهما كنتَ؟

قال: كنتُ مع القمرِ على الشمسِ.

فقال عمر: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، فانطلقْ فواللهِ لا تعملُ لي عملاً أبداً، قال عطاءُ: فبلغني أنّه قُتِل مع معاوية يومَ صفِّين[(١)].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: إنّه لمّا كان من أمر هذا الرجل ما كان؛ يعني: عثمان، قلتُ لعليٍّ رضي الله عنه: اعتزل، فلو كنتَ في جُحْرٍ طُلِبْتَ حتّى تُسْتَخْرَجَ، فعصاني، وايمُ اللهِ ليتأمَّرنَّ عليكم معاويةُ، وذكر أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء][(٢)].

• **وعن عمر** رضي الله عنه قال: لا تلطموا وجوهَ الدوابِّ، فإنّ كُلَّ شيءٍ يسبِّحُ بحمدِهِ[(٣)].

• **وعن ميمون** قال: أُتي أبو بكر بغرابٍ وافرِ الجناحين [فجعلَ يَنْشُرُ جناحه] فقال[(٤)]: ما صِيدَ من صَيْدٍ ولا عُضِدَ من شجرٍ، إلا بما

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٢٠٦) برقم: (٣٠٧٠٥).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٧١).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٧٨).

(٤) في الأصل الفارسي: «ويقول».

ضيّعتَ من التَّسْبِيحِ[١].

ورُوي نحوه عن الزهري ﵁ قال: أُتي أبو بكر الصدِّيق ﵁ بغراب... الحديث[٢].

• **عن ابن عباس** ﵄ قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ جاءت امرأة أبي لهب. فقال أبو بكر ﵁: يا رسولَ اللهِ! لو تنحّيْتَ عنها، فإنَّها امرأةٌ بذيةٌ، فقال: «**إنَّه سيحالُ بيني وبينَها، فلا تراني**»، فقالتْ: يا أبا بكرٍ! هجانا صاحبُك؟

قال: واللهِ ما يَنْطِقُ بالشّعْرِ، ولا يقولُه.

فقالت: إنّك لمصدَّقٌ، فاندفعتْ راجعةً.

فقال أبو بكر ﵁: يا رسولَ اللهِ، ما رأتْكَ؟

قال: «**كان بيني وبينها مَلَكٌ يسترُني بِجَنَاحِهِ حتّى ذهبت**»[٣].

ورُوي نحو ذلك عن أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق عن أبي بكر الصدِّيق.

وعن **ابن عمر** ﵄: أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**رأيتُ وَلَدَ الحَكَم بن أبي العاص على المنابرِ كأنّهم القِرَدَةَ**»، وأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الإسراء: ٦٠]؛ يعني: الحكم وولده[٤].

ورُوي قريبٌ من ذلك عن سهل بن سعد، ويعلى بن مرّة، والحسين بن علي، وسعيد بن المسيب، وعائشة.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٣) برقم: (٣٤٤٤١).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٧٩).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٨٣).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٩٥).

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ في قوله: «﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، قال: **لزوال الشمس**»[١].

• **عن قتادة**: قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، فأخرجه الله من مكّةَ إلى المدينةِ مُخْرَجَ صدقٍ، وأدخله المدينةَ مُدْخَلَ صدقٍ، قال: ونبيُّ الله ﷺ قد علم[٢] أنّه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله وحدوده، ولفرائض الله[٣]، ولإقامة كتاب الله، وأنَّ السلطانَ[٤] عزةٌ من الله، جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضُهم على بعضٍ، وأكل شديدُهم ضعيفَهم[٥].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: واللهِ لَمَا يزعُ[٦] اللهُ بالسلطانِ أعظمُ ممّا يزعُ[٧] بالقرآنِ[٨].

• **عن محمد بن سيرين** قال: نُبِّئت أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان إذا قرأ خَفَضَ، وكان عمر رضي الله عنه إذا قرأ جَهَرَ، فقيل لأبي بكر رضي الله عنه: لم تصنع هذا؟ قال: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وقيل لعمر رضي الله عنه: لم تصنع هذا؟ قال: أطردُ الشيطانَ، وأوقِظُ الوسنانَ، فلما نزلت: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قيل لأبي بكر رضي الله عنه: ارفع شيئاً، وقيل لعمر رضي الله عنه: اخفض شيئاً[٩].

وروي مثله عن الربيع بن أنس رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣٠٤).
(٢) في الأصل الفارسي: «وعلم نبي الله ﷺ».
(٣) في الأصل الفارسي: «ولفرائضه».
(٤) في الأصل الفارسي: «فإن السلطان».
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤) برقم: (٤٢٦٠).
(٦) في الأصل الفارسي: «لما نزع».
(٧) في الأصل الفارسي: «مما ينزع».
(٨) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣١١).
(٩) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣٣٢).

آيات سورة الكهف

• قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ اللهَ يُعلِّم نبيَّه آدابَ الزهد من أنَّه ﷺ كان متّصفاً بِخُلقٍ عظيم ليكونَ ذلك دستوراً لأمته.

فأولاً: إنَّ الله أمره بتلاوة القرآن.

وثانياً: أمره بحبس نفسه مع الذين يدعون ربهم ابتغاءً لوجهه، وأن لا تعد عيناك عنهم، تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، واتّبع هواه وكان أمره فرطاً.

وحاصِلُ الكلام عليك أيها النبي ﷺ أن تصحبَ جماعة الفقراء من المؤمنين، الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ، ولا تجالس الأثرياء المترفين من الكفار والمشركين إلا بقدر ما تقتضي حكمة الدعوة ومصلحة التبليغ، ولا تنظر إلى ثروتهم الدنيوية، وأموالهم الطائلة نظر الاستحسان.

وثالثاً: يبيّن ﷻ عذاب المتنعّمين من الكفار وثواب الفقراء من المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ إلخ [الكهف].

ورابعاً: يضرب الله تعالى مثلاً لكافرٍ ثري ومؤمنٍ فقيرٍ بقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ إلخ [الكهف: ٣٢ ـ ٤٤].

وخامساً: يشبّه زخارف الحياة بنبات الأرض الذي يصبح هشيماً تذروه الرياح، وكذلك المال والبنون على وشك الزوال، ويُثْبِتُ للباقيات الصالحات ـ التي هي عبارة عن ذكر الله تعالى ـ البقاء والخلود.

ثم يقول الفقير: هذه سورة مكية، فالجماعة الذين يأمر الله نبيَّه ﷺ بمصاحبتهم وبمجالستهم ويمدحهم بدوام ذكرهم لله صباح مساء، ويعدهم النعيم المقيم، ليسوا إلا المهاجرين الأولين، الذين كانوا متّصفين بكثرة الذكر والعبادة، وكانوا فقراء من بداية أمرهم، أو أصبحوا فقراء من أجل صرف أموالهم في سبيل الله، فذلك من أعظم أنواع التشريف لهذه الجماعة، وهو المقصود.

• **عن زيد بن وهب** أنَّ عمر قرأ في الفجر بالكهف[(١)].

وعن صفية بنت أبي عبيد نحو ذلك.

• **وعن عثمان بن عفان** أنه سئل عن ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ [الكهف: ٤٦] قال: هي: «لا إلـه إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[(٢)].

• **وعن عمر** أنه سمع رجلاً ينادي بمنىً: يا ذا القرنين، فقال له عمر رضي الله عنه: ها أنتم قد سميتم بأسماء الأنبياء، فما بالكم وأسماء الملائكة[(٣)].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٠) برقم: (٣٥٤٧).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣٦٩).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٤٠١).

• **وروي عن خالد بن معدان** مرسلاً عن النبيِّ ﷺ أنه سئل عن ذي القرنين فقال: «**مَلَكٌ مسحَ الأرضَ من تَحْتِها بالأسباب**»[١].

• **عن عمر بن الخطاب**، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ في ليلةٍ** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]، **كَانَ لَهُ نورٌ مِنْ عَدَنَ أَبْيَنَ**[٢] **إلى مكّةَ حَشْوُهُ الملائكةُ**»[٣].

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٤٠٠).

(٢) عدن: محركة ومضافة إلى أبين على وزن أبيض، مدينةٌ باليمن، و«أبين» اسم رجل من حِمْيَرَ، عَدَنَ بها؛ أي: أقام.

(٣) انظر: «البحر الزخار ـ مسند البزَّار» (١/ ٣٨٢).

آيات سورة مريم

• قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم].

يقول الفقير: إن الله تعالى يذكر مآثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ إلخ، الموصوفون بإنعام الله عليهم من الأنبياء، وكانوا إذا سمعوا بآيات الله التي خصَّهم بها في الكتب المنزّلة عليهم سجدوا وبكوا خضوعاً وخشوعاً، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [مريم: ٥٩]؛ أي: وُجد من بعد النبيين ﴿خَلۡفٌ﴾ سوء ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها، وعدم أداء حقوقها ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم]؛ أي: لا ينقصون شيئاً من ثوابهم ﵃ وما هي تلك الجنة؟ هي ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾؛ أي: جنات إقامة، ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾؛ أي: حال كونهم غير مشاهدين لها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ من الكلام لكن يسمعون ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم]؛ أي: يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل كالميراث.

وحاصل الكلام أنَّ جماعة ظهرت بعد انقراض عصر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسلكوا سيرةً غير سيرتهم، وفيه إشارة إلى اليهود والنصارى الذين حرّفوا دينهم وبدّلوه، وضيّعوا معاني التديّن من أيديهم، واقتنعوا بمجرد اسم «اليهودية» و«النصرانية»، وطمعوا اللحاق بالأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات، فهم يلقون جزاء ضلالتهم يوم القيامة.

ويمدح بعد ذلك المؤمنين من الأمة الإسلامية، ويعدهم جنات عدن، وفيه إشارة إلى أن ادّعاء اليهود والنصارى باتباعهم للأنبياء السابقين باطل، بل التابعون للأنبياء السابقين والمؤمنون بهم هم جماعة المؤمنين من الأمة الإسلامية.

ثم يقول الفقير: إن ظاهر الحال يدلّ على أن يكونَ مدارُ الكلام على الجماعة التي كانت تتّصفُ بهذه الصفات عند نزول سورة مريم، ليس على محض الفرض، ولا شكّ في أنَّ غير جماعة المؤمنين من المهاجرين الأولين لم تكن موجودة عند نزول السورة، فهؤلاء هم المشرَّفون بهذا التشريف الإلٰهي، والمتوقعون لهذه المواعيد الجميلة وهو المقصود.

• **قال الله تعالى**: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يُبيِّن الله شبهةً من شبهات الكفّار، ثم يردّ عليها، والحقيقةُ أنّ هذه من شبهات جميع أهل الجهل في كل عصر، وفي كل طبقة؛ يعني: إذا تتلى على الكافرين آيات الله البيّنات قالوا للمؤمنين: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾.

وحاصل الكلام: أنّهم يعدّون براعة الحسب وزيادة الجاه وكثرة الأعوان والأنصار مدارَ فضلٍ وخيرٍ، ويرون أنفسهم الأفضل والأحسن، وأحقّ بالبشارات العظيمة، والفوز بالدرجات الأخروية.

ويردّ الله ﷻ على هذه الشبهة:

أولاً: بذكر قصص القرون الأولى ممن كانوا أحسن أثاثاً وأجمل مظهراً، فأهلكهم الله جزاء أعمالهم وكفرهم.

وثانياً: يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ إلخ؛ يعني: من سُنَّة الله تعالى أنه يمهل أهل الضلالة في ضلالتهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، فيزدادون جهلاً وغيّاً وتمرّداً حتى إذا ظهر لهم ما أنذروا به من عذاب الدنيا أو نكال الآخرة تبيّنوا وعرفوا مَنْ هو شرٌّ مكاناً وأضعفُ جنداً، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

وحاصل الكلام: أن مدار التفاضل بين بني آدم ليس باعتبار الحسب وزيادة الجاه وكثرة الأعوان والأنصار، بل هو باعتبار أعمال الخير.

ثم يقول الفقير: إن إسقاط التفاضل بالحسب والنسب واعتباره من ناحية السوابق الإسلامية أصل عظيم في تفاضل الصحابة فيما بينهم، فتدبّر.

● **عن الشعبي** قال: كتب قيصر إلى عمر: إن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم[1] شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تشقق عن مثل اللؤلؤ، ثم تخضر، فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمرّ فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع وتنضج، فتكون كأطيب فالوذج أُكل، ثم تشقق، فتنتر عصمة للمقيم، وزاداً للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة.

فكتب إليه عمر: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم إن رسلك صدقتك، هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله

(١) في الأصل الفارسي: «فيكم».

تعالى على مريم حين نفست بعيسى[١].

• **وعن عمر بن الخطاب** أنه قرأ سورة مريم فسجد، ثم قال: هذا السجود، فأين البكاء[٢].

• **وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة**، قال: اغتسلت أنا وآخر، فرآنا عمر بن الخطاب، وأحدنا ينظر إلى صاحبه، قال: إني لأخشى أن يكونا[٣] من الخلف الذي قال الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم][٤].

• **عن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قالَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ـ بعد ما سلّم ـ هؤلاء الكلماتِ كتبه مَلَكٌ في رقٍّ، فختمَ بخاتمٍ، ثم دفعَها إليَّ يومَ القيامةِ، فإذا بَعَثَ اللهُ العبدَ مِنْ قبرِهِ، جاءَه المَلَكُ، ومعه الكتابُ ينادي: أينَ أهلُ العهودِ؟ حتّى تُدْفَع إليهم، والكلمات أن تقولَ[٥]: اللَّهُمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ الرحمٰن الرحيم ـ إنِّي أعهدُ إليكَ في هذه الحياةِ الدنيا بأنّك أنتَ اللهُ الذي لا إلـه إلّا أنتَ وحدَكَ لا شريكَ لكَ، وأنَّ محمّداً عبدُكَ ورسولُكَ، فلا تَكِلْني إلى نفسي، فإنّكَ إنْ تَكِلْني إلى نفسِي تقرّبني مِن الشرِّ، وتباعِدُني مِنَ الخيرِ، وإنِّي لا أثقُ إلّا برحمتِك، فاجعلْ رحمتَكَ لي عَهْداً عندَكَ تؤدّيه إليَّ يوم القيامةِ، إنّك لا تُخْلِفُ الميعادِ»**[٦].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٥٢).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٤٧٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «أن تكونا».
(٤) انظر: «شعب الإيمان»، للبيهقي (١٦/ ٢٩٢).
(٥) في الأصل الفارسي: «أن يقول».
(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٤٨٩).

آيات سورة طه

• قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه].

يقول الفقير: أرسل الله تعالى سيّدنا موسى عليه السلام إلى فرعون وقد طلب من الله بعض الأسئلة الضرورية المهمّة التي يتعذّر تحمّل أعباء الرسالة من دونها، فاستَمِعْ لتفصيلها:

من هذه الأسئلة سؤال يتعلّق بموسى نفسه عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾، وهذا من جملة ضروريات تحمّل أعباء الرسالة، ذلك لأنه إذا لم ينشرح الصدر لا يتأتى الجواب المقنع لأي سؤال، وإذا لم تتيسّر الأمور من جهة الغيب لا يمكن مكافحة الأعداء من ملوك الأرض، وإذا لم تكن الفصاحة في اللسان لم يتحقق تبليغ رسالة الله عز وجل بأبلغ وجوه.

ومنها ما يتعلّق بإعانة غيره في أمر الرسالة، وقد عبّر عن ذلك بالوزارة وفي موضع آخر بـ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: ٣٤].

ثم طلب عليه السلام هنا ثلاث صفات تتعلق بالوزارة:

الصفة الأولى: ﴿أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾ وهذا الوصف من جهة خصوص الحال، إذ إن موسى لم يكن له أحد غير هارون يقوم بنصرته المطلوبة في ذلك الوقت، وليس هذا الوصف شرطاً مطلقاً في الوزارة، وذلك بقرينة أن موسى عليه السلام جعل يوشع عليه السلام خليفةً له، مع أنه لم يكن من أهله، والخلافة أعظم من الوزارة وأشدّ، والمطلوب في الوزارة أن

يكون ذا قوة ومروءة بحيث يحسب له قومه عند الحلّ والعقد حساباً، والمطلوب في الخلافة ـ زيادةً على ذلك ـ أن يكون مشتركاً مع النبيِّ في جدّه الأعلى، تنسب إليه قبيلته، لئلا يزدريه الناس، ولذلك لم يرسل الله نبياً في بني إسرائيل إلا من كان من بني إسرائيل من أسباط موسى أو غيره، وتلك هي السُّنَّة التي أجراها النبي ﷺ في خلفائه، فقال: «**الأئمةُ مِنْ قريشٍ**»[1] لكي تقع الموافقة مع سُنَّة الله في أنبياء بني إسرائيل.

والصفة الثانية: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢﴾ [طه] هذه حقيقة الوزير من ناحية ظهور، إعانة باهرة عظيمة منه في الغايات المطلوبة من بعثة النبيِّ كالمخاصمة، والجهاد مع الأعداء، وفتح البلدان، وجمع القرآن، وقد عبّر عن ذلك في موضع آخر بـ﴿رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤].

والصفة الثالثة: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣﴾ [طه]؛ يعني: أن الفائدة المترتِّبة على وزارة الوزير أن تقع أعباءُ الدعوة على رجلين، فهذا يقوم بها مرةً، وذلك أخرى، فيتضرّع كلاهما في الذكر والتسبيح لله.

يقول الفقير: لمّا عرفتَ حقيقة الوزارة ينبغي أن تعلم أن الشيخين قد تشرَّفا ـ باليقين ـ بوزارة النبي ﷺ، وذلك بموجب حديث: «**أمّا وزيرايَ مِنْ أهل الأرضِ فأبو بكرٍ وعُمَرُ**»[2]، وفي ضوء حديث: «**الحمدُ لله الذي أيّدني بهما**»[3]، ومن جهة نقل متواتر يفيد أنَّ المعاني المطلوبة من الوزارة قد تحقّقت بهم، وناهيك به من فضيلة.

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٢٣٢٩).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٠).

(٣) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (١٦/ ٢٢٦).

❁ إسلام عمر رضي الله عنه:

● **عن أنس** رضي الله عنه قال: خرجَ عمرُ متقلِّداً السيف، فلقيه رجل من بني زُهرة، فقال له: أين تغدو يا عمر؟

قال: أريد أن أقتل محمداً.

قال: وكيف تأمنُ بني هاشم وبني زُهرة؟

فقال له عمر: ما أراكَ إلا قد صبأتَ[١] وتركتَ دينك!

قال: أفلا أدلُّك على العجب؟! إنَّ أختك وخِتْنُك[٢] قد صبأا[٣]، وتركا دينك.

فمشى عمر ذامراً[٤] حتى أتاهما، وعندهما خبّاب، فلمّا سمع خبّابٌ بحسِّ عمر، توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهَيْنَمَةَ[٥] التي سمعتُها عندكم، وكانوا يقرأون ﴿طه ۝١﴾.

فقالا: ما عدا حديثاً تحدّثنا به.

قال: فلعلَّكما قد صبأتما[٦].

فقال له خِتْنه: يا عمر! إن كان الحقُّ في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأً شديداً، فجاءت أخته لتدفعَه عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمّى وجهها، فقال عمر: أعطوني الكتابَ الذي هو عندكم فأقرأه.

فقالت أخته: إنّكَ رجسٌ، وإنّه ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة]، فقم فتوضَّأ، فقام فتوضَّأ، ثم أخذَ الكتابَ، فقرأ ﴿طه ۝١﴾

---

(١) في الأصل الفارسي: «صبوت».
(٢) أي: زوج أختك.
(٣) في الأصل الفارسي: «قد صبوا».
(٤) أي: جاء متهدّداً
(٥) في الأصل الفارسي: «الهنيمة».
(٦) في الأصل الفارسي: «صبوتما».

حتى انتهى إلى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه]، فقال عمر: دُلُّوني على محمد، فلمّا سمعَ خبّاب قولَ عمر، خرج من البيتِ فقال: أبشر يا عمرُ! فإنِّي أرجو أن تكونَ دعوةَ رسولِ اللهِ ﷺ لك ليلة الخميس: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بِعُمَرَ بنِ الخطّاب، أو بعمرِو بنِ هشام**» فخرج حتى أتى رسولَ اللهِ ﷺ، فأسلم[1].

● **وعن ابن عباس** أنه قال لعمرَ بنِ الخطّاب: يا أميرَ المؤمنين! لِمَ يذكر الرجلُ، ولِمَ ينسى؟[2] فقال: إنّ على القلبِ طخاء[3] كطخاء القمر، فإذا تغشّتِ القلبَ نسيَ ابنُ آدم ما كان يذكر، فإذا انجلتْ ذكر ما نسيَ[4].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣).

(٢) في الأصل الفارسي: «مم يذكر الرجل ومم ينسى».

(٣) **الطخاء**: الظلمة، والمراد هنا ما يغشى القمر من غيم يغطي نوره. انظر: «النهاية» (ص٥٥٩).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣٧).

آيات سورة الأنبياء

• **قال الله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

يقول الفقير: قالت جماعةٌ: إنّ المراد بالأرض هنا الجنّة، ولا تجدُ في موضعٍ من القرآن أو السُّنَّة أنّ لفظ: ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ ورد وأريد به جنّة عدن، بل المعنى الصحيح أنَّ المراد بالأرض هو الأراضي المعتدلة الصالحة لإنجاب أشخاص معتدلة الأخلاق، أو هي أرض الشام وحدها، بسبب كون أنبياء بني إسرائيل فيها، وذكر وقائع أرض الشام قبل هذه الآية مهم جدّاً يحمل أهميةً بالغةً، وهذا كما أن التاجر يريد بلفظ المال بضاعته والراعي يريد به المواشي، والزارع يريد به الزراعة، وهناك آثار كثيرة تدلّ على هذا المعنى.

• **عن ابن عباس** في قصة بختنصّر قال: إنّه رأى رؤيا فأفظعته، فأصبح قد نسيها، قال: عليّ بالسحرة والكهنة، قال: أخبروني عن رؤيا رأيتها الليلة، واللهِ لتُخبرُنّي بها، أو لأقتلنّكم.

قالوا: ما هي؟

قال: قد نسيتها.

قالوا: ما عندنا من هذا علم، إلا أنْ ترسلَ إلى أبناء الأنبياء، فأرسل إلى أبناء الأنبياء، قال: أخبروني عن رؤيا رأيتُها الليلة، واللهِ لتخبرُنّي بها أو لأقتلنّكم.

قالوا: ما هي؟

قال: قد نسيتها.

قالوا: غيبٌ، ولا يعلمُ الغيبَ إلا الله تعالى.

قال: والله لتخبرُنّي بها، أو لأضربنَّ أعناقكم.

قالوا: فدعنا حتى نتوضَّأ ونصلّيَ وندعوَ الله تعالى.

قال: فافعلوا.

فانطلقوا فأحسنوا الوضوءَ، فأتوا صعيداً طيّباً فدَعَوا الله، فأُخبروا بها، ثم رجعوا إليه فقالوا: رأيتَ كأنَّ رأسَك من ذهبٍ، وصدرَك من فخّارٍ، ووسطك من نحاسٍ، ورجليك من حديدٍ.

قال: نعم، قال: أخبروني بعبارتها أو لأقتلنّكم.

قالوا: فدعنا ندعو ربنا، قال: اذهبوا، فدعوا ربهم، فاستجابَ لهم، فرجعوا إليه قالوا: رأيتَ كأنّ رأسك من ذهب، ملكك هذا يذهبُ عند رأسِ الحَوْلِ من هذه الليلةِ.

قال: ثم مه؟ قالوا: ثم يكون بعدك مَلِكٌ يفخر على الناس، ثم يكونُ مَلِكٌ يخشى الناسُ شِدّته، ثم يكونُ مَلِكٌ لا يقله شيء، إنّما هو مثل الحديد؛ يعني: الإسلام[1].

وتصدقُ هذه البشارةُ على الشيخين في هذه الصورة إذ إنّ فتح الشام وقع بتدبيرهما، ووقعت في حوزة تصرّفهما، فالصلاحُ من صفاتهم، وإنجازُ وعدِ الأنبياء من إحدى خصال الخليفة.

● **عن ابن عمر** رضي الله عنهما قال: لمّا قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه في ناحية المدينة، فجاء فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجّى فوضع فاه على جبين رسول الله ﷺ، وجعل يقبّله ويبكي ويقول: بأبي وأمي، طِبْتَ حيّاً وطِبْتَ ميتاً، فلمّا خرج مرّ بعمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه وهو يقول:

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٣٤).

ما ماتَ رسولُ الله ﷺ، ولا يموتُ حتّى يقتلَ اللهُ المنافقين، وحتى يخزيَ الله المنافقين، قال: وكانوا قد استبشروا بموت النبيِّ ﷺ، فرفعوا رؤوسهم، فقال: أيُّها الرجل، أَرْبعْ على نفسِكَ، فإنّ رسولَ اللهِ ﷺ قد مات، ألم تسمع الله يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء].

قال: ثم أتى المنبر، فصعده، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن كان محمّد ﷺ إلٰهكم الذي تعبدون، فإنَّ محمّداً قد مات؛ وإن كان إلٰهكم الذي في السماء، فإنَّ إلٰهكم لم يمت ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] حتى ختم الآية، ثم نزل، وقد استبشر المسلمون بذلك واشتدّ فرحهم، وأخذت المنافقين الكآبةُ، قال عبد الله بن عمر: فوالذي نفسي بيده، لكأنما كانت على وجوهنا أغطيةٌ فكُشِفَتْ(١).

● **عن محمد بن حاطب** قال: سُئل عليٌّ عن هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، قال: هو عثمان وأصحابه(٢).

***

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٢٧) برقم: (٣٧٠٢١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٩) واللفظ له.

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٠٧).

آيات سورة الحج

• **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إن هذا دليل على خلافة الخلفاء؛ إذ إنَّ الله ﷻ مكّنهم في الأرض، ولا يشك فيه الموافق والمخالف، وأنهم كانوا من المهاجرين، وأنّهم أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وهذا هو معنى الخلافة الخاصّة، وقد بسطنا الكلام في تفسير هذه الآية في الفصل الثالث فارجع إليه.

• **قال الله تعالى:** ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج].

وقع هنا مقابلة بين الفريقين اللذين اختلفا بعد الإنذار، وهذه الآية مكية، فالمراد «من فريق المؤمنين» هم المهاجرون الأولون، فتدبّر.

• **قال الله تعالى:** ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ

أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج].

يقول الفقير: إنّ المهاجرين الأولين قد ظُلِموا وأُوذوا إيذاءً شديداً على أيدي الكفار، فإنِ انتقم المؤمنون من الكفار وآذوهم كما آذوهم فذلك عَيْنُ العدل، وبعد ذلك اجتمع الكفّار وآذوهم انتقاماً لأنفسهم، فترافق نصرة الله مع المهاجرين الأولين، ومعنى هذه الآية هو المعنى نفسه الذي جاء في الآية السابقة، وهي: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ إلخ [الحج: ٣٩].

ثم يؤكِّد الله تعالى وعد نصره ببيان قدرته في الآفاق والأنفس وبذكر تصرّفه في العالم بمحض إرادته تعالى.

ويقول الفقير: وهذه الآية نصّ على بشارة المهاجرين بالجنَّة في الآخرة، وبالنصر في الدنيا وهو المقصود.

• **عن عمر** أنّه سجدَ في الحجّ سجدتين، ثم قال: إنَّ هذه السورة فُضِّلت على سائر السور بسجدتين[(١)].

• **عن أبي بكر**: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إذا صلّى الصُّبْحَ مُرَحِّباً بالنهارِ الجديدِ، والكاتبِ، والشهيدِ، اكتبا: بسم الله الرّحمٰنِ الرّحيمِ، أَشْهَدُ أَنْ لا إلـهَ إلّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، وأشهدُ أنَّ الدِّينَ كما وصفَ، والكتابَ كما أُنزل، وأشهدُ أنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القُبورِ**»[(٢)].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٧٢) برقم: (٤٢٨٧).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٢٢).

• **وعن عُمَرَ** قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**»[١].

• **وعن ابن عمر**: أنّ عمرَ نهى أن تُغْلَق أبواب دور مكة، فإنَّ الناسَ كانوا ينزلون منها حيث وَجدوا، حتّى كانوا يضربون فساطيطهم في الدُّورِ[٢].

• **وعن عمر بن الخطاب**: أنّ رجلاً قال له عند المَرْوة: يا أميرَ المؤمنين! أقطعني مكاناً لي ولعقبي، فأعرضَ عنه عمر، وقال: هو حرمُ اللهِ ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ [الحج: ٢٥][٣].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: احتكارُ الطعامِ بمكةَ إلحادٌ بظلم[٤].

• **وعن عبيد بن عمير** قال: لقي عمرُ بنُ الخطاب ركباً يريدون البيت فقال: من أنتم؟ فأجابهم أحدَثُهم سناً، فقال: عبادَ الله المسلمون، قال: مِنْ أينَ جئتم؟

قال: من الفجّ العميق.

قال: أين تريدون؟

قال: البيت العتيق.

قال عمر: تأوّلها لَعَمْرُ اللهِ[٥]، فقال عمر: مَنْ أميركم؟

فأشار إلى شيخ منهم.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٨٣٤).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٣٣).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٣٤).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٣٥).
(٥) في الأصل الفارسي: «تأوّلها لعمر والله».

فقال عمر: بل أنتَ أميرُهم، لأحدثهم سِنّاً الذي أجابه[١].

• **وعن ابن عباس** قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب قبَّل الحجر، وسجد عليه، ثم قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فعلَ هذا[٢].

• **وعن محمد بن سيرين** قال: أشرف عليهم عثمانُ من القصر فقال: ائتوني بِرَجُلٍ قارئ كتاب الله[٣]، فأتوه بصعصعة بن صَوْحانٍ، فتكلّم بكلام فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج].

فقال له عثمانُ: كذبتَ! ليست لك ولا لأصحابك، ولكنّها لي ولأصحابي[٤].

• **وعن ابن عباس**: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠]؛ أي: من مكّة إلى المدينة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]؛ يعني: محمّداً ﷺ وأصحابه[٥].

• **وعن عثمان بن عفّان** قال: فينا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الآية، بعد ما أخرجنا من ديارنا ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]، ثم مُكِّنَّا في الأرض، فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف، ونَهَيْنا عن المنكر، فهيَ لي ولأصحابي[٦].

• **وعن ثابت بن عَوْسجةَ الخضيري**[٧] قال: حدّثني سبعةٌ وعشرون

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٩٠) برقم: (٣٨١٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٤٧).

(٣) في الأصل الفارسي: «تالي كتاب الله».

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٥٩). وكذب بلغة قريش تأتي بمعنى أخطأ أيضاً.

(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٦٠).

(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٦٠).

(٧) في الأصل الفارسي: «ثابت بن عرفجة الحضري».

من أصحاب علي وعبد الله، منهم: لاحق بن الأقمر، والعيزار بن جرول، وعطية القُرظي أنَّ عليّاً قال: إنّما نزلت هذه الآيةُ في أصحاب محمد: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [الحج: ٤٠]، قال: لولا دفعُ اللهِ بأصحاب محمد عن التابعينَ لهدّمت صوامع[١].

• **عن زيد بن أبي أوفى** رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فجعل يقول: «**أينَ فلانٌ؟ أينَ فلانٌ؟**» فلم يزل يتفقَّدهم، وينصب[٢] إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال: «**إنِّي محدِّثُكم بحديثٍ فاحفظوه وعوه وحَدِّثوا بِهِ مَنْ بَعْدكُم، إنَّ الله اصطفى مِنْ خلقِهِ خَلْقاً**، ثم تلا هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج]، **خَلْقاً يُدْخِلُهم الجَنَّةَ، وإنِّي مصطفٍ مِنْكُم مَنْ أُحِبُّ أن أصطفيَهُ، ومؤاخٍ بينَكُم كما آخى الله بين الملائكة، قم يا أبا بكرٍ!**» فقام فجثا بين يديه، فقال: «**إنَّ لكَ عندي يَداً، إنَّ الله يجزِيَك بها، فلو كنتُ متّخِذاً خليلاً لاتّخذتُكَ خليلاً، فأنتَ مِنِّي بمنزلةِ قَمِيصي مِنْ جَسَدِي**، وحرّكَ قميصَه بيدِهِ».

ثم قال: «**ادنُ يا عمرُ!**»، فدنا ثم قال: «**ادن يا عمر!**» فدنا[٣]، ثم قال: «**كنت شديد الشَّغْبِ علينا أبا حَفْصٍ! فدعوتُ اللهَ أَنْ يعزَّ الدينَ بِكَ، أو بأبي جهلٍ، ففعلَ اللهُ ذلكَ لكَ، وكُنْتَ أحبَّهما إليَّ، فأنتَ معي في الجَنَّةِ ثالثُ ثلاثةٍ مِنْ هذه الأُمةِ**».

ثم تنحَّى، وآخى بينه وبين أبي بكر.

ثم دعا عثمان بن عفان فقال: «**ادنُ يا عثمانُ! ادنُ يا عثمان!**» فلم

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٦٠).

(٢) في الأصل الفارسي: «ينصت»، وفي «المعجم الكبير»، للطبراني: «يبعث» (٥/ ٢٢٠).

(٣) وقع في الأصل الفارسي: مرةً واحدةً.

يزل يدنو منه حتى ألصقَ ركبته بركبةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم نظرَ إليه، ثم نظر إلى السماءِ فقال: «**سبحانَ اللهِ العظيم**» ثلاث مرات، ثم نظر إلى عثمان فإذا أزراره محلولة، فزرّها رسول الله ﷺ بيده ثم قال: «**اجمعْ عَطْفَيْ ردائِكَ على نحرِكَ، فإنَّ لكَ شأناً في أهلِ السّماءِ، أنتَ ممّن يَرِدُ عليَّ الحوضَ، وأوداجُهُ تَشْخَبُ دماً، فأقول: مَنْ فعلَ هذا بِكَ؟ فتقولُ: فلانٌ، وذلك كلامُ جبريلَ، وذلك إذا هتفَ مِنَ السماءِ: ألا إنَّ عثمانَ أميرٌ على كلِّ خاذلٍ**».

ثم دعا عبد الرحمٰن بن عوف فقال: «**ادن يا أمينَ اللهِ والأمينَ في السماء، يسلِّط الله على مالك بالحق، أما إنَّ لك عندي دعوةً، وقد أخّرتُها**».

قال: خر لي يا رسول الله.

قال: **حمّلتني يا عبدَ الرحمٰن أمانةً، أكثرَ الله مالَكَ**» وجعل يحرِّكُ يده، ثم تنحى، وآخى بينه وبين عثمان.

ثم دخل طلحةُ والزبير فقال: «**ادنوا مني**»، فدنوا منه.

فقال: «**أنتُما حواري كحواري عيسى ابن مريم**»، ثم آخى بينهما.

ثم دعا سعدَ بنَ أبي وقّاصٍ وعمّارَ بن ياسر فقال: «**يا عمارُ! قتلتك**[1] **الفئةُ الباغيةُ**»، ثم آخى بينهما.

ثم دعا أبا الدرداء وسلمان الفارسي فقال: «**يا سلمانُ! أنتَ منّا أهلَ البيتِ وقد آتاكَ اللهُ العِلْمَ الأوّلَ والعِلْمَ الآخِر، والكتابَ الأوَّلَ والكتابَ الآخِرَ**»، ثم قال: «**ألا أنشدك يا أبا الدرداء؟**»

قال: بلى يا رسول الله!

---

(١) في الأصل الفارسي: «تقتلك»، وكذا في «المعجم»، للطبراني (٥/ ٢٢٠).

قال: «**إنْ تنقذْهم ينقدوك، وإن تتركْهم لا يتركوك، وإن تهربْ منهم يدركوك، فاقرضهم عِرْضك ليومِ فقرك**»، فآخى بينهما.

ثم نظر في وجوه أصحابه فقال: «**أَبْشِرُوا وقَرُّوا عيناً، فأنتم أوّلُ مَنْ يَرِدُ عليَّ الحوضَ، وأنتم في أعلى الغُرفِ**».

ثـم نظر إلى عبدِ اللهِ بن عمرَ فقال: «**الحمدُ للهِ الذي يَهْدِي مِنَ الضلالة**».

فقال عليٌّ: يا رسولَ اللهِ! ذهبَ روحي، وانقطع ظهري حين رأيتُكَ فعلتَ ما فعلتَ بأصحابك غيري! فإنْ كانَ مِنْ سخطٍ عليَّ، فلك العُتبى والكرامة.

فقال: «**والّذي بعثني بالحقِّ، ما أخّرتُكَ إلّا لنفسِي، فأنتَ عندي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسى ووارثي**».

فقال: يا رسولَ اللهِ! ما أرثُ منك؟

قال: «**ما ورّثتِ[1] الأنبياءُ**».

قال: وما ورّثتِ[2] الأنبياءُ قبلك؟

قال: «**كتابُ اللهِ وسُنَّة نبيِّهم، وأنتَ معي في قصري في الجنّة، مع فاطمة ابنتي، وأنتَ أخي ورفيقي**»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر]، الأخلاء في الله ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ[3].

• **عن عبد الرحمٰن بن عوف** قال: قال لي عمر: ألسنا كُنّا نقرأُ فيما نقرأ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨]، في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله.

---

(١) في الأصل الفارسي: «ما أورثت». (٢) في الأصل الفارسي: «ما أورثت».
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٧٨) واللفظ له، و«المعجم الكبير»، للطبراني (٥/ ١٦٠).

قلتُ: بلى، فمتى هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: إذا كانت بنو أمية الأمراء، وبنو المغيرة الوزراء[(١)].

• **عن محمد بن زيد** بن عبد الله بن عمر قال: قرأ عمرُ بنُ الخطّاب هذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: ٧٨]، ثم قال: ادعوا لي رجلاً من بني مُدْلجٍ.

قال عمر: ما الحرجُ فيكم؟

قال: الضِّيقُ[(٢)].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨١).

آيات سورة المؤمنون

• قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

• وقال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ سورةَ «المؤمنون» مكيةٌ، ولمَّا وصف الله المؤمنين بصفات كذا وكذا، وكانت هذه الصفات موجودةً في المؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين، بل كانوا مشهورين بهذه الصفات، وأثبت لهذه الجماعة الصلاحَ، ومسارعتهم في الخيرات ووعدهم بالجنَّة، ظهر تعريضٌ بفضائل الجماعة الخاصّة ممّن يدخل فيهم الخلفاء، وهو المقصود.

• **وأخرج الترمذي** عن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ ﷺ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْماً، فَمَكَثْنَا سَاعَةً، فَسُرِّيَ عَنْهُ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ**

زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيات[1].

عن أبي بكر الصدِّيق قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعوَّذوا باللهِ مِنْ خشوعِ النّفاقِ**».

قالوا: يا رسول الله! وما خشوع النفاق؟

قال: «**خشوعُ البَدَنِ، ونفاقُ القَلْبِ**»[2].

• **عن مجاهد** عن عبد الله بن الزبير أنّه كان يقومُ للصلاة كأنّه عودٌ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يفعل ذلك، وقال مجاهد: هو الخشوعُ في الصّلاةِ[3].

• **وعن أسماء بنت أبي بكر** عن أم رومان والدة عائشة قالت: رآني أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أتميَّل في صلاتي، فزجرني زجرةً كِدتُّ أنصرفُ من صلاتي، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إذا قامَ أحدُكُم في الصَّلاةِ فليسكِّنْ أطرافَه، لا يَتَمَيَّلُ تَميُّلَ اليهودِ، فإنَّ سكونَ الأطرافِ في الصلاةِ من تمامِ الصّلاةِ**»[4].

وعن **قتادة** قال: تسرّت امرأةٌ غلاماً لها، فذكرت لعمرَ رضي الله عنه فسألها: ما حملك على هذا؟

فقالت: كنتُ أرى أنّه يحلّ لي ما يحلُّ للرجل من مِلْكِ اليمين.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣١٧٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٤).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٥).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٥).

فاستشار عمر رضي الله عنه فيها أصحابَ النبيِّ ﷺ فقالوا: تأوَّلت كتابَ اللهِ غيرَ تأويله.

فقال عمر: لا جرمَ، واللهِ لا أُحِلُّكِ لحرٍّ بعدَه أبداً، كأنه عاقبها بذلك، ودرأ الحدَّ عنها، وأمرَ العبدَ أن لا يقربها[١].

● **وعن صالح أبي الخليل** قال: نزلت هذه الآية على النبيِّ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، قال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون]، فقال: والذي نفسي بيده، إنها ختمت بالذي تكلَّمت يا عمر[٢].

● **وعن الحسن** أنّ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه أُتي بفروة كسرى فوضعت بين يديه، وفي القوم سُراقةُ بنُ مالك، فأخذ عمرُ سواريه، فرمى بهما إلى سُراقة، فأخذهما، فجعلهما في يديه، فبلغتا منكبيه فقال: الحمد لله سوارا كسرى بن هرمز في يدي سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، أَعرابيٌّ من بني مدلج، ثم قال: اللَّهُمَّ إنِّي قد علمتُ أنَّ رسولَكَ قد كان حريصاً على أن يصيبَ مالاً ينفقه في سبيلك وعلى عبادك، فزويتَ عنه ذلك، نظراً منك وخياراً، اللَّهُمَّ إني أعوذُ بكَ أن يكونَ هذا مكراً منك بعمرَ، ثم تلا: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ [المؤمنون][٣].

● **وعن عمر بن الخطاب**، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**كلُّ سببٍ**

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٩٢).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢١١).

ونسبٍ منقطعٌ يومَ القيامةِ إلّا سببي ونسبي»[١].

• وعن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أنه قال للنبيِّ ﷺ: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي.

قال: «قل: اللَّهُمَّ إنِّي ظلمتُ نفسِي ظُلْماً كثيراً، ولا يغفِرُ الذنوبَ إلّا أنتَ، فاغفر لي مغفرةً من عندِكَ، وارحمني إنّكَ أنتَ الغفورُ الرحيمُ»[٢].

(١) انظر: «فتح القدير» (٥/ ١٨٠).

(٢) انظر: «مسند أبي بكر الصدِّيق»، لأحمد بن علي المروزي (١/ ٧٥).

آيات سورة النور

• **قال الله تعالى** في قصة براءة عائشة رضي الله عنها: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: في كلمة ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ تعريضٌ ظاهر بأبي بكر الصدِّيق بشهادة السياق والسباق وسبب النزول، والظاهرُ أنَّ المرادَ بالفضل هو الفضلُ في الدين، لئلا يلزم التكرار، بل النهي خاصّ بالمحسنين، لو أنّ شخصاً آلَمَ شخصاً آخر بغير حقّ، فأمسك الآخرُ عن إنفاقِ ماله عليه لا يأثمُ بالاتفاق، فالمراد هنا هو النهي باعتبار منزلة المحسنين.

وكلمة ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ [النور: ٢٦] فيها داخل: النبيّ ﷺ وأبو بكر الصدِّيق وعائشة وصفوان بن مُعَطّل كلّهم، ودخول عائشة وصفوان ظاهر لا يخفى، وأما دخول النبي ﷺ وأبي بكر الصدِّيق فذلك بسبب أنه لو تحقّق هذا الإفك ـ لا قدّر الله ـ بأي شكل لكان ذلك عيباً وعاراً على النبي ﷺ من جهة نسبة الزوجية، وعلى الصديق من جهة نسبة الأبوة والولادة.

• **قال الله تعالى:** ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

يقول الفقير: هذه الآية نصٌّ في إثبات خلافة الخلفاء، وأما

التأويلات البعيدة من أهل الأهواء ـ أي: الشيعة ـ فإنّها واد لا تنقذهم من واد العصيان الذي دخلوا فيه، كما قد فصّلنا ذلك في الفصل الثالث.

• **عن حارثة بن مضرّب** قال: كتب إلينا عمرُ بنُ الخطّاب أن تعلَّموا سورة النساء والأحزاب والنور.

• **وعن ابن عمر**[١] عن النبيِّ ﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾ [النور: ٥] قال: «**توبتُهم إكذابُهم أنفسَهم، فإن كذَّبوا أنفسَهم قُبِلَتْ شهادتُهم**»[٢].

• **وعن سعيد بن المسيَّب** قال: شهدتُ عمرَ بن الخطاب حين جلدَ قذفةَ المغيرة بن شعبة، منهم: أبو بكرة، وماتع، وشبل، ثم دعا أبا بكرة فقال: إن تكذّبْ نفسَك تَجُزْ شهادتُك، فأبى أن يكذِّبَ نفسَه، ولم يكن عمرُ يجيزُ شهادتهما حتّى هلكا، فذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ وتوبتهم إكذابُهم أنفسَهم[٣].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: لا يجتمع المتلاعنان أبداً[٤].

• **وعن عائشة** رضي الله عنها قالت: أَنْزَلَ اللهُ عُذري، وكادتِ الأمةُ تهلك في سببي، فلمّا سُرِّي عن رسول الله ﷺ، وعرجَ المَلَكُ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**اذهبْ إلى ابنتِك، فأخبرْهَا أنَّ الله قد أنزلَ عُذْرَها من السماءِ**».

قالت: فأتاني أبي وهو يعدو يكاد أن يعثر، فقال: أبشري يا بنية بأبي وأمي، فإنّ الله قد أنزلَ عذرَك.

---

(١) في الأصل الفارسي: «عن عمر» وهو غير صحيح، والصواب ما أثبتناه في صلب الكتاب.
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٤٠).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٤١).
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧/ ١١٢) برقم: (١٢٤٣٣).

قلت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك الذي أرسلك، ثم دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ، فتناول ذراعي فقال بيده[١] هكذا، فأخذ أبو بكر النعلَ ليعلوني بها، فمنعته أمي، فضحك رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**أقسمتُ لا تفعل**»[٢].

• **وعن عائشة** أنه لما نزل عذرُها قبَّل أبو بكر رأسَها فقالت: ألا عذرتني؟ فقال: أيُّ سماءٍ تظلُّني، وأيُّ أرضٍ تقلُّني إن قلتُ ما لا أعلمُ[٣].

• **وعن قتادة** في قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ [النور: ٢٢] قال: نزلت هذه الآيةُ في رجلٍ من قريش يقال له: مِسْطَح، كان بينه وبين أبي بكر قرابةٌ، وكان يتيماً في حِجْره، وكان ممّن أذاعَ على عائشة ما أذاع، فلما أنزل الله براءتها وعُذرها، تألَّى أبو بكر لا يرزؤه خيراً[٤]، فأنزل الله هذه الآية، فذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ دعا أبا بكر، فتلاها عليه فقال: «**ألا تحبُّ أن يغفرَ اللهُ لكَ؟**» قال: بلى، قال: «**فاعفُ عنه وتجاوز**»، فقال أبو بكر: لا جرم، واللهِ لا أمنعه معروفاً كنتُ أوليه قبل اليوم[٥].

وقد رُوي ذلك عن جماعة، منهم عائشة وابن عمر وابن عباس والحسن ومحمد بن سيرين وغيرهم.

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح

---

(١) في الأصل الفارسي: «فقلت بيده».
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٦١).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٦١)، و«فتح القدير» (٧/ ٤٢٤).
(٤) قوله: «لا يرزؤه خيراً»؛ أي: لا يصيبه خيراً.
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٧١).

يُنْجِزْ لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢][١].

• **وعن قتادة** قال: ذُكِرَ لنا أنَّ عمر بن الخطاب قال: ما رأيتُ كرجل لم يلتمس الغنى في الباءة، وقد وعده الله فيها ما وعده، فقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٢].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: ابتغوا الغنى في الباءة، وفي لفظ: اطلبوا الفضل في الباءة وتلا: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣].

• **وعن أنس بن مالك** قال: سألني سيرين المكاتبة، فأبيتُ عليه، فأتى عمر بن الخطاب، فأقبل عليَّ بالدِّرة وقال: كاتبه وتلا: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣] فكاتبته[٤].

• **وعن عمر** أنه كاتب عبداً له يكنى أبا أمية، فجاء بنجمه حين حلَّ قال: يا أبا أمية! اذهب فاستعن به في مكاتبتك قال: يا أمير المؤمنين! لو تركت حتى يكون من آخر نجم، قال: أخافُ أن لا أدرك ذلك، ثم قرأ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣][٥].

• **وعن السدِّي** قال: كان لعبد الله بن أُبيّ جاريةٌ تدعى معاذة، فكان إذا نزل به ضيفٌ أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثواب منه والكرامة له، فأقبلت الجاريةُ إلى أبي بكر، فشكت ذلك إليه، فذكره أبو بكر للنبيِّ ﷺ فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أُبيّ: مَنْ يعذرنا من محمّدٍ، يغلبنا على مماليكنا؟ فنزلت الآية: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: ٣٣][٦].

• **أخرج الترمذي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(١) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٢).
(٢) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٢).
(٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٢).
(٤) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٣).
(٥) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٤).
(٦) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٥).

«كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»[١].

• **عن شريك بن نملة** قال: ضِفْتُ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه ليلةً، فأطعمني كسوراً من رأس بعير بارد، وأطعمنا زيتاً، وقال: هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيِّه[٢].

• **عن أبي العالية** قال: كان النبيُّ ﷺ وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده، وعبادته وحده لا شريك له سرّاً، وهم خائفون، لا يؤمرون بالقتال، حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة، فقدموا المدينة، فأمرهم الله بالقتال وكانوا بها خائفين، يمسون في السلاح، ويصبحون في السلاح، فغبروا بذلك ما شاء الله.

ثم إنّ رجلاً من أصحابه قال: يا رسول الله! أبد الدهر نحن خائفون هكذا، أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لن تغبروا إلا قليلاً حتى يجلسَ الرجلُ منكم في الملأ العظيم محتبياً ليست فيهم جديدةٌ»**[٣]، فأنزل الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] إلى آخر الآية، فأظهر الله نبيَّه على جزيرة العرب، فأمنوا ووضعوا السلاح، ثم إن الله قبض نبيَّه، فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا، وكفروا النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفع عنهم، واتخذوا الحجر والشرط، وغيّروا فغيّر ما بهم[٤].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (١٨٥١).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣٠٣).

(٣) في الأصل الفارسي: «حديدة»، وهو الصواب.

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣١٧).

آيات سورة الفرقان

• قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: جرت من سُنَّة الله في القرآن العظيم أنه ﷻ يقارن بين أهل النجاة وأهل الضلال في كلّ موضع، ويذكر صفاتِ كلا الفريقين فيوعد **أحدهما** ـ أي: أهل الضلال ـ بعذاب أليم ويبشِّر **الآخر** ـ أي: أهل النجاة ـ بنعيم مقيم، ولا يكتفي في ذكر أوصافهما بالفرض والاحتمال، بل يذكر الأوصاف التي وجدت فيهم بالفعل واشتهروا بها، ولا يذكر من شبهات الكفار إلا ما يتذاكرون به في مجالسهم ونواديهم، ويتفوَّهون به، ولا يعتني بالسؤالات المقدّرة

والاحتمالات البعيدة؛ كالصور المحتملة غير الواقعة في مسائل أحكام النكاح والطلاق المذكورة في كتب الفقه.

وإذا فهمت هذا الأصل فاعلم أن الله تعالى يبيِّن في سورة الفرقان شبهات الكفّار وأخلاقهم الطبعية، مع ذكر عاقبتهم وجزائهم وقطع مادة كل إشكال بالردّ القاطع.

وبعد ذلك يذكر صفات عباد الله المقربين ويكتفي هنالك أيضاً بالصفات الثابتة المشهورة في الأشخاص الموجودين يومئذ، ليكون تعريضاً مع الدلالة العامّة بالحاضرين.

• **وقوله تعالى**: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ...﴾، هذه الصفات كلها حلم ووقارٌ بالنسبة إلى الجاهلين.

وهذه الصفات هي: ١ ـ المواظبة على صلاة الليل، ٢ ـ والخشية من عذاب الآخرة، ٣ ـ والاستعاذة بالله من العذاب، ٤ ـ والاقتصاد في إنفاق الأموال، ٥ ـ وعبادة الله وحده، ٦ ـ وترك قتل النفس بغير حق، ٧ ـ واجتناب الزنا، ٨ ـ والاحتراز عن حضور مجالس الزور، ٩ ـ والتدبر عند استماع آيات الله، ١٠ ـ والدعاء إلى الله أن يجعل قرة العين في الأزواج والأولاد، ويعد الله لهم الغرفةَ التي هي أعظمُ درجةٍ في الجنّة، ومعلوم أنه لم يكن إذ ذاك أحد من المسلمين إلا المؤمنين الأولين من المهاجرين والأنصار، وناهيك بها من فضيلة.

• **أخرج مالك والشيخان** عن **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكِدتُّ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ.

قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا.

فَقَالَ: «**أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ!**»

فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ**».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ يَا عُمَرُ!**»

فَقَرَأْتُ الَّتِي أَقْرَأَنِي.

فَقَالَ: «**كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**»[١].

• **عن عبد الله بن المغيرة** قال: سئل عمر بن الخطاب عن ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، فقال: ما أراكم إلّا وقد عرفتم النسب، وأما الصهر فالأَخْتان والصحابة[٢].

• **وعن الحسن** أنّ عمر أطال صلاةَ الضُّحى فقيل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه، فقال: إنّه بقي عليَّ من وِرْدي شيءٌ، وأحببتُ أن أتمَّه، أو قال: أقضيَه، وتلا هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً. . .﴾ [الفرقان: ٦٢][٣].

• **وعن عمر بن الخطاب** أنّه رأى غلاماً يتبختر في مشيته، فقال:

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٥٥٠).

(٢) انظر: «فتح القدير» (٥/ ٢٨٦)، قوله: «الأَختان» جمع خَتَنٍ: كل من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ، وختن الرجل عند العامة: زوج ابنته. «المصباح المنير» (١/ ٨٨).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣٦٨).

إنَّ البخترة[1] مشيةٌ تُكْرَهُ إلا في سبيل الله، وقد مدح الله أقواماً فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فاقصد في مِشْيَتِكَ[2].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «التبخترية».

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣٦٩).

آيات سورة الشعراء

• قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: لقد ذكر الله تعالى في سورة الشعراء قصّة سبعة أنبياء، ثم أثبت نزول القرآن على قلب النبيِّ ﷺ من الحق تبارك وتعالى بواسطة جبريل، وذكر أحقّيته بأن علماء أهل الكتاب يعرفونه أحقّيته بسبب ذكره في زُبُرِ الأولين.

ثم يُبيِّن فائدة نزول القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين، لا على شخص عجمي بلسان عجمي بقوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾ إلخ [الشعراء: ١٩٨]، ثم يبيّن أنّ الإنكار قد استحكم في قلوب أهل الشقاق والعناد بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ إلخ [الشعراء: ٢٠٠]، ثمّ يؤكِّد أحقّية القرآن بأنه ليس من إلقاء الشياطين، **وذلك من وجهين**:

الأول: أن الشياطين عاجزون عن الوصول إلى الملأ الأعلى الذي هو محلّ انعقاد الأحكام الإلـٰهية لمصالح جمهور بني آدم.

والثاني: أن سُنَّة الله الجارية، أن إلقاء الشياطين لا يكون إلا على النفوس الدنيئة الخبيثة، إذ إن المناسبة والعلاقة لا بدّ أن تكون بين المفيد والمستفيد، إذ إنها شرط من شروط الإفادة والاستفادة، ونفس النبي ﷺ من النفوس العالية القدسية بل هي في غاية القداسة والطهارة في الأعمال والأخلاق، وأيضاً أن القرآن ليس من الشعر في شيء، إذ إن الشعراء

دأبهم الإفراط في المدح والهجو والتشبيب وأمثالها في الغالب، وليس لهم عناية وعلاقة بإصلاح الأخلاق والأعمال وهداية الخلق، والمراد هنا في كل مسألة هو إصلاح الأخلاق والأعمال كما لا يخفى، وقال الله تعالى ضمن ذلك التوضيح والتقرير: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلخ [الشعراء: ٢١٣]؛ يعني: اثبُت على توحيد العبادة لله واستقم، وقم بفريضة الإنذار مع عشيرتك الأقربين بصفة خاصة، واختر جانب التواضع للذين اتبعوك من المؤمنين، وإن عصتك أمة الدعوة من الكفار والمشركين فتوكَّل على الله ولا يتأثر قلبُك بغبارِ التشويش من إنكارهم.

ثم يقول الفقير: يأمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بخفض الجناح للذين اتبعوه من المؤمنين، وهذه السورة مكية بلا ريب، والذين آمنوا يوم ذاك واتبعوا النبيَّ ﷺ ليسوا إلا السابقين المؤمنين من المهاجرين الأولين، وناهيك به من فضيلة.

• **عن ابن عباس:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، قال: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعبد الله بن رواحة(١).

• **ورُوي من طرق متعددة أن** حسّان بن ثابت لما استأذن النبي ﷺ في هجاء قريش، فقال: «**اذهبْ إلى أبي بَكْرٍ، فليحدِّثْك حديثَ القَوْمِ، وأيامَهم، وأحسابَهم**»(٢).

• **عن عائشة** قالت: كتب أبي في وصيته سطرين: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمنُ الكافِرُ، ويتّقي الفاجِرُ، ويَصْدُقُ الكاذِبُ، أنّي استخلفتُ

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٢١).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٢٢).

عليكم عمرَ بنَ الخطّاب، فإن يعدِلْ فذلك ظنّي به، ورجائي فيه، وإن يجُرْ ويبدّلْ فلا أعلمُ الغيب: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء][1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٢٤).

آيات سورة النمل

• **قال الله تعالى:** ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: لقد ذكر الله تعالى في سورة النمل هلاك ثمود وقوم لوط بكفرهم وطغيانهم، ثم قال بعد ذلك: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ يعني: الحمد لله على نصره الأنبياء وإهلاك الأشقياء، وسلام على عباده الذين اصطفى من آفات الدنيا والآخرة، ولاصطفاء الله لعباده درجات، ومن أعظم درجاته ـ على الإطلاق ـ اصطفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على سائر الخلق، ثم جماعةٍ من المؤمنين الذين اصطفاهم الله لإعلاء كلمته، ونصر رسله، وهم المؤمنون السابقون، ويشمل معنى الاصطفاء جميع الأمة المرحومة من وجه.

• **قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، يدلّ ظاهر الآية على أنّ المراد هم المؤمنون السابقون الذين بذلوا المساعي الجميلة لإعلاء كلمة الحق، في مقابلة الأشقياء الذين حاولوا إعلاء كلمة الكفر، ولذلك فسَّره أكثر المفسِّرين بأصحاب النبي ﷺ، فتلك منقبة عظيمة على هذا التقدير للمؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين.

• **عن ابن عباس** في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، قال: هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيّه[(١)].

• **وعن سفيان الثوري** في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾، قال: نزلت في أصحاب محمد ﷺ خاصة[(٢)].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٥٠).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٥٠).

آيات سورة القصص

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: إنّ موسى عليه السلام لما ورد ماء مَدْيَن وجد عليه أمةً من الناس يسقون، فلمّا فرغوا، أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطيق رفعها إلا عشرةُ رجال، فإذا هو بامرأتين: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص: ٢٣]، فحدَّثتاه، فأتى الصخرةَ فرفعَها وحدَه، ثم استسقى، فلم يستق إلا دلواً[1] واحداً حتى رويت الغنم، فرجعت المرأتان إلى أبيهما فحدَّثتاه، وتولّى موسى عليه السلام إلى الظلّ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص]، قال: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، واضعةً ثوبَها على وجهها، ليست بِسَلْفَع من الناس خرَّاجة ولَّاجة ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، فقام معها موسى عليه السلام فقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف جسدك، فلما انتهى إلى أبيها قصّ عليه القصص: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص]، قال: يا بنية ما علمك بأمانته وقوته؟

قالت: أما قوّته: فرفعه الحجر، ولا يطيقه إلا عشرة رجال، وأمّا أمانته، فقال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيبَ الريحُ ثيابكِ، فتصفَ لي جسدك، فزاده ذلك رغبة فيه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾، إلى قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص]؛ أي: في حُسن الصحبة والوفاء بما قلت.

---

(١) في الأصل الفارسي: «ذنوباً».

قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ... ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

قال: نعم، قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص] فزوّجه وأقام معه يكفيه، ويعمل له في رعاية غنمه، وما يحتاج إليه، وزوّجه صفوراً، وأختها شرفاً، وهما اللتان كانتا تذودان[١].

● **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في قوله: ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، قال: جاءت مستترة بكُمّ دِرْعِها على وجهها[٢].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٨٣).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٨٥).

آيات سورة العنكبوت

• **قال الله تعالى**: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾ [العنكبوت].

يقول الفقير: في هذه الآية أمرٌ بالهجرة من دار الكفر، وبشارةٌ بالجنة للذين صبروا على شدائد الهجرة والجهاد وغيرهما من أمور الدين وتوكّلوا على الله، وتشجيعٌ للمؤمنين على الهجرة، وتركُ أسبابِ المعيشة، ممّا يوفّره الإنسان في وطنه، وتذكيرٌ لهم بحال الدوابّ التي ليس من طبيعتها ادّخار القوت والزراعة والتجارة، ورغم ذلك فإنَّ الله يوصل الرزق إلى كلِّ مَنْ خلقَه.

يقول الفقير: لقد ثبت بنقلٍ متواترٍ بحيث لا مجال للشبهة فيه أنَّ جماعةَ السابقين من المؤمنين قد هاجروا وصبروا على مشاقّ الهجرة والجهاد، وتركوا أسباب المعيشة التي تيسرت لهم في مكة ابتغاءً لوجه الله وقد ظهرت منهم أنواع من أعمال الخير والصلاح، فثبت لهم وعد الغرفة التي هي من أعلى درجات الجنّة، وهو المقصود.

• **عن الشعبي** رضي الله عنه، في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢]، قال: أنزلت في أناس بمكة قد أقرّوا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة لما نزلت آية الهجرة: إنه لا يُقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تُهاجِروا قال: فخرجوا عامدين إلى المدينة،

فاتبعهم المشركون فردُّوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم أنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا، فاتبعهم المشركون، فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل][1].

• **عن ابن مسعود** رضي الله عنه قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وسمية أم عمّار، وعمّار، وصُهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمّا سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً؛ فإنّه هانت عليه نفسُه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الوِلْدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ أحدٌ[2].

• **عن أنس** رضي الله عنه قال: أوّلُ من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال النبيّ ﷺ: «**صَحِبَهُما اللهُ، إنَّ عثمانَ لأوَّلُ مَنْ هاجرَ إلى اللهِ بأهلِهِ بعدَ لوطٍ**».

• **عن أسماء بنت أبي بكر** رضي الله عنهما قالت: هاجر عثمانُ إلى الحبشة فقال النبي ﷺ: «**إنَّه أوَّلُ مَنْ هاجَرَ بعدَ إبراهيمَ ولوطٍ**».

• **عن زيد بن ثابت** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما كان بين عثمانَ ورقيةَ وبين لوطٍ من مهاجر**».

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: أوَّلُ مَنْ هاجر إلى رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٣).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٥٠)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٤).

عثمان بن عفان، كما هاجَرَ لوطٌ إلى إبراهيم[١].

• **عن علي** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلتُ أنا وأبو بكر الغارَ، فاجتمعتِ العنكبوتُ، فنسجتْ بالبابِ، فلا تقتلوهنَّ**»[٢].

• **عن أبي قلابة**: أنّ عمر بن الخطاب ﷺ مرَّ برجل يقرأ كتاباً، فاستمعه ساعة، فاستحسنه، فقال للرجلِ: اكتب لي من هذا الكتابِ قال: نعم، فاشترى أديماً، فهيَّأه، ثم جاء به إليه، فنسخ له في ظهره وبطنه، ثم أتى النبيَّ ﷺ، فجعل يقرأه عليه، وجعل وَجْهُ رسولِ اللهِ ﷺ يتلوَّن، فضربَ رجلٌ من الأنصارِ بيده الكتاب، وقال: ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يا ابنَ الخطّاب! أما ترى وَجْهَ رسولِ اللهِ ﷺ منذ اليوم وأنت تقرأُ عليه هذا الكتابَ؟

فقال النبيُّ ﷺ عند ذلك: «**إنَّما بُعِثْتُ فاتِحاً وخَاتِماً، وأُعْطِيتُ جوامعَ الكَلِمِ وفواتِحَهُ، واخْتُصِرَ لِيَ الحديثُ اخْتِصَاراً، فلا يُهْلِكَنَّكُم المُتَهَوِّكُونَ**»[٣].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٧).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٤٥) واللفظ له، و«مصنف عبد الرزاق» (٦/ ١١٢)، و«شعب الإيمان»، للبيهقي (١١/ ١٩٤).

آيات سورة الروم

• **قال الله تعالى:** ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم].

قد اختلف القرّاء في هذا الموضع، فقرأت جماعةٌ (غَلَبَتْ) بصيغة المعروف و(سَيُغْلَبُونَ)، بصيغة المجهول، وذهبت جماعةٌ أخرى إلى قراءة ﴿غُلِبَتِ﴾ بصيغة المجهول و﴿سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾﴾، بصيغة المعروف، وفي القراءة الأولى بشارة للمؤمنين بأنهم سيفتحون الروم، وهذا لم يقع في زمن النبي ﷺ، بل وقع في زمن الشيخين، وإنجاز المواعيد الإلـٰهية على يد الخليفة من لوازم الخلافة الخاصة.

• **أخرج الترمذي والحاكم عَن ابْن عباس** في قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾، قَالَ: غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ الأَوْثَانِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ**»، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلاً، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجَلاً خَمْسَ سِنِينَ فَلَمْ يَظْهَرُوا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونَ**» قَالَ: «**أُرَاهُ الْعَشْرَ**».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَالْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَتْ الرُّومُ بَعْدُ،

قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ②﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾، قَالَ سُفْيَانُ: سَمِعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ[1].

ولهذا الحديث طرق متعددة مستفيضة، عن ابن مسعود، والبراء بن عازب، ودينار بن مكرم الأسلمي، ورواه أيضاً مرسَلاً الزهري وقتادة وعكرمة.

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه: أمّا «الحمد» فقد عرفناه، فقد يحمد الخلائق بعضهم بعضاً، وأمّا «لا إلـه إلا الله» فقد عرفناها، فقد عبدت الآلهة من دون الله، وأمّا «الله أكبر» فقد يكبِّر المصلي، وأما «سبحان الله» فما هو؟

فقال رجلٌ من القوم: الله أعلم!

فقال عمر رضي الله عنه: قد شقي عمر إن لم يكن يعلم أن الله يعلم.

فقال علي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين اسمٌ ممنوع أن ينتحله أحدٌ من الخلائق، وإليه يفزع[2] الخلق، وأحبّ أن يقال له.

فقال: هو كذاك[3].

• **أخرج مسلم** عن **أنس بن مالك**: أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم، فقام عليهم فناداهم فقال: **«يا أبا جهلِ بنِ هشامٍ، يا أميةَ بنَ خلفٍ، يا عتبةَ بنَ ربيعةَ، يا شَيْبَةَ بنَ ربيعةَ، أليسَ قد وجدتُّم ما وعدَ ربُّكم حقاً؟ فإنِّي قد وجدتُ ما وَعَدَنِي رَبِّي حقّاً»**.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣١٩٣) واللفظ له، و«المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٤٤٥) برقم: (٣٤٤٠).

(٢) في الأصل الفارسي: «مفزع».

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٦١).

فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يسمعوا، وأنَّى يجيبوا وقد جيّفوا؟

قال: «**والذي نفسي بيدِهِ ما أنتُم بأسمعَ لما أقولُ مِنْهُم، ولكنّهم لا يقدرون أن يجيبوا**»[1].

ورُوي مثله عن ابن عمر.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٧٧٤).

آيات سورة لقمان

• قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يبيِّن الله تعالى في سورة لقمان تبايُنَ مراتبِ السعداء والأشقياء، ولا بدّ أن يكون كلا الفريقين موجوداً عند نزول السورة، وهذه من السور المكية، فأثبت لأحدهما الإحسانَ، والصفة الكاشفة له هي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالآخرة، وبيَّن أنّ القرآن هدىً ورحمةً لهم، وبشّرهم بالفلاح والجنّة.

ويصف الآخرَ باشتراء لهو الحديث، والإضلال، والاستهزاء بآيات الله، والاستكبار عن القرآن.

ثم يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ في هذه الآيات تشريفاً عظيماً للمؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين، والذين كانوا متّصفين بنعمة الإسلام، ومعارضة الكفّار عند نزول سورة لقمان، وناهيك به من فضيلة.

❁ ❁ ❁

آيات سورة السجدة

• قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ المراد بالكتاب الأوّل هو التوراة، وبالكتاب الثاني هو القرآن العظيم، وهنا صَنعةُ الاستخدامِ[1] التي هي فنٌّ من فنون البديع، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

يقول الفقير: لقد ذكر الله تعالى في أول الكلام المؤمنين الكاملين بقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟...﴾ [السجدة: ١٥]، ثم بيّن الفرق بين معاد هذه الجماعة ومعاد التي هي بإزائها، فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة].

ثم شبّه حال النبيِّ ﷺ بحال موسى بأنا آتينا موسى التوراة من قبل ذلك، وجعلناه سبباً لهداية بني إسرائيل، فإذا آتيتك يا محمد! القرآن من بعده، وجعلته سبباً لهداية الأمة المرحومة، فلا استبعاد في ذلك، وجعلنا طائفة من بني إسرائيل أئمة حين صلحوا للإمامة من أجل صبرهم على شدائد الجهاد، ومخاصمة الكفار، وقوة اليقين، فإذا جعلنا اليوم جماعة من المؤمنين الكاملين من أمتك أئمةً، وهدينا بهم العالم، فليس هذا مبعثَ استغراب بأي صورة.

---

(١) **الاستخدام**: هو أن يراد بلفظ له معنيان **أحدهما**، ثم بضميره معناه **الآخر**، أو يراد بأحد ضميريه معنى وبالآخر الآخر؛ كقول الشاعر:

إذا نزلَ السماءُ بأرضِ قومٍ رعيناه وإنْ كانوا غِضَابا

أراد بالسماء الغيثَ وبضميرها النبتَ. انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» (ص٣٣٢).

وفي هذه الآيةِ إشارةٌ خفيّةٌ بحسب السياق إلى أنّ طائفة من الأمة المرحومة تكون أئمة، ـ ولكن لا يدرك هذه النكتة إلا من رُزِقَ نظراً ثاقباً وفكراً عميقاً ـ:

تذرو حسن دارد آشيان در هر بُنِ خاري
ولے هر ديده كے بيند شكار چشم بازاست اين

❁ ❁ ❁

آيات سورة الأحزاب

• قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: نزلت هذه الآيةُ في قصّة الأحزاب، وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾؛ يعني: أخبر النبي ﷺ من قبل بأنّ المسلمين يتحمّلون شدائد ومصائب على أيدي الكفار أياماً، ثمّ يكون الفتح والنصر نصيبهم، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، لمّا رأى المؤمنون اجتماع الكفار أيقنوا أنَّ النصفَ من موعودِ الله قد أُنْجِزَ، واستحكم في قلوبهم عَمَلُ النصف الثاني منه.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾؛ يعني: قد عاهد المحقِّقون من المؤمنين الله ﷻ على أنّهم يسعون لإعلاء كلمة الله سعياً جميلاً، ويثبتون في مواقع الحرب، فقامت طائفة منهم بإنجاز ما عاهدت الله عليه، وبلغ الكتاب أجله؛ يعني: استشهدوا في سبيل الله، أو لم يكن لهم نصيب مما وقع غير إعلاء كلمة الله، ولو كانوا على قيد الحياة، وطائفة أخرى منهم تنتظر الآن ـ مرة ثانيةً ـ فرصةَ إعلاءِ كلمة الله تعالى؛ يعني: يعيشون بعد النبيِّ ﷺ، ويبلون بلاءً حسناً من بعد وفاته ﷺ في إعلاء كلمة الله لإنجازه.

ثم يقول الفقير: إنّ في هذه الآية تشريفاً عظيماً للذين استقاموا في

غزوة الأحزاب ظاهراً وباطناً، وبذلوا أقصى مجهوداتهم في الجهاد، ولا شكّ أنّ الخلفاء كانوا من هذه الجماعة المباركة السعيدة، وفيه إشارة خفية إلى أنَّ هناك بعضَ أمورٍ مهمّةٍ تنتظر الوقوعَ، ويظهر فيها من طائفة سعي بليغ وجهد جميل.

• **أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس** أنّ عمر قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس! لا تُخْدَعُنَّ عن آيةِ الرَّجم، فإنَّها قد نزلت[1] في كتاب الله ﷻ، وقرأناها، ولكنّها ذهبت في قرآنٍ كثير ذهب مع محمد ﷺ، وآيةُ ذلكَ أنَّه ﷺ قد رجم، وأنَّ أبا بكر قد رجم، ورجمتُ بعدهما، وإنّه سيجيءُ قومٌ من هذه الأمة يكذِّبون بالرجم[2].

وروي ذلك عن عبد الرحمٰن بن عوف، وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم.

• **عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني** عن أبيه عن جده قال: خطَّ رسولُ اللهِ ﷺ الخندقَ عام الأحزاب، فخرجت لنا من الخندق صخرةٌ بيضاءُ مدوّرة، فكسرتْ حديدنا، وشقَّت علينا، فشكونا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأخذ المِعْوَل من سلمان، فضربَ الصخرَةَ ضربة صدعها، وبرقت منها برقةٌ أضاءت ما بين لابتي المدينة، حتّى لكأنّ مصباحاً في جوف ليل مظلم، فكبَّر رسول الله ﷺ، وكبَّر المسلمون، ثم

---

(١) في الأصل الفارسي: «أنزلت» وكذا في «كنز العمال» (٥/ ٤٣١).

(٢) البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١) ولفظه فيهما: «إنَّ اللهَ بعثَ محمّداً ﷺ بالحقِّ، وأنزلَ عليه الكتابَ، فكانَ مما أَنْزَلَ اللهُ آيةَ الرَّجْمِ، فَقَرَأْناها وعَقَلْناها ووعيناها. رجمَ رسولُ الله ﷺ ورجمنا معه، فأخشى إنْ طالَ بالنَاس زمانٌ أنْ يقولَ قائلٌ: ما نجدُ آيةَ الرَّجمِ في كتابِ اللهِ، فَيَضِلّوا بتركِ فريضةٍ أنزلها الله».

ضربها الثانية، فصدعها، وبرق منها برقةٌ أضاء ما بين لابتيها، فكبَّر وكبَّر المسلمون، ثم ضربها الثالثة، فصدعها، وبرق منها برقةٌ أضاء ما بين لابتيها، وكبَّر وكبَّر المسلمون، فسألناه، فقال: «**أضاءَ لي في الأُولى قصورُ الحيرةِ ومدائنُ كسرى كأنَّها أنيابُ الكلابِ، فأخبرني جبريلُ أنَّ أُمّتي ظاهرةٌ عليها، وأضاءَ لي في الثانيةِ القصورُ الحمرُ من أرضِ الرومِ كأنّها أنيابُ الكلابِ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أُمّتي ظاهرةٌ عليها، وأضاءَ لي في الثالثةِ قصورُ صنعاءَ كأنَّها أنيابُ الكلابِ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أُمتي ظاهرةٌ عليها، فأَبْشِرُوا بالنَّصْر**».

فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمدُ للهِ موعدٌ صادقٌ بأنَّ وعدنا النصرَ بعد الحَصْرِ، فطلعتِ الأحزابُ فقال المسلمون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب].

وقال المنافقون: ألا تعجبونَ! يحدِّثكم ويعدُكُم، ويُمنِّيكم الباطل، يخبِرُ أنّه يبصِرُ مِنْ يثربَ قصورَ الحيرةِ، ومدائنَ كسرى، وإنّها تُفتَحُ لكم، وإنّكم تحفرونَ الخندقَ، ولا تستطيعونَ أن تبرّزوا، وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب][1]، وروي عن البراء بن عازب نحوه.

• **عن قتادة** ﷺ قال: همَّ عمر بن الخطاب ﷺ أن ينهى عن الحبرة من صباغ البول[2]، فقال له رجل: أليس قد رأيت رسول الله ﷺ يلبسها؟ قال عمر ﷺ: بلى، قال الرجل: ألم يقل الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١][3].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٣٢).
(٢) في الأصل الفارسي: «من صاغ البول».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٤٠).

• **وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَكَبَّ عَلَى الرُّكْنِ فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَلَوْ لَمْ أَرَ حَبِيبِي ﷺ قَبَّلَكَ وَاسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ وَلَا قَبَّلْتُكَ، وَ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١].

• **وعن يعلى بن أُمية** رضي الله عنه قال: طفتُ مع عمر رضي الله عنه، فلمّا كنت عند الركن الذي يلي الباب، ممّا يلي الحَجَر، أخذتُ بيده ليستلمَ فقال: ما طفتَ مع رسول الله ﷺ؟

قلتُ: بلى.

قال: فهل رأيته يستلمَه؟

قلت: لا.

قال: ما بَعُدَ عنك[٢]، فإنَّ لك في رسولِ اللهِ أسوة حسنة[٣].

• **عن عيسى بن طلحة** قال: دخلتُ على أم المؤمنين [عائشة] وعائشة بنت طلحة وهي تقول لأمها أسماء: أنا خير منك، وأبي خير من أبيك، فجعلت أسماءُ تشتمُها وتقول: أنت خير مني؟

فقالت عائشةُ رضي الله عنها: ألا أقضيَن بينكما؟

قالت: بلى.

قالت: فإنّ أبا بكر رضي الله عنه دخل على رسولِ اللهِ ﷺ، فقال له: «**أنتَ عتيقٌ من النار**»[٤]، قالت: فمن يومئذٍ سمّي عتيقاً، ثم دخل طلحةُ رضي الله عنه فقال: «**أنتَ يا طلحةُ ممّن قضى نحبه**»[٥].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٣١).
(٢) في الأصل الفارسي: «فأبعد عنك».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٤١).
(٤) في الأصل الفارسي: «عتيق الله من النار».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٤٥).

• **عن جابر** قال: أقبل أبو بكر ﵁ يستأذنُ على رسول الله ﷺ، والناسُ ببابه جلوسٌ، والنبي ﷺ جالسٌ، فلم يؤذن له، [ثم أقبل عمر فاستأذن، فلم يؤذن له]، ثم أُذِنَ لأبي بكر وعمر ﵄، فدخلا، والنبي ﷺ جالسٌ وحوله نساؤه، وهو ساكتٌ، فقال عمر ﵁: لأكلِّمنَّ رسول الله ﷺ لعلَّه يضحك، فقال عمر ﵁: يا رسول الله لو رأيتَ ابنةَ زيدٍ ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقةَ آنفاً فوجأتُ عنقها، فضحكَ النبيُّ ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال: «**هُنَّ حولي يسألنَني النفقةَ**».

فقام أبو بكر ﵁ إلى عائشة ﵂ ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبيَّ ﷺ ما ليس عنده، فنهاهما رسولُ اللهِ ﷺ عن هذا، فقلن نساؤه: واللهِ لا نسألُ رسولَ اللهِ ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده، وأنزل الله الخيارَ، فبدأ بعائشةَ ﵂ فقال: «**إنِّي ذاكرٌ لكِ أمراً، ما أحبُّ أَنْ تعجَلِي فيه حتَّى تَسْتأمِري أبويكِ**».

قالت: ما هو؟

فتلا عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

قالت عائشة ﵂: أفيكَ أستأمرُ أبوي؟! بل أختارُ اللهَ ورسولَه، وأسألك أن لا تذكرَ إلى امرأةٍ من نسائِكَ ما اخترتُ.

فقال: «**إنَّ الله لم يبعثني متعنّتاً، وإنّما بعثني معلّماً مبشّراً، لا تسألني امرأةٌ منهنَّ عما اخترتِ إلا أخبرتُها**»(١).

• **عن عمر** قال: استعينوا على النساء بالعُري، إنّ إحداهنَّ إذا كثرت ثيابُها وحسنتْ زينتُها أعجبها الخروجُ(٢).

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٥٠).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٥٣) برقم: (١٧٧١١).

• **عن معاذ** عن رسول الله ﷺ أنّ رجلاً سأله فقال: أيّ الجهادِ أعظمُ أجراً؟

قال: «**أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً**».

قال: فأيّ الصائمينِ أعظمُ أجراً؟ قال: «**أكثرهم للهِ تبارك وتعالى ذكراً**».

ثم ذكر لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك رسول الله ﷺ يقول: «**أكثرُهم للهِ تبارك وتعالى ذكراً**».

فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: يا أبا حفص ذهبَ الذاكرون بكلِّ خير.

فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**»[1].

• **عن مجاهد** رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! ما أنزل الله عليكَ خيراً إلا أشركنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣][2].

• **أخرج الترمذي** وحسّنه **والحاكم** وصحّحه عن **أم هانئ** رضي الله عنها قالت: خطبني النبيُّ ﷺ فاعتذرت إليه، فعذرني، وأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] قالت: فلم أُحَلّ له؛ لأني لم أهاجر معه، كنتُ من الطلقاء[3].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٥٦١٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٧٥).

(٣) انظر: سنن الترمذي» برقم: (٣٢١٤)، و«المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٤٥٦) برقم: (٣٥٧٤) واللفظ له.

• وعن **أبي صالح** مولى أم هانىء قال: خطب رسول الله ﷺ أمَّ هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسولَ اللهِ، إني مؤتمة، وبنيّ صغارٌ، فلما أدرك بنوها عرضتْ عليه نفسَها فقال: «**الآنَ فلا، إنَّ الله تعالى أنزل عليَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ إلى: ﴿هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾**»، ولم تكن من المهاجرات[١].

• وعن **أنس** رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! يدخل عليك البَرُّ والفاجر، فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنينَ بالحجابِ، فأنزل الله آية الحجاب[٢].

• وعن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: دخل رجل على النبي ﷺ، فأطال الجلوس، فقام النبي ﷺ مراراً كي يتبعه ويقوم، فلم يفعل، فدخل عمر رضي الله عنه فرأى الرجل، وعرف الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لمقعده فقال: لعلَّك آذيتَ النبيَّ ﷺ، ففطن الرجلُ فقام، فقال النبيُّ ﷺ: «**لقد قمتُ مراراً كي يتبعَنِي فلم يَفْعَلْ**».

فقال عمر رضي الله عنه: لو اتخذتَ حجاباً، فإنَّ نساءك لسنَ كسائرِ النساءِ، وهو أطهرُ لقلوبهنَّ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فأرسل إلى عمر رضي الله عنه فأخبره بذلك[٣].

• وعن **عائشة** رضي الله عنها قالت: كنتُ آكلُ مع النبيِّ ﷺ طعاماً في قعب، فمرّ عمر، فدعاه فأكل، فأصابت أصبعه أصبعي، فقال عمر: أوَّه لو أُطاع فيكنّ ما رأتكنّ عينٌ، فنزلت آية الحجاب[٤].

---

(١) انظر: «المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٨٠).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩١).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩١).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩١).

• **وعن عائشة** رضي الله عنها أنّ أزواجَ النبيِّ ﷺ كنّ يخرجنَ بالليل إذا تبرّزن إلى المناصع! وهو صعيد أفيح، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: احْجُبْ نساءَك، فلم يكن رسولُ اللهِ ﷺ يفعل، فخرجت سودةٌ بنت زمعة رضي الله عنها ليلةً من الليالي عشاء، وكانت امرأةً طويلةً، فناداها عمر رضي الله عنه بصوته: ألا قد عرفناك يا سودةُ، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى الحجاب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾[1].

• **وعن ابن مسعود** رضي الله عنه قال: فضّل الناسُ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه بأربع:

١ ـ بذكره **الأسارى يوم بدر**، أمر بقتلهم، فأنزل الله: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨].

٢ ـ **وبذكره الحجاب**، أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت له زينب رضي الله عنها: وإنّكَ لتغار علينا يا ابنَ الخطاب والوحيُ ينـزِلُ في بيوتنا؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٣ ـ **وبدعوة النبي** ﷺ: **«اللَّهُمَّ أيِّد الإسلام بعمر»**.

٤ ـ **وبرأيه في أبي بكر**، كان أول الناس بايعه[2].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ فجاءه رجل فسلَّم، فردَّ النبيُّ ﷺ، وأطلق وجهه، وأجلسه إلى جنبه، فلمّا قضى الرجلُ حاجته نهض، فقال النبي ﷺ: **«يا أبا بكر! هذا رجلٌ يُرْفَعُ له كلَّ يوم كعملِ أهلِ الأرضِ»**.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩٢).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩٣).

قلت: ولم ذاك؟

قال: «**إنّه كلّما أصبحَ صلَّى عليّ عشرَ مرَّاتٍ كصلاةِ الخَلْقِ أجمع**».

قلت: وما ذاك؟

قال: يقول: «**اللَّهُمَّ صلِّ على محمّد النبيِّ عددَ مَنْ صلَّى عليه مِنْ خلقِكَ، وصلِّ على محمَّد النبيِّ كما ينبغي لنا أن نصلّي عليه، وصلِّ على محمّد النبيِّ كما أمرتنا أن نصلِّي عليه**»[(١)].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: الصلاةُ على النبيِّ ﷺ أمحقُ للخطايا من الماء البارد، والسلامُ على النبيّ ﷺ أفضلُ من عتق الرقاب، وحبّ النبي ﷺ أفضلُ من مهج الأنفسِ، أو قال: من ضربِ السيفِ في سبيل الله[(٢)].

• **وعن قتادة** رضي الله عنه في الآية قال: إياكم وأذى المؤمنين، فإن الله يحوطهم، ويغضبُ لهم[(٣)]، وقد زعموا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأها ذات يوم، فأفزعه ذلك حتى ذهب إلى أُبي بن كعب رضي الله عنه، فدخل عليه فقال: يا أبا المنذر! إنّي قرأتُ آيةً من كتاب الله تعالى، فوقعت مني كلَّ موقع: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، واللهِ إنـي لأعاقبهم وأضربهم، فقال له: إنّكَ لستَ منهم، إنّما أنت معلِّم[(٤)].

• **وعن الشعبي** رضي الله عنه: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إنِّي لأبغضُ فلاناً، فقيل للرجل: ما شأنُ عمرَ رضي الله عنه يبغضِكُ! فلمّا أكثر القوم في

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٠٣).

(٣) في الأصل الفارسي: «فإن الله يحوطه ويغضب له».

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٠٧).

الذكر[١]، جاء فقال: يا عمر! أفتقتُ في الإِسلام فتقاً؟

قال: لا.

قال: فجنيتُ جناية؟

قال: لا.

قال: أحدثتُ حدثاً؟

قال: لا.

قال: فعلام تبغضني وقد قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب] فقد آذيتني فلا غفرها الله لك، فقال عمر ﵁: صدق واللهِ ما فتق فتقاً، ولا ولا، فاغفرها لي، فلم يزل به حتى غفرها له[٢].

• **وعن أبي قلابة** قال: كان عمر بن الخطاب: لا يدعُ في خلافته أمَةً تقنَّع، قال: قال عمر: إنَّما القناعُ للحرائر لكي لا يؤذينَ[٣].

• **وعن أنس** ﵁ قال: رأى عمر ﵁ جاريةً مقنّعةً، فضربها بدِرَّته وقال: ألقي القناعَ، لا تشبَّهين بالحرائر[٤].

❊ ❊ ❊

---

(١) في الأصل الفارسي: «فلما كثر القوم في الدار».
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٠٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٢) برقم: (٦٢٤٢).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٠٩).

آيات سورة سبأ

• **قال الله تعالى**: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سبأ].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يُبيّن الله تعالى في هذه الآيات شبهةً من شبهات الكفار التي يقعُ فيها أكثرُ الناس في الدنيا في كل طبقة؛ يعني: النظرُ إلى الأموالِ والأولادِ، وعدَّها فضيلةً، وجَعلَها مناطاً للنجاة في الآخرة، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ...﴾.

ثم يقول الفقير: ليست المفاضلة فيما بين المسلمين بحسب المال والأولاد والجاه والحسب والنسب، وإنّما المفاضلةُ بالإيمان والأعمال الصالحة، وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول الإسلام.

• **عن إبراهيم التيمي** قال: قال رجل عند عمر: اللَّهُمَّ اجعلني من القليلِ.

قال: فقال عمر: ما هذا الذي تدعو به؟

فقال: إنّي سمعتُ الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ] فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل.

قال: فقال عمر: كلُّ الناسِ أعلمُ من عمر(١).

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٦٥) برقم: (٢٩٥١٤).

وعن **مِسْعَر** قال: سمعَ عمرُ رجلاً يقول: اللَّهُمَّ اجعلني من القليل.

فقال: يا عبد الله! ما هذا؟

قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾، وذكر آية أخرى، فقال عمر: كلُّ أحدٍ أفقهُ من عمر.

❋ ❋ ❋

آيات سورة فاطر

• **قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر].

يقول الفقير: يُبيّن الله تعالى في أول الكلام فضيلةَ الجماعةِ الذين يتلون كتاب الله، ويقيمون الصلاة، وينفقون من أموالهم سرّاً وعلانيةً، ويَعِدُ لهم أجراً جزيلاً، ثم يقول بعد ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم يقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، ثم يبيّن أجر الأمة المرحومة بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٣]، ثم يبيّن عقوبة الذين هم على خلافهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: ٣٦].

ثم يقول الفقير: هذه الآية نصٌّ مع الآيات الأخرى على انقسام الأمة المرحومة إلى ثلاثة أقسام:

أعلاها: السابقون من الصدِّيقين والشهداء والصالحين، وهم المقرَّبون أيضاً.

وأوسطها: المقتصدون، وهم أصحاب اليمين والأبرار.

وأدناها: الظالمون؛ يعني: من أصلح العقيدة والإيمان، ووقع منه تقصيرٌ في الأعمال، فتاب إلى الله بالندامة ليتداركها.

وقد بيّنا فيما تقدّم أنَّ الخلافة الخاصة لا تتحقّق إلا أن يكون الخليفة من السابقين المقرَّبين فيما يتعلق بنفسه، ومن السابقين الأولين في طبقات المؤمنين من ناحية السوابق الإسلامية، فتدبّر.

• **عن الضحَّاك** رضي الله عنه [عن ابن عباس] قال: أُنزلت هذه الآية: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فاطر: ٨]، حيث قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعِزَّ دينَك بِعُمَرَ بنِ الخطّاب، أو بأبي جهلِ بنِ هشامٍ**»، فهدى الله عمر رضي الله عنه، وأضلَّ أبا جهل، ففيهما أُنزلت[1].

• **عن سعيد بن المسيب** قال: وضعَ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه للناس ثماني عشرة كلمةً، حِكَمٌ كلُّها [قال]:

ما عاقبتَ مَنْ عصى الله فيكَ مثلَ أن تطيعَ الله فيه.

وضع أمرَ أخيكَ على أحسنهِ حتّى يجيئكَ منه ما يغلبك.

ولا تظنّن بكلمةٍ خرجت من مسلم شراً أنت تجدُ لها في الخير محملاً.

ومَنْ عَرَّضَ نفسَه للتهمةِ، فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ الظنَّ به.

ومَنْ كتمَ سِرَّهُ كانت الخيرةُ في يدِهِ.

وعليكَ بإخوانِ الصدقِ تَعِشْ في أكنافِهم، فإنّهم زينةٌ في الرخاءِ، وعِدّةٌ في البلاءِ.

وعليكَ بالصدقِ وإن قتلكَ.

ولا تعرّض فيما لا يعني.

ولا تسأل عمّا لم يكن، فإن فيما كان شغلاً عما لم يكن.

ولا تطلبُ[2] حاجتكَ إلى مَنْ لا يحبُّ نجاحَها لك.

ولا تتهاون بالحلفِ الكاذبِ فيهلككَ اللهُ.

ولا تصحبِ الفجّارَ لتتعلّم من فجورِهم.

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٦٣).

(٢) في الأصل الفارسي: «لا تطلبنّ».

واعتزل عدوّك.

واحذر صديقَكَ إلا الأمين، ولا أمين إلا مَنْ خشي الله.

وتخشّع عند القبور، وذلّ عند الطاعة، واستعصم عند المعصية.

واستشر [في أمرك] الذين يخشون الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨][(١)].

• **وعن عمر بن الخطاب**: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**سابقُنا سابقٌ، ومقتصِدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مغفورٌ له**»، وقرأ عمر: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢][(٢)].

• **وعن عثمان بن عفان**: أنّه نزع[(٣)] بهذه الآية، ثم قال: ألا إنّ سابقَنا أهلُ جهادِنا، ألا وإن مقتصِدَنا أهلُ حضرنا، ألا وإنَّ ظالمَنا أهلُ بدونا[(٤)].

• **وعن صُهيبٍ** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول في المهاجرين الأولين: «**همُ السابقونَ الشافعونَ المدلُّون على ربِّهم تبارك وتعالى، والذي نفسي بيدِهِ إنَّهم ليأتونَ يومَ القيامةِ، وعلى عواتِقهم السلاحُ، فيقرعونَ بابَ الجنّةِ، فتقولُ لهم الخزنةُ: من أنتم؟**

فيقولونَ: نحنُ المهاجرونَ.

فتقول لهم الخزنةُ: هل حُوسِبْتُم.

فيجثونَ على رُكَبِهم، [وينثرون ما في جعابهم]، ويرفعونَ أيديهم إلى

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٧٥).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٧٨).

(٣) في الأصل الفارسي: «أفزع».

(٤) «فتح القدير» (٦/ ١٤٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٧٨).

السماءِ، فيقولون: أيْ ربِّ! وماذا[١] نحاسبُ، فقد خرجنا، وتركنا الأهلَ والمالَ والولدَ، فيمثِّلُ اللهُ لهم أجنحةً مِنْ ذهبٍ، مخوّصةٌ بالزَّبَرْجَدِ والياقوتِ، فيطيرون حتّى يدخلوا الجنة»، فذلك قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

قال رسول الله ﷺ: «فَلَهُم بمنازِلِهم في الجنّةِ أعرفُ منهم بمنازلهم في الدُّنيا»[٢].

---

(١) في الأصل الفارسي: «أبهذه».

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٥١) رقم: (٥٧٠٤).

آيات سورة يس

• قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾ [يس].

يقول الفقير: يُبيِّن الله تعالى في هذه الآيات أنَّ جمعاً من غير الأنبياء يعرفون كلمة الحقِّ بشهادة قلوبهم، ويدعون جمهور بني آدم لاتّباع الأنبياء مع كلمة الحقِّ، ويلقون في الآخرة أجراً جزيلاً ممّا هو تِلْوَ مراتب الأنبياء، وهذا من صفات الخلافة الخاصة، فتدبّر.

• **عن أبي بكر الصديق** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**سورةُ يس في التوراةِ تُدْعَى المُعِمّة**».

قيل: ما المُعمة؟

قال: «**تعمُّ صاحبَها بخيرِ الدنيا والآخرةِ، وتكابِدُ عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوالَ[(١)] الآخرةِ، وتدعى المدافِعَةُ[(٢)] القاضِيةُ، تدفعُ عن صاحبِها كلَّ سوءٍ، وتقضي له كلَّ حاجةٍ، مَنْ قرأها عَدَلَتْ له عشرينَ حجةً، ومَنْ سمِعَها عدلتْ له ألفَ دينارٍ في سبيلِ اللهِ، مَنْ كتبَها، ثم شربَها، أدخلت جوفَه ألفَ دواءٍ، وألفَ نورٍ، وألفَ يقينٍ، وألفَ بركةٍ، وألفَ رحمةٍ، ونزعت عنه كلَّ غِلٍّ وداءٍ**»[(٣)].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ زارَ قبرَ والديه أو أحدِهما في كلِّ جمعةٍ، فقرأ عندَهما «يس» غَفَرَ اللهُ تعالى لَهُ بعددِ كلِّ حَرْفٍ منها**»[(٤)].

---

(١) في الأصل الفارسي: «أهاويل».
(٢) في الأصل الفارسي: «الدافقة».
(٣) «شعب الإيمان»، للبيهقي (٥/٤٧٦).
(٤) انظر: «تاريخ أصبهان» (١/٣٥٨).

• **عن عروةَ** قال: قَدِمَ عروةُ بنُ مسعودِ الثقفي على رسولُ اللهِ ﷺ، ثم استأذنَ ليرجعَ إلى قومه، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّهم قاتِلُوكَ؟**» قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، فرجعَ إليهم، فدعاهم إلى الإسلام، فعصوه، وأسمعوه من الأذى، فلمّا طلعَ الفجرُ، قام على غرفةٍ، فأذَّنَ بالصلاةِ، وتشهَّد، فرماه رجلٌ من ثقيفٍ بسهم فقتله، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتله: «**مِثْلُ عروةَ، مِثْلُ صاحبِ** «يس»، **دعا قومَهُ إلى اللهِ فقتلوه**»[1].

• **عن الحسن** أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت:

كَفَىٰ بالإسلامِ والشَّيْبِ للمرءِ ناهيا

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنّما قال الشاعر:

كفى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

ورسول الله ﷺ يقول:

كَفَىٰ بالإسْلامِ والشَّيْبِ للمَرْءِ ناهِيَا

فقال أبو بكر: أشهدُ أنك رسولُ اللهِ ما علّمك الشعرَ، وما ينبغي لك[2].

• **وعن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد** رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال للعباس بن مرداس: «**أرأيتَ قولك: أصبحَ نهبي ونهبَ العبيدِ بين الأقرع وعيينة؟**»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللهِ، ما أنتَ بشاعرٍ، ولا راوية، ولا ينبغي لك، إنما قال: بين عيينةَ والأقرعِ[3].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٩٦).
(٢) «طبقات ابن سعد» (١/ ٣٨٢).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣١٧).

آيات سورة الصافات

• **قال الله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

يقول الفقير: إنّ الأصحّ في تفسير هذه الآية أنَّ المرادَ بالمرسلين في هذه الآية الأنبياء، الذين كُلِّفوا بالجهادِ والمخاصمة مع الكفار، لا الطائفة الذين أرسلوا لإتمام الحجة فقط، فهم ـ جميعاً ـ منصورون في الدنيا والآخرة، والمراد بالجند مَنِ اتبعوا الرسلَ ممّن ألقيت في جذر قلوبهم داعيةُ النصرة للأنبياء ولإعلاء كلمة الله، وهم الغالبون والمسيطرون على المبعوث إليهم، سواء كانوا في حياة النبي ﷺ أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ﷺ.

ثم يقول الفقير: إذا رأينا بعدَ هذا الوعدِ الإلـٰهي أنَّ طائفةً من أصحاب النبي ﷺ قد ألقيت في قلوبهم الداعية لإعلاء كلمة الله، وغلبوا على الصديق والعدّو علمنا بالبداهة أنّهم مشرَّفون بالتخصيص من الله في قوله: ﴿جُندَنَا﴾ وهو المقصود.

• **عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في قوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، قال: أمثالهم الذين هم مثلهم، يجيء أصحابُ الرِّبا مع أصحاب الرِّبا، وأصحاب الزِّنا مع أصحاب الزِّنا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، أزواج في الجنة، وأزواج في النار[1].

❊ ❊ ❊

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٢٥).

آيات سورة ص

• **قال الله تعالى**: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

يقول الفقير: الظاهر أنّ المراد: هو طائفةٌ ممّن آمنوا في زمان نزول السورة، أو نقول: هذه الطائفةُ تأتي ضمنَ هذا العموم قطعاً، كما قالوا: إن سبب النزول هو المراد بعمومات القرآن بالقطع، فذلك تشريف عظيم للمهاجرين الأولين.

• **عن السائب بن يزيد** قال: صلّيتُ خلف عمرَ الفجر، فقرأ بنا سورةَ «ص» فسجدَ فيها، فلمّا قضى الصلاةَ قال له رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين ومن عزائم السجود هذه؟

فقال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يسجدُ فيها[1].

• **وعن أبي مريم** قال: لمّا قدم عمرُ الشامَ أتى محرابَ داود عليه السلام، فصلّى فيه، فقرأ سورة «ص» فلمّا انتهى إلى السجدةِ سجد[2].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، أنه سأل طلحة، والزبير، وكعباً، وسلمان: ما الخليفة من الملك؟

قال طلحة والزبير: ما ندري!

فقال سلمان رضي الله عنه: الخليفةُ الذي يَعْدِلُ في الرعية، ويقسِمُ بينهم

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٢).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٢).

بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، ويقضي بكتاب الله تعالى.

فقال كعب: ما كنتُ أحسبُ [أنَّ في المجلس] أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري[١].

● **وعن سلمان** أنّ عمر قال له: أنا ملكٌ أم خليفةٌ؟

فقال له سلمان: إن أنتَ جبيتَ من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر، ثم وضعته في غير حقّه، فأنتَ مَلِكٌ غير خليفة، فاستعبر عمر[٢].

● **وعن سليمان بن أبي العرجاء** قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟

قال قائل: يا أميرَ المؤمنين إنَّ بينهما فرقاً.

قال: ما هو؟

قال: الخليفةُ لا يأخذُ إلّا حقاً، ولا يضعه إلا في حقٍّ، وأنت الحمدُ للهِ كذلك، والمَلِكُ يَعْسفُ الناسَ، فيأخذ من هذا ويعطي هذا[٣].

● **وعن معاوية** رضي الله عنه، أنّه كان يقول إذا جلس على المنبر: يا أيها الناس إنَّ الخلافةَ ليست بجمع المال [ولا بتفريقه]، ولكنَّ الخلافةَ العملُ بالحقّ، والحكمُ بالعدل، وأخذُ الناسِ بأمرِ اللهِ[٤].

● **وأخرج البخاري** عن عمر فَقَالَ: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ[٥].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٤).
(٢) «الكشف والبيان»، للثعلبي (١/ ١٠٨).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٤).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٤).
(٥) «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٩٣).

آيات سورة الزمر

• **قال الله تعالى**: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

يقول الفقير: إنْ تأمَّل أحد في هذه الآيات تأمُّلاً وافياً يتبيّنَ له أنّ كلمة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ﴾ إشارة إلى الهجرة، وحثٌّ عليها، ووعدٌ للذين هاجروا وصبروا على شدائدها بأجر جزيل، وتشريف عظيم لهم بإضافة «عبادي»، وناهيك به من فضيلة للمهاجرين الأولين.

• **عن ابن عمر** رضي الله عنهما أنّه تلا هذه الآية: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ [الزمر: ٩] قال: ذاك عثمانُ بنُ عفّان.

وفي لفظٍ: نزلتْ في عثمان بن عفان[١].

• **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ قال: نزلت في عمّار بن ياسر، وفي رواية: في ابن مسعود، وعمّار، وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم[٢].

• **وعن مجاهد** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ﴾ قال: أرضي واسعة فهَاجِروا واعتزلوا الأوثان[٣].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٣٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٣٧).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٣٨).

• **وعن ابن عمر** رضي الله عنهما قال: عشنا برهةً من دهرنا ونحن نرى هذه الآية نزلت فينا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر]، فقلت: لِمَ نختصم؟ أمّا نحنُ فلا نعبدُ إلا الله، وأمّا ديننا فالإسلام، وأمّا كتابُنا فالقرآن، لا نغيِّره أبداً، ولا نحرِّفُ الكتاب، وأمّا قبلتنا فالكعبة، وأمّا حرمنا[1] فواحد، وأما نبيّنا فمحمد ﷺ، فكيف نختصم؟ حتى كفحَ بعضُنا وجهَ بعضٍ بالسيف، فعرفت أنها نزلت فينا[2].

• **وعن إبراهيم النخعي** رضي الله عنه قال: أنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [وما ندري فيم نزلت! قلنا: ليس بيننا خصومة] قالوا: وما خصومتنا ونحن إخوان؟! فلمّا قُتِلَ عثمانُ بنُ عفّان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومة ما بيننا[3].

• **وعن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾، كنا نقول: ربنا واحد، وديننا واحد، فما هذه الخصومة؟ فلمّا كان يومُ صفّين، وشدَّ بعضُنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم، هو هذا[4].

• **وعن علي بن أبي طالب** ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ قال: محمد ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] أبو بكر الصدِّيق هكذا الرواية بالحق[5].

• **وعن أبي هريرة**: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ قال: محمد

---

(١) في الأصل الفارسي: «أما حرامنا أو حرمنا».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥٠).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥٠).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥١).
(٥) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٦).

رسول الله ﷺ: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[١].

• **وعن سليم بن عامر** أنّ عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيءَ لم يخطر له على باله، فتكون رؤياه كأخذ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا تكون رؤياه شيئاً!

فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، فالله يتوفَّى الأنفس كلَّها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقَّتها الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل، فكذبت فيها، فعجبَ عمرُ من قوله[٢].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: اتّفقتُ[٣] أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي بن وائل أن نهاجر إلى المدينة، فخرجت أنا وعياش وفتن هشامُ فافتتن، فقدم على عياش أخواه أبو جهل والحارث بن هشام، فقالا: إنّ أمك قد نذرت أن لا يظلّها ظلّ، ولا يمسَّ رأسَها غسلٌ حتى تراك، فقلت: والله إن يريداك إلا أن يفتناك عن دينك وخرجا به، وفتنوه فافتتن، قال: فنزلت: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، قال عمر رضي الله عنه: فكتبت إلى هشام فقدم[٤].

• **وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر** رضي الله عنهما قال: خرج علينا

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥٢).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥٥).
(٣) في الأصل الفارسي: «اتقدت».
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٦١).

رسول الله ﷺ ذات غداة فقال: «**إنِّي رأيتُ في غداتي هذِهِ كأنِّي أُتِيتُ بالمقاليدِ والموازينِ، فأمّا المقاليدُ: هي المفاتيحُ، وأمّا الموازينُ: فموازينُكم هذه التي تزنون بها، وجِيءَ بالموازين، فوُضِعَتْ ما بين السماءِ والأرضِ، ثم وضعتُ في كفّةٍ، وجيءَ بالأُمةِ، فوُضِعَتْ في الكفّةِ الأُخرى، فرجحت بهم، ثم جِيءَ بأبي بكرٍ، فوضعَ في كفّةٍ، فوُزِنَ بهم، ثم جِيءَ بعمرَ، فوُضِعَ في كفةٍ والأمةُ في كفّةٍ فوزنهم، ثم رُفِعَت الميزان**»[١].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما، أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ فقال له: أخبرني عن ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] [الزمر: ٦٣]، فقال: «**سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلـهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حَوْل ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيم، الأوّلُ، والآخِرُ، والظاهِرُ، والباطِنُ، بيدِهِ الخيرُ، يُحيي ويُميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.**

يا عثمانُ مَنْ قالها إذا أصبحَ عشرَ مرّاتٍ وإذا أمسى، أعطاهُ اللهُ سِتَّ خصالٍ: أمّا أولاهنَّ: فَيُحْرَسُ من إبليسَ وجنودِهِ، وأمّا الثانيةُ: فيُعطى قنطاراً من الأجرِ، وأمّا الثالثةُ: فيتزوّجُ من الحورِ العينِ، وأمّا الرابعةُ: فيُغْفَرُ له ذنوبه، وأمّا الخامسةُ: فيكون مع إبراهيمَ، وأمّا السادسةُ: فَيَحْضُرُه اثنا عشرَ ملَكاً عند موته، يُبشِّرونه بالجنةِ، ويزّفونه مِنْ قبرِه إلى الموقِف، فإنْ أصابه شيءٌ من أهاويلِ يوم القيامةِ قالوا له: لا تخفْ إنَّكَ من الآمنين، ثم يحاسِبُه اللهُ حساباً يسيراً، ثم يُؤْمَرُ به إلى الجنّةِ، يزفّونه إلى الجنّةِ من موقفه، كما تُزَفُّ العروسُ حتى يدخلوه الجنّةَ بإذنِ اللهِ، والناسُ في شِدّةِ الحساب»[٣].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٦٩).

(٢) في الأصل الفارسي: «فقال له: أخبرني عن ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾».

(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٦٩).

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: سأل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣]، فقال: قال رسول الله ﷺ: **«سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلـهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ [مقاليدُ السماواتِ والأرضِ]، ولا حَوْلَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيمِ من كنوزِ العَرْشِ»**(١).

• **عن ابن عمر** رضي الله عنهما، أنَّ عثمانَ رضي الله عنه سأل النبيَّ ﷺ عن تفسير ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فقال النبيُّ ﷺ: **«ما سألني عنها أحدٌ، تفسيرُها: لا إلـهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، وسبحانَ اللهِ، واللهُ أكبرُ، وأستغفرُ اللهَ، ولا حَوْلَ ولا قوّةَ إلا باللهِ الأوّلُ والآخِرُ، والظاهِرُ والباطِنُ، بيدِه الخيرُ، يحيي ويميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»**(٢).

• **وأخرج البخاري ومسلم** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»**.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟

قَالَ: **«نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»**(٣).

***

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٧٠).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٧٠).

(٣) «صحيح البخاري» برقم: (١٨٩٧) واللفظ له، و«صحيح مسلم» برقم: (١٠٢٧).

آيات سورة المؤمن

يقول الفقير: إن الله تعالى يذكر في سورة المؤمن قصة مؤمن من آل فرعون الذي ألقى الله في قلبه داعية الجدال لموسى عليه السلام، وصبَّ في عقله عزيمة لإعلاء كلمة الله، وإلزامِ حجته تبارك وتعالى، ليكون دستوراً للصديقين والمحدَّثين في هذه الأمة المرحومة، ومن هنا يعرف رجل خبير أن الله تعالى يقيّض واحداً مثل مؤمن آل فرعون، ويلقي في قلبه داعية الجدال لرسله وإعلاء كلمته، وهذه الجماعة تكون من خيار الأمة، وما قيل في الآيات السابقة، ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧]، وما قيل بعد هذه القصّة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٥١]، كل ذلك ينطبق على هذه الجماعة الشريفة.

ثم يقول الفقير: إن جماعة السابقين الأولين من المهاجرين جادلوا الكفار والمشركين بهذا الأسلوب، وهذا معلوم بالقطع، ووقع نصر الدين على أيديهم، فمطمح هذه الإشارة ومصداق هذه البشارة هؤلاء السعداء، وهو المقصود.

• **عن يزيد بن الأصم** رضي الله عنه أن رجلاً كان ذا بأس[(١)]، وكان من أهل الشام، وأن عمر فقده فسأل عنه فقيل له: في الشراب[(٢)]، فدعا عمر رضي الله عنه كاتبه فقال له: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلـه إلا هو ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ

(١) وبعده في الأصل الفارسي زيادة هي: [وكان يعدُّ إلى عمر لبأسه].
(٢) في الأصل الفارسي: «تتابع في هذا الشراب».

﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر]، ثم دعا، وأمّن من عنده، فدعوا له أن يقبل الله عليه بقلبه، وأن يتوب الله عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها، ويقول: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ قد وعدني أن يغفر لي، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ قد حذرني الله عقابه ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ الكثير الخير ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ فلم يزل يردِّدها على نفسه حتى بكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر رضي الله عنه أمره قال: هكذا فافعلوا إذا رأيتم أخاً لكم في زلة فسددوه، ووفقوه، وادعوا الله له أن يتوب الله عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه[1].

● **وعن قتادة** رضي الله عنه قال: كان شابّ بالمدينة صاحبَ عبادة، وكان عمر رضي الله عنه يحبُّه، فانطلق إلى مصر، ففسد، فجعل لا يمتنع من شر، فقدم على عمر رضي الله عنه بعضُ أهله، فسأله حتى سأله عن الشابّ فقال: لا تسألني عنه، قال: لم؟ قال: لأنه قد فسد وخلع، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: من عمر إلى فلان ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر]، فجعل يقرأها على نفسه فأقبل بخير[2].

● **وعن أبي إسحاق السَّبِيعي** قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن قتلتُ فهل لي من توبة؟ فقرأ عليه: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢﴾ وقال: اعمل ولا تيأس[3].

● **وعن قتادة في قوله**: ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ [غافر: ٨] قال: إن

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٨٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٨٨).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٨٨).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيّون، والصدّيقون، وأئمة العدل(١).

وأخرج **البخاري** عن **عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ** قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ؛ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيداً، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨](٢).

• **وعن عمرو بن العاص** رضي الله عنه قال: ما رأى رسول الله ﷺ شيئاً كان أشدَّ من أن طاف بالبيت(٣) ضحىً فلقوه حين فرغ، فأخذوا بمجامع ردائه، وقالوا: أنت الذي تنهانا عمّا كان يعبدُ آباؤنا؟

قال: «**أنا ذاك**».

فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر]، رافعاً صوته بذلك، وعيناه تسيحان، حتى أرسلوه(٤).

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٩٢).

(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٤٨١٥).

(٣) في الأصل الفارسي: «ما تنوول من رسول الله ﷺ بشيء كان أشدّ من أن طاف بالبيت».

(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢).

• **وعن أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: ضربوا رسول الله ﷺ حتى غُشِيَ عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فجعل ينادي ويلكم: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾.

قالوا: من هذا؟

قال: هذا ابنُ أبي قُحَافة[١].

وأخرج **الحاكم والترمذي** وابن مردويه من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، نحوه.

• **وعن علي** رضي الله عنه أنه قال: أيُّها الناسُ أخبروني بأشجع الناس؟

قالوا: أنت.

قال: لا.

قالوا: فمن؟

قال: أبو بكر[٢] رضي الله عنه، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ وأخذته قريشٌ، هذا يحثه[٣]، وهذا يبلبله[٤]، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلـٰهاً واحداً؟ قال: فواللهِ ما دنا منّا أحدٌ إلا أبو بكر رضي الله عنه، يضرِبُ هذا، ويجاهِدُ هذا، وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ثم رفع علي رضي الله عنه بُردة كانت عليه، فبكى حتى اخضلّت[٥] لحيته، ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر رضي الله عنه خير من مؤمن آل فرعون؟ ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه[٦].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٤)
(٢) في الأصل الفارسي: «قالوا: أنت، قال: لا، قالوا: فمن؟ قال: أبو بكر».
(٣) في الأصل الفارسي: «فهذا يجبّيه»، وهو الصواب.
(٤) في الأصل الفارسي: «وهذا يتلتله»، وهو الصواب.
(٥) في الأصل الفارسي: «ابتلّت».
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢).

• **عن أبي بكر الصِّدِّيقِ** قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ**»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٣٧).

آيات سورة فصلت؛ يعني: حم السجدة

• قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يبيّن الله تعالى ثواب الذين أقرّوا بالتوحيد، ثم استقاموا على ذلك، ثمّ يثبت الأفضلية من بين الموحدين للذين اتصفوا بالدعوة إلى الحق والعمل الصالح، وصاروا منقادين لله ظاهراً وباطناً، وقد علمت هذه الكلية من القرآن العظيم، ثم إذا كان للرجل عقل مميّز يدرك من أحوال أشخاص معينين وأوصافهم التي ثبتت بنقل متواتر دخولهم في هذه الكلية بل كونهم على رأس هذه الجماعة، ثم تصبح الأحاديث المستفيضة والمشهورة الواردة في مناقب هؤلاء الأشخاص شاهداً لهذا المعنى ويدخل فيمن قيل فيهم: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ الآية [فصلت: ٥]، قال: أقبلتْ قريشٌ إلى النبي ﷺ فقال لهم: «**ما يَمْنَعُكُمْ من الإسلامِ فَتَسُودُوا**[١] **العَرَبَ؟**».

فقالوا: يا محمد، ما نفقه ما تقول، ولا نسمعه، وإنَّ على قلوبنا لغلفاً، وأخذ أبو جهل ثوباً فمدَّه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ فقال:

(١) في الأصل الفارسي: «فتسوّروا».

يا محمد! ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

قال لهم النبي ﷺ: «**أدعوكم إلى خصلتينِ، أَنْ تَشْهَدُوا أَنْ لا إلهَ إلّا الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وإنِّي رسولُ اللهِ**»، فلمّا سمعوا شهادة أن لا إلـه إلا الله ﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء] وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص]، وقال بعضهم لبعض: ﴿...ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ...﴾ [ص: ٦ ـ ٨]، وهبط جبريل فقال: يا محمد! إن الله يقرئك السلام ويقول: أليس يزعم هؤلاء أن على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر فليس يسمعون قولك؟ كيف ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء]، لو كان كما زعموا لم ينفروا، ولكنهم كاذبون، يسمعون ولا ينتفعون بذلك كراهيةً له، فلمّا كان من الغد أقبل منهم سبعون رجلاً إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد! اعرض علينا الإسلام، فلما عرض عليهم الإِسلامَ أسلموا عن آخرهم، فتبسّم النبي ﷺ قال: «**الحَمْدُ للهِ، أَلَسْتُم بالأمسِ تزعمونَ أنَّ على قلوبكم غُلْفاً، وقلوبُكم في أكنّةٍ مما ندعوكم إليه، وفي آذانِكم وقراً، وأصبحتُم اليومَ مسلمينَ**».

فقالوا: يا رسول الله! كذبنا ـ واللهِ ـ بالأمسِ، لو كان كذلك ما اهتدينا أبداً، ولكنّ الله الصادق، والعباد الكاذبون عليه، وهو الغني ونحن الفقراء إليه[1].

• **وعن أبي بكر الصدّيق** رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٩).

ﮋﺛُﻢَّ ٱﺳْﺘَﻘَٰﻤُﻮاْﮊ [فصلت: ٣٠]، قال: الاستقامةُ أن لا تشركوا بالله شيئاً[(١)].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** ﭬ أنه قال: ما تقولون في هاتين الآيتين: ﮋإِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْﮊ، وﮋٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍﮊ [الأنعام: ٨٢].

قالوا: لم يذنبوا.

قال: لقد حملتموها على أمر شديد ﮋٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍﮊ، يقول: بشرك وﮋإِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْﮊ فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان[(٢)].

• **وعن عمر بن الخطاب** ﭬ: ﮋإِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْﮊ [فصلت: ٣٠]، قال: استقاموا بطاعةِ اللهِ، ولم يروغوا روغانَ الثعلبِ[(٣)].

• **وعن عمر بن الخطاب** ﭬ قال: لو أطقتُ الأذانَ مع الخلافةِ لأذّنتُ[(٤)].

• **وعن عمر بن الخطاب** ﭬ قال: إنّ هذا القرآنَ كلامُ اللهِ فضعوه على مواضعِهِ، ولا تتّبِعُوا فيه هواكم[(٥)].

• **وعن ابن عباس** ﭭ في قوله: ﮋأَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌﮊ [فصلت: ٤٠]، قال: أبو جهل بن هشام ﮋأَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِﮊ [فصلت: ٤٠]، قال: أبو بكر الصدِّيق ﭬ[(٦)].

• **وعن بشير بن تميم** ﭬ قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل،

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٣٩).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٩).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٩).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٣).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).
(٦) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).

وعمار بن ياسر ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾: أبو جهل ﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: عمار، عن عكرمة مثله[١].

• **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **في قوله**: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] قال: هذا لأهلِ بدرٍ خاصّة[٢].

• **وعن إبراهيم النخعي** رضي الله عنه قال: ذُكِرَ أنَّ السماء فُرِجَتْ يومَ بدرٍ فقيل: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[٣].

❁ ❁ ❁

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).

(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).

(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).

آيات سورة الشورى

• قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ في هذه الآيات لتلميحاً بأحوال الصحابة الكرام، وخصوصاً بحال الخلفاء الراشدين ذوي الاحترام، وهذه المسألة من دقائق فهم القرآن الكريم التي لا يفهمها إلّا من رُزِقَ النظر والتدبر في القرآن الكريم.

ينبغي أولاً هنا معرفة قاعدة كلية لفهم القرآن الكريم، وهي: أن يكونَ لفظُ النصِّ عامّاً يتضمَّنُ أوصافاً عامة، وكان هناك شخص اشتهر بين أفراد العام بوصف من تلك الصفات، بحيث لا يتبادر إلى ذهن السامع إلا هو عند سماع ذلك الوصف، وكأن في هذا النص تعريضاً بذلك الفرد المعيّن أو الأفراد المعينين.

وليعلم بعد ذلك أن الأوصاف المذكورة في قوله تعالى: ﴿...ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾، من الأوصاف المشهورة للمهاجرين الأولين، إذ إنهم فارقوا مألوفات قومهم عند غربة الإسلام،

وانقطعوا عن عشائرهم لمحض إيمانهم، ثم هاجروا بعد ذلك، وتركوا مكاسبهم وأسباب معيشتهم، وألقوا أنفسهم في المهالك والمخاطر، وذلك لمجرد اعتمادهم على وعد الله تبارك تعالى، ولمحض توكلهم على الله رب العالمين.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ من أوصاف الصالحين المهتدين من الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، إذ إن معنى التهذيب أن تأتي القوة البهيمية تحت حكم العقل، وتطمئنّ ولا تبغي ولا تطغى، وفي ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [الشورى: ٣٧]، إشارة إلى ذلك، وتخضع القوة السبعية للعقل وتنقاد له، وفي ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾، إيماء إلى ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ إيماء إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، إذ إن من أشهر أوصافه أنه قبل دعوة الحق فور سماعه لها بقوة تصديقه وكمال يقينه، وبلغ ذروة في إقامة الصلاة حتى قد اختاره النبي ﷺ من بين أصحابه للإمامة بالصلاة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ إشارة إلى الفاروق رضي الله عنه إذ إن من أبرز أوصافه أنه تمّ تنفيذ جميع الأمور بمشورة من علماء الصحابة في زمن خلافته، ومعظم الأمور المجمع عليها في الملة الإسلامية هي ما وقع الإجماع والاتفاق عليه بفضل تدبير الفاروق ورأيه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى]، كناية عن حال عثمان ذي النورين، إذ إن من أبرز أوصافه في الإسلام كثرة الإنفاق في سبيل الله وبفضل هذه الإنفاقات استحقّ البشارات العظيمة، وفاز بالدرجات العلية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾، تنطبق على

علي المرتضى إذ إن ما وقع في أيام خلافته ـ وهو متفرد به ـ هو قتاله البغاةَ، وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ مقتضى ذلك إنما هو جواز الانتقام وإظهار فضيلة العفو والصلح.

وهذا الوصف اشتهر به الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقد أثنى عليه لسان النبوة بهذه الكلمة: «**ولدي هذا سيّدٌ، وسَيُصْلِحُ اللهُ به بَيْنَ فئتينِ عظيمتينِ مِنَ المُسْلِمِينَ**»[١]، هو أمر الصلح ورفع النزاع، ولفظ «سيصلح» يدلّ على وجود الاتفاق بين المسلمين وارتفاع التفرقة من بينهم، وفيه إشارة إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان، وفي قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ﴾ إشارة إلى فتيان بني أمية، كما قال النبي ﷺ في شأنهم: «**هلاكُ أُمّتِي على أيدي غلمةٍ من قُريشٍ**»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ إشارة إلى جمع من العلماء الربانيين الذين على رأسهم علي بن الحسين الملقّب بزين العابدين رضي الله عنه وعن آبائه الكرام، فإنه أدرك ذلك الزمان، وصبر على أفعال الخليفة حيث نهى رسول الله ﷺ عن سلِّ السيف على الخليفة، وسكت مع كراهية أفعاله وأطواره، والله أعلم بدقائق كتابه.

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه: أن رجلاً شتمَ أبا بكر رضي الله عنه، والنبيُّ ﷺ جالسٌ، فجعل النبيُّ ﷺ يعجَبُ ويبتسِمُ، فلما أكثر، ردّ عليه بعضَ قوله، فغضبَ النبيُّ ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، كان

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٢٧٠٤)، وأبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٦٢)، والترمذي في «سننه» برقم: (٣٧٧٣)، وأحمد في «مسنده» (٣٤/٩٨) برقم: (٢٠٤٤٨) واللفظ له، إلا أن فيه «إن ابني» مكان «ولدي».

(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٠٥).

يشتمني وأنت جالسٌ، فلمّا رددتُ عليه بعضَ قوله غضبتَ وقمتَ؟

قال: «**إنّه كانَ معكَ مَلَكٌ يردُّ عَنْكَ، فلمّا رددتَ عليهِ بعضَ قوله، وقع الشيطانُ، فلمْ أكنْ لأقعدَ مع الشيطانِ**»، ثم قال: «**يا أبا بكر! هُنّ**[1]**، ما مِنْ عبدٍ ظُلِمَ بمظلمةٍ فيُغضِي عنها**[2] **للهِ إلّا أعزّ الله بها نصره**[3]**، وما فَتَحَ رجلٌ بابَ عطيةٍ يريدُ بها صلةً إلّا زاده اللهُ بها كثرةً، وما فتحَ رجلٌ بابَ مسألةٍ يريدُ بها كثرةً إلا زاده الله بها قِلّةً**»[4].

●غيلان عن **أنس** رضي الله عنه قال: ابتاع أبو بكر رضي الله عنه جارية أعجمية من رجل؛ كان قد أصابها، فحملت له، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يطأها، فأبت عليه، وأخبرت أنها حامل، فرفع ذلك إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إنّها حَفِظَتْ فَحَفِظَ الله لها، إنّ أحدَكم إذا شجع ذلك المشجع، فليس بالخيار على الله، فردّها إلى صاحبِها الذي باعَها**»[5].

❁ ❁ ❁

---

(١) كذا في الأصل، وفي «الدر المنثور»: «نلت من حق».

(٢) في الأصل الفارسي: «فيعضّ عنها».

(٣) في الأصل الفارسي: «نصرة»، وهو الصواب.

(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٧٩).

(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٨٢).

آيات سورة الزخرف

• **قال الله تعالى:** ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝٤٢ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝٤٤﴾ [الزخرف].

يعني: إما نقبضنّك إلينا قبل وفاء الوعود التي وعدتكها، فلا شك أنا منهم ـ أي: من الكفار ـ منتقمون، وإما نرينّك الذي وعدتكه فلا بعد فيه، فإنا عليهم قادرون، فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم، وإنّ هذا الوحي شرفٌ لك ولقومك وسوف تسألون عنه، أو القرآن نصيحة وتذكرة لك ولقومك. . . إلخ.

ثم يقول الفقير: إن الله تعالى نوّع وقوع العقوبة بين أن يتوفَّى نبيَّه ﷺ قبل إنجاز موعوده من العالم، ثم ينتقم من المجرمين، وهو يتضمن الوعد المذكور، أو يريه الموعودَ في حياته، وفي كلتا الحالتين لا مجال للتشويش بخاطرك؛ لأنك على صراط مستقيم، وما تقوله حقّ، وكل ما تعده لواقعٌ، وليس في الحقيقة في علم الله ترديد، فالمراد بالآية توزيع؛ لأن الأمور التي وعدها الله رسوله ﷺ على قسمين: قسم يتمّ إنجازه في حياة النبيِّ ﷺ، وقسم يتم ظهوره بعد وفاته ﷺ، وقد ثبت بالأحاديث النبوية المتواترة التي لا مجال للشك فيها أن النبي ﷺ وعد أصحابه بفتح العجم والروم منذ بداية بعثته إلى آخر حياته، وقال جهرةً: «**لا يبقى على الأرضِ بيتُ مَدرٍ ولا وَبَرٍ إلّا أدخلَهُ اللهُ الإسلامَ بعزِّ عزيزٍ أو بِذُلِّ ذليلٍ**»[1].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٩١) برقم: (٦٦٩٩).

وإن هذه الصورة لم تظهر في حياة النبي ﷺ، بل ظهرت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى على يد بعض خلفائه ﷺ، ووقوع ذلك متمِّم لمراد الحق الذي بعث به رسول الله ﷺ، وهذا لازم من لوازم الخلافة الخاصة، فالآن يجب أن تفكر في أن هذه المعاني على يد من ظهرت، وهو الخليفة الخاص لا محالة.

ومعنى ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، على أحد القولين: إن جماعة من قريش ينالون هذا الشرف ظاهراً وباطناً، ويصبحون سادة العالم بفضل نيابة النبي ﷺ، ويقومون بإحراز فضيلة إعلاء كلمة الله تعالى.

• **عن محمد بن عثمان المخزومي** أن قريشاً قالت: قيِّضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه، فقيَّضوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله، فأتاه، وهو في القوم، فقال أبو بكر: إلّام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات، والعزّى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: أولاد الله، قال: وما العزّى، قال: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهم؟ فسكت طلحة، فلم يجبه، فقال لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وأن محمداً رسول الله، فأنزل الله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الآية [الزخرف: ٣٦][(١)].

• **عن عبد الرحمٰن بن مسعود العبدي** قال: قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذه الآية: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الزخرف]، قال: ذهب نبيَّه ﷺ وبقيت نقمته في عدوّه[(٢)].

---

(١) «فتح القدير» (٦/ ٤٠٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٩٨).

• **عن مجاهد** في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، قال: يقال ممن هذا الرجل؟ فيقال: من العرب، فيقال: من أي العرب؟ فيقال: من قريش، فيقال: من أي قريش؟ فيقال: من بني هاشم(١).

• **عن علي وابن عباس** قالا: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة، ويعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك، فلم يجبهم بشيء؛ لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزلت: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ فكان بعدُ إذا سئل قال: لقريش، فلا يجيبونه حتى قبلته الأنصار على ذلك(٢).

• **عن عدي بن حاتم** رضي الله عنه قال: كنت قاعداً عند رسول الله ﷺ فقال: «**ألا إنّ الله علمَ ما في قلبي مِنْ حُبِّي لقومي، فشرَّفني فيهم، فقال:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ **فجعل الذكر والشرف لقومي في كتابه، ثم قال:** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء]؛ **يعني: قومي، فالحمد لله الذي جعلَ الصدِّيق مِنْ قومي، والشهيدَ مِنْ قومي، [والأئمةَ من قومي(٣)]، إنّ اللهَ قلبَ العبادَ ظهراً وبطناً، فكانَ خيرَ العربِ قريشٌ، وهي الشجرةُ المباركةُ التي قال الله في كتابه:** ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]»؛ يعني: بها قريشاً ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ قول: «**أصلُها كَرَمٌ**»، ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾، يقول: «**الشَّرَفُ الذي شرّفهم اللهُ بالإسلامِ الذي هداهم له، وجعلهم أهلَه، ثم أنزلَ فيهم سورةً من كتابِ اللهِ بمكّةَ** ﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾﴾ إلى آخرها [قريش: ١ ـ ٣]».

قال **عدي بن حاتم**: ما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ذكر عنده قريش بخير

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٩٩).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٩٩).
(٣) زيادة على الأصل الفارسي.

قط إلّا سرّه، حتى يتبيّن[١] ذلك السرورَ للناسِ كلّهم في وجهه، وكان كثيراً ما يتلو هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف][٢].

• **عن القاسم** بن محمد بن أبي بكر، عن أبيه أو عن عمه أو جده **أبي بكر الصدّيق**، عن النبي ﷺ قال: «**ينزلُ اللهُ إلى السماءِ الدُّنيا ليلةَ النصفِ مِنْ شعبانَ، فيغفرُ لكلِّ شيءٍ، إلّا لرجلٍ مشركٍ أو في قلبه شحناءُ**»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل الفارسي: «حتى يستبين».

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٩٩).

(٣) المصدر نفسه (٩/ ١١٥).

آيات سورة الأحقاف

• **عن قتادة عن أبي حرب** بن أبي الأسود الدؤلي قال: رفع إلى عمر رضي الله عنه امرأة ولدت لستة أشهر، فسأل عنها أصحاب النبيِّ ﷺ، فقال عليٌّ رضي الله عنه: لا رجمَ عليها، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، وكان الحملُ ها هنا ستة أشهر، فتركها عمر رضي الله عنه، قال: ثم بلغنا أنها ولدت آخر لستة أشهر[١].

• **عن نافع بن جبير أن ابن عباس** أخبره قال: إنِّي لصاحبُ المرأة التي أُتي بها عمر وضعت لستة أشهر، فأنكر الناسُ ذلك، فقلتُ لعمر: لا تظلم[٢]، قال: كيف؟ قلت: اقرأ ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] كم الحول؟ قال: سنة، قلت: كم السنة؟ قال: اثنا عشر شهراً، قلت: فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملان ويؤخِّر الله من الحمل ما شاء ويقدِّم، قال: فاستراح عمر رضي الله عنه إلى قولي[٣].

• **عن أبي عبيدة** مولى عبد الرحمٰن بن عوف قال: رفعت امرأةٌ إلى عثمان رضي الله عنه ولدت لستة أشهر، فقال عثمان: إنها قد رفعت إليَّ امرأةٌ ما أراها إلا جاءت بشرّ، فقال ابن عباس: إذا كملت الرضاعة كان الحمل ستة أشهر؟ وقرأ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، فدرأ عثمانُ عنها[٤].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ١٥٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «كيف تظلم».
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٠).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ١٥٠).

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما أنّه كان يقول: إذا ولدت المرأة لتسعة أشهر كفاها من الرضاع إحدى وعشرون شهراً، وإذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً؛ وإذا وضعت لستة أشهر فحولين كاملين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[١].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه الآية في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ الآية [الأحقاف: ١٥]، فاستجاب الله له فأسلم والداه جميعاً وإخوانه وولده كلهم، ونزلت فيه أيضاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ الآية [الليل]، إلى آخر السورة[٢].

• **عن مجاهد** قال: دعا أبو بكرٍ عمرَ رضي الله عنهما، فقال له: إني موصيك بوصية أن تحفظها، إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل، إنّه ليس لأحدٍ نافلةٌ حتّى يؤدي الفريضةَ، إنّه إنّما ثقلتْ موازينُ مَنْ ثقلتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتّباعهم الحقَّ في الدنيا، وثَقُلَ ذلك عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يُوْضَعُ فيه إلا الحقّ أن يثقل، وخفَّتْ موازينُ مَنْ خفَّت موازينه يوم القيامة لاتّباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخفّ، ألم تر أنّ الله ذكرَ أهل الجنّةِ بأحسن أعمالهم فيقول [القائل]: أينَ يبلغُ عملك من عمل هؤلاء؟ [وذلك أنّ الله تعالى تجاوز عن أسوإِ أعمالهم، وأنّ الله تعالى] ذكر أهل النار بأسوإِ أعمالهم حتى يقول القائلُ: أنّا خيرٌ من عمل هؤلاء، وذلك بأن الله تعالى ردّ عليهم أحسن أعمالهم، ألم تر أنّ الله أنزلَ آيةَ الشدَّةَ عند آية الرخاء[٣]، وآيةَ الرخاءَ عند آيةِ الشدّةِ ليكونَ المؤمنُ راغباً [راهباً] لئلا

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ١٥١).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ١٥١).
(٣) في الأصل الفارسي: «الرجاء».

يلقي بيده على التهلكة، ولا يتمنّى على اللهِ أمنيةً يتمنّى على الله فيها غير الحق[(١)].

• **عن ابن عمر** رضي الله عنهما أنّ عمر رضي الله عنه رأى في يد جابر بن عبد الله درهماً فقال: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لحماً لأهلي قَرِمُوا إليه فقال: أفكلما اشتهيتم شيئاً اشتريتموه، أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][(٢)].

• **عن سالم بن عبد الله بن عمر** أنّ عمرَ كان يقول: [واللَّهِ] ما نعني بلذّاتِ العيش أن نأمرَ بصغار المعزى فتُسْمَطُ لنا، ونأمُرَ بلُبابِ الحنطةِ فتُخبزُ لنا، ونأمرُ بالزبيبِ فينبَذُ لنا في الأسعان، حتّى إذا صار مثل عين اليعقوب أكلنا هذا، وشربنا هذا، ولكنّا نريدُ أن نستبقي طيباتنا لأنا سمعنا الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية[(٣)].

• **عـن قـتـادة** رضي الله عنه: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾، قال: تعلموا[(٤)] أنّ أقواماً يسترطون[(٥)] حسناتهم في الدنيا، استبقى[(٦)] رجلٌ طيباته إن استطاع ولا قوّة إلا بالله.

قال: وذُكِرَ لنا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقولُ: لو شئتُ لكنتُ أطيبَكم طعاماً، وألينَكم لباساً، ولكنّي أستبقي طيباتي.

وذكر لنا أنّ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه لمّا قدمَ الشام صُنِعَ له طعاماً لم يُرَ قبلَه مِثْلَه، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟!

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥١). قرم إلى اللحم: اشتهاه.
(٢) المصدر نفسه (٩/ ١٥٣).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ١٥٣).
(٤) في الأصل الفارسي: «تعلمون».
(٥) في الأصل الفارسي: «يشترون».
(٦) في الأصل الفارسي: «استيفاء».

فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لهم الجنة، فاغرورقتْ عينا عمر رضي الله عنه فقال: لئن كان حظُّنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنّة لقد بانوا بوناً بعيداً[(١)].

• **عن جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما قال: رآني عمرُ رضي الله عنه وأنا معلِّقٌ لحماً فقال: يا جابرَ! ما هذا؟ قلت: لحمٌ اشتريته بدرهم لنسوة عندي قَرِمْنَ إليه، فقال: أما يشتهي أحدُكم شيئاً إلّا صنعه، أما يجدُ أحدُكم أن يطويَ بطنَه لجارِه وابنِ عمّه؟ أين تذهبُ هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: فما انفلتّ منه حتى كدت أن لا أنفلت[(٢)].

• **عن حميد بن هلال** قال: كان حفصُ رضي الله عنه يكثِرُ غشيان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وكان إذا قرب طعامه اتقاه، فقال له عمر رضي الله عنه: ما لك ولطعامنا؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين! إنّ أهلي يصنعون لي طعاماً هو ألينُ من طعامك، فأختارُ طعامَهم على طعامك.

فقال: ثكلتك أمُّك، أما تراني لو شئتُ أمرتُ بشاةٍ فتيّةٍ سمينةٍ فألقيَ عنها شعرُها، ثم أمرتُ بدقيق فنخِّلَ في خرقةٍ، فجُعلَ خبزاً مرقّقاً، وأمرتُ بصاعٍ من زبيبٍ فجعل في سَمْنٍ[(٣)] حتى يكون كدمِ الغزال؟

فقال حفص: إني أراك تعرِفُ لينَ الطعامِ.

فقال عمر رضي الله عنه: ثكلتك أمُّكَ، والذي نفسي بيده لولا كراهية أن ينقصَ من حسناتي يومَ القيامةِ لأشركتكم في لين طعامكم[(٤)].

• **عن الحسن** قال: قدم وفدُ أهلِ البصرة على عمر مع أبي موسى

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٣).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٤).
(٣) في الأصل الفارسي: «فجعل سعن».
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٤).

الأشعري، فكان له في كلِّ يومٍ خبزٌ [يُلَتُّ[١]]، فربما وافقناها مأدومةً بزيت، وربّما وافقناها مأدومةً بسمنٍ، وربما وافقناها مأدومةً بلبنٍ، وربّما وافقنا القدائد اليابسةَ، قد دقَّت، ثم أغلي لها، وربما وافقنا اللحم الغريض، وهو قليلٌ، قال: وقال لنا عمر رضي الله عنه: إنِّي واللهِ لقد أرى تقديركم[٢] وكراهيتكم طعامي، أما واللهِ لو شئتُ لكنتُ أطيبَكم طعاماً، وأرقَّكم عيشاً، أما واللهِ ما أجهلُ عن كراكر وأسنمة، وعن صلى وصناب وسلائق، ولكني وجدت الله عيَّر قوماً بأمرٍ فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٣].

(١) زاد في الأصل الفارسي.
(٢) في الأصل الفارسي: «تقذيركم».
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٤).

آيات سورة محمد

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إن الله تعالى أنزل سورة القتال ـ أي: سورة محمد ـ ليميّز بين المؤمنين والكفّار والمنافقين، ويبيّن تعالى بأساليبَ مختلفة تباينُ المنازل بين السعداء، والفريقين من الأشقياء، وتباعد مراتبهم في الأقوال والأفعال، والمآل والعواقب، ووقعت ضمن ذلك إشارات إلى لوازم الخلافة الخاصة وما يغايرها، وتلويحات بوجود كلتا الطائفتين في زمن النبي ﷺ، ومهما يشمل عموم الآيات كل مؤمن ومنافق ولكن وقع تعريض بحال الحاضرين من الفريقين حينذاك.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ [محمد: ١]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [محمد: ٢]، يدلّان على وجود كلتا الطائفتين ـ المؤمنين والكفار مع المنافقين ـ، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، لمّا رأينا وجود النصر وثبات القدم في قوم غلب الظنّ أن وعد: ﴿تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾، تحقّق بهم، وترتّب لهم ثواب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [محمد: ١٢]، ولمّا قيل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، بمقابلة: ﴿قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ [محمد: ١٣] و﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، علم أنَّ المراد به: المهاجرون والأنصار الحاضرون، وفي قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ [محمد: ١٥]، بيان أجرهم ومثوبتهم من الله، وقد وقعت في هذه الآيات إشارة إلى صفات ضدّ الخلافة الراشدة التي يتولاها المنافقون والفاسقون وهي: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ [محمد]، ويمكن البحث عن حقيقة معنى الخلافة الراشدة بطريق المفهوم المخالف والقول: بأن الخلافة الراشدة عبارة عن الإصلاح في الأرض ووصل الأرحام ووضع الشيء في محله، وهو المقصود.

• **عن أبي بكر** عن النبيِّ ﷺ قال: «**عليكُم بلا إلـهَ إلّا اللهَ والاستغفارِ، فأكثروا منهما، فإنَّ إبليسَ قال: أهلكتُ الناسَ بالذنوب، وأهلكوني بلا إلـه إلّا اللهَ والاستغفار، فلمّا رأيتُ ذلك أهلكتُهم بالأهواءِ وهم يحسبونَ أنّهم مهتدونَ**»[١].

• **عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله** ﷺ قال: رُئِيَ طلحة حزيناً[٢] فقيل له: ما لك؟ قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إني لأعلمُ كلمةً لا يقولُها عبدٌ عندَ موتِهِ إلّا نفَّسَ اللهُ عنه كربتَه، وأشرقَ لونُه ورأى**[٣] **ما يسرُّه**»، وما منعني أن أسأله عنها إلا القدرة عليه حتّى مات.

فقال عمر: إنِّي لأعلمُها.

[فقال: فما هي؟].

قال: لا نعلمُ[٤] كلمةً هي أعظمُ من كلمةٍ أمرَ بها عمَّه، لا إلـه إلا الله.

قال: فهي واللهِ [هيَ][٥].

• **عن عثمان** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ ماتَ وهو يعلمُ أنْ لا إلـهَ إلّا اللهَ دخلَ الجنّةَ**»[٦].

• **عن بريدةَ** ﷺ قال: كنتُ جالساً عند عمر ﷺ إذ سمع صائحاً فقال: يا يرفا! انظر ما هذا الصوت؟ فنظر ثم جاء، فقال: جاريةٌ من قريشٍ تُباعُ أمُّها.

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٢/ ٤٤٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «قال: رأى عمر طلحة حزيناً».
(٣) في الأصل الفارسي: «أتى». (٤) في الأصل الفارسي: «لا تعلم».
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٩٦).
(٦) المصدر نفسه (٩/ ١٩٦).

فقال عمر رضي الله عنه: ادعُ لي المهاجرين والأنصار، فلم يمكث إلا ساعةً حتى امتلأتِ الدار والحُجرة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعدُ، فهل تعلمونه كان فيما جاء به محمد ﷺ القطيعة؟

قالوا: لا.

قال: فإنّها قد أصبحتْ فيكم فاشيةً، ثم قرأ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾، ثم قال: وأيُّ قطيعةٍ أقطعُ من أنْ تباعَ أمُّ امرىءٍ فيكم، وقد أوسعَ الله لكم؟ قالوا: فاصنع ما بدا لك، فكتبَ في الآفاقِ أنْ لا تباعَ[1] أمُّ حرٍّ، فإنَّها قطيعةُ رحمٍ، وأنه لا يحلُّ[2].

● **عن عروة** رضي الله عنه قال: تلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، فقال شابٌ من أهل اليمن: بل عليها أقفالُها حتّى يكونَ اللهُ يفتحها أو يفرّجها.

فقال النبي ﷺ: «**صدقتَ**»، فما زال الشابُّ في نفسِ عمرَ رضي الله عنه حتى وَلِيَ فاستعانَ به[3].

● **وعن سهل بن سعد** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾، فقال شابٌ عند النبي ﷺ: بل واللهِ عليها أقفالُها، حتّى يكونَ اللهُ هو الذي يفكُّها، فلمّا وليَ عمرُ وسأل عن ذلك الشابّ ليستعمله، فقيل: قد مات[4].

❊ ❊ ❊

(١) في الأصل الفارسي: «لا تبتاع».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٩٩).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٠٣).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٠٣).

آيات سورة الفتح

ويذكر الله تعالى في سورة الفتح دلائل باهرة على فضل أهل الحديبية الذين كان الخلفاء منهم، فمن جملة هذه الدلائل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ... ﴿٤﴾ ...وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ الآيتين [الفتح].

ومنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: ١٠].

ومنها: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦].

وهذه الآيةُ تدلُّ على وجود داعٍ إلى الجهاد في المستقبل، وترتّب الأجر الجميل على طاعته، والعذاب الأليم على عصيانه، وهذا المعنى من أحدِ لوازم الخلافة الخاصّة، ولم تتحقق هذه الأمارة إلّا في حقّ الخلفاء الثلاثة، أعظم الله لهم الأجور، وقد بيَّنا هذا المبحثَ في الفصل الثالث مفصَّلاً.

ومنها: قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، هذه الصفات المرضية من لوازم الخلافة الخاصة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]. وإذا طبَّقنا حالات المثل على أحوال الممثَّل له علمنا أن تلك الصفات كانت ظاهرة في الخلفاء.

● **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فسألته عن شيء ـ ثلاث مرات ـ فلم يردّ عليَّ، فقلت في نفسي: ثكلتك أُمُّكَ يا ابنَ الخطّاب، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يردّ عليك،

فحرَّكتُ بعيري، ثم تقدَّمتُ أمامَ الناس، وخشيتُ أن ينزل فيَّ القرآن، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بي، فرجعتُ، وأنا أظنُّ أنّه نزل فيَّ شيءٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «**لقد أنزلتْ عليَّ سورةٌ أحبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها**، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢]»[(١)].

● **عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر** عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: كانت بيعةُ النبيِّ ﷺ حين أنزل عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، فكانت بيعةُ النبي ﷺ التي بايع عليها الناس البيعةَ للهِ والطاعةَ للحقِّ، وكانت بيعةُ أبي بكر رضي الله عنه بايعوني ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا طاعة لي [عليكم]، وكانت بيعةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه البيعةَ للهِ والطاعةَ للحقِّ، وكانت بيعةُ عثمان بن عفان رضي الله عنه البيعةَ للهِ والطاعةَ للحقِّ[(٢)]، قوله: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، قال الحسن: هم فارس والروم.

● **وعن مجاهد** في الآية، قال: أعراب فارس وأكراد العجم.

● **عن ابن جريج** رضي الله عنه في قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الفتح: ١٦]، قال: [إنَّ] عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه دعا أعرابَ المدينةِ جُهينة ومُزينة الذين كان النبيُّ ﷺ دعاهم إلى خروجه إلى مكة، دعاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قتال فارس، قال: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ [الفتح: ١٦] إذا دعاكم عمر، تكن توبةً لتخلفكم عن النبيِّ ﷺ و﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ [الفتح: ١٦]، إذا دعاكم عمر، ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ إذا دعاكم النبيُّ ﷺ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦][(٣)].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٠٨).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢١٦).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢١٩).

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، قال: فارس والروم[١].

• **عن سلمة بن الأكوع** رضي الله عنه قال: بينا نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناسُ البيعةَ البيعةَ، نزل روحُ القدسِ، فثرنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو تحت شجرة سَمُرةٍ، فبايعناه، فذلك قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فبايع لعثمان رضي الله عنه إحدى يديه على الأخرى، فقال الناسُ: هنيئاً لابن عفان رضي الله عنه يطوفُ بالبيتِ ونحن ها هنا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لو مكثَ كذا وكذا سنة ما طافَ حتّى أطوفَ**»[٢].

• **عن نافع** رضي الله عنه قال: بلغ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه أن ناساً يأتون الشجرةَ التي بويعَ تحتها، فأمرَ بها فقُطِعَتْ[٣].

• **عن عروةَ** رضي الله عنه قال: لمّا نزل النبيُّ ﷺ الحديبيةَ فزعت قريش لنزوله عليهم، فأحبَّ رسولُ اللهِ ﷺ أن يبعثَ إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله إني لا آمنُ، وليس بمكّةَ أحدٌ من بني كعب يغضَبُ لي إنْ أُوذيتُ، فأرسل عثمانَ بنَ عفّان فإنَّ عشيرته بها، وإنّه يبلغ لك ما أردت، فدعا رسولُ اللهِ ﷺ عثمان رضي الله عنه، فأرسله إلى قريش، وقال: «**أخبِرْهم: أنَّا لم نأتِ لقتالٍ، وإنّما جئنا عُمَّاراً، وادعُهم إلى الإسلام**، وأمره أن يأتيَ رجالاً بمكّةَ مؤمنينَ، ونساءً مؤمناتٍ فيدخلَ عليهم، ويبشّرَهم بالفتح، ويخبرَهم أنّ الله وشيكٌ أن يظهِرَ دينه بمكة، حتى لا يُسْتَخْفَىٰ فيها بالإيمان».

فانطلق عثمان رضي الله عنه إلى قريش فأخبرهم، فارتهنه المشركون، ودعا

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢١٩).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٠).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٠).

رسولُ اللهِ ﷺ إلى البيعة، ونادى منادي رسول الله ﷺ: ألا إنَّ روح القدس قد نزل على رسولِ اللهِ ﷺ فأمره بالبيعةِ، فاخرجوا على اسمِ اللهِ فبايعوه، فثارَ المسلمونُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو تحت الشجرةِ، فبايعوه على أن لا يفرّوا أبداً، فرعَّبهم الله، فأرسلوا مَنْ كانوا ارتهنوا من المسلمين، ودعوا إلى الموادعةِ والصُّلْح[1].

• **وعن جابر** رضي الله عنه قال: كُنّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فبايعناه وعمر رضي الله عنه آخذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرَةٌ، وقال: بايعناه على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت[2].

• **وعن أنس** قال: لما أمر رسولُ الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسولَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى أهل مكة، فبايعَ الناسَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنَّ عثمانَ في حاجَةِ اللهِ وحاجَةِ رسولِهِ**»، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسولِ اللهِ ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم[3].

• **أخرج أحمد عن جابر ومسلم عن أم مبشر عن النبيِّ ﷺ** قال: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّن بايعَ تحت الشجرةِ**»[4].

• **عن أبي أمامة الباهلي** قال: لمّا نزلت: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] [قلتُ: يا رسول الله! أنا ممّن بايعكَ تحتَ الشجرةِ[5]]، قال: «**يا أبا أمامةَ! أنتَ منّي**

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٢١). (٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٢١).

(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٢)، واللفظ له، «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٢).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٤٩٦)، وأحمد في «مسنده» (٢٣/ ٩٣) برقم: (١٤٧٧٨) واللفظ له.

(٥) زاد في الأصل الفارسي.

وأنا مِنْكَ»[١].

● **عن عكرمة:** ﴿وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ [الفتح] قال: خيبرُ حيثُ رجعوا من صلح الحديبية[٢].

● **عن مجاهد:** ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠] قال: المغانم الكثيرة التي وعدوا ما يأخذون حتى اليوم: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: عُجِّلَتْ لهم خيبرُ[٣].

● **عن ابن عباس:** ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠]؛ يعني: الفتح[٤].

● **عن ابن عباس:** ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠]؛ يعني: خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠]؛ يعني: أهل مكة أن يستحلّوا ما حرّم الله، أو يستحلّ بكم وأنتم حُرُمٌ ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: سُنَّةٌ لمن بعدكم[٥].

● **عن مروان والمسور بن مخرمة** قالا: انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ عام الحديبية، فنزلت عليه سورةُ الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] خيبر، فقدم النبيُّ ﷺ المدينةَ في ذي الحجة، فقام[٦] بها، حتّى سار إلى خيبر في المحرّم، فنزل رسولُ اللهِ ﷺ بالرجيع ـ وادٍ بين غطفان وخيبر ـ فتخوّفَ أن تمدّهم غطفان، فبات به حتّى أصبحَ فغدا عليهم[٧].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٦) في الأصل الفارسي: «فأقام».
(٧) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٣).

• **عن قتادة:** ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: عن بيضتهم وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا عن المدينة إلى خيبر(١).

• **عن عطية:** ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ قال: فتح خيبر(٢).

• **عن ابن جريج** في قوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: [اجتمع] الحليفانِ أسدُ وغطفانُ عليهم عُيينةُ بن حِصْنٍ معه مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْري(٣) أبو النضر، وأهل خيبر على بئر معونة، فألقى الله في قلوبهم الرعب، فانهزموا، ولم يلقوا النبيَّ ﷺ، وفي قوله: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الفتح: ٢٢] هم أسد وغطفان ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح]، يقول: سُنَّة الله في الذين خلوا من قبل أنه لن يقاتل أحد نبيَّه إلا خذله الله فقتله أو أرعبه، فانهزم، ولن يسمع به عدو إلا انهزموا واستسلموا(٤).

• **عن ابن عباس:** ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [الفتح: ٢١] قال: هذه الفتوح التي تُفْتَحُ إلى اليوم(٥).

• **عن أبي الأسود الديلي:** أنَّ الزبير بن العوام لمّا قدم البصرة دخل بيت المال، فإذا هو بصفراء وبيضاء، فقال: يقول الله: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢٠، ٢١] فقال: هذا لنا(٦).

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣). (٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٣) في الأصل الفارسي: «عوف بن النضر» وهو تحريف.
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٣).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣). (٦) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٤).

• **عن علي وابن عباس** قالا في قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ فتوح من لدن خيبر ﴿تَأْخُذُونَهَا﴾ تلونها وتغنمون ما فيها ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ﴾ من ذلك خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ﴾ قريشاً ﴿عَنكُمْ﴾ بالصلح يوم الحديبية ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ شاهداً على ما بعدها ودليلاً على إنجازها ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ على علم وفيها أقسمها بينكم[1] فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ قضى الله بها أنها لكم[2].

• **عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى**: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ قال: فارس والروم[3].

• **عن عطية**: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ قال: فتح فارس[4].

• **عن سهل بن حنيف** أنه قال يوم صفين: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتَنا يوم الحديبية؛ يعني: الصلح الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: «**بلى**»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلى**»، قال: ففيم نعطي الدنيّة في ديننا ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال: «**يا ابنَ الخطاب إنِّي رسولُ اللهِ، ولن يضيّعَني اللهُ أبداً**»، فرجع متغيظاً، لم يصبر حتى جاء أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فلمَ نعطي الدنيّةَ في ديننا؟ قال: يا ابنَ الخطّاب إنّه رسول الله، ولن يضيّعه الله أبداً، فنزلت سورة الفتح،

---

(١) في الأصل الفارسي: «على علم وقتها أفتاها عليكم».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٤).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٤). (٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٤).

فأرسل رسولُ اللهِ ﷺ إلى عمر رضي الله عنه، فأقرأه إياها، قال: يا رسول الله، أو فتحٌ هوَ؟ قال: «**نعم**»[(١)].

• **عن أبي إدريس عن أُبيّ بن كعب** رضي الله عنه أنّه كان يقرأ: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَوْ حَمَيْتُمْ كَمَا حَمَوْا لَفَسَدَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ) [الفتح: ٢٦]، فبلغ ذلك عمر فاشتدّ عليه، فبعث إليه فدخل عليه، فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت، فقال: من يقرأُ منكم[(٢)] سورة الفتح؟ فقرأ زيدٌ على قراءتنا اليوم، فغلَّظ له عمر، فقال أُبيّ: أأتكلم؟ قال: تكلّم، فقال: لقد علمت أنِّي كنتُ أدخلُ على النبي ﷺ ويقرئني، وأنت بالباب، فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت، وإلا لم أقرئ حرفاً ما حييتُ، قال: بل أقرئ الناسَ[(٣)].

• **عن حمران** مولى عثمان بن عفان[(٤)] رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**إنِّي لأعلمُ كلمةً لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبِهِ إلّا حرّمه اللهُ على النّارِ**»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنا أحدِّثكم ما هي؟ كلمةُ الإخلاص التي ألزمها الله محمّداً وأصحابه، وهي كلمةُ التقوى التي حَضَّ[(٥)] عليها نبيُّ الله عمَّه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إلـٰه إلا الله[(٦)].

• **عن عائشة** قالت: لمّا مات سعدُ بن معاذٍ حضر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، فوالذي نفسُ محمّدٍ بيده إني لأعرفُ بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٩).
(٢) في الأصل الفارسي: «فيكم».
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٩).
(٤) في الأصل الفارسي: «عن حمران أن عثمان».
(٥) في الأصل الفارسي: «ألاص».
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٣٠).

[الفتح: ٢٩] قيل: فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع، فقالت: كانت عينه لا تدمع على أحدٍ، ولكنّه كان إذا وجدَ فإنّما هو آخذٌ بلحيته[(١)].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ يعني: مكتوبٌ في التوراة والإنجيل قبل أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ[(٢)].

• **عن عمار** مولى بني هاشم قال: سألت أبا هريرة رضي الله عنه عن القدر قال: اكتف منه بآخر سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إلى آخر السورة؛ يعني: أنَّ الله نعتهم قبل أن يخلقهم[(٣)].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ قال: أصل الزرع عبد المطلب أخرج شطأه محمداً ﷺ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بأبي بكر، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بعمر، ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ بعثمان ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعليٍّ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩][(٤)(٥)].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أبوبكر ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: عمر ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: عثمان ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: علي ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: طلحة والزبير ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: عبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾: بأبي بكر ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: بعمر ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: بعثمان ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: بعليٍّ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الفتح: ٢٩]، جميع أصحاب محمد ﷺ[(٦)].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٥).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٦).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٦).
(٤) في الأصل الفارسي: «ليغيظ بهم الكفار بعلي».
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٣٧).
(٦) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٧).

آيات سورة الحجرات

ويذكر الله تعالى في سورة الحجرات دلائل باهرة على فضل الخلفاء، ومن بين هذه الدلائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات].

علم بنقل مستفيض أن الشيخين مورد هذه الآية ومصداقها.

ومنها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٥]، بمقابلة الأعراب وقولهم: «آمنّا».

• **عن عبد الله بن الزبير** قال: قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أَمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتُهما، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، حتى انقضت الآية[(١)].

• **عن ابن أبي مُليكةَ** قال: كاد الخيِّرانِ أن يهلكا: أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعت أصواتُهما في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٣٩).

بعد هذه الآية حتى يستفهمه[(١)].

• **عن أبي بكر الصدِّيق** قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قلت: يا رسول الله، والله لا أكلِّمك إلا كأخي السرار[(٢)].

• **عن أبي هريرة** قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قال أبو بكر: والذي أنزل عليك الكتابَ ـ يا رسولَ اللهِ ـ لا أكلِّمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله[(٣)].

• **عن عطاء الخراساني** قال: قدمتُ المدينةَ، فلقيت رجلاً من الأنصار، قلت: حدِّثني حديث ثابت بن قيس بن شماس، قال: قم معي فانطلقتُ معه، حتى دخلتُ على امرأةٍ، فقال الرجلُ: هذه ابنةُ ثابت بن قيس بن شماس فاسألها عمّا بدا لك، فقلت: حدِّثيني، قالت: سمعت أبي يقول: لما أنزل الله على رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية، دخل بيته، وأغلق عليه بابه، وطفق يبكي، ففقده رسول الله ﷺ، فقال: «**ما شأنُ ثابتٍ؟**»، فقالوا: يا رسول الله ما ندري ما شأنه غير أنه قد أغلق عليه باب بيته فهو يبكي فيه؟ فأرسل رسول الله ﷺ فسأله: «**ما شأنُكَ؟**» قال: يا رسول الله! أنزل الله عليك هذه الآية، وأنا شديدُ الصوتِ، فأخافُ أن أكون قد حَبِطَ عملي، فقال: «**لستَ مِنْهُم، بل تعيشُ بِخَيْرٍ، وتموتُ بِخَيْرٍ**»، قالت: ثم أنزل الله على نبيِّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان]، فأغلق عليه بابه، وطفق يبكي فيه، فافتقده رسول الله ﷺ وقال: «**ثابتٌ ما شأنُه؟**»، قالوا: يا رسول الله، والله ما ندري ما شأنه غير أنه قد أغلق عليه بابه وطفق يبكي؟ فأرسل إليه رسول الله ﷺ

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٠).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٠).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٠).

فقال: «**ما شأنُكَ؟**» قال: يا رسول الله! أنزل الله عليك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾، واللهِ إنِّي لأحبُّ الجمالَ، وأحبُّ أن أسودَ قومي، قال: «**لستَ مِنْهُم، بل تعيشُ حميداً، وتُقْتَلُ شهيداً، ويدخِلُك اللهُ الجنَّة بسلامٍ**».

قالت: فلمّا كان يومُ اليمامةِ خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذّاب، فلمّا لقيَ أصحاب رسول الله ﷺ قد انكشفوا، فقال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، ثم حفر كلٌّ منهما لنفسه حفرةً، وحمل عليهم القوم، فثبتا حتى قُتلا، وكانت على ثابت يومئذٍ درع له نفيسةٌ، فمرّ به رجلٌ من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائمٌ إذ أتاه ثابت بن قيس في منامه، فقال له: إنّي أوصيك بوصيةٍ، إيّاكَ أن تقول هذا حلمٌ فتضيّعه، إنّي لما قتلتُ أمس مرّ بي رجلٌ من المسلمين فأخذ درعي، ومنزله في أقصى العسكر، وعند خبائه فرس يستن في طِوَلِهِ، وقد كفأ على الدِّرْع بُرْمَةً، وجعل فوق البُرْمَةِ رَحْلاً، فائتِ خالد بن الوليد فمره أن يبعثَ إليَّ درعي فيأخذَها، وإذا قدمتَ على خليفة رسول الله فأخبره أنَّ عليَّ من الدَّينِ كذا وكذا، ولي من الدين كذا وكذا، وفلانٌ من رقيقي عتيق، وفلان، فإياك أن تقول هذا حلمٌ فتضيعه، فأتى الرجلُ خالدَ بنَ الوليد فأخبره، فبعث إلى الدرع فنظر إلى خباءٍ في أقصى العسكر فإذا عنده فرس يستن في طِوَلِهِ فنظر في الخباء، فإذا ليس فيه أحد، فدخلوا فرفعوا الرَّحْلَ، فإذا تحته برمةٌ، ثم رفعوا البرمة، فإذا الدرعُ تحتها، فأتوا به خالد بن الوليد، فلما قدموا المدينة حدّث الرّجلُ أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيته بعد موته، ولا يعلم أحد من المسلمين جُوّزت[1] وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس بن شماس[2].

(١) في الأصل الفارسي: «فلم نعلم أحداً من المسلمين جوّز وصيته».

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٤٢)، وانظر: «إتحاف الخيرة المهرة» (٣/ ١٣٠)، و«المطالب العالية» (١٦/ ٥٠٤).

● **عن مجاهد** قال: كُتِبَ إلى عمر رضي الله عنه: يا أميرَ المؤمنين رجلٌ لا يشتهي المعصية، ولا يعمل بها أفضلُ، أم رجلٌ يشتهي المعصية ولا يعملُ بها؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إنّ الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات][(١)].

● **عن عمر بن الخطاب** قال: مَنْ تعرّضَ للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ، ومن كتم سِرَّه كان الخيارُ إليه، ومن أفشاه كان الخيارُ عليه، وضَعْ أمرَ أخيك على أحسنِهِ حتّى يأتيك منه ما يغلبِكُ، ولا تظُنَّنَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنتَ تجدُ لها في الخيرِ محملاً، وأكثر في اكتساب الإخوان، فإنهم جُنَّةٌ عند الرّخاءِ، وعُدّةٌ عند البلاء، وآخِ الإخوان على قدر التقوى، وشاور في أمرك الذين يخافون الله[(٢)].

● **عن عبد الرحمٰن بن عوف** أنّه حرس مع عمر بن الخطاب ليلةً بالمدينة، فبينما هم يمشون شبّ لهم سراجٌ في بيت، فانطلقوا يؤمّونه، فلمّا دَنَوْا منه إذا بابٌ مجافٍ على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولَغَط، فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمٰن بن عوف: أتدري بيت مَنْ هذا؟ قال: هذا بيتُ ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شُرْبٌ، فما ترى؟ قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢] فقد تجسَّسنا، فانصرف عنهم وتركهم[(٣)].

● **عن الشعبي** أنّ عمر بن الخطاب فقدَ رجلاً من أصحابه، فقال لابن عوف: انطلق بنا إلى منزلِ فلانٍ فننظرَ، فأتيا منزله، فوجدا بابه مفتوحاً وهو جالسٌ وامرأته تصبّ له في إناء فتناوله إياه، فقال عمرُ لابن

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٦).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٧).

عوف: هذا الذي شغله عنّا، فقال ابنُ عوفٍ لعمر: وما يدريك ما في الإناء؟ فقال عمر: أتخاف[1] أن يكون هذا التجسسَ؟ قال: بل هو التجسسُ، قال: وما التوبة من هذا؟ قال: لا تُعْلِمْه بما اطّلعتَ عليه من أمره، ولا يكونَنَّ في نفسِكَ إلا خير، ثم انصرفا[2].

• **عن الحسن** رضي الله عنه قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: إن فلاناً لا يصحو، فدخل عليه عمر رضي الله عنه، فقال: إنّي لأجدُ ريح شراب يا فلان، أنت بهذا؟ فقال الرجل: يا ابن الخطاب وأنت بهذا، ألم ينهك الله أن تتجسَّسَ؟ فعرفها عمر، فانطلقَ وتركه[3].

• **عن ثور الكندي** أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعسّ بالمدينة من الليل[4]، فسمع صوت رجل في بيت يتغنّى، فتسوّر عليه، فوجد عنده امرأةً، وعنده خمرٌ، فقال: يا عدوَّ اللهِ أظننتَ أنَّ الله يسترك وأنتَ على معصيته.

فقال: وأنتَ يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ، إن أكن عصيتُ الله واحدةً فقد عصيتَ الله في ثلاث، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ وقد تجسَّستَ، وقال: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد تسوّرتَ عليَّ، ودخلتَ عليَّ بغير إذن، وقال الله: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧].

قال عمر رضي الله عنه: فهل عندك من خيرٍ إن عفوتُ عنك؟

قال: نعم، فعفا عنه وخرج وتركه[5].

---

(١) في الأصل الفارسي: «أتخاف».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٥٧).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٨).
(٤) أي: يطوف بالليل يحرس الناسَ ويكشف أهلَ الرِّيبَة. «النهاية» (ص٦١٥).
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٥٨).

• **عن أنس** قال: كانت العربُ يخدم بعضها بعضاً في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رجلٌ يخدمهما، فناما فاستيقظا، ولم يُهَيِّئ لهما طعاماً فقالا: إنّ هذا لنؤوم، فأيقظاه، فقالا: ائتِ رسولَ اللهِ ﷺ، فقل له: إنَّ أبا بكر وعمر يقرئانك السلام ويستأذناك، فقال: «**إنّهما ائتدما**» فجاءاه، فقالا: يا رسولَ اللهِ! بأيِّ شيءٍ ائتدمنا؟ قال: «**بلحمِ أخيكما، والذي نفسِي بيدِهِ إنِّي لأرى لحمَه بين ثناياكُما**»، فقالا: استغفر لنا يا رسول الله، قال: «**مُرَاهُ فليستغفِرْ لَكُما**»[١].

• **عن يحيى بن أبي كثير** أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه لحماً، فقال: «**أو ليسَ قد ظللتُم من اللحم شباعاً؟**»، قالوا: مِنْ أين؟ فواللهِ ما لنا باللحم عهدٌ منذ أيام، فقال: «**مِنْ لحمِ صاحبِكم الذي ذكرتُم**»، قالوا: يا نبي الله! إنّما قلنا: إنّه لضعيفٌ ما يُعيننا على شيءٍ، قال: «**ذلكَ، فلا تقولوا**»، فرجع إليهم الرجلُ فأخبرهم بالذي قال، فجاء أبو بكر، فقال: يا نبيَّ الله! طأ على صماخي واستغفر لي ففعل، وجاء عمر فقال: يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي ففعل[٢].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٦١).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٦٢).

آيات سورة ق

عن عائشة قالت: لمّا حضرتْ أبا بكرٍ الوفاةُ قلتُ:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجْهِهِ ثمالُ اليتامَىٰ عِصْمَةٌ للأرامِل

قال أبو بكر رضي الله عنه بل: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحق بالموت ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) قدَّم الحقَّ وأخَّر الموتَ(١).

● **عن عبد الله بن اليمني**(٢) مولى الزبير بن العوّام قال: لما حضر أبو بكر تمثلت عائشة بهذا البيت:

أعاذِلُ ما يُغني الحذارُ عَنِ الفتى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس كذلك يا بُنيّةُ، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق](٣).

● **عن عثمان بن عفان** رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ٢١﴾ [ق] قال: سائقٌ يسوقها إلى أمر الله، وشهيدٌ يشهد عليها بما عملت(٤).

● **عن عمر بن الخطاب** في قوله: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾ [ق]، قال: ركعتان بعد المغرب ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور]، قال: ركعتان قبل الفجر(٥).

● **عن ابن عمر** قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«أنا أوّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهلَ البقيعِ، فيحشرونَ معي، ثم**

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٨٣).
(٢) في الأصل الفارسي: «البهي».
(٣) «الدر المنثور» (٩/ ٢٨٤).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٨٤).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٢٩٤).

أنتظرُ أهلَ مكّة»، وتلا ابن عمر: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ﴾ الآية[١].

❊ ❊ ❊

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٩٤).

آيات سورة الذاريات

• **قال الله تعالى**: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [الذاريات].

عن **سعيد بن المسيّب** قال: جاء صَبِيغٌ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أخبرني عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾، قال: هي الرياح، ولولا أني سمعتُ رسول الله يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾، قال: هي السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾، قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾، قال: هنّ الملائكةُ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، ثم أمر به فضُرِبَ مائةً، وجعل في بيت، فلما برأ دعاه، فضرب مائةً أخرى، وحمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري امنع الناسَ من مجالسته، فلم يزالوا كذلك حتّى أتى أبا موسى، فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب عمر: ما إخاله إلا وقد صدق، فخلِّ بينه وبين مجالسة الناس[1].

• **عن الحسن** قال: سأل صَبِيْغٌ التميمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾، وعن ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١﴾، وعن ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾، فقال عمر رضي الله عنه: اكشف رأسك فإذا له ضفيرتان، فقال: واللهِ لو وجدتُكَ محلوقاً لضربتُ عنقك، ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري أنْ لا يجالِسَه مسلمٌ ولا يكلِّمَه[2].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٩٦).

(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٩٦).

آيات سورة الطور

• **عن الحسن** أنّ عمر بن الخطاب قرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾، فربا لها ربوةً [حتى] عِيدَ لها عشرين يوماً.

• **عن مالك بن مغول** قال: قرأ عمر: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ قال: قَسَمٌ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾، فبكى ثم بكى حتى عِيدَ من وجعه ذلك[1].

---

(١) المصدر نفسه (٩/٣٠٨).

آيات سورة النجم

• **عن عمر بن الخطاب** قال: احذروا هذا الرأي على الدين، فإنما كان الرأيُ من رسول الله ﷺ مُصيباً؛ لأنّ الله كان يُريه، وإنّما هو منَّا تكلُّفٌ وظنٌّ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝٢٨﴾ [النجم][1].

• **عن سبرةَ** قال: صلّى بنا عمر بن الخطاب الفجرَ، فقرأ في الركعة الأولى سورة يوسف، ثم قرأ في الثانية النجم، فسجدَ، ثم قام فقرأ إذا زلزلت ثم ركع[2].

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٣٢٥).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٣٧).

آيات سورة القمر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنزل الله على نبيِّه بمكّةَ قبل يوم بدر ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ جمعٍ سيُهزمُ؟ فلمّا كان يومُ بدرٍ، وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتاً بالسيف، وهو يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾، وكانت ليوم بدر[1]، فأنزل الله فيهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ﴾ الآية [المؤمنون: ٦٤]، وأنزل الله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ الآية [إبراهيم: ٢٨]، ورماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية، وملأت أعينهم وأفواههم، حتى إنَّ الرجلَ ليُقْتَلُ وهو يقذي عينيه، فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

• **عن عكرمة** رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ قال عمر رضي الله عنه: جعلت أقول: أيُّ جمعٍ سيُهزمُ؟ حتّى كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثِبُ في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ فعرفتُ تأويلَها يومئذٍ[2].

(١) في الأصل الفارسي: «فكان ليوم البدر».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/٣٤٦).

آيات سورة الرحمٰن

عن **ابن شوذب** في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن]، قال: نزلتْ في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

• **عن عطاء** أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه ذكر ذاتَ يومٍ، وفكّر في القيامة والموازين والجنة والنار وصفوف الملائكة وطيّ السماوات ونسف الجبال وتكوير الشمس وانتثار الكواكب، فقال: وددتُ أني كنتُ خضراء من هذا الخضر تأتي عليّ بهيمةٌ، فتأكلني وأنّي لم أُخْلَقْ، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[١].

• **عن الحسن** قال: كان شابٌّ على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ملازمٌ المسجدَ والعبادة، فعشقته جاريةٌ فأتته في خلوة، فكلَّمته، فحدّث نفسه بذلكَ فشهقَ شهقةً فغُشِيَ عليه، فجاء عمٌّ له إلى بيته، فلمَّا أفاق قال: يا عمّ انطلِقْ إلى عمر، فأقرئه منِّي السلام، وقل له: ما جزاءُ مَنْ خاف مقام ربه؟ فانطلق عمُّه فأخبرَ عمر، وقد شهِقَ الفتى شهقةً أُخرى فمات منها، فوقف عليه عمر فقال: لكَ جنّتان، لكَ جنّتان[٢].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أفي الجنةِ فاكهةٌ؟ قال: «**نعم فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورمانٌ**»، قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: «**نعم وأضعافه**»، قالوا: أفيقضون الحوائج؟ قال: «**لا، ولكنّهم يعرَقون ويرشَحون فيُذْهِبُ الله ما في بطونهم من أذىً**»[٣].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٣٦٦).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٦٨).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٧٤).

آيات سورة الواقعة

إن الله تعالى قسّم المكلفين في سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام:

أولها: السابقون المقربون، **وثانيها**: أصحاب اليمين، **وثالثها**: أصحاب الشمال.

ولأصحاب الشمال نوعان: **أولهما**: كفار، **والثاني**: فسّاق، وذكر هنا الكفّار ولم يذكر الفسّاق، وقد وعد الله تعالى السابقين المقربين بالمرتبة العليا من الثواب، وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة]، وجعل ثواب أصحاب اليمين أقلّ بالنسبة إلى ثواب السابقين المقربين، وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة]، فينبغي أن يكون الخليفةُ الخاصُّ للنبيِّ ﷺ من الطبقة العليا للأمة وإن كانت مراتب شتّى فيما بينهم.

• **عن ابن عباس** قال ألظّ النبيُّ ﷺ بـ«الواقعة» و«الحاقّة» و«عمّ يتساءلون»، «والنازعات» و«إذا الشمس كُوِّرت» و«إذا السماء انفطرت» فاستطار فيه القتير، فقال له أبو بكر: قد أسرع فيك القتير ـ بأبي وأمي ـ قال: «**شيَّبتني هود وصواحباتها هذه**»[١].

• **عن جابر بن عبد الله** قال: لمّا نزلت: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾، ذكر فيها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾، قال عمر: يا رسول الله! [ثلة من الأولين وقليل منا، فأمسك آخرُ السورة سنةً ثم نزل]: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمرُ! تعالَ فاستمعْ ما قَدْ أَنْزَلَ اللهُ**: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ

---

(١) «تاريخ دمشق» (٤/ ١٧١).

﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾، **ألا وإنَّ مِنْ آدمَ إليَّ ثلةٌ، ومنِّي ثلةٌ، ولن نستكملَ ثلّتنا حتّى نستعينَ بالسودانِ من رعاةِ الإبل، ممّن يشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شريكَ له»**[١].

• **عن أبي سعيد الخدري** قال: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ طيرَ الجنّة، فقال أبو بكر: إنها لناعمةٌ، قال: «**ومَنْ يأكل منها أنعمُ منها وإنِّي لأرجو أن تأكلَ مِنْها**»[٢].

• **عن أنس** قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمّا طيرُ الجَنَّةِ كأمثالِ البُخْتِ ترعى في شَجَرِ الجَنَّةِ**»، فقال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ! إنَّ هذه الطيور لناعمةٌ، فقال: «**آكلُها أنعمُ منها، وإنِّي لأرجو أن تكونَ ممّنْ يأكلُها**»[٣].

• **عن حذيفة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنةِ طيراً أمثالَ البخاتي**»، قال أبو بكر: إنَّها لناعمةٌ يا رسول الله، قال: «**أَنْعَمُ مِنْها مَنْ يأكلُها، وأنتَ ممّن يأكلها، [وأنتَ ممّنْ يأكلُ مِنْها]**»[٤].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه من طرق متعددة، قال: احضُرُوا موتاكم، وذكِّروهم، فإنّهم يرونَ ما لا تَرَوْنَ[٥].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٣٨٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٨٥).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٨٥).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٣٨٥).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٤٠٢).

آيات سورة الحديد

يقول الله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

والظاهر: أنّ المرادَ من الفتح هو فتحُ مكة، فالآية نصّ في تفضيل الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا على الذين باشروا هذه الأعمال من بعدِ فتح مكة، وبما أنّ الخلافة الخاصة أو الخلافة الكاملة ـ أيّاً ما شئتَ فقل ـ تتحقّق بأن يكونَ الخليفةُ أفضلَ من غيره باعتبار الأصناف والأوصاف العامة، فلا يستحقّ الخلافة الخاصة إلا مَنْ كان من الطائفة الذين آمنوا من قبل الفتح وأنفقوا وقاتلوا.

• **عن عمر** قال: كنتُ أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ، فبينا أنا في يوم حارٍّ بالهاجرة في بعض طريق مكة إذ لقيني رجلٌ فقال: عجباً لك يا ابنَ الخطاب إنّكَ تزعمُ أنك وأنك[1]، وقد دخل عليك الأمرُ في بيتك، قلتُ: وما ذاك؟ قال: هذه أختُكَ قد أسلمتْ، فرجعتُ مغضَباً حتى قرعتُ البابَ فقيل: مَنْ هذا؟ قلتُ: عمرُ، فتبادروا، فاختفَوا منّي، وقد كانوا يقرؤون صحيفةَ بين أيديهم تركوها أو نسوها، فدخلتُ حتّى جلستُ على السريرِ، فنظرتُ إلى الصحيفة، فقلتُ: ما هذه؟ ناولينيها، قالت: إنّكَ لستَ مِنْ أهلِها، إنّك لا تغتسِلُ من الجنابةِ، ولا تطهّرُ، وهذا كتابٌ لا يمسُّه إلّا المطهّرون، فما زلتُ حتى ناولتنيها ففتحتُها، فإذا فيها:

---

(١) في الأصل الفارسي: «لم يتكرّر».

بسم الله الرحمٰن الرحيم، فلمّا قرأتُ الرحمٰن الرحيم ذُعِرْتُ، فألقيتُ الصحيفةَ من يدي، ثم رجعتْ إليَّ نفسي، فأخذتُها، فإذا فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ [الحديد]، فكلّما مررتُ باسم من أسماء الله ذُعِرْتُ، ثم ترجعُ إليَّ نفسي حتى بلغت: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، فقلتُ: أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمّداً رسولُ اللهِ، فخرج القوم مستبشرين فكبروا(١).

• **عن مجاهد** في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ [الحديد: ١٠]، يقول: مَنْ أسلم ﴿وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]؛ يعني: أسلموا، يقول: ليس من هاجر كمن لم يهاجِرْ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠](٢).

• **عن قتادة** في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ الآية، قال: كان قتالان أحدُهما أفضلُ من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضلُ من الأخرى، قال: كانت النفقة والقتال قبل الفتح فتح مكة أفضلَ من النفقة والقتال بعد ذلك ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾، قال: الجنة(٣).

• **عن زيد بن أسلم** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يأتيكم قومٌ من ها هنا**، وأشار بيده إلى اليمن، **تحقِرونَ أعمالَكُم عندَ أعمالِهم**»، قالوا: فنحن خيرٌ أم هم؟ قال: «**بَلْ أنتُم، فلو أنَّ أحدَهم أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذهباً ما أدركَ مُدَّ أحدِكُم ولا نصيفه، فصلت هذه الآية بيننا وبين الناس** ﴿لَا

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٠٩).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤١٣).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٣).

يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد: ١٠]»[١].

• **عن زيد بن أسلم** عن عطاء بن يسار عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عامَ الحديبية إذا كان بعُسْفان قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يوشِكُ أَنْ يأتيَ قومٌ تحقِرونَ أعمالَكُم مع أعمالهم**»، قلنا: من هم يا رسول الله! أقريشٌ؟ قال: «**لا، ولكنّهم أهلُ اليمنِ، هم أرقُّ أفئدةً وألينُ قلوباً**»، فقلنا: أهم خير منا يا رسول الله؟ قال: «**لو كان لأحدِهم جبلٌ مِنْ ذهبٍ فأنفقَه ما أدركَ مُدَّ أحدِكم ولا نصيفه إلا إنَّ هذا فصلُ ما بيننا وبينَ الناسِ:** ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ الآية»[٢].

• **عن أنس** قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف كلامٌ، فقال خالدٌ لعبد الرحمٰن بن عوف: تستطيلونَ علينا بأيامٍ سبقتمونا بها، فبلغَ النبيَّ ﷺ فقال: «**دَعُوا لي أصحابي، فوالّذي نفسِي بيدِهِ لو أنفقتُم مِثْلَ أُحدٍ أو مِثْلَ الجبالِ ذهباً ما بلغتُم أعمالَهم**»[٣].

• **عن يوسف بن عبد الله بن سلام** قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أنحن خيرٌ أم مَنْ بعدنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لو أنفقَ أحدُهم أُحداً ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِكُم ولا نصيفه**»[٤].

• **عن أبي سعيد** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبّوا أصْحَابي، فوالّذي نفسِي بيدِهِ، لو أنَّ أحدَكم أنفقَ مِثْلَ أُحدٍ ذهباً ما أدركَ مُدَّ أحدِهِم ولا نصيفه**»[٥].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤١٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤١٣).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤١٤).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤١٤).
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٤).

• **عن ابن عمر** قال: لا تسبّوا أصحابَ محمّدٍ ﷺ، فلمقامُ أحدِهم ساعةً خيرٌ من عمل أحدِكم عُمُرَهُ[١].

• **عن ابن مسعود** قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، إلا أربع سنين، قال: لما نزلت: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، أقبل بعضنا على بعض، أي شيء أحدثنا؟ أي شيء صنعنا[٢]؟

• **عن ابن عباس** قال: إنَّ الله استبطأ قلوبَ المهاجرين فعاتبهم على رأسِ ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية[٣].

• **عن الأعمش** قال: لمّا قدمَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ المدينةَ، فأصابوا مِنْ لين العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد، فكأنّهم فتروا عن بعضِ ما كانوا عليه، فعوتبوا، فنزلت: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية[٤].

• **عن أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ فرَّ بدينِهِ من أرضٍ إلى أرضٍ مخافةَ الفتنةِ على نفسِهِ ودينِهِ كُتِبَ عندَ اللهِ صدّيقاً، فإذا ماتَ قبضَه اللهُ شهيداً**»، وتلا هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الحديد: ١٩]، ثم قال: [«**هذه فيهم**»، ثم قال:] «**والفارّون**[٥] **بدينِهم مِنْ أرضٍ إلى أرضٍ يومَ القيامةِ مع عيسى ابنِ مريمَ في درجتِهِ في الجنّةِ**»[٦].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤١٤).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤١٩).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤١٩).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٢٠).
(٥) في الأصل الفارسي: «الفرّارون».
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٢١).

• **عن البراء بن عازب** رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مؤمنو أمتي شهداء**»، ثم تلا النبي ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1].

• **عن ابن مسعود** رضي الله عنه قال: إنّ الرجلَ ليموتُ على فراشه وهو شهيدٌ، ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2].

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: إنّما الشهيدُ الذي لو ماتَ على فراشه دخلَ الجنّة؛ يعني: الذي يموتُ على فراشه ولا ذنبَ له[3].

• **عن مجاهد** رضي الله عنه قال: كلُّ مؤمن صِدِّيقٌ وشهيدٌ، ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[4].

• **عن عمرو بن ميمون** قال: كلُّ مؤمنٍ صِدِّيقٌ، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[5].

• **عن ابن عباس**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ﴾ قال: هذه مفصولةٌ، [والشهداءُ عند ربّهم لهم أجرُهم ونورُهم]، [سمّاهم صدِّيقين، ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾].

• **عن الضحّاك** في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ﴾، قال: هذه مفصولةٌ، سمّاهم صدِّيقين، ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾[6].

• **عن الحسن** في الآية قال: إنّه ليقضى بالسيئة في السماءِ، وهو

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٢١).

كل يوم في شأنٍ، ثم يُضْرَبُ لها أجلٌ، فيحبسها إلى أجلها، فإذا جاءَ أجلُها أرسلها، فليس لها مردود[١]، [ويقدِّرُ] أنه كائنٌ في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، في بلد كذا، من المصيبة من القحط والرزق[٢]، و[٣]المصيبة في الخاصة والعامة، حتى إنَّ الرجلَ يأخذُ العصا يتوكّأ بها[٤]، وقد كان لها كارهاً، ثم يعتادُها حتّى ما يستطيع تركها[٥].

۞ ۞ ۞

(١) في الأصل الفارسي: «مردٌّ».
(٢) في الأصل الفارسي: «من مصيبة في القحط أو الرزق».
(٣) في الأصل الفارسي: «أو».
(٤) في الأصل الفارسي: «يتعصّى بها».
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٢٢).

آيات سورة المجادلة

• **عن ابن زيد**[(١)] قال: لقي عمر بن الخطاب امرأةً يقال لها: خولة وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها رأسَهُ، ووضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أميرَ المؤمنين! حبستَ رجالَ قريشٍ على هذه العجوز، قال: ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه امرأةٌ سمعَ الله شكواها من فوق سبع سمٰوات، هذه خولةُ بنتُ ثعلبة، واللهِ لو لم تنصرف عنّي إلى الليلِ ما انصرفتُ حتى تقضي حاجتها[(٢)].

• **عن ثمامة بن حزن** قال[(٣)]: بينما عمر بن الخطاب يسيرُ على حماره لقيته امرأةٌ، فقالت: قِفْ يا عمر، فوقف، فأغلظتْ له القولَ، فقال رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين! ما رأيتُ كاليوم، فقال: وما يمنعني أن أستمع إليها وهي التي استمعَ الله لها، أنزلَ فيها ما نزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١][(٤)].

• **عن مقاتل بن حيّان**[(٥)] قال: أُنزلت هذه الآية يوم جمعة، وجلس رسول الله ﷺ يومئذٍ في الصُّفّة، وفي المكانِ ضِيقٌ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناسٌ من أهل بدر، وقد سبقوا إلى

---

(١) في الأصل الفارسي: «عن أبي يزيد».

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/٤٢٨).

(٣) في الأصل الفارسي: «عن ثمامة بنت جرير قالت».

(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/٤٢٨).

(٥) في الأصل الفارسي: «حبان» مكان «حيان».

المجلس[١]، فقاموا حيال رسول الله ﷺ، فقالوا: السّلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فردّ النبيُّ ﷺ، ثم سلّموا على القوم بعد ذلك فردّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسّعَ لهم، فعرف النبيُّ ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يُفْسَحْ لهم، فشقّ ذلك عليه، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان، وأنت يا فلان، فلم يزل يقيمهم بعدد النفر الذين هم قيامٌ من أهل بدر، فشقّ ذلك على من أُقيم مِنْ مجلسه، فنزلت هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١][٢].

● **عن عبد الله بن شَوْذب** قال: جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدَّى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلمّا أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...﴾ الآية [المجادلة: ٢٢][٣].

● **عن ابن جريج** قال: حُدِّثت أن أبا قحافة سبَّ النبيَّ ﷺ فصكّه أبو بكر صكّة فسقط، فذُكِرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**أفعلتَ يا أبا بكر؟**».

فقال: واللهِ لو كان السيفُ منّي قريباً لضربته، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا...﴾ الآية[٤].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «وقد سبق إلى المجالس غيرهم».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٣٨).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٤٣).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٤٣).

آيات سورة الحشر

• **قال الله تعالى** في سورة الحشر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

يقرِّر الله تعالى في النصّ القرآني ما حصل من الفيء ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: بغير إيجاف الخيل والركاب ومن غير وقوع القتال مصارفه ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، ثم يقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ...﴾ [الحشر: ٨]؛ يعني: هذا الفيء للفقراء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسانٍ ممن يتّصفون بوصف النصيحة ودعاء المغفرة لمن سبقوهم بالإيمان.

لمَّا تقرّر الفيء للجماعة غير المحصورين لا يكون ملكاً لهم، بل ينبغي أن يعطى كل أحد قدر ما يحتاجُ إليه، وليس معنى الخليفة إلّا أن يتصرّف في بيت مال المسلمين وفق سنَّة رسول الله ﷺ نيابة عنه ﷺ، فيكون الخليفةُ متصرّفاً في الفيء، ولم يكن الفيءُ مِلْك النبيِّ ﷺ ليجري فيه الميراث، ولم يكن للنبيِّ ﷺ أن يهب ذلك أحداً من أقاربه، وهو المقصود.

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً، ينفق على أهله منها نفقةَ سنَتِهِ، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عِدّةً في سبيل الله[1].

• **عن مالك بن أوس بن الحدثان** قال: قرأ عمر بن الخطاب:

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٤٨٨٥).

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾، حتى بلغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة]، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الحشر: ٧]، حتى بلغ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ﴾ [الحشر: ٨] إلى آخر الآية، ثم قال: هذه للمهاجرين، ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، إلى آخر الآية، فقال: هذه للأنصار، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]، إلى آخر الآية، ثم قال: استوعبت هذه المسلمينَ عامةً، وليس أحدٌ إلا له في هذا المال حق، إلا ما تملكون من رقيقكم، ثم قال: لئن عشتُ ليأتينّ الراعي - وهو بسرو حِمْيَرْ - نصيبَه منها لم يعرقْ فيه جبينَه(١).

● **عن زيد بن أسلم عن أبيه** قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه، ثم قال لهم: إني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال، فتنظروا لمن ترونه، وإني قرأتُ آياتٍ من كتاب الله فكفتني، سمعتُ الله يقول: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾، والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر] والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ إلى قوله: ﴿رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر]، والله ما أحدٌ من المسلمين إلا له حق في هذا المال أعطي منه أو مُنع عنه حتى راعٍ بعدن(٢).

عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: قسم عمر ذات يوم قسماً من

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٥٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٥٧).

المال، فجعلوا يثنون عليه، فقال: ما أحمقكم! لو كان لي ما أعطيتُكم منه درهماً[١].

• **عن سمرة** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم، ثم يجعلهم أسداً لا يفرّون، فيقتلون مقاتلتكم، ويأكلون فيئكم[٢].

• **عن السائب بن يزيد** سمعتُ عمر بن الخطاب ﷺ يقول: والذي لا إلـٰه إلا هو ـ ثلاثاً ـ ما مِنَ الناسِ أحدٌ إلّا له حقٌّ في هذا المال، أُعْطِيَه أو مُنِعه، وما أحدٌ أحقُّ به من أحدٍ إلا عبدٌ مملوك، وما أنا فيه إلا كأحدِكم، ولكنّا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجلُ وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناه في الإسلام، والرجلُ وحاجته في الإسلام، واللهِ لئن بقيتُ ليأتينَّ الراعيَ بجبل صنعاء حظُّه من هذا المالِ وهو بمكانه[٣].

• **عن الحسن** ﷺ قال: كتب عمر إلى حذيفةَ أنْ اعطِ الناس أعطيتَهم وأرزاقَهم، فكتب إليه إنّا قد فعلنا، وبقي شيءٌ كثير، فكتب إليه عمر: إنّ فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر، ولا لآل عمر، اقسمه بينهم[٤].

• **عن قتادة** ﷺ في قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ﴾ الآية [الحشر: ٨]، قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كان فيه من شدة، حتى لقد ذُكِر لنا أنَّ الرجلَ كان يعصِبُ الحجر على بطنه ليقيم

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٥٧).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٥٨).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٥٨).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٥٨).

به صلبه من الجوع، وإن كان الرجلُ ليتّخذُ الحفرَ في الشتاء ما له دثار غيرها[(١)].

• **عن قتادة** في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [الحشر: ٩] إلى آخر الآية، قال: هم هذا الحيُّ من الأنصار أسلموا في ديارهم، وابتنوا المساجدَ قبل قدوم النبيِّ ﷺ بسنتين، وأحسن الله عليهم الثناء في ذلك، وهاتان الطائفتان الأُوليان من هذه الآية أخذتا بفضلهما، [ومضتا على مهلهما]، وأثبتَ الله حظَّهما في هذا الفيء، ثم ذكر الطائفة الثالثة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الحشر: ١٠] إلى آخر الآية، قال: إنّما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيِّ ﷺ، ولم يؤمروا بسبِّهم[(٢)].

• **عن الحسن** قال: فضَّل [الله] المهاجرين على الأنصار ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ [الحشر: ٩] قال: الحسد[(٣)].

• **عن عمر** أنه قال: أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأوّلين أن يعرِفَ لهم حقّهم، ويحفظَ لهم حُرْمتهم، وأوصيه بالأنصارِ الذين تبوّءُوا الدار والإيمان من قبلِ أن يهاجِرَ النبي ﷺ أنْ يقبلَ من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم[(٤)].

• **عن سعد بن أبي وقاص** قال: الناسُ على ثلاثةِ منازلَ، قد مضت منزلتان، وبقيت منزلة، فأحسنُ ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ...﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة،

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٠).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٠).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٠).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٦٠).

وقد مضت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، ثم قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة، وقد مضت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، فقد مضت هاتان المنزلتان، وبقيت هذه المنزلة، فأحسنُ ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة[١].

• **عن الضحَّاك** رضي الله عنه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]، قال: أُمروا بالاستغفار لهم، وقد عُلِم ما أحدثوا[٢].

• **عن عائشة** رضي الله عنها قالت: أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبُّوهم، ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠][٣].

• **عن ابن عمر** أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين، فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، أفمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار، أفأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: لا، ليس مِنْ هؤلاء من يَسبُّ هؤلاء[٤].

• **عن ابن عمر** أنّه بلغه أنَّ رجلاً نال من عثمان، فدعاه فأقعده بين يديه، فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: لا، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: أرجو أن أكون منهم، قال: لا والله، ما يكونُ منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغِلُّ عليهم[٥].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٧).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٧).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٧).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٧).
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٦٧).

• **عن نعيم بن محمد الرحبي** قال: كان من خطبة أبي بكر الصدِّيق: واعلموا أنّكم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّبَ عنكم عِلْمُه، فإن استطعتم أن ينقضي الأجلُ وأنتم على حذرٍ فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلّا بإذن الله، وإنّ قوماً جعلوا أجلَهم لغيرهم، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

أين مَنْ كنتم تعرفون من إخوانكم؟ قد انتهت عنهم أعمالُهم، ووردوا على ما قدَّموا، أين الجبّارون الأوّلون الذين بنوا المدائنَ، وحصَّنوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصخر والآكام، هذا كتابُ الله لا تفنى عجائبُهُ، ولا يُطفأ نورُه، استضيئوا منه اليوم ليوم الظلمة، واستنصحوا كتابَه وتبيانَه، فإنَّ الله قد أثنى على قوم فقال: ﴿كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]، لا خير في قولٍ لا يُبتغى به وجهُ اللهِ، ولا خيرَ في مالٍ لا ينفق في سبيل الله، ولا خيرَ فيمن يغلِبُ غضبُه حلمَه، ولا خيرَ في رجلٍ يخاف في اللهِ لومةَ لائمٍ[١].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٧٣).

آيات سورة الممتحنة

• **عن عليّ** قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ فإنّ بها ظعينةً، معها كتابٌ، فخذوه منها، فائتوني به**»، فخرجنا حتّى أتينا الروضةَ، فإذا نحنُ بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتابٌ، قلنا: لتُخْرِجنّ الكتابَ، أو لتُلْقِينّ الثيابَ، فأخرجته من عِقاصها، فأتينا به النبيَّ ﷺ، فإذا فيه: من حاطبِ بنِ أبي بَلْتَعَةَ إلى أناسٍ من المشركين بمكّة يخبِرُهم ببعضِ أمرِ النبيِّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**ما هذا يا حاطبُ؟**».

قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله! إنِّي كنتُ امرءاً مُلْصقاً من قريشٍ، ولم أكن من أنفسِها، وكان مَنْ معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسبِ فيهم أن أصطنعَ إليهم يداً يحمونَ بها قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني.

فقال النبيُّ ﷺ: «**صَدَقَ**».

فقال عمر: دعني يا رسولَ اللهِ فأضربَ عنقَه.

فقال: «**إنّه شهدَ بدراً، وما يدريكَ لعلَّ اللهَ اطّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شِئْتُم فقد غفرتُ لكم**»، ونزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١][1].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٧٧).

المشركين بكتاب، فجِيءَ به إلى النبيّ ﷺ، فقال: **«يا حاطبُ! ما دعاك إلى ما صنعت؟»**.

قال: يا رسول الله! كان أهلي فيهم، فخشيتُ أن يصرموا عليهم، فقلتُ: أكتبُ كتاباً لا يضرُّ اللهَ ورسولَه، فقلتُ: أضربُ عنقَه يا رسول الله! فقد كفر.

فقال: **«وما يدريكَ يا ابنَ الخطّابِ أن يكونَ اللهُ اطّلع على أهلِ العصابةِ من أهلِ بدرٍ؟ فقال: اعملوا ما شِئْتُم فقد غفرتُ لكم»**[(١)].

• **عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ عَلَى بَعْضِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ، فَلَقِيَ ذَا الْخِمَارِ مُرْتَدّاً فَقَاتَلَهُ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَ فِي الرِّدَّةِ، وَجَاهَدَ عَنِ الدِّينِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَهُوَ فِيمَنْ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧][(٢)].

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: أوّلُ من قاتل أهلَ الردّة على إقامة دين الله أبو سفيان بن حرب، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[(٣)].

• **عن ابن عباس**: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، قال: نزلت في تزويج النبي ﷺ [ابنته] أم حبيبة[(٤)].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: أسلم عمر بن الخطاب، وتأخَّرت امرأته في المشركين فأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠][(٥)].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٧٨). (٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٢/ ٣٠١).

(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٨٢).

(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٨٢).

(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٨٨).

• **عن مقاتل** رضي الله عنه قال: أُنزلتْ هذه الآية يومَ الفتح، فبايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفا، وعمرُ يبايِعُ النساء تحتها عن رسول الله ﷺ[(١)].

• **عن إسماعيل** بن عبد الرحمٰن بن عطية عن جدته **أم عطية** رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيتٍ، فأرسل إليهنَّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، فقام على البابِ فسلَّم، فقال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكنَّ، تبايعنَ على أن لا تشركنَ بالله شيئاً، ولا تسرقنَ، ولا تزنينَ. الآية، قلن: نعم فمدَّ يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت، قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالت: نهانا عن النياحة[(٢)].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: قل لهن: «إنّ رسول الله ﷺ يبايعكن ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، وكانت هندٌ متنكِّرةً في النساء، فقال لعمر: «**قل لها**: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾»، قالت هند: واللهِ إنّي لأصيبُ من مال أبي سفيان الهنة، فقال: «﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ [الممتحنة: ١٢]»، فقالت: وهل تزني الحرّة؟! فقال: «﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢]»، قالت هند: أنتَ قتلتهم يوم بدر، قال: «﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]»، قال: منعهن أن يَنُحْنَ، وكان أهل الجاهلية يمزّقنَ الثيابَ، ويخدشنَ الوجوه، ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور[(٣)].

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٩٠). (٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٩٠).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٩٠).

آيات سورة الصف

• **قال الله تعالى** في سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف].

إنّ في هذه السورة إشارةً إلى أنّ الله أراد ظهور دين الحق على سائر الأديان، ولا يظهر هذا المعنى بتمامه في زمن النبي ﷺ، بل جرى بعده ﷺ جهادٌ بعد جهاد، وظهرت فتوحاتٌ كثيرة، كما صار الحواريون بعد عيسى عليه السلام غالبين على أعدائهم، والله أعلم.

• **عن قتادة** في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً فبايعوه عند العقبة، فنصروه، وآووه، حتى أظهرَ الله دينه، ولم يُسمَّ حيٌّ من السماء قط باسم لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم.

وذكر لنا أنّ بعضهم قال: هل تدرون [على] ما تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على محاربة العرب كلّها أو يسلموا، وذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبيَّ الله! اشترط لربك ولنفسِكَ ما شئتَ.

فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم**».

قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله؟

قال: «**لكم النصرُ في الدنيا، والجنة في الآخرة**» ففعلوا، ففعل الله.

قال: والحواريون كلهم من قريش: أبو بكر، وعمر، وعلي،

وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوّام[(١)].

● **عن ابن عباس:** ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، بمحمد ﷺ: ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾ [الصف: ١٤]، اليوم: ﴿ظَـٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤][(٢)].

۞ ۞ ۞

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٩٨).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٩٨).

آيات سورة الجمعة

عن **السائب بن يزيد** قال: كان النداء الذي ذكر الله في القرآن يوم الجمعة في زمن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعامة خلافة عثمان أنْ ينادِيَ المنادي إذا جلسَ الإمام على المنبر، فلمّا تباعدت المساكنُ، وكثر الناسُ، أَحْدَثَ النداءَ الأول، فلم يعبِ الناسُ ذلك عليه، وقد عابوا عليه حين أتمَّ الصلاة بمنىً، قال: فكنا في زمان عمر نصلي، فإذا خرج عمر وجلس على المنبر قطعنا الصلاةَ، وتحدّثنا، فربّما أقبل عمرُ على بعض مَنْ يليه، فسألَهم عن سوقهم، وقد أمهم، والمؤذن يؤذّن، فإذا سكتَ المؤذّن قام عمر، فتكلّم، ولم يتكلّم حتى يفرغَ من خطبته(١).

• عن **خرشة بن الحر** قال: رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، فقال: مَنْ أملى عليك هذا؟ قلت: أُبيّ بن كعب، قال: إن أُبياً أقرؤنا للمنسوخِ، اقرأها: فامضوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ(٢).

• عن **الحسن** أنه سئل عن قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، قال: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والثباتِ والخشوعِ(٣).

• عن **جابر بن عبد الله** قال: بينما النبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً، إذ قدمت عيرٌ المدينةَ، فابتدرها أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ حتى لم

---

(١) المصدر نفسه (١٠/ ٤).
(٢) «فتح القدير» (٧/ ٢٢٤)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٦).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٨٢).

يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم وأبو بكر وعمر، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا إِلَيْهَا﴾ إلى آخر السورة[(١)].

• **عن الحسن** قال: بينا النبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ قدمت عيرٌ المدينة، فانفضوا إليها، وتركوا النبي ﷺ، فلم يبقَ معه إلا رهط، منهم أبو بكر وعمر، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**والَّذي نفسِي بيدِهِ، لو تتابعتُم حتّى لا يبقَىٰ معي أحدٌ منكم لسالَ بِكُم الوادي ناراً**»[(٢)].

• **عن طاوس** قال: خطب رسولُ اللهِ ﷺ قائماً، وأبو بكر وعمر وعثمان، وإنَّ أوَّل من جلسَ على المنبر معاوية بن أبي سفيان[(٣)].

• **عن الشعبي** قال: كان رسول الله ﷺ إذا صعدَ المنبرَ يومَ الجمعةِ استقبل الناسَ بوجهه الكريم، فقال: «**السلامُ عليكُم**»، ويحمدُ اللهَ، ويثني عليه، ويقرأ سورةً، ثم يجلِسُ، ثم يقومُ فيخطبُ، ثم ينزِلُ، وكان أبو بكر وعمر يفعلانه[(٤)].

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٩).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ١١).
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ١٢).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٢).

سورة المنافقون

وفي قصة **زيد بن أرقم** قال: فبينما أنا أسير، وقد خففت برأسي[١] من الهمِّ، إذ أتاني رسولُ اللهِ ﷺ، فعرك أُذني، وضحكَ في وجهي، فما كان يسرُّني أنَّ لي بها الخلد أو الدنيا، ثم إنَّ أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسولُ اللهِ ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً، إلا أنّه عَرَكَ أُذني وضحكَ في وجهي، فقال: أبشر، ثم لحقني عمر، فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلمّا أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، حتى بلغ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨][٢].

● **عن جابر بن عبد الله** يقول: كنا في غزاة ـ قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق ـ فكسعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال المهاجر: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: **«ما بالُ دَعْوَىٰ الجاهليةِ؟»**.

قالوا: رجلٌ من المهاجرين كسعَ رجلاً من الأنصار.

فقال رسول الله ﷺ: **«دَعُوهَا فإنَّها منتنةٌ»**.

فسمع ذلك عبد الله بن أُبي ابن سلول، فقال: أو قد فعلوها، والله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

فقال عمر: يا رسولَ اللهِ! دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال النبيُّ ﷺ: **«دَعْهُ لا يتحدّثُ الناسُ أنَّ محمّداً يقتلُ**

---

(١) في الأصل الفارسي: «خفضت رأسي».

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٤).

أصحابَهُ»[١]، زاد الترمذيُّ: فقال له ابنه عبدُ الله: لا تنفلتَ حتّى تقرَّ أنّك الذليلُ ورسولُ اللهِ ﷺ العزيزُ ففعل[٢].

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٩٠٥ ـ ٤٩٠٧)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٥٨٤)، والترمذي في «سننه» برقم: (٣٣١٥).

(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٣١٥).

سورة الطلاق

• **عن ابن عمر** أنه طلّق امرأته، وهي حائضٌ على عهد النبي ﷺ، فانطلق عمر، فذكر ذلك له فقال: «**مُرْهُ فليراجِعْها، ثم يُمْسِكْها حتّى تطهرَ، ثم يطلِّقُها إنْ بدا له**»، فأنزل الله عند ذلك: (ياأيها النبيُّ إذا طلّقتمُ النِّساءَ فطلقوهنَّ في قبل عِدّتِهِنَّ)، قال أبو الزبير: هكذا سمعت ابن عمر يقرأها(١).

• **عن ابن عمر**: أنه طلّق امرأته، وهي حائضٌ، فذكر ذلك عمر لرسولِ اللهِ ﷺ، فتغيَّظ رسولُ اللهِ ﷺ، ثم قال: «**لِيُرَاجِعْهَا، ثم يُمْسِكْها حتّى تطهرَ، ثم تحيضَ، وتطهرَ، فإنْ بدا له أَنْ يطلِّقَها فليطلِّقْها طاهِراً قَبْلَ أَنْ يمسَّها، فتلك العِدَّةُ التي أمرَ اللهُ أَنْ يطلّقَ لها النساءُ**»، وقرأ النبيّ ﷺ: «**يا أيها النبيُّ إذا طلّقتم النساءَ فطلِّقوهنّ في قبل عدتهنّ**»(٢).

• **عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه** قال: اجتمع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح فتمارَوْا في شيءٍ، فقال لهم عليٌّ رضي الله عنه: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ، قالوا: جئنا يا رسولَ اللهِ نسألُكَ عن شيءٍ، فقال: «**إنْ شِئْتُم فاسألوا، وإن شِئْتُم خبّرتُكُمْ بما جِئْتُم له**»، فقال لهم: «**جئتموني تسألوني عَنِ الرّزْقِ مْن أينَ يأتي؟ وكيفَ يأتي؟ أبى اللهُ أن يرزقَ عبدَه المؤمنَ إلّا مِنْ حيثُ لا يَعْلَمُ**»(٣).

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٢٨).
(٢) «فتح القدير» (٧/٢٤٢).
(٣) «مسند الشهاب» (١/٣٤١).

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لو أنَّكم تتوكَّلونَ على اللهِ حَقَّ توكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كما يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وتروحُ بِطاناً**»[١].

• **عن قتادة** قال: وكان عمرُ يقول: لو وضعتْ ما في بَطْنِها[٢] وهو موضوعٌ على سريرِهِ مِنْ قبلِ أن يُقْبَرَ لحلَّتْ[٣].

• **عن سعيد بن المسيب،** أنه قضى عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه في المرأة التي يطلِّقها زوجَها تطليقةً، ثم تحيضُ حيضةً أو حيضتين، ثم ترفعها حيضتها [لا يدرى ما الذي رفعها له]، فإنّها تربّص [بنفسِها ما بينها وبين] تسعة أشهر، فإن استبانَ بها حملٌ فهي حامل، [وإن مرّت تسعةُ أشهرٍ ولا حَمْلَ بها]، [وإلّا] اعتدّتْ بعد ذلك ثلاثةَ أشهرٍ، ثم [قد] حلّت[٤].

• **عن سعيد بن المسيب** أنّ عمر استشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزيدَ بن ثابت، قال زيدٌ: [قد حلّت، وقال علي: أربعة أشهر وعشراً، قال زيد:] أرأيتَ إن كانت يئيساً[٥]، قال علي: فآخر الأجلين، قال عمر: لو وضعتْ ذا بطنِها وزوجُها على نعشِهِ لم يُدْخَلْ حفرتَه لكانت قد حلَّتْ[٦].

• **عن أبي سنان** قال: سأل عمرُ بنُ الخطّاب عن أبي عبيدة، فقيل له: إنّه يلبَسُ الغليظَ من الثياب، ويأكُلُ أخشنَ الطعام، فبعثَ إليه بألفِ

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٧).
(٢) في الأصل الفارسي: «ذا بطنها».
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٩).
(٤) «السنن الصغرى»، للبيهقي (٢/ ٣٣٠).
(٥) في الأصل الفارسي: «إن كانت نسياً».
(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٤).

دينارٍ، وقال للرسول: انظر ما يصنعُ بها إذا هو أخذَها؟ فما لبثَ أن لبس ألينَ الثيابِ، وأكلَ أطيبَ الطعامِ، فجاء الرسولُ فأخبره، فقال: رحمه الله تأوَّل هذه الآية: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧][١].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٤٤).

سورة التحريم

• **عن ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: قلتُ لعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال: عائشة وحفصة، وكان بَدْءُ الحديثِ في شأن مارية أم إبراهيم القبطية أصابها النبيُّ ﷺ في بيت حفصة في يومها، فوجدت حفصةُ، فقالت: يا نبيَّ الله لقد جئتَ إليَّ شيئاً ما جئته إلى أحدٍ من أزواجِكَ في يومي وفي داري وعلى فراشي، فقال: «**ألا ترضينَ أن أحرِّمها فلا أقربَها؟**» قالت: بلى، فحرَّمها وقال: «**لا تَذْكُري ذلك لأحدٍ**»، فذكرته لعائشة رضي الله عنها فأظهره الله عليه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: ١]، الآيات كلها، فبلغنا أنَّ رسول الله ﷺ كفَّر عنها فأظهرَ الله يمينَهُ، وأصابَ جاريته[١].

• **عن ابن عباس** في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣]، قال: دخلت حفصةُ على النبيِّ ﷺ في بيتها، وهو يطأُ ماريةَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «**لا تُخْبِري عائشةَ حتّى أبشِّرك ببشارةٍ، فإنَّ أباكِ يلي الأمرَ بعد أبي بكرٍ إذا أنا مِتُّ**»، فذهبت حفصةُ فأخبرتْ عائشةَ[٢].

• **عن عائشة** في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أسرَّ إليها أنّ أبا بكر خليفتي من بعدي[٣].

• **عن علي وابن عباس** قالا: والله إنّ إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال لحفصة: أبوك وأبو

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٤٨).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٥٢). (٣) المصدر نفسه (١٠/ ٥٢).

عائشة واليا الناس بعدي، فإيّاك أن تخبري أحداً[١].

• **عن ميمون بن مهران** في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أسرَّ إليها أنَّ أبا بكر خليفتي من بعدي[٢].

• **عن حبيب بن أبي ثابت**: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أخبر عائشة أنَّ أباها الخليفةُ مِنْ بعده، وأنّ أبا حفصة الخليفةُ من بعد أبيها[٣].

• **عن الضحَّاك**: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أسرّ إلى حفصة بنت عمر أنَّ الخليفة من بعده أبو بكر، ومن بعد أبي بكر عمر[٤].

• **عن مجاهد** في قوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣]، قال: الذي عَرَفَ أمر مارية: ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، قوله: «**إنَّ أباك وأباها يليانِ الناسَ بعدي**»، مخافة أن يفشو[٥].

أخرج **مسلم** عن **عبد الله بن عباس** قال: حدّثني عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما اعتزل رسول الله ﷺ نساءه دخلتُ المسجد، فإذا الناسُ ينكتون بالحصى، ويقولون: طلَّق رسولُ اللهِ ﷺ نساءَه، وذلك قبل أن يُؤْمَرَ بالحجابِ، فقلتُ: لأعلمنَّ ذلك اليوم، فدخلتُ على عائشةَ فقلتُ: يا بنتَ أبي بكرٍ! أقد بلغَ من شأنِكِ أن تؤذي رسولَ اللهِ ﷺ؟

قالت: ما لي ولك يا ابنَ الخطاب.

فدخلت على حفصة فقلتُ لها: يا حفصةُ، أقد بلغَ من شأنِكِ أن

---

(١) المصدر نفسه (١٠/ ٥٢).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٥٢).
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٥٢).
(٤) المصدر نفسه (١٠/ ٥٣).
(٥) المصدر نفسه (١٠/ ٥٣).

تؤذيَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ والله لقد علمتِ أنَّ رسول الله ﷺ لا يحبُّكِ، ولولا أنا لطلّقكِ رسولُ اللهِ، فبكت أشدَّ البكاءِ، فقلتُ لها: أينَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ قالت: هو في خزانتِهِ في المَشْرَبَةِ.

فدخلتُ، فإذا أنا بِرباحٍ مولى رسولِ اللهِ ﷺ قاعداً على أَسْكِفَةِ المشربةِ، مدلّياً رجليه على نقيرٍ من خشبٍ، وهو جذعٌ يرقى عليه رسولُ اللهِ ﷺ وينحدِرُ، فناديتُ: يا رباحُ استأذنْ لي عندكَ على رسولِ اللهِ ﷺ.

فنظر رباحُ إلى الغرفةِ، ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئاً.

فقلتُ: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ.

فنظر رباحُ إلى الغُرفةِ، ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئاً.

ثم رفعت صوتي، فقلت: يا رباحُ! استأذن لي عندك على رسولِ اللهِ ﷺ فإنِّي أظنُّ أن رسولَ اللهِ ﷺ ظنَّ أني جئتُ من أجل حفصة، واللهِ لئن أمرني رسولُ اللهِ ﷺ بضربِ عنقِها لأضربنَّ عنقَها، ورفعتُ صوت.

فأومأ إليَّ بيدِهِ أن ارْقَهْ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصيرٍ، فجلستُ، فإذا عليه إزارٌ ليس عليه غيره، وإذا الحصيرُ قد أثَّرَ في جنبه، ونظرتُ في خزانةِ رسولِ اللهِ ﷺ فإذا أنا بقبضةٍ من شعيرٍ نحو الصاع، ومثلها من قُرَظٍ في ناحية الغرفة، وإذا أفيقٌ معلَّقٌ، فابتدرت عيناي.

فقال: «**ما يبكيكَ يا ابنَ الخطّاب؟**».

فقلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصيرُ قد أثَّر في جنبكَ، وهذه خزانتُكَ لا أرى فيها إلا ما أرى؟ وذاك كسرى وقيصرُ في الثمار والأنهار، وأنتَ رسولُ اللهِ وصفوته، وهذه خزانتُك.

قال: «**يا ابنَ الخطّابِ ألا ترضى أن تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا**».

قلت: بلى، ودخلتُ عليه حين دخلتُ وأنا أرى في وجهه الغضبَ، فقلت: يا رسولَ اللهِ، ما يشقُّ عليك من شأنِ النساءِ فإن كنتَ طلقتهنَّ، فإنَّ الله تعالى معك وملائكتَه وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلّما تكلمتُ ـ وأحمدُ الله ـ بكلامٍ إلّا رجوتُ أن يكونَ اللهُ يصدّقُ قولي الذي أقوله، ونزلت هذه الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم].

وكانت عائشةُ ﵂ بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، أطلقتهنَّ؟

قال: «**لا**».

قلت: يا رسول الله، إنِّي دخلتُ المسجدَ والمؤمنون ينكتون الحصى ويقولون: طلَّق رسولُ اللهِ ﷺ نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنّك لم تطلقهنَّ؟

قال: «**نعم إن شئت**».

ثم لم أزل أحدّثه حتى تحسّرَ الغضبُ عن وجهه، وحتّى كشر وضحك، وكان مِنْ أحسنِ الناس ثغراً، فنزل رسولُ اللهِ ﷺ ونزلتُ أتشبّثُ بالجذعِ، ونزل نبيُّ الله ﷺ كأنّما يمشي على الأرض ما يمسّه بيده، فقلتُ: يا رسول الله، إنّما كنتُ في الغرفة تسعاً وعشرين.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الشهرَ قد يكون تسعاً وعشرين**».

فقمت على بابِ المسجدِ فناديتُ بأعلى صوتي: لم يطلِّقْ رسولُ اللهِ ﷺ نساءه، قال: ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]، فكنتُ أنا استنبطتُ ذلك الأمرَ، وأنزل الله آية التخيير[(١)].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: كان أبي يقرؤها ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [التحريم: ٤]: أبو بكر وعمر[(٢)].

• **عن عبد الله بن بريدة** عن أبيه رضي الله عنه في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[(٣)].

عن عكرمة وميمون بن مهران مثله[(٤)].

• **عن الحسن البصري** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٥)].

• **عن مقاتل بن سليمان** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال: أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم[(٦)].

• **عن ابن مسعود** رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال: «**صالحُ المؤمنينَ أبو بكر وعمر**»[(٧)].

• **عن ابن مسعود** رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال ﷺ: «**مِنْ صالحِ المؤمنين أبو بكر وعمر** رضي الله عنهما»[(٨)].

• **عن ابن عمر** وابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، قالا: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[(٩)].

---

(١) «صحيح مسلم» برقم: (١٤٧٩)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٥٥) واللفظ له.

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٥٦).

(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٥٦).

(٤) المصدر نفسه (١٠/ ٥٦).

(٥) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).

(٦) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).

(٧) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).

(٨) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).

(٩) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).

• **عن سعيد بن جبير** في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال: نزلت في عمر بن الخطاب خاصة[١].

• **عن أبي أمامة** عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «**أبو بكر وعمر**»[٢].

• **عن النعمان بن بشير**، قال سئل عمر عن التوبة النصوح، فقال: التوبةُ النصوحُ أن يتوبَ العبدُ من العملِ السيِّء، ثم لا يعودُ إليه أبداً[٣].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٥٧).

(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٩) برقم: (٣٤٤٩١).

سورة الملك

● **عن معاوية بن قرة** قال: مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقومٍ، فقال: من أنتم؟

قالوا: المتوكِّلون.

فقال: أنتم المتأكّلون، إنّما المتوكّل رجلٌ ألقى حَبَّه في بطنِ الأرضِ، وتوكَّل على ربِّه[1].

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٦٨).

سورة القلم

• **عن أبي عثمان النهدي** قال: قال مروان بن الحكم لمّا بايعَ الناسُ ليزيد: سُنَّةُ أبي بكر وعمر.

فقال عبد الرحمٰن بن أبي بكر: إنّها ليست بسُنَّةِ أبي بكر وعمر، ولكنّها سُنَّةُ هِرَقْل.

فقال مروان: هذا الذي أُنزلت فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧].

قال: فسمعت ذلك عائشةُ، فقالت: إنّها لم تنزل في عبد الرحمٰن، ولكنْ نزلتْ في أبيك: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾ [القلم].

❁ ❁ ❁

سورة الحاقة

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: خرجتُ أتعرَّضُ رسولَ اللهِ ﷺ قبل أن أُسْلِمَ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمتُ خلفه، فاستفتح سورة الحاقّة، فجعلتُ أعجبُ من تأليف القرآن، قال: فقلتُ: هذا واللهِ شاعرٌ كما قالت قريش، قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة]، قال: قلتُ كاهن، قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]، إلى آخر السورة، قال: فوقعَ الإسلامُ في قلبي كلَّ موقع[(١)].

• **عن عمر** قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أيسر لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهَّزوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة][(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) «مسند أحمد بن حنبل» رقم: (١٠٧).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٩٤).

سورة الجن

عن **السُّدي** قال: قال عمر: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦ ـ ١٧]، قال: حيثما كان الماءُ كان المالُ، وحيثما كانَ المالُ كانت الفتنةُ[١].

❁ ❁ ❁

(١) «فتح القدير» (٧/ ٣٣٣).

سورة المزمل

• **عن عمر بن الخطاب** قال: ما مِنْ حالٍ يأتيني عليه الموتُ بعد الجهادِ في سبيل الله أحبُّ إليَّ من أن يأتيَني وأنا بين شعبتي رحلي[(١)] ألتمسُ من فضل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠][(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «رجل».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٢٩).

سورة الدهر

• **عن عمر بن الخطاب** أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان]، فقال عمر: ليتها تَمّت[(١)].

• **عن عمر بن الخطاب** أنه تلا هذه الآية: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾، قال: أيْ وعزّتِكَ يا ربِّ فجعلتَه سميعاً بصيراً، وحيّاً وميتاً[(٢)].

• **عن مجاهد** قال: لمّا صَدَرَ النبيُّ ﷺ بالأسارى عن بدر أنفق سبعةٌ من المهاجرين على أسارى مشركي بدر، منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، والزبير، وعبد الرحمٰن، وسعد، وأبو عبيدة بن الجراح، فقالتِ الأنصارُ: قتلناهم في اللهِ وفي رسولِهِ، وتوفونهم[(٣)] بالنفقة، فأنزل الله فيهم تسعَ عشرةَ آية: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾، إلى قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان][(٤)].

• **عن عكرمة** قال: دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو راقدٌ على حصير من جريد قد أثَّر في جنبه، فبكى عمرُ، فقال: «**ما يبكيك؟**».

فقال: ذكرتُ كسرى وملكَه، وقيصرَ وملكَه، وصاحبَ الحبشةِ وملكَه، وأنتَ رسولُ اللهِ على حصير من جريدٍ.

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٦٣).

(٢) المصدر نفسه (١٠/ ١٦٣).

(٣) في الأصل الفارسي: «تقوتونهم».

(٤) المصدر نفسه (١٠/ ١٦٥).

فقال: «**أما ترضى أنَّ لهم الدُّنيا ولنا الآخرة؟**»، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ [الإنسان][1].

❊ ❊ ❊

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٧٠).

سورة عبس

• **عن إبراهيم التيمي** قال: قرأ أبو بكر الصدِّيق: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس]، فقال: ما الأبّ؟ فقيل: كذا وكذا، فقال أبو بكر: إنّ هذا لهو التكلُّف، وفي رواية عن إبراهيم التيمي أنَّ أبا بكر سُئِلَ عن ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾، فقال: أيُّ سماءٍ تظلُّني، وأيُّ أرضٍ تقلُّني إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلمُ[١].

• **عن أنس** قال: قرأ عمر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾، فقال: هذه الفاكهةُ قد عرفناها فما الأبّ؟ ثم قال: مه، نُهينا عن التكلّف[٢].

• **عن أنس** أنَّ عمرَ قرأ على المنبر: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ۝٢٨﴾، إلى قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس]، قال: كلُّ هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟ ثم رفض عصا كانت في يده، فقال: هذا لعمرُ اللهِ هو التكلّفُ، فما عليك أن لا تدري ما الأبُّ؟ اتبعوا ما بُيِّنَ لكم من هذا الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكِلُوه إلى ربِّه[٣].

❊ ❊ ❊

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٣٦) رقم: (٣٠١٠٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠١).
(٣) «تفسير الألوسي» (٢٢/ ١٩٦)، و«فتح القدير» (٧/ ٤٢٤)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠١).

سورة التكوير

• **عن عمر بن الخطاب** في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ [التكوير]، قال: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي وأدتُ ثمانيَ بناتٍ لي في الجاهليةِ.

فقال له النبيَّ ﷺ: «**أعتقْ عن كلِّ واحدةٍ رقبةً**».

قال: إنِّي صاحبُ إبلٍ.

قال: «**فاهدِ عن كلِّ واحدةٍ بدنةً**»[١].

• **عن النعمان بن بشير** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير]، قال: هو الرجلُ يزوّج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢][٢].

• **عن زيد بن أسلم عن أبيه** قال: لمّا نزلت: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير]، قال عمر: لمّا بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير] قال: هذا آخرُ الحديثِ[٣].

• **عن أبي العديس** قال: كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! ما الجواري الكنَّس؟ فطعن عمرُ مخصرةً[٤] معه في عمامةِ الرجلِ، فألقاها عن رأسِهِ، فقال عمرُ: أحروريٌّ؟ والذي

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠٦).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٢)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠٥).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٥)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠٧).
(٤) في الأصل الفارسي: «محفرة».

نفسُ عمر بن الخطاب بيده؟ لو وجدتُكَ محلوقاً لأنحيت القملَ عن رأسِكَ[١].

❁ ❁ ❁

(١) «فتح القدير» (٧/ ٤٣٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠٨).

سورة الانفطار

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار]، فقال: غَرَّهُ[١] ـ واللهِ ـ جَهْلُه[٢].

❊ ❊ ❊

(١) في الأصل الفارسي: «أغرّه».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢١١).

سورة الأعلى

• **عن البراء بن عازب** قال: أول مَنْ قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعبُ بنُ عمير، وابنُ أمِّ مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآنَ، ثم جاء عمّارٌ وبلالٌ وسعدٌ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبيُّ ﷺ فما رأيتُ أهلَ المدينةِ فرحوا بشيءٍ فرحهم به، حتى رأيتُ الولائدَ والصبيانَ يقولون: هذا رسولُ اللهِ ﷺ قد جاءَ، فما جاءَ حتّى قَرأتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى]، في سورٍ مثلها[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٣٩).

سورة الغاشية

عن **أبي عمران الجوني** قال: مرّ عمرُ بنُ الخطاب ﵁ براهب، فوقف، ونودي الرَّاهب فقيل له: هذا أميرُ المؤمنين، فاطّلع فإذا إنسان به [مسّ] من الضرِّ والاجتهادِ وترك الدنيا، فلمّا رآه عمرُ بكى.

فقيل له: إنه نصراني.

فقال: قد علمت، ولكني رحمته، ذكرت قول الله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية]، فرحمتُ نصبه واجتهاده وهو في النار[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٢٤٨).

سورة الفجر

• **عن سعيد بن جبير** قال: قُرِئَتْ عند النبيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر]، فقال أبو بكر: إن هذا لَحَسنٌ.

فقال رسول الله ﷺ: **«أَمَا إِنَّ المَلَكَ سيقولُها لكَ عند الموتِ»**[1].

• **عن سليم بن أبي عامر**[2] رضي الله عنه قال: سمعتُ أبا بكر الصدِّيق يقول: قرأت[3] عند رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾، فقلتُ: ما أحسنَ هذا يا رسولَ اللهِ.

فقال: **«يا أبا بكرٍ! أَمَا إِنَّ المَلَكَ سيقولُها لكَ عندَ الموتِ»**[4].

• **عن الضحاك عن ابن عباس** رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: **«مَنْ يشتري بئرَ رُومةَ، نستعذِبُ بها غَفَرَ اللهُ لَهُ»**.

فاشتراها عثمان.

فقال النبيُّ ﷺ: **«هَلْ لكَ أَنْ تجعلَها سقايةً للنّاسِ؟»**.

قال: نعم.

فأنزل الله في عثمان: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ الآية[5].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٦٤).
(٢) في الأصل الفارسي: «عن سليم بن عامر».
(٣) في الأصل الفارسي: «قرئت»، وفي تفسير القرطبي: «قرأ رجل» (٢٠/ ٥٨).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٦٤).
(٥) المصدر نفسه (١٠/ ٢٦٤).

سورة الليل

• **عن ابن مسعود** أن أبا بكر الصدِّيق اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأُبيٍّ بن خلف ببردةٍ وعشر أواق، فأعتقه لله، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾، سعي أبي بكر وأمية وأُبي، إلى قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾ قال: «لا إلـه إلا الله» إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]، قال: النار[١].

• **عَنْ عُرْوَةَ**، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَعْتَقَ سَبْعَةً كُلَّهُمْ يُعَذَّبُ فِي اللهِ: بِلالاً، وَعَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، وَالنَّهْدِيَّةَ، وَابْنَتَهَا، وَزِنِّيرَةَ، وَأُمَّ عِيسَى، وَأَمَةَ بَنِي الْمُؤَمِّلِ، وَفِيهِ نَزَلَتْ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧﴾ [اللّيل]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[٢].

• **عن عامر بن عبد الله بن الزبير** عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتقُ رقاباً ضعافاً، فلو أنّكَ إذْ فعلتَ أعتقتَ رجالاً جلداً يمنعونك، ويقومون دونك.

فقال أبو بكر: يا أبتِ إنّما أريدُ وجه الله، فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾، إلى قوله ﷻ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ [اللّيل][٣].

• **عن سعيد** قال: نزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩﴾، في

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٠).
(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٢/ ٤٢١).
(٣) «الدر المنثور» (١٠/ ٢٨٢)، و«المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٧٢) برقم: (٣٩٤٢).

أبي بكر، أعتق ناساً لم يلتمس منهم جزاءً ولا شكوراً ستةً أو سبعةً، منهم: بلال وعامر بن فهيرة[١].

● **عن ابن عباس في قوله:** ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾، قال: هو أبو بكر الصدِّيق[٢].

۞ ۞ ۞

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٢).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٢٨٢).

سورة العلق

• **عن ثوبان** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطاب**»، وقد ضربَ أخته أوّل الليل، وهي تقرأ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق]، حتى ظنّ أنه قتلها، ثم قام من السَّحرِ فسمع صوتها تقرأ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، فقال: والله ما هذا بشعرٍ ولا همهمةٍ، فذهبَ حتى أتى رسولَ اللهِ ﷺ، فوجد بلالاً على الباب، فدفع البابَ، فقال بلالٌ: من هذا؟

فقال: عمرُ بنُ الخطاب.

فقال: حتّى أستأذنَ لك على رسولِ اللهِ ﷺ.

فقال بلال: يا رسولَ اللهِ عمرُ بالبابِ.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنْ يردِ اللهُ بعمرَ خيراً أدخلَه في الدِّينِ**».

فقال لبلال: «**افتح**».

وأخذ رسولُ اللهِ ﷺ بضبعيه فهزّه فقال: «**ما الذي تريدُ؟ وما الذي جئت له؟**».

فقال له عمر: اعرض عليَّ الذي تدعو إليه.

قال: «**تشهدُ أن لا إلـهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ لَهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه**».

فأسلم عمر مكانه وقال: اخرج[1].

❀ ❀ ❀

(١) المصدر نفسه (١٠/ ٣٠٠).

سورة القدر

• **عن عكرمة عن ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: دعا عمرُ رضي الله عنه أصحابَ النبي صلى الله عليه وسلم، فسألهم عن ليلة القدر، فاجتمعوا أنها في العشر الأواخر، فقلت لعمر: إنّي لأعلم وإنّي لأظنُّ أي ليلةٍ هي.

قال: وأيُّ ليلةٍ هي؟

قال: هي سابعةٌ تمضي أو سابعةٌ تبقى من العشر الأواخر.

قال عمر رضي الله عنه: ومن أين علمتَ ذلك؟

قلت: خلق الله سبع سماواتٍ، وسبع أرضينَ، وسبع أيام، وإنّ الدَّهرَ يدورُ في سبع، وخلق الإِنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجدُ على سبعة أعضاء، والطواف بالبيت سبع، والجِمار سبعٌ لأشياء ذكرها.

فقال عمر رضي الله عنه، لقد فطنتَ لأمرٍ ما فطنا له، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾﴾ الآيتان [عبس][1].

• **عن عليّ بن أبي طالب** قال: أنا واللهِ حرّضتُ عمر على القيام في شهر رمضان.

قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: أخبرته أن في السماء السابعة حظيرةٌ يقال لها: حظيرة القدس، فيها ملائكة يقال لهم: الروح، وفي لفظ: الروحانيون، فإذا كان ليلة القدر استأذنوا ربهم في النزول إلى الدنيا، فيأذن لهم، فلا يمرّون

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٤/ ٣١٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣١٠).

على مسجد يصلّىٰ فيه، ولا يستقبلون أحداً في طريق إلّا دعوا له، فأصابه منهم بركة.

فقال له عمر: يا أبا الحسن؛ فنحرض الناسَ على الصلاة حتّى تصيبَهم البركةُ، فأمر الناسَ بالقيام[١].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣١٤).

سورة البيِّنة

• **عن ابن عباس** قال: جاء رجلٌ إلى عمر يسأله، فجعل عمرُ ينظر إلى رأسه مرة وإلى رجليه أخرى، هل يرى عليه من البؤس، ثم قال له عمر: كم مالك؟ قال: أربعون من الإبل، قال ابن عباس: قلت صدق الله ورسوله، لو كان لابنِ آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث، ولا يملأُ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ويتوبُ الله على من تابَ، فقال عمر: ما هذا؟

فقلت: هكذا أقرأني أُبيٌّ، قال: فمر بنا إليه، فجاء إلى أُبيٍّ فقال: ما تقول هذا؟ قال أُبيّ: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، قال: إذاً أثبتها[1] في المصحف؟ قال: نعم[2].

• **عن ابن عباس** قال: قلتُ: يا أميرَ المؤمنين! إن أُبيّاً يزعم أنك تركتَ من آيات الله آيةً لم تكتبها، قال: واللهِ لأسألَنَّ أُبيّاً، فإن أنكر لتكذبن، فلمّا صلّى صلاةَ الغداةِ غدا على أُبيّ، فأذن له، وطرح له وسادةً، وقال: يزعمُ هذا أنّكَ تزعمُ أني تركتُ آيةً من كتاب الله لم أكتبها، فقال: إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لو أنَّ لابنِ آدمَ واديينِ من مالٍ لابتغى إليهما وادياً ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابنَ آدمَ إلّا الترابُ، ويتوبُ الله على من تابَ**».

فقال عمر: أفأكتبها؟

قال: «**لا أنهاك**».

قال: فكأن أُبيّاً شكَّ أَقَوْلٌ من رسولِ اللهِ ﷺ أو قرآنٌ منزلٌ[3].

---

(١) في الأصل الفارسي: «أفأثبتها».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣١٨).
(٣) المصدر نفسه (١٠/٣١٨).

سورة الزلزلة

• **عن أنس** قال: بينما أبو بكر الصدّيق يأكل مع النبيّ إذ نزلت عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، فرفع أبو بكر يده، وقال: يا رسول الله! إني لراء ما عملت من مثقال ذرّة من شرّ، فقال: «**يا أبا بكر [أرأيت] ما ترى في الدنيا مما تكره، فبمثاقيل ذرّ الشرّ، ويدخر لك مثاقيل ذرّ الخير حتى توفاه يوم القيامة**»[(١)].

• **ورُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه قال: أُنزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة]، وأبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه قاعدٌ، فبكى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما يبكيكَ يا أبا بكر؟**».

قال: تبكيني هذه السورةُ.

فقال: «**لولا أنّكم تخطِئونَ وتُذْنِبُونَ، فيُغفر لكم لَخَلقَ اللهُ أمةً يخطئونَ ويُذنِبونَ فيُغفرُ لهم**»[(٢)].

• **عن أبي أيوب الأنصاري** رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصدِّيق إذ نزلت عليه هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، فأمسك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يده عن الطعام، ثم قال: «**مَنْ عَمِلَ منكم خيراً فجزاؤه في الآخرةِ، ومَنْ عَمِلَ منكم شرّاً يراه في الدُّنيا مصيباتٍ وأمراضاً، ومَنْ يكنْ فيه مثقالُ ذرّةٍ من خيرٍ دَخَلَ الجنّةَ**»[(٣)].

---

(١) «فتح القدير» (٨/ ٤٣).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٢٣).

(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٣٢٣).

وعن أبي أدريس الخولاني نحو من ذلك.

• **عن جعفر بن برقان** قال: بلغنا أنّ عمرَ بنَ الخطاب أتاه مسكين وفي يدِهِ عنقودٌ من عنبٍ، فناوله منه حبةً، وقال: فيه مثاقيلُ ذرٍّ كثيرةٌ[١].

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣٢٧).

سورة التكاثر

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قرأ في ليلةٍ ألفَ آيةٍ لقيَ اللهَ وهو ضاحِكٌ في وجهِهِ**».

قيل: يا رسول الله! ومن يقوى على ألف آية؟

فقرأ: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم** ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر]»، إلى آخرها، ثم قال: «**والّذي نفسِي بيدِهِ إنها لتعدِلُ ألفَ آيةٍ**».

• **عن عليّ بن أبي طالب** أنه سُئِلَ عن قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر]، قال: من أكل خبز البُرِّ، وشرب ماء الفرات مبرّداً، وكان له منزل يسكنه، فذاك من النعيمِ الذي يُسألُ عنه[1].

• **عن جابر بن عبد الله** قال: جاءنا رسولَ اللهِ ﷺ وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطباً، وسقيناهم ماءً، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا النعيمُ الذي تسألونَ عنه**»[2].

• **عن أبي هريرة** قال: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ، فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «**ما أخرجَكُما من بيوتِكُما هذه الساعةَ؟**».

قالا: الجوعُ يا رسول الله.

قال: «**والذي نفسِي بيدِهِ لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا**».

فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلمّا رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال النبي ﷺ: «**أين فلان؟**».

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٣٨).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٣٤٠).

قالت: انطلق يستعذِبُ لنا الماءَ، إذ جاء الأنصاري فنظرَ إلى النبيِّ ﷺ وصاحبيه، فقال: الحمدُ للهِ ما أحدٌ اليومَ أكرم أضيافاً مني، فانطلق فجاء بعذق فيه بُسْرٌ وتمرٌ فقال: كلوا من هذا، وأخذ المُديةَ، فقال له رسول الله ﷺ: «**إيّاكَ والحلوبَ**» فذبح لهم، فأكلوا من الشاةِ، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلمّا شبعوا ورَوَوا قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسِي بيدِهِ لتُسأَلُنَّ عن هذا النعيمِ يومَ القيامةِ**»(١).

• **عن ابن عباس** أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: إنّ رسول الله ﷺ خرج يوماً عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد جالساً فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟

قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله.

ثم إنّ عمرَ جاء فقال رسول الله ﷺ: «**يا ابنَ الخطابِ ما أخرجَك هذه الساعة؟**».

قال: أخرجني الذي أخرجكما.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هل بِكُما من قوّةٍ فتنطلقانِ إلى هذا النخلِ، فتصيبانِ من طعامٍ وشرابٍ؟**».

فقلنا: نعم يا رسول الله.

فانطلقنا حتى أتينا منـزل مالك بن التيهان أبي الهيثم الأنصاري(٢).

• **عن أبي بكر الصدِّيق** قال: انطلقتُ مع النبيِّ ﷺ ومعنا عمر إلى رجل يقال له: الواقفي، فذبحَ لنا شاةً، فقال النبيُّ ﷺ: «**إيّاكَ وذاتِ الدَّرِّ**»، فأكلنا ثريداً ولحماً، وشربنا ماء، فقال النبي ﷺ: «**هذا مِنَ النعيمِ**

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٤٠).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٣٤٠).

الذي تُسألونَ عنه»[١].

• **عن عثمان بن عفان** رضي الله عنه أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**كُلُّ شيءٍ سوى ظلِّ بيتٍ، وجلفِ الخبزِ، وثوبٍ يواري عورته والماء، فما فَضَلَ عن هذا، فليس لابنِ آدمَ فيهنَّ حَقٌّ**»[٢].

• **عن عكرمة** قال: مرّ عمر بن الخطاب برجلٍ مبتلىً أجذم أعمى أصمّ أبكم فقال لمن معه: هل ترونَ في هذا مِنْ نعم الله شيئاً؟ قالوا: لا، قال: بلى، ألا ترونه يبول فلا يعتصِرُ ولا يلتوي، يخرج بولُه سهلاً، فهذه نعمةٌ من اللهِ[٣].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٤٢).
(٢) «مسند أحمد» رقم: (٤٤٠).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٤٥).

سورة قريش

• **عن قتادة بن النعمان** أنّه وقع بقريش، فكأنّه نال منهم، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا قتادةُ! لا تسبنّ قريشاً، فإنّه لعلَّك أن ترى منهم رجالاً تزدري عملَك مع أعمالِهم، وفعلَكَ مع أفعالِهم، وتغبِطَهم إذا رأيتَهم، لولا أن تطغى قريشٌ لأخبرتُهم بالذي لهم عندَ اللهِ**»[١].

• **عن معاوية** سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**الناسُ تبعٌ لقريشٍ في هذا الأمرِ، خيارُهم في الجاهليةِ خيارُهم في الإِسلامِ إذا فقهوا، واللهِ لولا أن تبطرَ قريشٌ لأخبرتُها بما لخيارِها عندَ اللهِ**».

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيرُ نسوةٍ ركبنَ الإبلَ صالحُ نساءِ قريشٍ أرعاهُ على زوجٍ في ذاتِ يده، وأحناه على ولدٍ في صغره**»[٢].

• **عن أنس** قال: كنّا في بيت رجل من الأنصار، فجاء النبيُّ ﷺ حتى وقف، فأخذ بعضادة الباب، فقال: «**الأئمةُ من قريشٍ، ولهم عليكم حَقٌّ، ولكم مثل ذلك، ما إذا استُرْحِمُوا رَحِمُوا، وإذا حكموا عَدَلوا، وإذا عاهدوا وَفَّوْا، فَمَنْ لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ، لا يُقْبَلُ منهم صَرْفٌ ولا عدلٌ**»[٣].

• **عن جبير بن مطعم** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ للقرشي مثلَي قوّةِ الرجلِ من غيرِ قريشٍ**».

فقيل للزهري: ما عنى بذلك؟

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣٥٨).

(٢) المصدر نفسه (١٠/٣٥٨).

(٣) «مسند أحمد» (٣/١٨٣).

قال: نُبْلُ الرأي[١].

• **عن سهل بن أبي حثمة** أن رسول ﷺ قال: «**تعلَّموا من قريشٍ، ولا تعلِّموها، وقدِّموا قريشاً، ولا تؤخِّروها، فإنّ للقرشي قوةَ الرجلينِ من غيرِ قريشٍ**»[٢].

• **عن أبي جعفر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تقدَّموا قريشاً فتضِلُّوا، ولا تأخَّروا عنها فتضِلُّوا، خيارُ قريشٍ خيارُ الناسِ، وشرارُ قريشٍ شرارُ الناسِ، والّذي نفسُ محمّدٍ بيدِهِ لولا أن تبطرَ قريشٌ لأخبرتُها ما لها عندَ اللهِ**»[٣].

• **عن جابر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الناسُ تَبَعٌ لقريشٍ في الخيرِ والشرِّ إلى يومِ القيامةِ**»[٤].

• **عن إسماعيل بن عبد الله بن رفاعة عن أبيه عن جدِّه** قال: جمع رسول الله ﷺ قريشاً فقال: «**هل فِيْكُم مِنْ غيرِكم؟**».

قالوا: لا إلا ابن أختنا ومولانا وحليفتنا، فقال: «**ابنُ أختِكُم منكم، ومولاكم منكم، إنَّ قريشاً أهلُ صدقٍ وأمانةٍ، فمن بغىٰ لهم العواثرَ كبَّه اللهُ على وجهِهِ**»[٥].

• **عن أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**والناسُ تبعٌ لقريشٍ في هذا الأمر، خيارُهم تبعٌ لخيارِهم وشرارُهم تبعٌ لشرارِهم**»[٦].

---

(١) «مسند أحمد بن حنبل» (٤/ ٨١).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٥٩).
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٩). (٤) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٩).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٠٢) برقم: (٣٢٣٨٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٥٩) إلا أن فيه: «فمن بغى لهم الغواء أكبّه الله...».
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٥٩).

• **عن أبي موسى** قال: قام رسولُ اللهِ ﷺ على بابٍ فيه نفرٌ من قريشٍ فقال: «**إنَّ هذا الأمرَ في قريشٍ**»[١].

• **عن ابن مسعود** قال: قال رسول الله ﷺ لقريشٍ: «**إنَّ هذا الأمرَ فيكم وأنتم ولاتُهُ**»[٢].

• **عن ابن عمر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقيَ من النّاسِ اثنانِ**»، وحرّك أصبعيه[٣].

• **عن أبي هريرة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**المُلْكُ في قريشٍ، والقضاءُ في الأنصارِ، والأذانُ في الحبشةِ**»[٤].

• **عن سعد** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدْ هوانَ قريشٍ يُهِنْهُ اللهُ**»[٥].

• **عن عبيد بن عمير** قال: دعا رسولُ اللهِ ﷺ لقريشٍ فقال: «**اللَّهُمَّ كما أذقتَ أوّلهم عذاباً فأذِقْ آخرَهُم نوالاً**»[٦].

• **عن سعد بن أبي وقاص** أنَّ رجلاً قتل، فقيل للنبيِّ ﷺ فقال: «**أبعدَهُ اللهُ إنَّه كانَ يُبْغِضُ قريشاً**»[٧].

❊ ❊ ❊

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٥٩).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٩).
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٩).
(٤) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٩).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٠٢) برقم: (٣٢٣٩٢).
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٥٩).
(٧) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٩).

سورة الكوثر

• عن أنس قال: دخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «**قد أُعطيتُ الكوثَر**».

قلت: يا رسول الله! ما الكوثرُ؟

قال: «**نهرٌ في الجنّةِ عَرْضُهُ وطولُه ما بَيْنَ المشرقِ والمغربِ، لا يَشْرَبُ منه أحدٌ فيظمَأُ ولا يتوضَّأُ منه أحدٌ فيتشعّثُ أبداً، لا يشربُ مِنْهُ من أخفرَ ذمَّتِي ولا مَنْ قَتَلَ أَهْلَ بيتي**»(١).

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٦٤).

سورة النصر

• **عن ابن عباس** قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: لِمَ تُدخل هذا الفتى معنا؟ ولنا أبناء مثله فقال: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر]، حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله أعلمه الله ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ﴾، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[1].

• **عن ابن عباس** قال: لـمّا نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، جاء العبّاس إلى عليٍّ فقال: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإنْ كان هذا الأمرُ لنا من بعده لم تشاحِنّا فيه قريشٌ، وإن كان لغيرنا سألناه الوصاةَ لنا، قال: لا، قال العباس: جئتُ رسول الله ﷺ سرّاً، فذكرتُ ذلك له، فقال: إنَّ الله جعلَ أبا بكرٍ خليفتي على دين الله ووحيه، وهو مستوص، فاسمعوا له وأطيعوا تهتدوا وتفلحوا، واقتدوا به ترشدوا.

قال **ابن عباس**: فما وافق أبا بكر على رأيه ولا وازره على أمره

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٤٢٩٤)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٧٥).

ولا أعانه على شأنه إذ خالفه أصحابه في ارتداد العرب إلا العباس، قال: فوالله ما عدل رأيُهما وحزمُهما رأيُ أهلِ الأرض أجمعين[١].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٧٥).

سورة الإخلاص

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قرأ (الله الواحد الصمد)[١].

۞ ۞ ۞

(١) «مصنف عبد الرزاق» رقم: (٢٧٣٣).



الفصل السابع

في بيان الدلائل العقلية على خلافة الخلفاء

ولمّا كان وجود أشخاص معيَّنين وصفاتهم لا تثبت بالعقل فحسب، بل تثبت بنقل متواتر أو مشهور أو خبر واحد صحيح، فلا بدّ أن يكون المراد من الدليل العقلي هنا أن تكون مقدمة من مقدِّماته عقليةً، والأخرى متواترة أو مشهورة، ويمكن أن نقسم المقدمة العقلية إلى قسمين:

أحدهما: عقلي محض، مما يثبت بغير الاستناد إلى الشرع، ولكن يجب أن يُصدِّقه الشرع ليعتبر به.

والثاني: عقلي مأخوذ من استقراء الدلائل الشرعية، أو مأخوذ مما يستلزم نقيضُه محالاً شرعياً، كأن يستلزم أمراً لا يجوز صدوره من النبي ﷺ، ولذلك نقسم هذا الفصل إلى مقصدين:




المقصد الأول


[الدليل العقلي المحض]

وحاصله تنقيح معنى الخلافة الخاصة، إذ إنّ لفظ «الخلافة» له حقيقة شرعية، ولأهل الشرع فيها آراء مختلفة، وكلٌّ يدرك المعنى من لفظ الخلافة، ويشرحُ مصطلح الخليفة بنوع من الصفات اللازمة له.

فمثلاً تأخذ فرقة من لفظ خلافة النبي ﷺ معنى الإمامة، وتعتبِرُ وتشترِطُ في صفات الخليفة: الهاشميةَ، والفاطميةَ، والعصمةَ وما أشبه ذلك، ولا شكّ أنّ عاقلاً لا يُثبِت هذا المعنى في الخلفاء الثلاثة، ونحن نعتبر في الخلافة معنى السلطة وقيادة المسلمين، وفي الخلافة الخاصّة الهجرة والسوابق الإسلامية، ولا يمكن لعاقل أن يُثبِت ذلك المعنى في الأئمة الاثني عشر غير علي المرتضى رضي الله عنه، فالخلاف الواقع بين الفريقين منشأه عدم تنقيح المعنى المراد، فاحتجب الحقُّ باختلاف المصطلحات.

الخلافة في اللغة: جلوسُ أحد مكانَ آخر، ونيابته عنه في أداء الأمور.

وفي **الشرع**: عبارةٌ عن تولي الحكم للتصدّي لإقامة دين محمد ﷺ نيابة عنه ﷺ، فإذا كان أحدٌ لا يتولّى الحكمَ والملك، ولا ينفّذ له حكم وأمر لا يكونُ خليفةً ولو كان أفضل الأمة ومعصوماً ومفتَرَض الطاعةِ وفاطمياً، وإذا كان الملك كافراً ـ أو مسلماً ـ ويحكم بالسيف لا بالشرع، وكان عملُه أخذَ الخراج والجزيةِ لا إقامة الدين مثل الجهاد

وإقامة الحدود، وفصل القضايا، لا يكونُ خليفةً البتّةَ؛ كمعظم المتغلّبين في زماننا وزمان مَنْ قبلنا.

نكتة: ينبغي هنا فهمُ نكتةٍ، وهي أنَّ كلام الإمامية في هذا المبحث من قبيل النزاع اللفظي، بل هو من قبيل الضجيج والغوغاء لا غير، إذ إن الخلافة عندهم غير الإمامة، وهي مرادفة لها عند أهل السُّنَّة بالخلافة.

والمراد بالإمامة عند أهل السُّنَّة الإمارة، وصفات الخليفة هي الأمور التي تكون سبباً لنفوذ أحكامه، وعدم صدور معصية من جهة الإمارة، سواء كان أفضل الأمة أو لا.

والمراد بالإمامة عندهم إمامة رجل يكون أفضل الأمة، وانقياد الأمة له واجب في حكم الله، سواء كان ملكاً أو لا، والإمامة بهذا المعنى لم تقل به فرقة من الفرق الإسلامية، ولا يُفهم هذا المعنى من نصوص الكتاب والسُّنَّة، ولا اتفق على ذلك أولاد علي رضي الله عنه في عصر من العصور.

ومستحيل عادةً أن تكون في الشرع دلالة على ذلك ولا يعرفها أحد ولا يسمعها.

ومثال ذلك أن يقول أحد: قد جاء اليوم سيل في السوق أغرق عدة آلاف من الرجال، ولا يعرف ذلك أحد غيره، ولم يظهر من أثر المطر شيء، سبحانك هذا بهتان عظيم، وإذا آمنا بذلك كنا من السوفسطائيين[(١)].

---

(١) السوفسطائية: فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات وغيرها، الواحد سوفسطائي. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٨٩٨).

والإمامية يقولون بإمامة علي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق رضوان الله عليهم، مع أنهم لم يكونوا ملوكاً بالاتفاق، اللَّهُمَّ إلا أنهم يعتبرون الخلافة من متممات الإمامة، وذلك بمعنى أن الإمام إذا كان موجوداً فله حق الخلافة، ولا يليق لغيره الإقدام عليها، والظاهر أن هذه المسألة عندهم مبنية على قولهم بفرضية انقياد الإمام، فإذا قرر المعصومُ المفترَضُ الطاعةِ رجلاً على أمور الإمارة تصح إمارته، وكان هو نفسه إماماً، والمنصوب خليفةً، وذلك على نحو ما جعل شموئيل عليه السلام طالوت خليفةً فكان هو نبيّاً وطالوت ملكاً، وإذا عصى الخليفة الإمام في حكم من الأحكام كالنكاح وغيره كان ذلك معصية أيضاً، فلا تأثير عندهم للخلافة بذاتها، فلا معنى لرفع لواء الخلاف ضدّنا في مسألة الخلافة بأيِّ حالٍ، فتأمّل هذه النكتة حقّ التأمّل.

معنى الخلافة الراشدة:

وبعد أن فرغنا من بيان هذه النكتة نرجع إلى أصل الكلام بعد ذكر هذه النكتة، وهو أننا حين نقيّد الخلافة بوصف «الراشدة» كان معنى ذلك النيابة عن النبي ﷺ في الأمور التي قام بها النبي ﷺ من جهة النبوة من إقامة الدين والجهاد مع أعداء الله، وإمضاء حدود الله، وإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالقضاء والإفتاء وما أشبه ذلك، وذلك بوجه تَبْرَأُ ذمته، ولا يعصي الله في أمره شيئاً، وبإزاء ذلك خلافة جبرية يقوم صاحبها في كثير من الأحوال بما يخالف الشرع، ولا تبرأ ذمّته، ويعطّل كثيراً من الأمور الشرعية فيعصي الله فيها، ذلك أنه يقيم الحدود، ولا يقوم بإحياء علوم الدين، أو يقيم الحدود على وجه يخالف الشرع؛ كالإحراق بدل الرجم، والرجم بدل القصاص.

وللخلافة الراشدة بعض اللوازم والشروط لا يُتصوَّر بدونها القيام

بها: كالعقل، والبلوغ، والذكورة، وسلامة السمع والبصر، والرأي، والكفاية في الحرب والسلم وغير ذلك، ومعلوم بالبداهة أن المقصود بالخلافة لا يتحقّق بدون هذه الصفات، وقد زادت السُّنَّة السنية عليها وصفاً آخر وهو القرشية، ليقع التشبّه بفعل الله في بني إسرائيل، إذ إن الأنبياء فيهم كانوا منهم، سواء كانوا من أسباط لاوي أو يهودا أو غيرهما، وكذلك أوجب النبي ﷺ أن يكون الخليفة من قريش، سواء كان من بني هاشم أو من غيرهم، وفي اشتراط القرشية حِكَمٌ ومصالح لا يتحمّل تفاصيلها هذا الموضع.

إن قيل: إن جعلنا صبياً أو امرأة أو جاهلاً أو غير مجرَّب وغير كافٍ من بعد وفاة أبيه خليفةً، وقرنا العلماء لإحياء علوم الدين والقضاء والإفتاء، ونصبنا أميراً حاذقاً على الغزو، وجعلنا مجرباً أمير الغزاة لهزيمة الأعداء، وجعلنا حكيماً ـ يعرف طريق أخذ الزكاة والخراج ونصب العمّال بحسب الشروط والصلاحيات، ويستطيع تقسيم بيت المال في المستحقِّين ـ وزير الوزراء، انتظمت أمور الخلافة بدون هذه الصفات في الخليفة.

قلنا ـ أولاً ـ بطريق النقض: لو أننا قمنا بإخراج الصبي أو المرأة من بينهم، واتفق العلماء والأمراء والوزراء فيما بينهم ولا يظهر الخلاف بينهم، وأكّدوا العهد والميثاق في أمرهم يمكن أن تنتظم أمور الحكومة بدون الخليفة، ولا تبقى الحاجة إلى نصب الخليفة.

وقلنا ـ ثانياً ـ بطريق الحلّ: إن اجتماع النفوس على شخص غير جامع يخرط الجميعَ في سلك واحد بشوكته وقوته؛ كالرسم على الماء، أو النقش في الهواء، وعسى أن ينشأ فيهم نزاع تافه، يكسر هذا التحالف، ويقطع حبله.

ولذلك قال الحكماء: لتآلف الناس وتوحّدهم أسباب ووجوه، منها: الرهبة، والرغبة، والحاجة، واتفاق الطبائع، والاتفاق على الصفات الكسبية ـ أي: اتحاد الصنائع والحرفة ـ والرسم، والعقل.

والاجتماع الذي يتحقّق بوجه أو وجهين يكون ضعيفاً لا قرار له، وعلى هذا الأساس لا يمكن الدخول في المعارك مع الأعداء والقيام بالأمور العظام.

وهذا المبحث من أجلى مباحث حكمة سياسة المدن، ومدار هذه الأمور لا يكون على الاحتمالات العقلية، بل على ما يكون موجباً رفع المفسدة ـ عادةً ـ مع وجود المصلحة.

وليعلم أن هذا الصبي أو المرأة لا يغني عن الأمر شيئاً، ويتساوى وجوده وعدمه، إذ لا يَعْرِفان ما هي الشريعة والمصلحة؟ حتى يميّزا بين ما يوافق الشريعة والمصلحة وبين ما يخالفهما، ويرجّحا أحدهما وينهيا عن الآخر، ولا يحسن الاعتماد في أي فن على أهله بمجرّد التقليد لهم ولا يأتي ذلك بأي نتيجة، وقد نشأت في العالم جميع المفاسد من هذه الجهة، وإذا كان تسليم الأمر لهذا الرجل اضطراراً، فهي من قبيل: الضرورات تبيح المحظورات.

وبالجملة: فإنه لا شكّ إذا كان الخليفة متصفاً بهذه الصفات الفاضلة فقد حصل له نوع تشبّهٍ بالنبيِّ عليه الصلاة والسلام في الملكات والأفعال، وإن أضفنا وصفاً إلى الخلافة الراشدة وقلنا: الخلافة الراشدة الخاصة فمردّه زيادة تشبّه الخليفة بالنبيِّ ﷺ بالنسبة لما اشترطنا في الخلافة الراشدة، وينبغي لي زيادة الخوض في تفصيله.

وسرّ الكلام أن هذا الخليفة لا يكون عين النبي حتى ينزل عليه الوحي وتجب طاعته كما تجب الطاعة للنبي ﷺ، بل ينبغي أخذ صفة من

صفات أفراد الأمة له هي أقرب إلى صفات النبي من جهة النبوة وهي أُسوة وظل لها، ثمّ ليعلم أن المعتبر في التشبه هنا ما يكون في الصفات التي حصلت للنبي من جهة النبوة، كما أن النبي ﷺ كان أجمل الناس والأنبياء، والآخرون كانوا متفاوتين في الحسن والجمال، إذ إن وصف أجمليته لم يكن من جهة النبوة والرسالة، وكان ﷺ هاشمياً وسائر الأنبياء من أسباط بني إسرائيل ـ أي: من أولاد يعقوب عليه السلام ـ، فهاشميته لم تكن من جهة النبوة والرسالة.

وقولنا: «من جهة النبوة» شامل للجهاد ـ مثلاً ـ مع أن معظم الأنبياء لم يكونوا مأمورين بالجهاد، إذ إن الجهاد ناشئ من جهة الوحي، ونبوة النبي ﷺ هي التي أوردته إلى الجهاد، ثم المطلوب هو التشبّه في جميع ما هو من لوازم النبي أو في معظمه، لا في الصفات القليلة فقط، إذ إن كل مسلم يتصف تشبّهاً بالنبيِّ ﷺ بوجه ما مثلاً في الصلوات الخمس وتلاوة القرآن وما إلى ذلك، ومن كان من أفاضل الأمة لهم كمال التشبّه في بعض الأوصاف كما قال حذيفة(١) في عبد الله بن مسعود، وهذه الخلافة في شيء واحد دون آخر، والمقصود بالخلافة الخاصة هو الخلافة المطلقة باعتبار جميع ما كان يصدر من النبي ﷺ من جهة النبوة، ثم التشبُّه بالنبي على الوجه الذي بيّنّا لا يمكن إلا أن يكون الرجل من أعلى طبقات الأمة دون الطبقة السفلى والوسطى، وكونه من الطبقة العليا يمكن بوجهين:

أحدهما: باعتبار تشبُّه نفسه بالنبيِّ ﷺ في العبادات والمقامات السنية والأخلاق الحميدة.

---

(١) إشارة إلى رواية عبد الرحمٰن بن يزيد، قال: سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلّاً بالنبيِّ ﷺ من ابن أم عبد. انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٧٦٢ ـ ٦٠٩٧).

والثاني: باعتبار السوابق الإسلامية مثل الهجرة والجهاد.

ولا يظهر ذلك إلا فيمن له مناسبة بالنبيِّ في قوّتي نفسه؛ يعني ـ القوة العاقلة والقوة العاملة ـ: جبلةً وكسباً وتظهر ثمراتهما مجتمعة ومنفردة، ولا يظهر ذلك إلا فيمن ألقى الله في قلبه الداعية الإلٰهية لإتمام المواعيد الإلٰهية بواسطة نفس النبي وفضل صحبته، وتلوح آثار بركات الداعية الإلٰهية في أفعاله وأطواره، ولا يظهر ذلك إلا فيمن هو واسطة بين النبي وأمته في إفاضة العلوم، ولا يتبيّن معنى حقيقة الخلافة الخاصة إلا أن نعرف ـ أولاً ـ حقيقة التشريع ثمّ حقيقة النبوة بعد ذلك، إذ إن الخلافة الخاصة إنَّما هي مثال النبوة وشبيهها، ولذلك ينبغي أن نكتب بعض النكات المهمّة.

النكتة الأولى: أن التشريع تكملة التقدير، والتقدير بمعنى قياس الأمر بشيء وجعله بمقداره؛ إذ إن الله تعالى قدّر كلَّ نوع من الأشياء بمقدار، فلكل نوع منها طبيعةٌ خاصةٌ، وصورة خاصة، وله أفعال وأخلاق وإلهامات جبلّية، تتولّد بين الصورة النوعية والحاجة الطارئة، وهذه القصّةُ من أطول القصص، والإنسان من أفضل أنواع الحيوان، ومن مقتضيات نوعِهِ العقلُ والذكاءُ والاهتداءُ بأنواع غريبة من الارتفاقات.

وفي نفس الإنسان **قوتان** اثنتان: **إحداهما**: القوة الملكية، **والثانية**: القوة البهيمية، فإذا انقاد الإنسانُ للقوّة الملكية، وخضع لها، وقام بكل ما يسبّب الزيادة في القوة الملكية دخل في عداد الملائكة، كأنه مَلَكٌ من الملائكة، وإذا استسلم للقوة البهيمية، وجعل نفسه تحت تصرّفها، دخل في عداد البهائم، وكأنه بهيمة من البهائم.

وهناك حالة معتدلة يقتضيها اعتدال نوع الإنسان، وهي حالة امتزاج

إحداهما بالأخرى، فيقوم من الأفعال البهيمية بما لا ينافي الملكية، ومن الأفعال الملكية بما لا يتزاحم مع البهيمية، فتتصَالح القوتان، وأصل الصورة النوعية للإنسان يقتضي هذه الهيئة الاعتدالية، وذلك إذا لم يمانع ذلك عصيانُ المادّة، وفي قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠] إشارة إلى هذه الهيئة، ولهذه الهيئة الاعتدالية ملكات وأفعال وأحوال، ولها كاسبات ومنقِّصات وللمنقصّات كفارات.

وهذه القصة مماثلة للطبيب الماهر الذي يعرف أن للهيئة الاعتدالية التي تسمّى الصحة أسباباً ومنقّصات، فيأمر بأشياء ـ لاعتدال المزاج ـ وينهى عن أشياء أخرى ـ وهي منقصات ـ.

ولمَّا قدَّر الله في أزل الآزال جميع المقتضيات النوعية وجب ضمن ذلك ـ بمقتضى الحكمة ـ تعيينُ الهيئةِ الاعتدالية النفسانية المسمّاة في الشرع بالفطرة، وتحديد ملكاتها وأحوالها الناشئة منها وكواسبها ومنقِّصاتها، وهذا هو المعروف بشريعة بني آدم، جعل بعض الأشياء واجباً وبعضَها الآخرَ مندوباً ومكروهاً وحراماً، ولا يتسنَّى تعليمها للبشر إلا شبيهاً بالإلهامات الجبلّية، ولا يصلح لتعليمها المباشر بدون واسطة إلا ممن هو أعدل من ناحية قواه النفسانية، وهذا الشرع واحد لا يقبل التعديل والتبديل، ولكن على الكفؤ المتأهِّل أن يقوم بتقييدها (الأحكام والشرائع) بموضع خاص؛ كالطبيب الذي يصف لإصلاح الصحة وصفة من بين الوصفات المحتملة المختلفة بالملاحظة إلى السنّ والفصل والبلد المعيَّن، وهذا ما يقال له شرعة ومنهاجٌ، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

النكتة الثانية: لا تَظُنُّنَّ أن بعثة الرسول عبارة عن إرساله من الأعلى إلى الأسفل، أو من المشرق إلى المغرب، أو من بلد إلى بلد

آخر، بل إرسال رسول من الله تعالى عبارةٌ عن تعلّق الإرادة الإلـٰهية بمعرفة جمهور بني آدم للشريعة وصلاحهم، وذيوعها وشهرتها بينهم، وأن تمتلئ عقولهم وقواهم بهذا العلم، ويكون ذريعة لإرادة أفعال الخير، والكفّ عن المنهيات في حقّ الكثيرين، أو هو عبارة عن أن يعمّ في الناس كلُّ نوع من الشرك والمظالم، ولا يمكن رفع هذا الشرك والمظالم من بينهم من غير واسطة نبيّ مؤيَّد من الله تعالى، أو يأتي أجل قوم من المبغوضين وموعد عقابهم ولا تقتضي المصلحة أن يُنزَل عليهم حَجَرٌ من السماء أو يُهلكوا بالصيحة، بل المصلحة تقتضي إرسال رسول صاحب شوكة وقوّة، يكون واسطة في تعذيبهم، كما كان جبريل واسطة في تعذيب القوم الذين أهلكهم الله بالصاعقة ونحوها.

ولا يصلح لهذا العلم والداعية جميع أفراد الإنسان، بل يصلح من هو أعدلهم وأشبههم بالملأ الأعلى، ولا تصلح جميع الأوقات لظهور أمر الحق، بل الحكمة الإلـٰهية تختار شخصاً من قبل وجود الأفراد، وتُعيِّن له زماناً، فحين يأتي ذلك الزمان، ويظهر ذلك الشخص يصطنع الله لنفسه ذلك الرجل المعتدلَ، الذي يحمل نفساً قدسيةً بين جنبيه، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه] إشارة إلى ذلك، وينزل الشرع على قلبه، ويسخّر له جميع قواه العقلية والقلبية، ويجمع حوله أمة، ويُبوِّؤه منصب الإرشاد والتعليم، ويوفّقهم للتعلُّم والاسترشاد، ويلقي الله في قلوبهم الرغبة لحصول العلم والرشد، فتشيع هذه الداعية فيما بينهم، ومثل ذلك كمثل سراج أُوقِدَ في بيت من البيوت، فانعكس نورُه في المرآة التي نُصِبت حوله، فوجد بهذا الإرشاد والاسترشاد كلا المعنيين: كمال نفس النبيِّ، وكمال نفوس أُمته التي أخرجت للناس، وتحققت تلك الشريعة الإلـٰهية التي تمثّلت في أزل الآزال، فتحقّقت كلتا الحقيقتين بأسلوب من الأساليب، كما أنّ لكتاب الطب ـ مثلاً ـ وجوداً خطّياً،

ووجوداً لفظياً، ووجوداً ذهنياً، فوجوده الخطّي عبارة عن اللون الأسود على صفحة القرطاس بوضع خاص، لكنّه يدلّ على بعض الحروف، والحروف عبارة عن صوت خاص غير جامد دالّ على صور ذهنية عديدة، وهذه الصور الذهنية إنما هي تفصيل لمسائل الطب وحلّ معضلاته، وإن تأليف هذا الكتاب قد مهّد الطريق إلى قواعد الطبّ، وسبّب انتشاره وذيوعه بين الناس، وهكذا فإن الشريعة الممثلة في الملكوت قد تحقّقت بفضل هذا التعلّم والتعليم، هذا هو معنى إرسال الرسل وإنزال الكتب، فتدبّر.

وهنا وجود مقرون بوجود آخر، **أولهما**: روح ـ هو تمثله في الملكوت ـ، **وثانيهما**: جسد ـ هو وجوده في الخارج ـ، وقد يكون النبي ﷺ على صورة مَلِك وخليفة، وقد يكون على صورة حبر وعالم، وقد يكون على صورة زاهد ومرشد، ولكل صورة منها أسباب من البَخْتِ والحظّ والقوى، ولكلّ صورة أفعال وآثار، كما أنّ مادة البدن تشتمل على أربعة عناصر من النار، والهواء، والماء، والتراب، والنفس الناطقة له الروح المدبّرة، وسببُ البدن النطفةُ والأغذيةُ، ورأى أصحابُ الظواهر في نبوّةِ النبيِّ ﷺ مُلْكاً وحُكْماً، ولم ينظروا إلى روح هذا الفتح المشار إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢]، ووقعوا في شقاء الأبد، وهذه الشريعة التي هي أفضل الشرائع نزلت على أفضل بشر كان يحمل خصائص مختلفة وتمثّل بصور عديدة من الخليفة والحبر المعلِّم والزاهد المرشد.

والنكتة الثالثة: أن للخلافة ظهراً وبطناً، وظهرُ الخلافة السلطنة والحُكْمُ لإقامة الدين، وبطنُها التشبّه بالنبيِّ في الصفات التي تتعلّق بالنبوة.

فالنبوّةُ عبارةٌ عن تعلّق إرادة الله بصلاح العالم، وكبت المفسدين والكفار، وترويج الشريعة بواسطة أفعال النبيِّ وأقواله.

والخلافة عبارة عن تعلّق إرادة الله بتكميل أفعال النبيِّ، وحفظ أقواله، وتعميم نوره، وإظهار دينه، وذلك بواسطة شخص يقومُ مِنْ بين الأمة بخلافة النبيِّ، ويُلقى في خاطره داعيةٌ لإعلاء دين النبي، ثمَّ ينعكِس أثر ذلك على سائر الأمة، ولهذا الخليفة نسبة قوية بنفس النبيِّ في القوة العاقلة، والقوة العاملة فيكون محدَّثاً[1]، وتكون له فراسة موافقة للوحي، وتكون له كرامات ومقامات يعرف بها كمال نفسه باعتبار القوة العاملة، فلا بدّ أن تكون صورةُ الخليفة توافِقُ صورة النبي، فإذا كان النبيُّ ملكاً يكون الخليفة ملكاً، وإذا كان حبراً وزاهداً فلا بدّ أن يكون الخليفة متصفاً بهذه الصفة.

وخصوصية الصورة في النبيِّ خارجة عن وصف النبوة، وفي الخليفة داخلة في وصف الخلافة؛ إذ إنه استحقّ الخلافة من أجل المشابهة في الصورة والمعنى معاً، ومثال ذلك: أن «الفصل» يكون من عوارض الجنس خارجاً عن ماهيته، ومع ذلك هو داخل في ماهية النوع، وأنَّ «الخاصة» تكون من عوارض الماهية النوعية، ومع ذلك هي داخلة في صفات الصنف النفسية، وكل علّة ـ أثناء الحكم ـ هي مظنّة مصلحة تقتضي حكمة تتعلّق بعموم المصلحة، وخصوص هذه العلّة المقتضية هو الشريعة التي تتعلّق بخصوص المظنَّات، ولا شكّ أنّ النبيَّ ﷺ لمَّا ألقي في نفسه القدسية الداعية الإلـٰهية وهو وحيد، وكانت الحاجة ماسّةً إلى أعوان وأنصار لينصروا النبيَّ في حياته، ويكونوا واسطة بين النبيِّ وأمته من بعد وفاته.

---

(١) أي: ملهماً.

ولمَّا تمثّل النبي وأمته في أزل الآزال بمنزلة القدر كانت طائفة منهم كالواسطة في تبليغ تأثير النبي في أمته من أجل المناسبة الجِبِلّية والأفعال الصادرة منهم، فكما اختير النبيُّ لوصف النبوة في هذا المقام تمثّلت هذه الطائفةُ بوصف الخلافة كذلك، وكُتِبَ هذا المعنى في أزل الآزال لهؤلاء، وظهر في الخارج المعنى نفسه، وبقيت هذه الأمور من بعد وفاته مرتسمةً في صحيفة قلوبهم، وما أحسن ما قيل في هذا المعنى:

دردت زازل آمد تا روز ابد پايد
جون شكر گزاردكس اين دولت سرمدرا[١]

فمن اجتمعت فيه الخلافة الظاهرة والخلافة الباطنة نسمِّيه «الخليفة الخاص».

والخلافة الخاصة هي مرتبة من مراتب الولاية، وهذه المرتبة أشبه المراتب بالنبوة.

وعلماء الأمة الذين وُفِّقوا ـ لحكمة الله تعالى ـ إلى تبليغ دين محمد عليه أفضل الصلوات والتسليمات وتجديد شريعته هم على مراتب عدّة، والخلافة الخاصّة هي جامعةٌ لهذه المراتب كلِّها، هذه هي حقيقة الخلافة الخاصة.

بعد أن تنقّح مفهوم الخلافة الخاصَّة ينبغي الآن استقراء أحوال الخلفاء وأقوالهم، والانتقال من صور وظواهر قصصهم إلى أرواحها وفحاويها، والمحاولة للاهتداء إلى معنى مشترك من بين هذه القصص، ليتضح أن هؤلاء متصفون بها ـ أي: بالخلافة الخاصة ـ، وتتبُّع آيات

(١) يعني: همك من الأزل، ويبقى إلى الأبد، فكيف يمكِنُ شكرُ هذه النعمةِ السرمديةِ؟

القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، وآثار السلف الصالح، ليتيسّر أمرُ تنقيح معنى الخلافة، وإثباتِ لوازمها في أشخاص معيَّنين.

النكتة الرابعة: أنَّ ما بيَّناه كان بمعنى الخليفة الخاصّ لنبيٍّ من الأنبياء مطلقاً، والآن أريد أن أبيِّن ما هي الصفات التي ينبغي للخليفة الخاص لنبيّنا ﷺ أن يكون متّصفاً بها بحسب الصورة.

اعلم أن رسولنا ﷺ كان أفضلَ الأنبياء، وشريعتُه أفضلَ الشرائع الإلـٰهية، والكتابُ الذي أنزل إليه أفضل الكتب السماوية، وأحياناً ظهر الأنبياء بصورة الملوك كداود وسليمان عليهما السلام، وأحياناً بصورة الأحبار كزكريا عليه السلام، وأحياناً بصورة الزهاد كيونس ويحيى عليهما السلام، وفي كل صورة يكرمهم الله بالجاه والغلبة والعزة، ويوفِّق الأمة للانقياد لهم، وهذه الغلبة والانقياد بمنزلة جسم الإنسان، والعناية الإلـٰهية المضمرة فيها بمنزلة النفس الناطقة، كالجسم الذي هو قفص للنفس، فكذلك صورة الغلبة والعزة والجاه وانقياد الأمة واعتقادها بمنزلة جسد النبوة، والعناية الإلـٰهية والفتح الغيبي الذي وقعت إليه الإشارة في آية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢] روح النبوة، فكأن حقيقة النبوة هي التي تقوم بالتحريك من وراء الحجاب، مثل حركة الريح من وراء حركة الأسد والسمك المكوّنين من الأقمشة:

ما همه شيران ولے شير علم جنبشش از باد باشد دمبدم(١)

وظهور نبوّةِ أفضلِ الأنبياءِ والرسلِ جامعٌ للملوكية والحَبْرية والزُّهد، فصورة نبوة النبي ﷺ هي أن يجتمع المسلمون حوله ﷺ، وهذه الحقيقة أخذت في الترقي في مكة المكرمة حتى بلغت أوجها كما يكون

(١) أي: إننا أُسُد ولكن أسد الراية الذي يتحرك بحركة الهواء.

رئيس مدينة من المدن أو قرية من القرى، ثم أُمِر بالهجرة بعد ذلك، وُوِّفق المسلمون من كل جانب للهجرة، وتهيَّأت لهم أسباب الجهاد، وتزايد معنى الرئاسة وجمع الأفواج والحكومة حتى وقع فتح مكة، وتوجَّهت وفود العرب إلى النبي ﷺ من كل جانب، ونزلت سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر] إلخ.

ورافق النبيَّ ﷺ أربعون ألف رجل ـ وفي رواية: سبعون ألف رجل ـ في غزوة تبوك، وفي حجة الوداع شهد مائة وخمسة وعشرون ألف رجلٍ مع النبي ﷺ، ودخلت اليمنُ وتهامة ونجد وبعض نواحي الشام في حكمه ﷺ وأخذ الجزية والزكاة من أهاليها، وعيّن عمّاله ﷺ في كل بلد، حتى صارت صورة الملوكية في ناحية من النواحي.

ومثال ذلك أنَّ جسد الطفل ينمو ويرتقي من كلِّ جانب في سنّ النموّ والارتقاء، وتتكامل قوى نفسه الناطقة في كل لحظة، وكذلك تضاعفت وتزايدت بركات النبوَّة وفيوض الرسالة على مرّ الأيام، وبقيت ـ خلال ذلك ـ درجةٌ من التقدّم والنمو حتّى انتقلَ النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وهذه الصورة تماثل هيئة ذي القرنين، الذي أخضع جميع الملوك، ورفع لواء الحكم على الجميع، وكانوا يسمّون هذه الرتبة في عرف الملوك المتقدمين بـ«ملك الملوك»[1] وقد بشّر الله النبي ﷺ بهذه الغلبة والتقدُّم مرَّاتٍ، وقد بيَّن النبي ﷺ ذلك أكثر من مرّة. ولمَّا جاء نداء من الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] إلخ، ولبّى النبيُّ ﷺ إجابة ذلك، أنجز الله هذا الموعود على أيدي الخلفاء، وفتحت فارس والروم ـ اللتين كانت جميعُ الأرض تحت

(١) هذا لا يجوز في الإسلام. كما ورد في الحديث.

حكمهما ـ على أيدي الخلفاء، ووهب خزائنَ هؤلاء للمسلمين، وكتب ذلك كله في ميزان حسنات النبي ﷺ، وتمّت النعمة، وظهر معنى النبوة ضمن هذه التطوُّرات والفتوحات الإسلامية بكل سعتها، حتى صار ذلك مصداق قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، والحمد لله رب العالمين.

وأما صورة الحَبْرية فهي أنَّ النبيَّ ﷺ ولد في زمان كان شعار العرب كلهم الوثنيةَ، ونسوا سنَّة الأنبياء السابقين تماماً، وما كان لهم علم بالمعاد والمبدأ، وكانوا يظلمون بعضهم بعضاً، وما كانوا يميِّزون بين الحلال والحرام، فبعثه الله تعالى، وأنزل عليه أفضل كتبه، وأنطقه بأنواع الأحكام والحِكَم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم]، ووفَّق جماعةً لحفظ إرشاداته وعلومه ﷺ، فقرأ الأمِّيُّون كتاب الله، وحفظوا أحاديث الحِكَم والأحكام، حتى صار أهل البوادي أحبارَ الملّة، ثم قام بحفظ هذا السرّ ـ أي: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه ـ في أمة النبي ﷺ، ووفَّق في كل عصر: طائفةٌ منهم لقراءة القرآن، ويسَّر لفريق منهم تفسيره، واختار جماعة منهم لرواية الحديث النبوي الشريف، وأقام بعضهم على الفتوى والقضاء.

وبالجملة: فإنّه تعالى وفّق الخلفَ في كلِّ عصر لأخذ العلوم من السلف، وكل من له قلب سليم يعرف جيداً أن ماء الحياة منفجر من منبع قلب النبي ﷺ، ثم تفرَّعت منه جداول وأنهار، نال المسلمون ـ شرقاً وغرباً ـ نصيبهم من هذه الجداول والأنهار، وهذا المعنى يتمثَّل يوم الحشر بالكوثر، الذي ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأوانيه كعدد نجوم السماء، ولم يوجد قبل بعثة النبي ﷺ شيءٌ من هذا النوع من فيض العلم وذيوع الحِكَم، فلما بعث النبي ﷺ جاش من قلبه الشريف

ينبوع، وانتشر في سائر العالم ضمن تعليم وتعلّم وحفظ هذه الشريعة الحقّة التي ثبتت في العناية الأولى، ونزلت بعد ما تمثّلت في صدور الملأ الأعلى، وانتشرت وراجت، لا يمكن أن يكون كل ذلك من مكاسب مجرّد العقل وقياسه الفارغ، هذا من مظاهر شدّة الظهور، بل رأي العين.

والترقي في صورة الحَبْرية على مراتب عديدة، فإنَّ النبيَّ ﷺ حين كان في مكة كانت معظم العلوم الإلٰهية النازلة على قلبه كنزول المطر تتعلّق بتوحيد العبادات، وعلم المعاد، وقصص الأنبياء السابقين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

ولمّا وصل إلى المدينة المنورة اتّسعت دائرة علمه، فنزلت الأحكام والحِكَم عليه ﷺ مفصّلةً، وبيّن ﷺ طرق أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، والواجبات، والمنهيات، والنكاح، والبيع والشراء، وأصول سياسة المدن، وآداب المعيشة على أكمل الوجوه، وبعد هاتين المرتبتين بقيت مرتبة ثالثة هي آخر مراتب الحبرية، وهي على قسمين:

القسم الأول: ما كان صالحاً للظهور في حياة النبي ﷺ بنوع من العسر، ولكن أخّرته مشيئة الله تعالى ليتمّ للخلفاء معنى الخلافة والحبرية، وهو جمع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى جُمِع بين الدفّتين، وانتشر بهذه الهيئة الاجتماعية في الآفاق، وفُتِح باب حفظ القرآن على كافَّة المسلمين.

والقسم الثاني: ما لم يمكن أن يظهر في حياته ﷺ، فلزم أن يقع ويتحقق من بعده ﷺ، وهو البحث عن أحكام القضايا التي لم تقع بعد، فقام الخلفاء بالبحث عنها، واستخراجها من صدور الناس، وأصدروا الأحكام في ضوئها، فانتشرت وعمّت، وأيضاً كانت بعض النصوص

تحتمل معاني شتَّى مما يتعسَّر تحديد معناها، فقام الخلفاء بتعيين معناها باستنباط خفي مما وقع عليه إجماع أرباب الحلّ والعقد، ومهّدوا الطريق للاجتهاد فيما ليس فيه نصّ من الشارع، وعلموا طريق رواية الحديث والتثبُّت والاحتياط فيها، وتمّت هذه المرتبة الأخيرة للحبرية على أيدي الخلفاء.

ولم يكن من الممكن أخذُ ذلك من النبي ﷺ بدون واسطة؛ إذ إن كل ما يتلقى عن النبي يكون داخلاً إما في القرآن وإما في السُّنَّة، لذلك لزم للنبي ﷺ أن يكون خليفة يقوم بجمع القرآن، وتعليم استنباط الشرائع، وأفضل أنواع الفقه بعد الكتاب والسُّنَّة هو إجماعات الخلفاء حكموا عليه بمشورة من فقهاء الصحابة، وأن هذه الأحكام نفِّذت في الأمة، وقبلتها الأمة، ولم يكن من الممكن أن يظهر هذا النوع في حياة النبي ﷺ.

وأما تمثّله ﷺ بصورة الزاهد والعابد والهادي للمسلمين، وذلك بطريق أساليب اكتساب الإحسان مع الملازمة لوظائف الطاعات، **ويُتصوّر ذلك على عدة أوجه:**

أولها: بتمهيد قوانين الإحسان، مثل وظائف الصلاة، والذكر، وبيان حفظ اللسان، والإشارة إلى المقامات والأحوال.

والثاني: إراءة تلك المقامات والأحوال بتأثير الصحبة، وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة في آية ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ إلخ [الجمعة: ٢]، ثم إن أفاضل الأمة وأشرافهم من بعد رسول الله ﷺ لم يزالوا يهدون الناس إلى المقامات والأحوال بعد ما اتصفوا بالإحسان، وانصبغوا بصبغة الله، وسلك كثير من الناس مسالك الطريقة الإلـٰهية بعد ما قبلوا فيوضاتهم الربانية القدسية، وهذا سرّ من أسرار الله التي كانت كامنةً في بعثة

النبي ﷺ، والخلفاء هم الأولون الأقدمون في هذه السلسلة، وهم أوّل من دلّوا العالم على هذه المعاني قولاً وفعلاً.

ولتعليم مسائل الإحسان قولاً وفعلاً مراتبُ كثيرة، وآخرُها على قسمين:

أحدهما: تلقي الإحسان ما يستطيع الناس تلقيه مباشرة عن النبي ﷺ بدون واسطة، ولكن مع عُسرٍ ومشقّةٍ، وأقامت العناية الإلـٰهية الخلفاء الراشدين مقام النبيِّ ﷺ لهذا التعليم ليحصل بكل يسر وسهولة.

وتفصيل هذا الإجمال أنَّ النبي ﷺ كان جامعاً لكمالات شتَّى من أمثال العصمة والوحي والإحسان، وصدرت منه ﷺ بعض الأمور من جهة الإحسان، والبعض من جهة النبوة، فتحير الآخذون من النبي ﷺ: هل هذا الفعل مختصّ بالنبي ﷺ، وصدر منه من جهة النبوة؟ فسبيل الاتباع مسدود، ولا سبيل في ذلك إلى تحقيق التمنّي، أو هذا من جهة الإحسان؟ فيجب على محسني الأمة الاقتداء به، وبذل السعي لحصوله، فاشتبه الأمران، وأصبحت الحيرة مانعةً وحاجزةً عن التمييز، ولمَّا أخذ الخلفاء هذه الطريقة من النبي ﷺ، وشاهد الناس ذلك من الخلفاء علموا أن ذلك كله من باب الإحسان والسلوك، وينبغي لجميع محسني الأمة الاقتداء بذلك.

والمعجزة خاصّة بالأنبياء، والكرامة عامة للأولياء، والوحي خاصّ بالأنبياء، والمحدّثية عامّة، والكشف الذي يكون دليلاً قطعياً خاصّ بالأنبياء، وكشف المبشِّرات والفراسات عامّ.

والقسم الثاني: أن الناس كانوا لا يستطيعون أخذه مباشرة عن النبي ﷺ بدون واسطة إلا بطريق **الرمز والإشارة**، لا بطريق الفعل والحال؛ كحبّ الرسول ﷺ الذي هو **عبارة عن الفناء في الرسول**

بالفعل، أو النسبة الأويسية أو الانقياد للشرائع، والتمسك بالتقوى والورع في مقام الشبهات، وقس على ذلك البواقي، وما معنى حب الرسول ﷺ وما هي حقيقة النسبة الأويسية، وكل هذه المباحث لا تستقيم بدون توسُّط الخلفاء، ولذلك فإن جميع أفراد الأمة احتاجوا إلى واسطة من جهة هذه الأمور.

وبالجملة: فإن التشبّه بالنبيِّ ﷺ في صورة النبوة لا يتيسر إلا أن يقوم الخليفة بالحكم على العالم مثل ما قام به حيث تسلط على شطري الأرض ذو القرنين، فتكون فارس والروم وما والاهما تحت تصرُّفه، وكذلك لا يتيسر ذلك بدون جمع القرآن، وبذل الهمة البليغة في نشره وإشاعته، وحثّ الناس على تلاوته، وبدون الإجماعات التي توجد في كل باب من أبواب الفقه، وكذلك لا يتصوّر ذلك بدون إفادة جملة صالحة من مسائل الإحسان أيضاً.

النكتة الخامسة: في بيان ما هي الصفات التي يتحقّق بوجودها التشبّه بنبيِّنا ﷺ باعتبار الاستعدادات والملكات التي هي مصدر أفعال النبي ﷺ وأحواله؟ وهنا دقيقتان، وفهمهما من ضروريات هذا المبحث بل هو من مهمات أكثر المباحث الكلامية.

الدقيقة الأولى: أنَّ خلق الأشياء بدون واسطة منوط بذات الحق ﷻ وإرادته وقدرته عند أهل الحق، فعقيدة الإيجاب والتوليد خطأ، وأما ظهور توقف بعض الأشياء على بعض فهو بناء على سُنَّة الله الجارية، إذ إن سنَّة الله جرت على أن يخلق أشياء كذا وكذا عقب وجود أشياء أخرى، وقد زلّت هنا قدم قوم ممن يثيرون شبهةً في الاستدلال بالأسباب على السبب الخاص، أو بالمسبّب على الأسباب الخاصة، وهي أن إفاضة الأشياء لو كانت بإرادة الفاعل المختار، لا بطريق

الإيجاب والتوليد، فلا يمكن الاستدلال بالأسباب الخاصة على المسبّب الخاص وبالعكس.

وهذه الشبهة مجرد سفسطة[1] لا غير، والحق أن جميع مصالح الدنيا والآخرة تتوقَّف على الاستدلال بالأسباب على المسبّبات وبالعكس، ألا ترى أن الإنسان يبذر الحبة في الأرض ثم يسقيها، ويستعمل الدواء لإزالة المرض؟ ولماذا يجاهد الأعداء؟ ولماذا كان النبي ﷺ يراعي الأسباب الخاصة في الحروب وفي جميع شؤونه؟ ويقوم بفحص المسبّب الخاص، ولو ارتفع الاستدلال من بين الأشياء لتعطل العقل، وتساوى العاقل والسفيه، ولم تكن للخلفاء أية فضيلة في تدبيرهم وإصابة رأيهم في أمور الدولة، ولا يكونون مكلّفين بذلك، «سبحانك هذا بهتان عظيم».

والواقع أن توقف المسبّبات على الأسباب حقّ، والخلق ـ بدون واسطة ـ بمحض إرادة الفاعل المختار حقّ أيضاً، فمن استطاع التوفيق بينهما ووسع عقله ذلك يجوز له أن يتكلّم في هذه المسألة، وإلّا فعليه أن يعتقد أن هذين المذهبين حقّ ويتجنّب التفصيل.

الدقيقة الثانية: أن الأدلة المأخوذة من الأسباب والمسبّبات ـ يظهر في بادئ الرأي ـ أنها لا تفيد القطع عند القائلين بالإرادة والاختيار، فإن خرق العادة ممكن، وكذلك لا تفيد القطع في أغلب الأحيان عند القائلين بالإيجاب، فإنه مما لا سبيل إلى اليقين في عالم الكون والفساد بأن هذه الأشياء هي وحدها الأسباب، وليس هناك سبب آخر، وأنه ليس هناك أي مانع من ترتب المسبب على الأسباب والمشروط على الشرط،

(١) السفسطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٤٤٩).

ومع ذلك يحصل اعتقاد جازم في نفس الأمر بالنسبة إلى بعض الأشياء، وهذا من قبيل أغلاط الحسّ، فإنه يحصل به اليقين في بعض المواد، كما أن هناك احتمالاً للمجاز والاشتراك والتخصيص والعام في كلام المخبر الصادق، ومع ذلك يحصل اليقين من خطاب الشارع.

وإنكار هذه المعاني والحقائق من العناد والمكابرة، والسرّ في ذلك أن حدساً خفياً يحصل للنفس في بعض المواضع، فيؤول الأمر إلى اليقين انضماماً إلى ذلك المحدوس، من حيث يدري أو لا يدري.

والآن نعود إلى أصل الكلام بعد ما ذكرنا هاتين الدقيقتين، وهو أن الأفعال المتسقة المتقاربة لا تظهر من النفس الناطقة إلا أن تكون في النفس ملكة راسخة توافق تلك الأفعال والأحوال.

ومثال ذلك: أن المتكلّمين قالوا: إن بناء العالم على وجه الإتقان يدلّ على أن خالقه عالم مريد حكيم قادر، فلا بدَّ لخليفة نبيّنا ﷺ الذي كان مصدر هذه الأفعال الثلاثة التي تتعلق بصورة نبوّته أن يملك في نفسه الناطقة كمال هاتين القوتين، أي: القوة العاقلة والقوة العاملة، وله براعة في اجتماعهما واختلاط إحداهما بالأخرى ليتأهّل لخلافة النبي ﷺ.

ومن ثمرات كمال القوة العاقلة في الرسول الوحي، وفي الخليفة المحدّثية والصدّيقية والفراسة الصادقة التي يصيب لأجلها في ظنونه، فلا يظنّ شيئاً إلا كان كما قال، ويوافق رأيه الوحي الإلٰهي في الوقائع الكثيرة.

ومن ثمرات كمال القوة العاملة في الرسول العصمة من المعاصي والسمت الصالح، وفي الخليفة الصلاح والعفّة، وأن يكون محفوظاً من المعاصي حتى يشهد الرسول ﷺ له بأن الشيطانَ يَفِرُّ من ظلّ فلان[1].

---

(١) كما روى ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣١٥) برقم: (٦٨٩٢) عن عبد الله بن بريدة =

ومن ثمرات براعة الهيئة الامتزاجية في القوتين في الرسول المعجزات والواردات الغريبة والوقائع العجيبة كالمعراج، وفي الخليفة الأحوال والمقامات العالية، والكرامات الخارقة للعادة، وتأثير دعواته ومواعظه في نفوس الناس، فإذا وجدت هذه الصفات الثلاث في الخليفة حصلت له الأقسام الثلاثة من التشبّه بالنبيِّ ﷺ:

الأولى: أنه يكون مرشداً للخلائق بعد النبيِّ ﷺ.

والثانية: أن نفسه تقبل الداعية الإلٰهية على وجه التحقيق لا على وجه التقليد، وإذا تمكّن من هذه الداعية ظهرت بركات عجيبة في أعماله.

والثالثة: أن تحصل له ملكة راسخة وبراعة كاملة في الشريعة المحمدية على صاحبها أكمل الصلواتِ والتسليماتِ، سواء كانت أحكاماً أو حِكَماً، وأن تكون نسبته إلى النبيِّ كنسبة المخرِّج من المجتهد.

وهنا دقيقة ينبغي أن نتذكرها، وهي: أنه من المقرَّر في الشرائع أن المعجزة مثبِتَةٌ لنبوة الأنبياء، وتتمّ بها حجةُ الله على الخلائق.

وقد تحيَّرت عقول المتكلمين في المقام، حيث إنَّ كبارهم حملوا هذا مثل قياس الغائب على الشاهد، كما يلتمِسُ من الملك أحدُ سفرائه قائلاً: يا أيها الملك! أن تتكلم معي خلاف عادتك حتى أكون موضع صدق عند الناس، هكذا تكون المعاملة بين الله ورسوله، وقدّم آخرون نقوضاً على هذا القول، فبقي الأمر ناقصاً غير تام.

والحق في هذا الباب أن المكلّفين لا يدركون صدق الرسول إلا

= عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إني لأحسبُ الشيطانَ يفرُّ مِنْكَ يا عمرُ**»، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ١٤٤).

من جهة قيام العلوم الفطرية التي يقتضيها نوع الإنسان في صدورهم، فيقبل مَنْ يقبل منهم بشهادة قلبه، فتتمّ الحجة من جهة النوع المقتضي، ولو أنكرها بعضهم على طريق التعنّت، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ثم بعد هذا الإقرار بقيت شبهة في أن النبي ﷺ هل أخذ هذا الكلام الصادق من العلماء المتقدِّمين؟ أو اهتدى إليه بطريق التدبر والتفكُّر والتأمُّل، وادَّعى النبوة؟ أو أنه لم يتلقّ ذلك إلا بالوحي الإلـٰهي وبنزول الداعية على قلبه من فوق سبع سماوات رغم موافقته في معظم أجزائه لتعاليم الأنبياء السابقين؟ فإن هذا القدر من الشبهة لا يزال قائماً، فلمّا رأوا المعجزات الخارقة للعادة وشاهدوا بركات صحبتهم فارت الحقانية، وفاضت من كل جانب، وامتاز الحقُّ من الباطل، وهذا الأمر داخل في جبلّة الإنسان.

وبعد ذكر هذه الدقيقة نعود إلى أصل الكلام، وهو أنه لا بدَّ أن تكون مثل هذه البركات في حياة الخليفة حتى يظهر على عامة الناس أن الله أراد بهم خيراً بنصب الخليفة الراشد عليهم، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وأما الأفعال التي تتعلّق بالملوكية لا تصدر على وجه الإتقان إلا أن يكون الخليفة تتصف نفسه الناطقة بصفات:

إحداها: الحزم، وأن يكون على معرفة تامة بمراتب الناس واستعداداتهم، حتّى لا يخطئَ في تفويض الأمور إليهم، وليسدّ خلل المملكة قبل وقوعه.

والثانية: الفراسة مع الذهن الوقّاد، حتى إذا ظنَّ بك الظنَّ كان قد

رأى ومن سمع، فإنه ربما تحدث أمور متعارضة إن تساهل فيها يقع الخلل، وإن تعجّل في الأمر يقع خلل عظيم:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فَكُنْ ذا عزيمةٍ — فإنَّ فسادَ الرأيِ أنْ تَتَرَدَّدا

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا رَوِيَّةٍ — فإنَّ فسادَ الرأيِ أنْ تَتَعَجَّلا

ولا مخرج من هذا الاشتباه إلا فراسة ألمعية لا غير، ولا تخفى هذه الحقيقة على من صحب الملوك أو درس تواريخهم.

والثالثة: أن يكون عظيم الحظ لا منكوس الحظ، حيث إذا حدث أمر عظيم وقع في الوحل، وتورّط فيه كالحمار.

ويقول الفردوسي بعد قتل «نوذر» بلسان «زال دستان» في قصة انتخاب الملك:

نزيبد بهر بهلوي تاج وتخت — بيايد يكے شاه بيدار بخت

كه باشد برو فره ايزدي — بتابد گفتار أو بخروي

«لا يجدر كلُّ فارسي بالعرش والتاج، بل يجدر بهما مَلِكٌ عظيم البخت، كبيرُ الحظّ، عليه فضل الله ورحمته ويلمع نور العقل من كلامه، ويتجلّى من حديثه».

ومعرفة هذا المعنى يكمن في الغيب وحده، ولا يخبر بذلك إلا المخبر الصادق، ولكن المجوس المنحرفين يعوّلون على سير الكواكب، وكل ذلك من العلوم الوهمية التي نهى الشارع عليه السلام عنها، ولذلك لا ينبغي التفكر إلا في الإشارات التي أشار إليها الشارع.

والرابعة: أن يملك الشجاعة التي تتوسط بين التهوّر والجبن.

والخامسة: أن يتصف بالحلم الذي يتوسط بين الجرأة والخضوع.

والسادسة: أن يتحلّى بالحكمة التي تتوسط بين المكر والغفلة.

والسابعة: أن يتخلّق بخلق العدالة التي يتغلّب بها على النفس في كل حالة بشكل مناسب لها، والكلام في هذه المباحث يطول.

الصفات من جهة الحَبْرية:

وأما الأفعال التي تتعلّق بالحَبْرية فإنّها لا تصدر على وجه الإتقان إلا أن يكون الخليفة عالماً بالكتاب والسُّنَّة، وتلقّى ذلك بفهمه الموهوب، وعرف مصلحة كل حكم، وكانت نسبته مع الرسول كنسبة أصحاب التخريج مع المجتهد المستقلّ، وكان ماهراً في فن الفقه، ويفور فن الحكمة من قلبه، ومن لا يعرف هذه العلوم كيف يفيد الآخرين؟ كما قال الشاعر الفارسي:

خشك أبرے كه بود زآب تهي نـايـد أزوے صـفـت آب دهـي

معناه: «إنّ السحابةَ التي تخلو من الماء لا توجد فيها صفةُ السقاية والإرواء».

وأن يظهر منه ـ مع ذلك ـ لطفٌ ورأفةٌ بالقوم، وعنايةٌ بالغة بتعليم العلوم، وسدّ أبواب التحريف.

وهنا دقيقة ينبغي فهمها، وهي: أنَّ حَبْرَ الملّة المحمدية على صاحبها أكمل الصلوات والتسليمات هو رجل لا يخوض في الأمور التي لم يخض فيها الشارع، بل يتركها مجملة، ولا يتعمّق فيما لم يتعمّق فيه الشارع، فكما أن الاقتصاد في العمل مطلوب، كذلك الاقتصاد في العلم من أهم المهمّات أيضاً؛ أحياناً دقّة النظر وثرثرة الكلام أخرجتا الحبر عن حبرية الملّة المصطفوية، وأسقطتاه من المقام الرفيع من الحبرية:

هر كه درو اند از تر او دور تر
از چنين صيد است او مهجور تر(١)

الصفات المتعلقة بإرشارد الأمة:

وأما الأفعال التي تتعلّق بإرشاد الأمّة فإنها لا تصدر من الخليفة على وجه الإتقان إلا أن يكون عارفاً بمنهج عادل وطريق سوي مما تشير إليه الآية: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، ويملك كرامات خارقة ومقامات عالية، وهنا دقيقة أيضاً مثل الدقيقة السابقة، وهو أن الاقتصاد في العمل مطلوب أيضاً، لا بد من الصلح بين القوة البهيمية والقوة الملكية، ولا تترك الملكية لغواً وعبثاً ولا ينبغي الانقطاع عن البهيمية انقطاعاً تاماً، وذلك هو الحدّ الأوسط الأعدل الذي كان عليه الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، وهنا لا تقع في خطأ ولا تغتر بكلام ثرثار، فإن الخوض في العقيدة: وحدة الوجود ومعرفة التنزُّلات الخمس والخروج إلى الفلسفة في تقرير كيفيات الأشياء، كل ذلك خروج عن الحدّ الأوسط الأعدل.

كج مج مرو بتهمت هستي كه در طريق
مارا نشانهاست ازان يار بے نشان

وبعد أن ذكرنا هذا المبحث فاصغ إلى مبحث آخر، هو أكثر منه غموضاً ودقةً، وهو أن تهذيبَ النفوس الذي هو مناطُ النجاةِ في الآخرة؛ بل ترتبط به سعادة الدارين، يمكن أن يكون له صنفان:

أحدهما: استعدادات النفوس التي تقدّم ذكرها.

---

(١) الذي يرمي الصيد من بُعد يسقط بعيداً من الصيد وأكثر منه خيبةً من الذي يرمي الصيد بقوة فينفذ السهم من الصيد إلى الخارج، ويهرب الصيد.

والثاني: هو البركات النازلة من عند الله تعالى بناء على السوابق الإسلامية قبل كسب العباد واستعداداتهم، وذلك بحكم قول النبي ﷺ: «**إنَّ لربِّكم في أيامِ دَهْرِكُم نفحاتٍ ألا فتعرّضوا لها**»[١]، ويختلف هذا النوع في كل ملّة، ومن أكبر ما يجلب هذه البركات في ملتنا هو نصرة النبي ﷺ عند غربة الدين.

لما أرسل الله النبيَّ ﷺ لمحض رحمته إلى العالم، كان وحيداً فريداً، فمن قام لنصرته ﷺ شملته البركات الإلـٰهية، ومن تأخّر تأخّر عن مراتب القرب، ومن هنا تولّدت قاعدةٌ مهمة في شريعتنا وهي: أنَّ من كان أسبقُ هجرةً فهو فائزٌ بأعلى مراتب القرب، ومن كان في أول طليعة المجاهدين لأعداء الإسلام كان في الصف الأول من أهل السعادة رضوان الله عنهم أجمعين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

والسرَّ هنا أن مراد الله جلَّ وعلا هو إعلاء كلمة الله، والموافقة لمراده ﷻ في ساعة أفضل من عبادة مائة سنة، ولذلك فإن المؤمنين الأولين الذين تحلّوا بالإيمان في مكة قبل الهجرة، هم الأسبقون الأعلون في الأجر والثواب، وأما الذين شهدوا بدراً وأُحداً والحديبية فكأنّهم سبقوا الجميع في الفضل وباهتمام النبي ﷺ.

لمَّا تمَّ تشكيل العالم بالشكل المعنوي المتمثّل عند الله، تصدّرت

---

(١) «المعجم الكبير» (١٩/ ٢٣٣).

هذه الجماعة وسادت في الدنيا أيضاً، ولذلك وجب أن يكون الخليفةُ الخاصُّ للنبيِّ ﷺ من المهاجرين الأولين، وممن شهدوا بدراً وأُحداً والحديبية، وهذا سرٌّ لا يفهمه أهل الظواهر، ولكن من تدبَّر الكتاب والسُّنَّة يقبل هذا السرَّ المكنونَ على كرهٍ.

وإذا كان الخليفة من هذا القسم يتشبَّه بالنبيِّ بوجوه كثيرة يكون رئيساً للعالم، والله بلطفه يضع زمام الأمر في يديه وتتمّ الرحمة على العالم:

حكمت محض است اگر لطف جهان آفرين

خاص كند بنده مصلحتِ عام را

ثم اعلم أن النبوّة وخلافة النبوة لم تظهرا لمجرّد تهذيب نفوس هذه الجماعة فحسب؛ بل هما كالبركة العامة الشاملة لسائر العالم التي ظهرت ضمن تهذيب نفوس هذه الجماعة، وفاضت من بين نفوسهم، وهذه البركة من باب التكوين، لا من باب التشريع مطلقاً، بمنزلة الهواء المعتدل الشافي لمرضى العالم، أو المطر الغزير الذي يقضي على القحط عند الذين ابتلوا.

النكتة السادسة: في معرفة المستعدِّين للخلافة الخاصة من بين الناس، فكما أنَّ معرفة النبي الصادق من بين مدَّعي النبوة عسيرٌ للغاية وإنه ليسيرٌ على من يسّره الله عليه، كذلك معرفة مستعدّي الخلافة الخاصة للنبوة عسير جداً، ويمكن الخلاص من هذه الحيرة المظلمة بوجهين، كما أن معرفة النبي تحصل بوجهين أيضاً: **أحدهما**: يتعلّق بما قبل النبوة. **والثاني**: يتعلّق بما بعد النبوة.

فأما الوجه السابق للنبوّة، فهو أن يبشّر الأنبياء السابقون بالنبيِّ اللاحق، وتشتهر هذه البشارة في أمتهم، كما في بشارة عيسى عليه السلام

بالنبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وكما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء]، ومن عجيب أسرار التكوين أنه تعالى حين يريد إرسال رسولٍ صاحب شوكة وسلطة في آخر الزمان يخبر بذلك على لسان الأنبياء السابقين، ويجعل منامات الناس وإنذارات الكهنة وما أشبه ذلك من مؤيدات أخبار هؤلاء الأنبياء.

وأما الوجه اللاحق [للنبوة]، فهو أن تكون شريعةُ النبيِّ اللاحق مصدقةً للشرائع السابقة، وأن يظهر الله المعجزات الباهرة على يده، ويصف شريعته بـ«السمحة البيضاء» حتى لا يهلك أحدٌ، ومن هلك فتكون حجةُ اللهِ قائمةٌ عليه.

ومثل هذه الحيرة وقعت في خلافة الخلفاء كذلك، وللخروج من هذه الحيرة وجهان، أحدهما سابق [للاستخلاف]، وهو إخبار النبيِّ بأساليب مختلفة:

أولاً: يُبيِّن أنَّ فلاناً من أهل الجنّة.

ثانياً: يُخبر أنَّ فلاناً من الصدِّيقين والشهداء والصالحين.

ثالثاً: يذكر أمارات استحقاقه للخلافة قولاً وعملاً.

فلمَّا وصل الأمر إلى هذا الحدّ قامت حجّةُ الله على خلافته، وأصبح الناسُ مكلّفين بإطاعته واتباعه، ثم يُلهم الله جلّ وعلا طائفة عند وفاة النبي ﷺ أن يعقدوا الخلافة للخليفة، ويوسع دائرة حكمه في العالم بتصرف غيبي، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وأما الوجه اللاحق [للاستخلاف]، فهو أن تتجلّى معاني الخلافة الخاصة في الخليفة، وأن تفيض آياتُ خلافته وأماراتها مثل فلق الصبح

بالتواتر، ومثال ذلك أن يقول رجل: أنا طبيب، وبراعته في الطب خفية في أول الأمر، ثم يرجع إليه المرضى، وجعلوا يغشونه من كل جانب، وقام هو بتشخيص المرض لكل مريض بالنظر إلى الأسباب والعلامات، ويصيب فيه، ثم يصف بعد ذلك دواءً لكل مرض، وتكون هذه الأدوية مؤثرة، ويتخلّص الناس من الأدواء المهلكة لمداواته أفواجاً، فتظهر براعته الطبية بمنزلة الشمس في رابعة النهار، فتأمّل ـ الآن ـ معاني الخلافة الخاصة التي بيّنّاها حقّ التأمل، واقرأ المقصد الأول من كتابنا هذا لتدرك دلائل الخلافة الخاصة من بيان الشارع ثم اقرأ بعد ذلك المقصد الثاني وانظر دلائل القسم الثاني، فوجب لذلك أن يكون الخليفة الخاص مبشراً بالجنة، ومشهوداً له بالمقامات العالية وأن يعامله النبيُّ ﷺ معاملة الأمير مع ولي عهده.

النكتة السابعة: في بيان فروع الخلافة الخاصة ولواحقها.

الفرع الأول: أن ما بيّنّاه هو نوع من مراتب الولاية وهو أشبه أنواع الولاية بالنبوة، ووراء ذلك مراتب كثيرة لا يُنعِم بها الله إلا على الخواص من عباده، وبما أن ذلك لا علاقة له بعامّة الناس، فلا نبحث فيه، ولم تعتن الشريعة الظاهرة بإثباته أيضاً، فإذا قمنا بحصر هذا القسم من الولاية في بعض الأشخاص المعيَّنين، فلا يخدعك ذلك، فتنكر ولاية الآخرين، وإذا قمنا بتفضيل البعض على البعض كان المراد عندنا أفضليته في تلك الرتبة لا باعتبار سائر المراتب.

الأسرار الإلٰهية كثيرة، والمقصود بالبيان ما تتعلّق به الشرائع الإلٰهية ـ أي: الأحكام ـ.

الفرع الثاني: أن ما بيّنّاه هو صورة كاملة للخلافة الخاصّة، فكما أن أفراد كل نوع تختلف في مقتضى ذلك النوع باعتبار الموادّ التي هي

مطية ذلك النوع، فكذلك لا يلزم أن يكون جميع الخلفاء في هذه الخواصّ على قدم المساواة، يمكن أن يكون أحدهم أقوى وأقدم باعتبار وصف، وأن يكون الآخر أثبت وأولى باعتبار وصف آخر، رغم اشتراك الجميع في أصل هذه الأمور.

فكما أن الأنبياء جميعاً مشتركون في أصل النبوة ومتوافقون في أصول لوازم النبوة، ومتفاوتون في زيادة وقلّة بعض الأوصاف، فكذلك الخلفاء يمتاز بعضهم بالسوابق الإسلامية، وبعضهم يمتاز بالمواهب الملوكية، رغم الاتفاق في أصول لوازم الخلافة الخاصة، ولذلك فإن عمر ﵁ قال في الذين فيهم استعداد للخلافة بعض الأقوال مما يتعلّق بسياسة الملك باعتبار بعض الأوصاف الجبلّية.

الفرع الثالث: إذا كانت جماعة من المؤمنين الكاملين متعادلين في أصل لوازم الخلافة الخاصة ومتفاوتين في زيادة وقلّة بعض الأوصاف، فمقتضى الخلافة الخاصة للنبي ﷺ أن يكون الذي تكثر فيه أوصاف الملوكية مقدّماً على الذي تكثر فيه أوصاف الحَبْرية والزهد، وذلك لأسباب:

أحدها: أنَّ المَلِكَ الضابطَ يستطيع بشوكته وقوته أن يستخدم الأحبار والزهّاد في أمور تتعلّق بالحبرية والزهد مع بقائهم في مكانهم فتنتشر بهم الفوائد المطلوبة في العالم، إذ إنه يعرف الجميع بفضل ملكاته الجبلّية والكسبية: شعر:

كه سالك بے خبر نبود زراه ورسم منزلها[1]

خلافاً للأحبار والزهّاد إذ إنهم لا يستطيعون أن يغيروا ما في الملوك وأعوانهم؛ أي: الأمراء والوزراء.

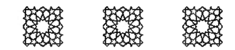
---

(١) السالك على الطريق لا يكون غافلاً عن معالم الطريق ومقاماته.

والثاني: أنه إذا تأمّلنا في الأوصاف الظاهرة للنبي ﷺ التي كانت مخفية في نبوته كانت خلافته ﷺ أظهر من حبريته وزهده، فرعاية الجزء الأظهر والأقوى أحقّ وأولى.

الثالث: أن النبيَّ ﷺ كان يقدّم في كثير من الأوقات ملكة سياسة عسكر الإسلام والحكومة، مثل تأمير عتّاب بن أَسيد على مكة رغم وجود المهاجرين والأنصار.

وليعلم بعد ذكر هذه النكات السبع أنَّ مفهوم الخلافة الخاصّة على نحو ما بيّنّاه هو **علم شريف، ألقاه الله تعالى في قلب هذا العبد الضعيف بنور توفيقه، يستعظمه من يعرفه، وينكره من لا يعرفه و**﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف].




المقصد الثاني


[الدليل العقلي المأخوذ من استقراء الدلائل الشرعية]

في الدلائل العقلية ـ على خلافة الخلفاء ـ المستفادة من استقراء أحوال النبي ﷺ وأفعاله، أو المستفادة من المقدمات المسلَّمة عند المسلمين من حيث يستلزم نقيضها محالاً شرعياً، مثل لزوم الخُلف في وعد الله، أو القدح في عصمة الرسول، أو إجماع الأمة على الضلال، وهذا المبحث ينحصر في مقدّمتين.

المقدمة الأولى: أننا نؤمن ـ بالدلائل العقلية ـ بأنّ النبي ﷺ لا بدّ أنه عيَّن الخليفة لأُمَّته، وأوجب الانقياد له فيما يتعلَّق بالخلافة.

والمقدمة الثانية: أننا نؤمن ـ بالدلائل العقلية ـ أن النبيَّ ﷺ لو عيّن الخليفة لأمته فهو الصدِّيق لا غير، ثمَّ الفاروق بعده، ثم ذو النورين بعد الفاروق.

وهذا أوانُ الشروع في المقدمة الأولى، وقبل الشروع في تقريرها نكتةٌ مهمةٌ للغاية، يتوقَّف ترتيب الدلائل وتقريب المسائل على معرفتها، وهذه النكتة هي أنّ مرادنا من تعيين الخليفة الذي نكلّم في وجوبه ولزومه لا يعني أن يكون النبي ﷺ قد جمع المسلمين قُبيل وفاته، وأمرهم بمبايعة ذلك الخليفة، أو باشر فعلاً من الأفعال المفهمة للاستخلاف حين ذاك، كما هو العُرْف المُفهِم للاستخلاف في هذا العصر من خلال وضع التاج على الرأس، والإجلاس على العرش.

بل مرادنا إيجاب شرعي مثل سائر الشرعيات، مثلما كلّف النبي ﷺ

أمته في حياته بالوضوء والغسل والصلاة والزكاة وسائر العبادات والمناكحات والمبايعات والأقضية والجراحات بنصِّ القرآن وإشارته تارةً وبنصِّ الحديث وإشارته تارةً أخرى، وبتشريع الإجماع والقياس الصحيح الجلي مرةً ثالثةً، فيجب كذلك تكليفه ﷺ بالخليفة الخاصّ بهذه الأنواع التكليفية المذكورة آنفاً، ويندفع شغب عظيم بفهم هذه النكتة.

وتصرُّ طائفة من أهل السُّنَّة على أنّ خلافة الخلفاء ثابتة بالنصّ، وتروي بعضَ الأحاديث في هذا الباب، وأكثرُ المتكلّمين والمحدّثين يذهبون إلى عدم استخلاف النبي ﷺ أحداً، ويروون في ذلك عدة روايات، فإذا أنعمنا فيها بالإنصاف علمنا أن هذه النقول محمولة على نفي الهيئة الخاصة المعهودة عند عقد الولاية، وهذه الأحاديث دالّة على الخلافة مثل دلالة سائر الأدلّة الشرعية على ثبوت موجبها.

قال محمد بن إسحاق: حدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد: أنّ رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة: «**أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون**»[1]، فلولا مقالةٌ قالها عمر عند وفاته لم يشكّ المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنه قال عند وفاته: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن أتركهم فقد تركهم مَنْ هو خير مني، فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً، وكان عمر غير متّهم على أبي بكر[2]، وليس مرادنا من النصّ الجلي أن تكون آيةٌ صريحة قد نزلت في هذا الباب أو يكون حديث صريح قد بلغ حدّ التواتر، بل مرادنا به أن تكون آيات وأحاديث كثيرة من الأخبار المختلفة قد اتحدت في قدر مشترك للاستخلاف،

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٦٠).

(٢) «تهذيب سيرة ابن هشام» (١/ ٤٤١).

فوردت في بعضها أسماء هؤلاء الخلفاء بطريق الإيماء والتلميح، ووقع التصريح باسم الخلافة، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، أو وردت أسماء الخلفاء بطريق التعيين والتصريح، وعبر معنى الخلافة بطريق الكناية، كما قال النبي ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»، ووقع في بعضها الآخر ذكر كلا الأمرين بطريق الإيماء والتلميح كما قال عزّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١]، ووقع في بعض النصوص إثبات لوازم الخلافة لهم بالصراحة، ووقعت في بعضها الآخر الكناية عن هذا المعنى بطريق الإيماء والإشارة والاقتضاء، فإذا تكونت من كل ذلك هيئة اجتماعية أصبح ذلك دليلاً قاطعاً على مدعاه ومقتضاه، وقامت بذلك حجّة التكليف.

ويندفع بهذه النكتة شغب آخر، وهو أنّ طائفةً ذهبت إلى أن خلافة هؤلاء ثابتة بالنص ولكن بنصّ خفي، وطائفة أخرى ذهبت إلى أنّ خلافة هؤلاء منصوصة بنصٍّ جلي، والحق أننا إذا نظرنا بنظر الإنصاف، واستخرجنا حديثاً أو دليلاً من بين الأحاديث والدلائل العلمية، ما كان جلياً بعينه في الحقيقة، ولكنَّ جملةَ ما بلغنا من الشارع هو جلي وقطعي في حقيقته، وعلماء فنّ الاستنباط يعرفون أنّ معظم الأحكام القطعية المسلّمة بين المسلمين كالجمعة والعيدين لم يرد فيها نصّ جلي بغير الطريق التي ذكرتها.

وبعد أن فُصِّلت هذه النكتة نرجع إلى أصل الكلام.

الدليل الأول: هو استقراء الأحاديث الواردة في باب الفتن، مما له دلالة ظاهرة على أن النبي ﷺ قام بتقرير أكثر الوقائع الآتية وعبّر عن كل واقعة بكلمة يفهم منها رضا الله أو سخطه، فإذا عرفنا هذه المقدِّمة نستيقن

ـ بالحدس القوي ـ بأن النبي ﷺ لا بدَّ أنه قام بتعيين الخليفة الأول والثاني والثالث الذين كانوا أقرب الأصحاب إليه، وثارت الفتنة في الأمة لوقوع الخلاف بينها في أمر استخلافهم، وعرقلت سير الأمور العظيمة من فتح فارس والروم، فأي: عاقل يقول: إن النبي ﷺ قد أهمل مهامّ الأمور، واهتمّ ببيان الأمور الهامة الجزئية؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، فإذا استنّ جواد القلم في هذا المبحث شرفاً أو شرفين لا يلزم صرف عنانه فيه.

اعلم ـ أسعدك الله ـ أن النبيَّ ﷺ خاتم النبيين وأنّه لا نبيّ بعده، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يجري على لسانه ﷺ خبر الوقائع التي تقع من بعد وفاته ﷺ إلى قيام الساعة، ويذكر رضا الله تعالى عن بعض هذه الوقائع وسخطه عن بعضها الآخر، لتتمّ النعمة وتقوم الحجّة، فانكشفت هذه الوقائع كلها على النبي ﷺ وبدا رضا الله وسخطه نحوها، وقد أخبر ﷺ بجميع هذه الوقائع في بعض الأوقات، كأنها رأي العين، ثم بيّنها على ترتيب وقوعها واحدةً بعد أخرى، والحكمة تقتضي أن تكون جميع الوقائع مذكورة ومبيّنة بلسانه ﷺ بالاستيعاب إجمالاً وتفصيلاً، فإن كان هناك أمر خفي في هذه الواقعة فذلك بسبب نسيان الرواة أو بسبب الغموض الواقع في تطبيق وصف الكلّ على صورته الخاصّة.

• أما بيان الإجمال فهو من حديث **حذيفة** قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلَّا حدّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل، إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه. متفق عليه(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٦٠٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٩١) واللفظ له.

وأما بيان هذه الوقائع تفصيلاً فلا يخفى أنَّ النبي ﷺ أخبر بخلافة أبي بكر الصدِّيق في أحاديث كثيرة؛ كحديث المنامات وغير ذلك.

ومن ذلك قوله لامرأة: «**إنْ لم تجديني فأتي أبا بكر**»[١]، وهذا الحديث يدلّ على صحة خلافة أبي بكر الصدِّيق؛ إذ إنَّ النبيَّ ﷺ عرف ذلك عن طريق الوحي وبيّنه، ولم يظهر عدم رضاه في إتيان أبي بكر رضي الله عنه بعده.

وإن ناقشني مناقش من الأصوليين في هذا الاستدلال قلت: روى **البيهقي** عن **الحسن** أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتيَ بفروة كسرى، فوضعت بين يديه، وفي القوم سراقة بن مالك بن جُعْشم قال: فألقى إليه سواري كسرى بن هرمز، فجعلهما في يديه فبلغا منكبيه، فلمّا رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله سواري كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج[٢]، وذكر الحديث.

• قال الشافعي رحمه الله: وإنّما ألبسهما سراقة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: «**كأني بكَ قد لبست سواري كِسْرَى**[٣]**، ومنطقته وتاجَهُ**»، ومعلوم أنّ هذا السوار كان من الذهب، ولبس الذهب محرّم على الرجال، واعتبر الشافعي ـ الذي هو رأس ورئيس الأصوليين ـ إخبارَ النبي ﷺ بدون الإنكار عليه مخصِّصاً لهذا العموم.

وأخرج **البخاري** عن **جابر** أنه كان يقول لزوجته: أخِّري عنَّا أنماطك[٤]. ويستدلّ بإخبار النبيِّ ﷺ على وجود الأنماط وسكوته عن

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٥٩).
(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٦/ ٣٥٨) برقم: (١٢٨١٥).
(٣) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ١٠٥).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٣١).

الإنكار عليه، فكأنَّ هذا الأصولي المناقِشَ لم يحفظ من استدلالات الصحابة ولا من مذهب شيخه شيئاً، والله أعلم.

• وهذا الكلام من زوائد الإفادة والاستدلال، وإلَّا «**اقتدوا باللّذين مِنْ بعدي أبي بكرٍ وعُمَرَ**» صريحٌ في إيجاب الاقتداء بالشيخين، ولذلك نظائر كثيرة.

• وبعد ذلك أخبر النبيُّ ﷺ بأنّه سيحدثُ خلاف في انعقاد خلافة الصدِّيق رضي الله عنه، فقال: «**ويأبى اللهُ والمسلمونَ إلَّا أبا بكر**»[1].

• ثمّ أخبر الله بقصة الردّة التي تقع فيما بعد بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وأبدى كمال رضاه بهذا القتال.

• وأخبر بعد ذلك بقتال فارس والروم في حديث **الشيخين**[2]، عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ**»[3].

وأخبر بجمع القرآنِ في المصاحفِ من خلال آية: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة].

• وأخبر بخلافة سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه في أحاديث كثيرة؛ كحديث نزع ذنوب، ونوط بعضٍ ببعضٍ، وأمرَ بالاقتداء به في حديث: «**اقتدوا باللَّذين من بعدي أبي بكرٍ وعمرَ**».

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٣٨٧).
(٢) المراد بهما: الإمام البخاري والإمام مسلم.
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣١٢٠)، «صحيح مسلم» برقم: (٢٩١٨).

• وأخبر بخلافة عثمان، وما يقع في أواخر أيامه من بليةٍ وفتنةٍ، وأخبر بإرادة بعض الناس نزع قميص الخلافة عنه، وكونه على الحق يومئذٍ، وكون أعدائه ظالمين وفاسقين، وقال له: «**لا تَخْلَع هذا القميصَ**».

• وأخبر بوقوع المخاصمة بين علي المرتضى وبين قريش، ووقوع القتال بينه وبين الناكثين والمارقين ـ أي: الخوارج ـ والقاسطين.

• وأخبر بنباح الكلاب على إحدى أمّهات المؤمنين في موضع كذا، ووقوعها في مصيبة وخلاصها منها في نهاية الأمر.

• وأخبر بأن عمَّار بن ياسر «**تَقْتُلُهُ الفئةُ الباغيةُ**»، وأن الجماعة المارقة، تهلك على يد أولى الناس بالحقّ، وآيتهم رجل مثدون[(١)].

• وأخبر بقتل علي المرتضى وقال في حقِّ قاتله: «**أشقى الناس**»، وقال لمعاوية: «**إنْ ملكتَ فأحسن**»[(٢)]، وقال: «**كيفَ بكَ لو قد قمّصكَ الله قميصاً**»؛ يعني: الخلافة، قالت أمُّ حبيبة: أوَ إنَّ الله مقمِّصُ أخي؟ قال: «**نعم، ولكن فيه هناتٌ وهناتٌ وهناتٌ**»، وهذه الكلمة تُشْعِر بأن خلافته تنعقد من جهة التسلُّط والتغلّب، لا من جهة البيعة، وأن سيرته لا توافق سيرة الشيخين، وأن خلافته تنعقد عقب البغي على إمام الوقت، ولذلك كرر كلمة هنات ثلاث مرّات.

• وقال لمعاوية أيضاً: «**إنْ ولِّيتَ أمراً فاتّقِ اللهَ واعْدِلْ**»[(٣)]، وذلك إشارة إلى إمارة الشام والخلافة جميعاً.

• وعن **الحسن بن علي** قال: سمعت علياً يقول: سمعت

---

(١) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٤٩) برقم: (١٨٦٥٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٠٧) برقم: (٣٠٧١٥).
(٣) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٣٢٦).

رسول الله ﷺ يقول: «**لا تذهبُ الأيام والليالي حتّى يَمْلِكَ معاويةُ**»[١]، عزاه في «الخصائص» للديلمي، وقال: «**لن يُغْلَبَ معاويةُ أبداً**»[٢].

• وأخبر **بصلح الحسن**، فقال: «**ولدي هذا سيّدٌ، وسيصلِحُ الله به بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين**»[٣].

• وأخبرَ بقتلِ الحسين بن علي، وقال: «**أراني جبريلُ تربةَ تلكَ الأرض**»[٤].

• وورد في حديث علي المرتضى في باب عاشوراء: «**وسيتوبَ الله على قومٍ آخرينَ**».

• وأخبر بوقعة الحَرَّةِ، وأمرَ أهلَ المدينةِ بالكفِّ عن القتال، وقال: «**كيفَ بِكَ يا أبا ذَرٍّ إذا كانَ بالمدينةِ قَتْلٌ تغمر الدماء...**».

• وأخبر بخروج عبد الله بن الزبير، ويوجد هذا الحديث في مسند كلٍّ من عمر الفاروق وعثمان وعلي المرتضى، وقد عبَّر عن ذلك بكلمة تُشعِر بأنَّ خروجه يكون سبباً لسفك الدماء، وهتك حرمات الحرم، ولا يكونُ منشأَ المصالح والخيرات، فهذا إشارةٌ إلى سخطه وعدم رضاه.

• وأخبر بخروج بني مروان فقال: «**رأيتُ في النومِ بني الحكمِ ينـزونَ على منبري كما تنزو القِرَدَةُ**»[٥]، وهذه العبارة ـ أيضاً ـ تشير إلى سخطه ﷺ.

• وعن **الحسن بن علي** قال: إنّ رسول الله ﷺ رأى مُلْكَ بني أمية فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِى لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٠). (٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٨٧).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٧٠٤).

(٤) انظر: «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (١٠/ ١٥٣).

(٥) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٢٧) برقم: (٨٤٨١).

لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر]، يملكها بنو أميّة، قال بعضهم: فحسبنا مدّة بني أمية فإذا هي ألفُ شهر لا يزيدُ ولا ينقص

• وقد جاء في أخبار كثيرة أنّ النبيَّ ﷺ بشّر بني العباس بالخلافة، ومن المشهور في التاريخ أن علي بن عبد الله بن العباس كان يجهر بهذا القول، وقد آذاه ملوك بني أمية لأجل ذلك، وأذلّوه

وفي حديث **ابن عباس** عن أمِّه لمَّا ولد عبد الله قال: «**اذهبي بأبي الخلفاء**»، فأخبر بذلك العباس وكان رجلاً لباساً فلبس ثيابه، ثم أتى إلى النبيِّ ﷺ، فلمّا بصر به قام فقبّل بين عينيه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**هو ما أخبرتُكَ، هو أبو الخلفاءِ حتّى يكونَ منهم السفاحُ، حتّى يكون منهم المهدي، حتى يكون منهم من يُصَلِّي بعيسى ابن مريم** عليه السلام»[1]، عزاه في الخصائص لأبي نعيم.

• وأخبر النبي ﷺ بخروج أبي مسلم الخراساني، قال: «**تَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ**»[2].

• عن **ابن عباس**، يرويه عن النبي ﷺ قال: «**مِنّا السفّاحُ، والمنصورُ، والمهديُّ**»[3].

• وأخرج **الزبير بن بكّار** عن علي بن أبي طالب أنه أوصى حين ضربه ابن ملجم، فقال في وصيته: إنَّ رسول الله ﷺ أخبرني بما يكونُ من اختلافٍ بعده، وأمرني بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين، وأخبرني بهذا الذي أصابني، وأخبرني أنّه يملك معاوية وابنه يزيد، ثم يصيرُ إلى بني مروان يتوارثونها، وأنَّ هذا الأمر صائرٌ إلى بني أمية، ثم إلى بني

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء» (١/٦).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٦٩).
(٣) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/٤٥٦).

العباس، وأراني التربةَ التي يُقْتَلُ بها الحسين، ذكر ذلك في «الخصائص».

• وأخبر النبيُّ ﷺ بخروج الذين يخرجون على ملوك الإسلام، قال حذيفة بن اليمان: واللهِ ما أدري أنسيَ أصحابي أم تناسَوْا؟ واللهِ ما ترك رسولُ اللهِ ﷺ من قائدِ فتنةٍ إلى أن تنقضيَ الدنيا، يبلغُ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلّا قد سمَّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته[(١)].

• وأخبر بمُلك الأتراك، عن ابن مسعود قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«اتركوا التركَ ما تركوكم، فإنَّ أوّلَ مَنْ يَسْلُب أُمّتي مُلكَهم ما خوّلهم الله بنو قنطوراء»**[(٢)]، عزاه في «الخصائص» إلى الطبراني وأبي نعيم.

• وأخبر بوقعة هلاكوخان وقتل المستعصم، عن **أبي بكرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أرضاً تسمّى البصرة أو البُصيرة ينزلُها ناسٌ من المسلمين عندهم نهرٌ يقال له: دجلة، يكون لهم عليها جسرٌ، ويكثُرُ أهلُها، فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء، كأنهم عِراضُ الوجوه، صغارُ الأعين، حتى ينـزلوا على شاطئ النهر، فيتفرَّقُ الناس عند ذلك ثلاثَ فرقٍ، فرقةٌ تلحق بأصلها فهلكوا، وفرقةٌ تأخذُ على أنفسِها فكفروا، وفرقةٌ تقاتِلُهم قتالاً شديداً فيفتحُ الله على بقيتهم»**[(٣)]، عزاه في «الخصائص» إلى أبي نُعيم، والمراد بالبصرة «بغداد»؛ لأنَّ بغداد أرضٌ ذات بصرةٍ، أي: حجارة كذّان[(٤)]، وبالفتح الظفر في تلك المقتلة فقط.

• عن **بريدة** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ أمتي يسوقُها**

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٤٣).
(٢) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٩/ ٢٦) رقم: (١٠٢٣٦).
(٣) انظر: «أرشيف ملتقى أهل الحديث» (١/ ١٠٤٧٢).
(٤) حجارة فيها رخاوة، «المعجم الوسيط» (٢/ ٨١٢).

قومٌ عراضُ الوجوهِ، صغارُ الأعينِ، حتّى كأنّ وجوههم الحَجَف ثلاث مرات، حتّى يلحقوهم بجزيرة العرب، أمّا الأولى: فينجو مَنْ هربَ منهم، وأما الثانية: فينجو بَعْضٌ، ويهلك بعضٌ،، وأمّا الثالثة: فيصطلمون مَنْ بقيَ منهم»، قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**التركُ، والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى جنب سواري مساجد المسلمين**»[1]، عزاه في الخصائص لأحمد والبزّار والحاكم.

والظاهر أنَّ المراد بالمرّة الأولى هو فتنة **السلاجقة**؛ لأنَّ حكم الخليفة العباسي صار مغلوباً على أيديهم، ولم يبقَ في بلاد ما وراء النهر والخوارزم وخراسان من خلافته إلا اسمها، والمراد بالمرة الثانية هو فتنة **جنكيز خان**؛ إذ إنه قتل الخليفة العباسي، وهاجر بعض العباسيين إلى مصر وأقاموا الخلافة هنالك، حتى الآن بقيت خلافتهم في ديار العرب، والمراد بالمرّة الثالثة هو **غلبة العثمانيين** على بلاد العرب، **والتيموريين** على بلاد فارس، حتى أصبحت رئاسة قريش كأن لم تكن شيئاً، واستؤصلت بأصلها.

• وعن **معاوية** قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لتظهرنّ التركُ على العرب حتى تلحقَها بمنابتِ الشيح والقَيْصوم**»[2]، عزاه في «الخصائص» إلى أبي يعلى.

• ثم أخبر بعد ذلك بخلافة المهدي، وخروج الدجّال، ونزول عيسى، وظهور يأجوج ومأجوج إلى ما ذكر، وشرحه يطول.

• وكما أنه ﷺ أخبر بأحوال الملوك والخلفاء، كذلك أخبر بتفرّق أمته قال: أصل الاختلاف ومنشؤه نوع من اختلاف الخوارج، ووقعت

---

(١) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (١٠/ ٩٣) واللفظ له، «مسند أحمد» برقم: (٢٢٩٥١).
(٢) «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٣٠١).

هذه الحادثة لأن الخوارج حينما تشتّت شملهم بسعي المرتضى دخل مذهبهم في ثلاثة أقوام: من المعتزلة، وأصحاب الرأي، والغلاة من المتصوّفة، وقال: إن الناس يكونون في شأن المرتضى بين الإفراط والتفريط في علي المرتضى، وهذا الاختلاف سبب لانتشار المذاهب الباطلة وهكذا كان؛ إذ إن الإمامية والزيدية والإسماعيلية تولدت منهم، واستطار شرّهم، وامتدّت عروقهم الخفيّة إلى جميع الطوائف من المسلمين إلا ما شاء الله.

• وأخبر ﷺ بأئمة أهل السُّنَّة، فقال: «**يوشِكُ الناسُ أن يضربوا أكبادَ الإبل فلا يجدونَ عالماً أعلمَ مِنْ عالمِ المدينة**»[1]، قال سفيان: نرى هذا العالم مالك بن أنس. رواه الحاكم وصحَّحه[2].

• عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لا تسبُّوا قريشاً فإنَّ عالِمُها يملأُ الأرضَ علماً**»[3]، قال: الإمام أحمد وغيره: هذا العالم هو الشافعي؛ لأنه لم ينتشر في طباق الأرض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي، معزو إلى البيهقي في «كتاب المعرفة».

• وأخبر بظهور كبار العلماء من فارس، فكبار **المحدّثين** من أمثال البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي وغيرهم كلُّهم من أبناء فارس.

ومن **الفقهاء** أبو الطيب، والشيخ أبو حامد، والشيخ أبو إسحاق

(١) انظر: «موطأ مالك» (١/ ٢٨).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين»، للحاكم (١/ ١٦٨) برقم: (٣٠٨).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ١٢٠).

الشيرازي، والجويني إمام الحرمين، والإمام الغزالي، وغيرهم من أبناء فارس، بل الإمام أبو حنيفة وأصحابه في ما وراء النهر وخراسان من أهل فارس أيضاً، وهم في زمرة الداخلين في هذه البشارة.

• وأخبر بظهور مجدّد على رأس كل قرن، وهكذا كان، فقد ظهر على رأس كل قرن مجدّدٌ قام بإحياء الدين من جديد، فعلى رأس المائة الأولى **عمر بن عبد العزيز** الذي قضى على جور الملوك، وأرسى قواعد الأعراف الصالحة.

وعلى رأس المائة الثانية [**الشافعي** الذي] قام بتأسيس الأصول وتفريع الفروع في الفقه.

وطلع **أبو الحسن الأشعري** على رأس المائة الثالثة فقام بإحكام قواعد أهل السُّنَّة، وقام بالجدل مع المبتدعين.

وعلى رأس المائة الرابعة **الحاكم والبيهقي** وغيرهما ممن قاموا بإحكام علم الحديث، وقام أبو حامد الإسفراييني وغيره من العلماء بتفريعات فقهية.

وعلى رأس المائة الخامسة **الإمام الغزالي** الذي اخترع طريقاً جديدةً وجمع بين الفقه والتصوّف والكلام، وخلط بعضها ببعض، ورفع النزاع القائم بين هذه الفنون.

وعلى رأس المائة السادسة **الإمام الرازي** الذي قام بنشر علم الكلام، **والإمام النووي** الذي أحكم علم الفقه، وهكذا على رأس كل مائة يظهر مجدِّد.

وبالجملة فإنّ الغرض من هذه الأحاديث لعالم متفطن هو أن يدركَ ـ من فحوى هذه الأحاديث ـ تعلّق الرضا ببعض الوقائع، والسخط ببعض، وألَّا يحمل هذه الأحاديث على مجرّد قصّة وخبر.

والعجب من الذي يلاحظ استدلال سيدنا عمر بحديث: «**كيف بكَ إذ تعدو بِكَ قلوصُكَ**»، على مشروعية إجلاء اليهود من جزيرة العرب، وعلى أنّ استبقاءهم في خيبر لم يكن على التأبيد، ثم يتوقّف ويتردّد في صحّة التمسّك بالأخبار الآتية ـ المذكورة بالمدح والثناء ـ على مشروعية تلك الوقائع وتقريرها، فإنه العجب العجاب عند أولي الألباب.

• عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄... قَامَ عُمَرُ خَطِيباً فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ: **نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللهُ**،... وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحُقَيْقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَعَامَلَنَا عَلَى الأَمْوَالِ، وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا.

فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ، لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ**».

فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ.

قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ! فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ، وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ مَالاً وَإِبِلاً وَعُرُوضاً، مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، **رواه البخاري**[(١)].

والدليل الثاني: أنّ الذي قرأ كتاب فضائل الصحابة من الأصول وتتبّع فن معرفة الصحابة علم علماً جازماً بأنّ النبي ﷺ قال في حقّ كل من خواصّ أصحابه ـ الذين لازموه وصاحبوه ـ كلماتٍ تدلّ على حاصل عمرهم وخلاصة حياتهم، ووردت هذه الوقائع بكثرة لا تعدّ، فإذا كان ﷺ قال بعض الأقوال في شأن كلٍّ من أصحابه، فكيف لا يقول في شأن

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٢٧٣٠).

كبار أصحابه الذين كانوا وزراءه ومستشاريه في حياته، وتحمّلوا أعباء خلافته من بعده.

ثم اعلم أن خلافتهم لا تخرج من حالتين: إما هي خير، وإمَّا هي شرّ، فإن كانت خيراً فهي أفضل الخيرات، ذلك لأن: «**مَنْ سنّ سُنَّةً حسنةً في الإسلام كان له أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها**»[1]، وحصل لهم مثل أجور جميع المجاهدين، وجميع الذين اهتدوا بسعيهم، وإن كانت شرّاً فهي أخبث الشرور، ذلك لأنّهم قلبوا الدين المحمدي ظهراً لبطنٍ، وأخافوا الإمام المعصوم.

على كل حال فإن النبيَّ ﷺ عُني ببيان الأمور الجزئية لأصحابه التي اتصفوا بها من بعده ﷺ، فكيف لا يُعنى ببيان أمر عظيم خيراً كان أو شرّاً، فلو كان خيراً لكان من مقتضيات لطف الله ورأفة النبي ﷺ أن يُطلِع الناسَ على خيريته، ليعرفه الناسُ ويعدّوه خيراً، ويهتمّوا به.

ولو كان شراً فاللطف الإلـٰهي ورأفة النبي ﷺ يقتضيان أن يُطلِعَ الناس على شرِّهِ ليعرفه الناس، ويعدّوه شرّاً، وتقوم حجّة الله عليهم، وإن كان النوع الثاني ـ أي: الشر ـ فهو يهمّهم أيضاً لأنه يتعلّق بأمر الخلافة وهو نوع من التعيينِ للخلفاء، كأن يقال: لا يستحقّ الخلافة فلان وفلان، والمستحقّ فلان.

بالجملة: فإن استقراء سيرة النبي ﷺ في صدد تكلُّمه في أحوال أصحابه يدلّ ـ صراحةً ـ على بيانه ﷺ الخلفاء، وتعيينهم بأتمّ وجه.

ونتناول هذه النكتة بشيء من التفصيل:

ليُعلَم أنّ النبيَّ ﷺ كان ترجمان الغيب، فما قال به في مناقب

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٠١٧).

الصحابة وفضائلهم وقع في عاقبة أمره كما قال، فمثلاً قال في شأن أُبي بن كعب: سيّد القراء، وقال: «**أمرني اللهُ أنْ أعلّمك سورةً** ﴿لَمْ يَكُنِ﴾»، قال أُبي: أوسمَّاني الله، قال: «**نعم**»، فذرفت عينا أُبيّ[١]، والسرّ في تخصيص سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ أنه ذكر في هذه السورة تلاوة النبي ﷺ للقرآن الكريم وثناء الله على اشتغاله بهذ الأمر الجليل بها، وقامت الحجّة على أهل الكتاب، ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البيّنة]، والله أعلم.

هل تعرف ما هي الحكمة في تخصيص أُبيّ؟

هي: أن تنتهي سلسلة قرّاء هذه الأمة إلى النبي ﷺ بواسطته بمشيئة الله وقدره.

ولماذا قال في شأن عبد الله بن مسعود: «**ما أمركم ابنُ أمِّ عبدٍ فخذوه، وما أقرأكم فاقرؤوه**»[٢]؟ ذلك لأنّه كان مقدراً أن تتوصّل سلسلة الفقه والقراءة لجمٍّ غفيرٍ من الأمة إلى النبي ﷺ بواسطته، ولماذا قال في شأن خالد بن الوليد: «**سيف من سيوف الله**»[٣]؟ ذلك لأن فتوحاً كثيرة كَتَبَ اللهُ على يده، ولماذا قال في حقِّ سعدٍ: «**عسَىٰ أن تَبْقَىٰ حتى تنتفعَ بكَ أقوامٌ ويضرُّ بك آخرون**»[٤]؟ ذلك لأن فتح العراق سيقع على يده، وكونه والياً عليها، ولماذا قال في حق أبي عبيدة: «**أمين هذه الأمة**

---

(١) أخرجه النسائي في «سننه الكبرى» (٨/٥) برقم: (٧٩٩٩) بلفظ: عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لأُبي: «إن ربي أمرني أن أعرض عليك القرآن» قال: أو سمَّاني لك، قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فبكى أبي.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٨١٢).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٧٥٧).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (١٢٩٥)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٦٢٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٦٨/١١) برقم: (٤٥٤٠) واللفظ له.

أبو عبيدة»[١]؟ ذلك لأن معاملة الحلّ والعقد في أهل الشام كان واقعاً في يده، وقال في حقّ عمرو بن العاص: «**نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجلِ الصالحِ**»[٢]، ذلك لأن ولاية مصر كانت منصرفةً إليه نهايةَ الأمر، ولماذا قال في شأن معاوية: «**إنْ وليت أمرَ الناسِ فأحسنْ إليهم**»؟ ذلك لأن الخلافة ستصل إلى يده في آخر الأمر، ودعا لابن عباس: «**اللَّهُمَّ علِّمه الكتابَ**»[٣]، ذلك لأن تفسيرَ القرآن كان مقدر النشر والإشاعة بيده، وقال في حقّ أنس: «**اللَّهُمَّ أكثرْ مالَه وولدَه**»[٤]، فظهر الأمرُ وفق ما قال ﷺ، وقال في حقِّ أبي ذر: «**شبه عيسى في الزهد**»[٥]، ذلك لأنّ هذه الصفة كانت فيه كاملةً، وألقى حُثياتِ العلمِ في ثوب أبي هريرة، ذلك لأنه ﷺ قد شاهد كثرة رواية الحديث في حظّه، ولماذا قال في حقّ الشيخين: «**اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر وعمر**»، ذلك لأن خلافتهما كانت مقدّرة.

والدليل الثالث: إن كلَّ من تتبَّع فنّ المغازي يعرف جيداً أنّ النبي ﷺ كلَّما خرج من المدينة المنورة لغزوة أمّر شخصاً على المدينة، ولم يترك أمر المسلمين هملاً قط، فإن كانت عادته هكذا فكيف يتصور منه إهمال أمور المسلمين قرب وفاته؟! وإذا تأمّلتَ في رأفة النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧٩١).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٩١) برقم: (١٢٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦/ ١٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٣٣٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٤٨٠).

(٥) أخرجه المحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٣٣)، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أظلّتِ الخضراءُ، ولا أقلّت الغبراء، أصدقَ لهجةً من أبي ذر، مَنْ سرّه أن ينظرَ على مثل عيسى في الزهدِ فلينظرْ إليه**».

رأيتَ أنه لا يتركُ أمته فوضى بغير نظام، ولو أنه ترك مكاناً شاغراً بعد ما بذل سعياً بليغاً في تربية الناس ﷺ وإصلاحهم لكان محال، وفيه خُلْفٌ وتناقض، وإن نظرت في سيرته العليّة في نصب الحكام والقضاة وتفويض كل أمر إلى أهله استبعدت انتقاله من الدنيا بغير استخلاف.

ثم بعد استقراء أكثر الأفراد والأحوال، والحكم بموجبه على الأفراد والأحوال الباقية يعدّ من الأدلّة الخطابية في معرفة الأحكام فينبغي الاكتفاء به، وقصص نصب النوّاب عند الخروج في الغزوات كثيرةٌ واضحةٌ إلى حدٍّ لا تمسّ فيه الحاجة إلى نقل بعضها في هذا المكان.

والدليل الرابع: إذا تتبّعت الشريعةَ التي جاء بها النبيُّ ﷺ لدفع مفاسد العالم، وإصلاح بني آدم، رأيتَ ـ بدون شكٍّ ـ أنّ النبيَّ ﷺ عُني ببيان القُرُباتِ التي تخرِجُ أفراد بني آدم من حضيض البهيمية إلى أوج الملكية، وعُني كذلك بشرح كلّ ما تمسُّ الحاجةُ إليه من آداب المعيشة والمكاسب والمعاملات وتدبير المنازل وسياسة المدن، ونهى عن كل المنكرات فيها، وحذّر عن عواقبها الوخيمة، ومروراً بكل ذلك بيَّن الحسنات، ونبّه إلى سدّ ذرائع المفاسد ودواعي الإثم على أتمّ وجه.

والحاصل: أنه ﷺ بيَّن كلَّ شيء، وفصَّل في بيان الأركان والشروط والآداب، وهل يجوّز العقلُ لمثل هذا الحكيم الفَطِن الرؤوف الرحيم أن يعرض أمته للتهلكة، من غير تدبير لتخلّصها منها، وأن يتوجّه إلى الشام لغزوة تبوك، ويثير غيظ الروم، ويُلحق بهم الخوف والرعب، ويكتب إلى كسرى كتاباً يضرِمُ نار الغيرة والغضب في دماغه، فيرسل رسولاً منه بغاية من الرعونة والكبر إليه يتصدَّى للنيل منه ﷺ، ويظهر المتنبآن مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي في جزيرة العرب، ويقوم بعضُ ضعاف الإسلام بنشر الكفر وإشاعته، وتكون سور القرآن بأيدي

الناس متناثرةً متبعثرةً كالعصافير، هل يمتّ إلى حكمة هذا الحكيم الفطن ورأفة هذا الشفيق الرحيم بأي صلة أن يفارق العالَم بدون تدبير إصلاح العالم ومن غير تفويض أمته إلى نسق خليفة من بعده.

إن قلتَ: إنَّ جميع الأحكام لم تُبيَّن في الشرع، بل كثير من الأحكام أخذ من قياس المجتهدين، ونصب الخليفة من تلك الأحكام غير المبيّنة.

قلنا: كلُّ واقعة وقعت في زمن النبي ﷺ واطّلع عليها، لا بدَّ أن يكون ﷺ قد قام بإصلاحها، فإن كانت خيراً استبقاها، وإن كانت شراً نهى عنها، وإلا يلزم السكوتُ على المعصية، وذلك محالٌ ونقيضٌ للعصمة، وما كان قريباً وجوده وقريباً حصوله بيَّن ذلك لا محالة، اللَّهُمَّ إلا ما كان بعيد الوقوع، فلم يقم بإثارة الشبهات به، وذلك رحمة بعينها، وأما الأحكام المحوّلة إلى قياس المجتهدين، فإنها وقائع بعيدة الوقوع لا قريبة الوقوع، وما تكلَّمنا عنه هو من قبيل قريب الوقوع، بل الواقع الأقرب، من حيث يدرِكُ ويعرِفُ كلُّ عاقل وقوعَه غداً أو بعد غدٍ، وشتّان بين القبيلين، ثم أوكل المسائل والوقائع التي يستقل العقل بمعرفة عللها إلى قياس المجتهدين، لا ما هو تعبُّدي محض، وتعيين خليفة لا يُحدِث تغييراً ولا تعديلاً، ويكون سعيه مفيداً في المطالب المقصودة إنما هو من الأمور الموكولة إلى ترجمان الغيب ممّا لا مدخل للعقل فيه.

والدليل الخامس: إنّ غلبة الإسلام على سائر الأديان كانت مضمرةً في رسالة النبي ﷺ كما قال عزّ من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، كما روي عن النبي ﷺ بالتواتر أنّه بشّر بفتح فارس والروم في أول مبعثه بمكة، وفي أول قدومه بالمدينة، وعند وفاته، ولو أنه ﷺ لم

يؤهِّل الناس لأداء هذه الفريضة المحتومة، فكأنه لم يؤدِّ ما وجب عليه من أمور الدين، وحاشاه من ذلك، ذلك لأن فتوح فارس والروم ليست من الأمور التي يتيسّر وقوعُها بدون نصب الخليفة الراشد، ولا يكفي أن يَجْعَل خليفة من شاء وأيّاً كان؛ لأن كلّ واحد من الناس لا يكون كفؤاً لهذا الأمر، ولا يتميّز الكفؤ من غير الكفؤ، بل كلا النوعين من الناس يختلط بعضهم ببعض، وأما اختيار الموفَّق لذلك فيكون الأمر ميسّراً عليه، فذلك خارج عن طوق البشر، ومعلوم أن مقدمة الواجب واجبة، وكان النبي ﷺ اطلع على فتنة الردّة بنزول قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، وظهرت أوائل هذه الفتنة في زمن النبي ﷺ بظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، وكان معلوماً ـ بالقطع ـ أنّ هؤلاء المتنبِّئين والمرتدِّين لو تسلَّطوا وتغلَّبوا قطعوا دابر الإسلام، وشتّتوا شمله، واجتاحوا أصله، ولا يمكن دفعُ هذه الفتنة بدون نصب الخليفة الراشد، ولا بأن يتسلّم زمام الخلافة من شاء، بل يصلح لذلك شخصٌ عزيزُ القدرِ، رفيعُ الشأنِ، ممّن هيّأه الله ـ بالغيب ـ لهذا الأمر العظيم، ولا بدّ للنبي ﷺ من دفع الضرر، وأيُّ ضرر أكبر وأشدّ من الضرر الذي كان يستطير شرّه في أواخر حياة النبي ﷺ، وقول الله تعالى في شأن النبي ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] لا تتحقق حقيقته بدون تقريب الأمة إلى الخير، وإبعادها عن الشرّ.

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، إن تدبّرتَ هذه الآية تجلّى لك أنَّ قتال الكفار هجوماً كان أو دفاعاً لا يمكن بدون نصب الخليفة، ولا يتبوّأ هذا المنصبَ كل مَنْ يستعدّ للخلافة في وقت واحد، بل يمكن ذلك بنصب خليفة بعد آخر، وهذا الاختيار خارج عن قدرة العقول العامة، فلا بدّ من نبي يعينه وفق الحكم الغيبي، ويقضي على الفتنة الواقعة بين أهل الظواهر

في تعيين الخلافة، ويطفئ نار شغب القادحين ببعض المعايب العرفية والمثالب الرسمية بالماء المصفى من المعارف الربانية.

وإن درستَ تاريخ الملوك، وأمعنت النظر فيه، رأيت الناس مضطربين، مضطرّين في مثل هذه الأوضاع والأحوال إلى نصب ملك عزيز الوجود، وتمسّكوا في تعيين هذا الملك بالنجوم مرّةً، وبالرؤيا والاستخارة مرةً أخرى، وبفراسة حكيم يعتمدون على كهانته ثالثةً، ولا يمكن إحصاء جزئيات هذه القصص، ويكفيك أن تتذكرّ قصة مشورة «زال داستان» في كتاب «شاهنامه» للفردوسي بعد مقتل «نوذر»، وأن تنظر في قوله في البيت الفارسي:

نه زيبد بهر بهلوي تاج وتخت بيايد يكے شاه فرخندهء بخت

كـه بـاشـد بـرو فـرّهء ايـزدي بـتـابـد زگـفـتـار او بـخـروي

معناه: لا يليقُ العرشُ والتاجُ بكلِّ فارسي، بل يجدر بهما ملكٌ عظيمُ البختِ، كبيرُ الحظّ، تحيطُ به هالةٌ من الهيبة والرهبة من الله، ويتلألأ نور العقل من كلامه، ويكفيك أن تنظر في اتفاق «برزو» و«طهماسب» نهاية الأمر، وقصة ضعف مملكة كاؤوس عند شيخوخته، ورؤية «كودرز» في المنام أن صلاح حكومة فارس يتحقّق في عهد كيخسرو، وإرسال «كاوه» في طلب كيخسرو من أقصى «توران».

وهنا نكتة إن تدبرّتها انحلت لك جلّ المعضلات، وهي أن سُنَّة الله تجري في الكون على أن معظم الخلق إذا ابتلي بشدة ومحنة يرسل الله الذي هو مدبِّر السماوات والأرض إلهاماً وتقريباً ليكون صلاح العالم بهذا التدبير الإلـٰهي، وترتفع الشدَّة، وتزول المحنة، ويتفرَّع من هذا الأصل بعث الرسل، ونصب المجدّدين على رأس كل مائة سنة، وأشياء أخرى كثيرة.

والسرّ الذي اقتضى بعثة النبي ﷺ عند غلبة الكفر في الآفاق كما جاء في الحديث القدسي: «**إنَّ الله نظَرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقَتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهلِ الكتابِ وإنِّي أردتُ أن أبتليَك بهم وأبتليهم بكَ...**» الحديث، اكتشف عن وجهه الستار مرةً ثانيةً عند انتقال النبي ﷺ من العالم الأدنى إلى العالم الأعلى، وقد اجتمعت الأسباب لوقوع الخلل في الدين، ولم يظهر الدين على الوجه المطلوب بعدُ، وقام بتعيين خليفة بعد خليفة، حتّى تمّت مشيئةُ الله، وتحقَّق موعوده، وكما أنَّ معرفة شخص يصلح لتحمُّل أعباء النبوة خارجةٌ عن علوم البشر، ولذلك قال الجاهلون: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف]، كذلك أن يعرف شخصٌ مَنْ يتحمّل أعباء الخلافة، ويتم به مراد الحق خارجةٌ عن مقدور البشر، كلُّ ذلك من تدبيرات الغيب، ولا بدَّ أن يشير النبي إلى هذا الشخص المعيَّن، ولو افترضنا أن يترك بعض أنواع التعيين فلا يكون ذلك إلا من جهة الاستناد إلى تكفّل الله تعالى، إذ إنّ الله يأبى والمؤمنون إلا أبا بكر، ويعتبر أهل الظاهر معنى الخلافة عبارةً عن تولِّي شخص الحكومة والسيادة على بني نوعه فحسب، ويكرهون هذا المعنى، ويحسدون على هذه التولية، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢]، ولكن الذين يعرفون حقيقة تدبير الغيب، يرون ذلك سبباً لإصلاح العالم وإنجاز موعود الله تبارك وتعالى، ويعدّونه من نعم الله العظيمة:

حكمت محض است اگر لطف جهان آفرين
خاص كند بندهء مصلحت عام را(١)

المقدمة الثانية: هي أن النبيَّ ﷺ لو أنّه نصَّ على خلافة أحد فهو

(١) من حكمة الله أن يختار شخصاً لمصلحةِ العامّة بلطفه.

أبو بكر الصدِّيق لا غير، ثم عمر من بعده، ثم عثمان من بعده، ودليل ذلك أنه قد ثبت بالتواتر أنَّ الصدِّيق والفاروق وذا النورين كانوا ملوك الأرض، وحكموا البلاد، وسادوا العباد، وعاملهم الناس معاملة الرعية مع الخليفة، ونادوهم بلفظ: يا خليفة رسول الله، أو يا أمير المؤمنين، ويعرِفُ هذا القدرَ كلُّ مؤيّد ومعارض، فثبت لهم جزء من الخلافة وهو السيادة والحكومة دون غيرهم، فانتفى اسم الخلافة عن غيرهم طبعاً.

ومدار كلام أهل السُّنَّة والشيعة ينحصر في أنَّ هؤلاء هل كانوا في هذه السيادة والخلافة مطيعين أم عصاةً؟ وهل نصّ الشارع على خلافتهم أم على خلافة غيرهم، أم لم ينصّ على خلافة أحد؟

قلنا: إن كان نصّ الشارع على هؤلاء المشايخ الثلاثة، وأصبحوا خلفاء وفق النص فيها، وإن كان على غيرهم وتسلّط هؤلاء المشايخ الثلاثة على الخلافة ظلماً بالقوة وعصوا الله، يستلزم ذلك مفاسد كثيرة من التدليس في كلام الله سبحانه وكلام أفضل الأنبياء عليه أفضل صلوات الله وسلامه، وتكذيب المتواترات المروية عن الصادق المصدوق، وإجماع الأمة المسلمة على الضلالة، وارتفاع الأمن من أحكام الشرع، وعدم قيام الحجّة على التكليف بشيء من أحكام الدين، ومخالفة العقل الصريح، ووقوع التناقض في مقصود الشارع.

وأمّا لزوم التدليس في كلام الربّ تبارك وتعالى على تقدير معصيته الخلفاء، فهو من حيث ورود البشارة في القرآن العظيم بالجنَّة وورود المدح والثناء والإخبار برضا الله بأهل بيعة الشجرة والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح]، والشيخان من جملة

هؤلاء الذين وردت فيهم هذه البشارة، فإن كانا غاصبين وجائرين استلزم ذلك تدليساً عظيماً، والله ﷻ منزّه من كل تدليس، وأما غيرهما من الصحابة الذين بايعوهما فلا يخرجون من حالتين: إما أن يكونوا قد أعانوهما على غصب الخلافة أو سكتوا، فإن كانوا قد أعانوهما صاروا كلهم ظالمين وفاسقين، إذ إن إعانة الظالم ظلم، قال الله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وإن سكتوا كان السكوت لأجل الخوف أو لغير ذلك، لو كان بغير الخوف كانوا جميعاً عصاةً، وإن كان لأجل الخوف، فهل عمَّ الخوف جميع المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان، أو أكثرهم أو أقلّهم؟ ولو عمّ الخوف الجميعَ أو أكثرهم كانت هذه المقدمة باطلة بالبداهة؛ إذ إن المهاجرين أو أكثرهم لو عزموا على صرف الخلافة عن الشيخين لم يتحقَّق استخلافهم قط، ولم يكن أعوان الشيخين وأصحابهم من غير المهاجرين والأنصار، ولو كان قد لحق بأقلِّهم، كان أكثرهم عصاةً لأجل إخافتهم، وكانت هذه البشارات الإلـٰهية بصيغة الجمع مجرَّد هزل.

ومع ذلك لو كان الصدِّيق في خلافته جائراً وغاصباً لما نزلت في شأنه آيات دالة على كمال المدح والثناء عليه، ومبشِّرة بدخوله في الجنة، ولكن آيات كثيرة نزلت في القرآن بهذا المعنى، فثبت بهذا أن خلافته حق.

وأما ملازمة التدليس فهو من جهة المدح والثناء على شخص يكون مبدأ فساد شامل عريض أيضاً، إذ إن ذلك تدليس والله منزه من التدليس، والبشارة لمن يرتكب الكبيرة ويموت بدون التوبة قليل الوقوع عند الأشاعرة، وممتنع الوقوع عند المعتزلة.

وعلى كل حال فإنّ التنويه بأمره، والإشادة بشأنه، بدون بيان الأمر

الواقع تلبيسٌ عظيم، ومع ذلك لا يكون هناك أي معنى لمدح وثناء على رجل قد صدرت منه الأفعال الشنيعة إلى آخر عمره، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأمّا بطلان لزوم التدليس فهو من جهة أن جمعاً كبيراً من المفسِّرين ذكروا في كثير من الآيات أنها نزلت في شأن أبي بكر الصدِّيق، ولهذه الروايات طرق عديدة كثيرة بحيث يفيد مجموعها الجزم واليقين، ويتأكّد دخول أبي بكر الصدِّيق فيها بالقطع لورودها في حقِّه، وفي بعض الآيات قرائن كثيرة لكون الصدِّيق سبباً لنزولها علاوةً على روايات السلف.

أولاً: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وصاحبه ﷺ في الغار ليس غير الصدّيق عند المؤيد والمعارض.

ثانياً: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور] فيها إشارة إلى الصدِّيق رضي الله عنه اتفاقاً.

ثالثاً: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، قال الواحدي: قال الكلبي في رواية محمد بن الفضل: نزلت في أبي بكر[1]، تدلّ على أنه كان أول من أنفق المال على رسول الله ﷺ، وأول من قاتل على الإسلام[2].

وقال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر،

(١) أخرجه الرازي في «تفسيره» (١٥/ ٢١٧).
(٢) أخرجه القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٣).

وقد شهد له النبي ﷺ بإنفاق ماله قبل الفتح في أحاديث كثيرة.

رابعاً: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، قال الواحدي: قال عطاء عن ابن عباس يريد أنّ أبا بكر وعمر يوليان النبي ﷺ على من عاداه وينصرانه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «**صالح المؤمنين أبو بكر وعمر**»(١).

خامساً: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف]، قال الواحدي: قال مقاتل وعطاء الكلبي عن **ابن عباس**: هذه الآية نازلةٌ في الصدِّيق رضي الله عنه وكان حمله وفصاله هذا القدر، ويدلّ على صحة هذا، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ إلى آخر الآية [الأحقاف: ١٥].

وقد علمنا أنّ كثيراً من الناس ممن بلغ هذا المبلغ لم يكن منه هذا القول، وهو ما ذكر الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فدلّ أنه نزل في إنسان بعينه، وهو أبو بكر رضي الله عنه، ومعنى قوله: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾، قال عطاء: ثماني عشرة سنة، وذلك أنه صحب النبي ﷺ ـ وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة ـ في تجارته إلى الشام، فكان لا يفارقه في أسفاره وحضوره، فلمّا بلغ أربعين سنة ونُبِّئَ رسولُ اللهِ ﷺ دعا ربه فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ عليَّ بالهداية والإيمان حتى لا أشرك بك ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: ١٩]

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٥٧).

أبي قحافة عثمان بن عمرو، وأم الخير بنت صخر بن عمر.

وقال علي بن أبي طالب في هذه الآية: في أبي بكر أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾.

قال ابن عباس: أجابه الله تعالى، فأعتق تسعةً من المؤمنين يعذَّبون في الله، ولم يرد سبباً من الخير إلا أعانه الله سبحانه، واستجاب له في ذرّيته، إذ قال: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] ولم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده.

سادساً: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] محمد ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أبو بكر وأصحابه، وهم المؤمنون الذين صدّقوا محمّداً ﷺ بما جاء به من الإسلام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

سابعاً: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] قال في «الكشاف»: «قيل: نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه حين تصدَّق بأربعين ألف دينار عشرةً بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرةً في السر، وعشرة في العلانية»[(١)].

ويقول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الليل]، قد اتفق المفسِّرون على أنّ المراد من «الأتقى» هو أبو بكر الصدّيق، لتصدّقه بأربعين ألف دينار في الإسلام، والآية مكية باتفاق المفسِّرين، ولم ينفق في مكةَ أحدٌ إلّا أبا بكر الصدّيق بهذا الطريق.

وهناك وجوه كثيرة تدلّ على أنّ علياً المرتضى لم يكن موردَ الآية، إذ إن المرتضى كان صغيراً يعيش في كفالة النبي ﷺ، ولا يملك مالاً

(١) «الكشاف» (١/ ٢٤٣).

حتى ينفقَ منه، وكان له ﷺ منة التربية على المرتضى، فلا يكونُ مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ [الليل]، بخلاف أبي بكر الصدِّيق، فإنَّ النبيَّ ﷺ كانت له منة عليه من جهة تعليم الإسلام لا غير، وليس لهذه المنة من جزاء كما قال الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء]، وحين ثبت أن المراد منه هو الصدّيق عُلم أنَّ عاقبته حسنة محمودة، لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل]، والأتقى والمرضي من عند الله أكرم في كل حال، والأكرم أفضل الأمة وأفضل الأمة أحقّ الناس بالخلافة.

فإن قيل: المراد هنا جنس الأتقى.

قلنا: إنَّ دخول مورد النصّ في عموم الآية قطعيٌّ، وقلنا أيضاً على تقدير التنزّل: إنَّ الصدّيق قد حصلت له الخلافة بالفعل بالاتفاق، فانحصر التحقيق في: هل كانت هذه الخلافة حقاً أم لا؟ وقد ثبت بشهادة قصص كثيرة أنّ أبا بكر الصدّيق كان متّصفاً بهذه الصفات، فصدقت البشارة عليه وانطبقت، وينبغي أن تكون عاقبته محمودةً حسنةً، وألّا يكون الخليفةُ غاصباً جائراً في الخلافة.

ويلزم التدليس أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١]، نزلت كلتا الآيتين في واقعة واحدة، تقيِّد إحداهما إطلاق الأخرى، وما يحصل من كلتيهما هو استخلاف المهاجرين الأولين، ومدح خلافتهم، وبيان أن التمكين في الأرض إذا جاء في نصيبهم لا بدَّ أن ينضمّ إليه جزء آخر مما يصبح به خلافةً راشدةً، وقد تقدّم تقرير هذه المباحث.

ويلزم التدليس أيضاً في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ

سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح]، قال الواحدي[1]: أكثرُ المفسِّرين على أنّ هؤلاء بنو حنيفة أتباع مسيلمة، قال رافع بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية، ولا نعلم مَنْ هم؟ حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم[2].

قال ابن جريج: سيدعوكم عمر إلى قتال فارس ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، أو يكون منهم الإسلام ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ [الفتح: ١٦]، أبا بكر وعمر ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦]؛ يعني: الجنة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ [الفتح: ١٦]، تعرضوا عن طاعتهما، ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ [الفتح: ١٦]، أعرضتم عن طاعة محمد ﷺ في المسير إلى حديبية، ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الفتح: ١٦]، في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح]، والآية تدلّ على خلافة الشيخين، فإنَّ الله تعالى وعد على طاعتهم الجنة، وعلى مخالفتهما العذاب الأليم. انتهى.

لقد وَعَدَ الله أنَّ داعياً يظهر في المستقبل، ويدعو الأعراب إلى قتال الكفار، وتكون دعوته مناط وجوب القبولِ لدعوته، فإذا قبلوها نالوا الأجر والثواب، وإذا رفضوها استحقّوا العذاب والعقاب، وهذا لازمٌ من لوازم الخلافة الراشدة، والدعوة إلى الجهاد من أشهر وأعظم صفات الخليفة، ولا يخلو ذلك من أن يكونَ هذا الداعي هو النبيّ ﷺ نفسه، أو الخلفاء الثلاثة، أو المرتضى، أو بني أمية، أو بني العباس، ولم يكن النبيُّ ﷺ هذا الداعي بالقطع، إذ إن الله تعالى يقول: ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا

---

(١) لفظ الواحدي في «تفسيره» هكذا: وقيل: بنو حنيفة أصحاب اليمامة، انظر: «الوجيز»، للواحدي (١/ ٩١٨).

(٢) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٣).

وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، نزلت هذه الآية في قصّة الحديبية وغزوات النبي ﷺ بعد الحديبية محصورة، ومعلوم أنه بعد ذلك خرج لغزوة خيبر، ولم يدْعُ أحداً من الأعراب فيها، وخرج لغزوة «فتح مكة» و«حنين»، ولم يكن ذلك بقتال لقوم أولي بأس شديد؛ لأنَّ هذه الكلمة تدلّ على مغايرة هؤلاء القوم للقوم الأوائل وهم قريش ومن جاورهم، ويظهر من ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أن يكونوا أشدّ بأساً وقوّةً من قريش، ولا يوجد هذا المعنى في غير الروم والفرس.

ولا يكون هذا الداعي علياً المرتضى رضي الله عنه؛ لأن مقاتلاته كانت لطلب الخلافة، لا من جهة الإسلام ودعوته، وتدلّ آية: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ على أنَّ هذا الجهاد والقتال يكون دعوةً للكفار إلى الإسلام، ولم يدع بنو أمية وبنو العباس أعراب الحجاز لقتال الكفار، كما هو معلوم من التاريخ قطعاً، وكانت دعوةُ أبي بكر الصدِّيق لقتال أهل الشام والعراق، ودعوة عمر الفاروق ـ أيضاً ـ لقتال العراق والشام ومصر، ودعوة عثمان ذي النورين لقتال أهل خراسان وإفريقية والمغرب، كما هو مبسوط في التاريخ، فكانت دعوتهم واجبة الامتثال والانقياد، وهذا من صفات الخليفة الحقّ، ولمَّا تبيّنت أحقّيتهم في دعوة الجهاد للروم والفرس تبيّن أنها واجبةُ الامتثال في جميع الأحكام؛ لأن المسلمين مجمعون على أمرين، **أحدهما**: أنّ طائفة منهم تقوم بإثبات وجوب الطاعة لهم في جميع الأحكام، **والثاني**: أن طائفة أخرى تقوم بنفي وجوبه في جميع الأحكام، فلمّا بطل الثاني تعيَّن الأول.

ويلزم التدليس أيضاً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

وهذه الآية تدلّ على أن جماعة المحبوبين الكاملين المرضيِّين سوف يقاتلون المرتدّين، ولم يقع هذا الأمر في عهد النبي ﷺ؛ لأن الأسود العنسي لم يخرج بعدُ، ولم يرسل النبي ﷺ الجيش إليه، ولم يقع في عهد علي المرتضى رضي الله عنه؛ لأن قتاله وقع مع البغاة والخوارج لا مع المرتدّين، ولم يقاتل خلفاء من بني أمية وبني العباس المرتدِّين بطريق إرسال الجيش إليهم للغزو والجهاد، والأمر المفهوم من فحوى الآية هو جمع الرجال ونصب القتال، فتعيّن أنَّ الذين وصفت أحوالهم في الآية هم أبو بكر الصدّيق وعمر الفاروق وجيوشهما، ويُنسب القتال في العرف العام إلى الخليفة وإن لم يشهد بنفسه المعركة، ولو لم يكن الصدّيق والفاروق لما كانت الجماعة الذين قاتلوا بأمرهم وبايعوا ورضوا باستخلافهم محبوبين ومحبِّين، مع أنَّ هذه الآية تدلّ على أنَّ هذه الجماعة جماعة المحبِّين والمحبوبين، وهم رحماء بالمؤمنين، وأشدّاء على الكفار، ومجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، وهذه كلّها من أوصاف الكمال، ثم قال الله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، وهذه الآية تدلّ على كمال الفضل، والتناهي في الثناء، فثبت بذلك أنَّ الشيخين مع أتباعهما كانا متصفَين في أيام خلافتهما بالصفات الكاملة، التي لا تفوقها صفة في الشريعة، وكانوا ممن مدحهم الله وشملهم الفضل الإلٰهي، وهذا من لوازم الاستخلاف الحقّ ودلائل أفضليتهما في الأمة.

وأمّا لزوم التدليس في كلام أفضل الأنبياء عليه الصلاة والسلام على تقدير أن تكون خلافة الشيخين، بل المشايخ الثلاثة جوراً فهو من جهة تبشير النبي ﷺ لهؤلاء المشايخ بالجنّة في أحاديث كثيرة رويت عن جماعة عظيمة في كل طبقة، وكل هذه الأحاديث ـ على كثرة طرقها وتشعّب أسانيدها ـ تدلُّ على معنىً واحد، وهو البشارة بالجنّة، وهذا المعنى ثابت قطعاً، لو كان هؤلاء فسّاقاً جائرين لما كانوا جديرين

بالبشارة، وكانت البشارةُ تدليساً، وقد ذُكِرَتْ بشارتهم في عشرة فصول مضى تقريرها سابقاً.

وأمَّا لزوم كذب المتواترات المروية عن الصادق المصدوق ﷺ فهو من جهة أن النبي ﷺ أثبت خلافة هؤلاء المشايخ في أحاديث كثيرة بالنصّ تارةً، وبالإشارة أخرى، وبالإجمال تارةً، وبالتفصيل أخرى، وهذه الأحاديث رغم أنَّ كلَّ واحد منها خبر الواحد، ولكن إذا لاحظناها جملةً كانت غير محصورة، متفقةً على معنى واحد، وهو صحة خلافتهم في أوقاتها.

وبيان هذا الإجمال أنَّ النبيَّ ﷺ ذكر رؤيا القليب ثم قال: «**لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر**»، والمراد بذلك: باللذين يقومان من بعدي في مقامي ذلك؛ لأنَّ الصلة تكون مخصِّصة ومعيِّنة للموصول، ولا يكون وجودهما بغير القيام مقام النبي ﷺ مخصصاً ومعيِّناً لهما، وينبغي للصلة أن تكون من الصفات التي يعرف بها المخاطِبونَ الموصولَ، فعلم بذلك: أنَّ المخاطبين كانوا قد سمعوا قصة رؤيا القليب وما أشبه ذلك.

والمراد بالاقتداء: هو الاقتداء في أمور الخلافة؛ لأنَّ تعليق «الاقتداء» بلفظ يُشعر بالخلافة إنّما هو إشارةٌ إلى أنَّ المراد بالاقتداء: هو اقتداءُ الرعية بالخليفة، وقد أسند في نفس الحديث تعليم القرآن وغير ذلك إلى الآخرين، فكان المرادُ بالاقتداء غير الفتوى والتعليم، وهو الاستخلاف وحده، فكان الحديث دالّاً على إيجاب انقياد القوم لهؤلاء من جهة الخلافة، وهذا هو المعنى لتشريع الاستخلافُ، وقال النبي ﷺ في خطبة الوداع التي ودَّع بها الأمة: «**عليكُم بسنّتي وسُنَّة الخلفاءِ الراشدينَ مِنْ بعدي، عضّوا عليها بالنواجذِ**»، وذلك بعد ذِكْرِ رؤى عديدة

ليدلّ على أن ولاة الأمر بعد رسول الله ﷺ هم الخلفاء الثلاثة، فكأنه ﷺ قال: عليكم بسنتي وسُنَّة أبي بكر وعمر وعثمان، فهذا القول يوجِبُ انقياد القوم لهم فيما يتعلّق بالخلافة وهو المطلوب.

وأخبر النبيُّ ﷺ في أحاديث مستفيضة أنّها تكونُ خلافةُ نبوّةٍ، وخلافةُ رحمةٍ من بعد وفاته، ثم يكون ملكٌ عضوضٌ، وكل ما وقع عقبِ وفاة النبي ﷺ متصلاً هو خلافة الخلفاء الأربعة، فكانت خلافتُهم خلافةَ نبوّةٍ ورحمةٍ، ولولا أنَّ سيرة هؤلاء الخلفاء كانت شبيهةً بسيرة الأنبياء، أو كانوا قد اغتصبوا الخلافة ظلماً لما كانت خلافةَ نبوّةٍ ورحمةٍ، وقد أخبر النبيُّ ﷺ في أحاديث مستفيضة أنَّ الخلافة ثلاثون سنةً[١]، وفسّره سفينة رضي الله عنه بخلافة الخلفاء الأربعة، والعقلُ يدلُّ على ذلك أيضاً؛ إذ إن مطلق الرئاسة لا تنتهي مدته بثلاثين سنة، فكان هؤلاء الخلفاء متّصفين بخلافة غير «ملك عضوض» وكانت هذه الخلافةُ جديرةً بالمدح والثناء والخلافة التي تحصل بالغصب والجور لا تُمدح.

ولقد ورد في أحاديث مستفيضة أنَّ النبيَّ ﷺ رأى رؤيا القليب، ورأت جماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً أنواعاً من الرؤى، مثل الرؤيا التي فيها ذكر سبب واصل من السماء إلى الأرض، والتي ذكر فيها نوط بعضهم ببعض[٢]، والتي فيها ذكر شرب الماء بالترتيب، والتي فيها ذكر انقطاع السبب عند أخذ عثمان به، ثمّ وصله له رضي الله عنه، والتي فيها ذكر وزن الخلفاء بالترتيب، وما إلى ذلك، وكلُّ هذه الرؤى فسرت بالخلافة، وورد هذا التفسير في بعض الأحاديث صراحةً، وفي بعضها إشارةً، وسكت في بعضها الآخر عن ذلك، وليس ذلك إظهاراً للسخط، بل ابتهاجاً به ﷺ.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٨٢١). (٢) أخرجه أبو داود (ح: ٤٦٣٦).

فعلمنا بذلك أنَّ خلافة هؤلاء المشايخ لم تكن ظلماً وعدواناً، وقد فوّض النبي ﷺ في مرض وفاته إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصدِّيق، وما رضي بغيره، وهذا يدلُّ على استخلافه عقلاً ونقلاً.

• وأما **عقلاً**، فإنه من جهة أنَّ العادة قد جرت على أنَّ إجلاس ولي العهد على العرش عند الوفاة يدلّ على الاستخلاف، وأنَّ عقد اللواء يدلّ على التأمير، ومنح القلم والدواة يدلّ على منصب الوزارة، ولهذه الإشارات حكم العبارات، مثل الإشارة باليد والرأس مكان «لا» و«نعم»، وإمامة الصلاة إنما كانت منصبَ النبيِّ ﷺ وحده، وهي خيرُ مناصب الدين والدنيا، فكان تسليمُه ﷺ لهذا المنصب إلى أبي بكر الصدِّيق دليلاً على إقامته مقام الخلافة.

• وأما **نقلاً** فإنه من جهة أنّ جماعةً من الصحابة تمسّكوا بذلك عند عقد الخلافة، مثل عمر الفاروق، وعلي المرتضى، وأبي عبيدة، وابن مسعود، ولم يظهر ردٌّ وإنكار على هذا الاستدلال من أي من الحاضرين، وكأن الجميع صوّبوا هذا الاستدلال، وإذا رأى اليوم أحدٌ لقلّة فهمه خفاءً في دلالة هذا الفعل، فإنّه لم يكن في عصر الصحابة، ومثل هذه الإشارات تختلف دلالتها باختلاف العادات والعصور، وقال النبيُّ ﷺ لامرأةٍ: «**إنْ لم تجديني فأتي أبا بكرٍ**».

وهذا صريحٌ في أنَّ الخلافةَ تنصرِفُ إلى أبي بكر الصدِّيق من بعد النبي ﷺ؛ لأن التصرُّف في بيت المال، وإنجاز مواعيد النبي ﷺ من خواصّ الخليفة.

وقال النبيُّ ﷺ: «**لا يُبقينَّ في المسجدِ خوخةٌ إلَّا خوخةُ أبي بكرٍ**»[1]،

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٠٤).

ويدلّ هذا الحديثُ على خلافة الصدِّيق، ونقل العلماء في هذه الدلالة وجهين:

الأول: قيل: لأن الخليفة يحتاج إلى الإكثار من دخول المسجد، لشدّة احتياجه إلى ملازمة المسجد، كي يصلِّي بهم، ويأمرهم وينهاهم، ويقضي لهم، وكان الناسُ في الزمن الأول لا يقضون إلا في المسجد.

والثاني: قيل: لأنه إشارة إلى سدّ رغبات الناس في الخلافة.

وقالت عائشة الصدِّيقة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ في مرض وفاته: «**لقد هممتُ أن أدعوَ أباكِ وأخاكِ**»[1] الحديث، وهذا الحديثُ صريحٌ في أنَّ المقصودَ عند النبي ﷺ هو استخلافُ أبي بكر الصدِّيقِ، وكان يكره أن يرغب فيه غيره، ولكنّه تركَ كتابةَ الخلافةِ باسمه، وأخذَ البيعةِ له توكّلاً على وعد الله تبارك وتعالى، وقال النبي ﷺ في جواب بني المصطلق أَنْ تؤدَّى الزكاةُ إلى أبي بكر من بعده ﷺ، وإلى عمر الفاروق من بعد الصدِّيق، وإلى عثمان من بعدِ الفاروق، وسكتَ عن القولِ بعد عثمان، وأخذ الصدقات من إحدى خواصّ الخلافة، والأمرُ بإيتاءِ الزكاة إنّما هو أمرٌ بالانقيادِ لهم في شؤون الخلافة.

وخطب النبيُّ ﷺ، وأمرَ بعد ذلك أبا بكر وعمر بإلقاء الخطبة بالترتيب، وهذا يدلّ على تحققّ خلافتهما حسب ترتيب الخطبة؛ إذ إن الخطبةَ إحدى لوازم الخلافة.

ووضع النبي ﷺ حجراً لمَّا بنى المسجد، وأمر أبا بكر وعمر وعثمان بوضع كلٍّ منهم حجراً على الترتيب، ثم قال: هؤلاء الخلفاء[2]، وهذا يدلّ على أن خلافتهم قد انعقدت وتحقّقت، والمسلمون مأمورون

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢١).

(٢) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٢/ ٤٣٦).

بالانقياد لهم من جهة الخلافة، والعجب من الذي يستدلّ بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٣]، على انتقال أملاكهم إلى الكفار، ولا يستدلّ بقوله ﷺ: «**هم الخلفاء**» على إيجاب الانقياد لهم في شؤون الخلافة، وكأن المسجد من شعائر الإسلام، وهو صورة الدين وأحد مظاهره، ووَضْعُ لبنةِ الأساس كناية عن القيام بأمر الدين، وأظهر الله هذه الصورة ليطلعَ الرسول ﷺ على حقيقة الأمر، كمثل ما اطلع ببروك الناقة ـ أي: في الحديبية ـ على أنَّ الصلحَ خيرٌ، والله أعلم.

وقد ورد في الركن الخامس في القسم الثاني من كتاب «شواهد النبوة» قصة رجل، وقد ثبت أنّ الشيخين رضي الله عنهما كانا أعلى منزلة عند الله تعالى من سائر الصحابة، فهما أحقّ بالخلافة.

أما المقدمة الأولى ـ أي: كون الشيخين أعلى رتبةً من سائر الصحابة ـ فهي ثابتةٌ بأحاديث مستفيضة، كما في حديث **علي وأنس** وغيرهما: «**هذانِ سيّدا كهولِ أهلِ الجنّةِ من الأولينَ والآخرينَ إلّا النبيينَ والمرسلينَ**»[(١)]، وكما في الحديث الذي فيه ذكر التجليّ الخاص لأبي بكر[(٢)]، وكما في الحديث الذي فيه ذكر المصافحة والمعانقة لعمر الفاروق[(٣)]، وكما في الحديث الذي فيه ذِكْرُ منزلةِ الشيخين فوق أهل الدرجات العلى[(٤)].

وأما المقدمة الثانية ـ أي: كون الشيخين أعلى رتبةً عند الله تعالى ـ فهي ثابتة من جهة أنّها من ضروريات الدين، وأنّ المقصود من العبادات

(١) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٦٢). (٢) انظر: «كنز العمال» رقم: (٣٢٦٣).
(٣) أخرجه ابن ماجه بلفظ: «**أول من يصافحه الحقُّ عمر**» (ح: ١١).
(٤) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٥٨).

والطاعات والرياضات الصوفية هو حصول المنزلة عند الله تعالى لا غير، ولا فضل للأنبياء على غيرهم ولا للأولياء على سواهم إلا من جهة منزلتهم عند الله، وكان الشيخانِ أحبَّ الناسِ إلى رسول الله ﷺ من سائر الصحابة، فكانا أحقّ الناس بالخلافة.

أما المقدمة الأولى ـ أي: كون الشيخين أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ ـ فهي ثابتةٌ في حديث مستفيض من حديث **عائشة**، قيل لها: أيُّ أصحابِ النبيِّ ﷺ كان أحبّ إليه، قالت: أبو بكر، ثم عمر[(١)].

وعن **عمرو بن العاص**، قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عائشة**»، قال: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها، ثم عمر**»[(٢)]، ورُوي عن أنس مثله[(٣)].

والمراد من «الحُبِّ» هنا: هو حُبُّ المقاربةِ في المنزلةِ بدليل قول عائشة: لو كان مستخلِفاً لاستخلفَ أبا بكر ثم عمر[(٤)].

والمقدمة الثانية: ـ كون الشيخين أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ لكونهما أحبّ الناس إلى الله تعالى ـ فهي من جهة أنَّ النبيَّ ﷺ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣**﴾ [النجم]، ولا يكون حُبُّه ـ خصوصاً ـ نابعاً عن الهوى من جهة الكمال، فتدلّ الأحبّية على الأفضلية، وكان الشيخان وزيرين له ﷺ، وشبّههما بالسمع والبصر، ومعلوم أنَّ أحذقَ الناس بأمر الملّة مَنْ كان عرف دقائق السياسة ولطائفها في عهد النبي ﷺ، ومن كان أعزّ

---

(١) انظر: «سنن النسائي الكبرى» (٥/ ٥٧) برقم: (٨٢٠١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٣٥٨).

(٣) أخرج ابن ماجه في «سننه» برقم: (١٠١) عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله! أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**»، قيل: من الرجال؟ قال: «**أبوها**».

(٤) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٣) برقم: (٤٤٦٤).

الناس وأحبّهم كان أحقّ الناس بالخلافة، وقد عامل النبيُّ ﷺ الشيخين معاملة الأمير لولي عهده، وهذه المعاملات إشارة إلى استخلافهما.

ومن جملة هذه المعاملات مشاورته ﷺ لهما في تبليغ الرسالة، وتقديمهما في جميع الأمور، وتبسّمه إليهما، وأمرُه بإمامة الصلاة في قصة بني عمرو بن عوف وما أشبه ذلك، وكان أبو بكر الصدِّيق وعمر الفاروق أتمَّ استعداداً للخلافة، وكانت خلافتُهما حقاً بالنظر إلى حديث حذيفة: «**إنْ تستخلفوا أبا بكر [تجدوه قوياً]**[(١)]...» إلخ.

وشهد النبي ﷺ لأبي بكر بأنّه أول من يدخل الجنّة، وبأنّه رفيقه ﷺ على الحوض، وينادى له من جميع أبواب الجنّة، وبأنّه أكثرُ الناسِ جهداً في أنواع البرّ، وكان جبرئيلُ مع أبي بكر بمعية ميكائيل في غزوة بدر، ومَنْ كان متّصفاً بهذه الصفات كان أقربَ الناسِ إليه ﷺ في المنزلةِ، ومن كان أقربَ الناسِ إلى النبي ﷺ كان أحقَّ الناس بالخلافة.

وأخبر النبيُّ ﷺ بوجود صلاحية النبوة في عمر الفاروق في قوته العلمية والعملية.

أما **العملية** فموضعها ما قال فيه: «**يفرُّ الشيطانُ منه...**»، و«رؤيا القميص»[(٢)] وما أشبه ذلك، وهذا شبيهٌ بالعصمة ورديفها.

وأما **العلمية** فموضعها ما قال فيه: «**الحقُّ ينطِقُ على لسانِ عمرَ**»[(٣)]، وقال: هو محدَّث الأمة، وقصّة رؤيا اللبن، وموافقة رأيه للوحي، وهذه الخصلة تلو الوحي ورديفه.

---

(١) انظر: «العلل المتناهية» (ح: ٤٠٧)، قال الدارقطني: تفرّد به الحسن بن قتيبة، عن يونس، عن أبيه، والحسن متروك الحديث.

(٢) انظر للتفصيل: «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٣/ ١٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٢٩٦١).

فحينما انقطعت النبوةُ كان أحقُّ بالخلافةِ مَنْ كان استعدادُه شبيهاً باستعداد الأنبياء، وقال النبي ﷺ: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٌ من عمرَ**»[(١)]، فلا بدّ أن تكونَ خيريَّتُه على الجميع ثابتةً محقّقةً في وقت من أوقات حياته، وأن يكون خليفة في أواخر حياته، فتكون خلافتُه حقاً.

ودعا النبي ﷺ لعمر الفاروق: «**عِشْ حميداً، ومُتْ شهيداً**»[(٢)]، فلو كان أنه غَصَبَ وظَلَمَ، كيف تيسّر له العيش الحميد، وقد صرَّح النبيّ ﷺ في أحاديث مستفيضة: «**خيرُ القرونِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثمّ يظهر الكَذِبُ**»[(٣)]، فلو كان أبو بكر وعمر وعثمان غاصبين وجائرين وقد أعانهم أكثر الناس على الظلم، لما كانوا على الحق والهداية، وكانت قرونُهم شرَّ القرون.

وأما لزوم اجتماع الأمة المرحومة على الضلالة فهو من جهة أنّ الإجماعَ قد وقع على خلافة أبي بكر الصدِّيق وعمر الفاروق، وبايعتهما الأمة المرحومة بأجمعها، وعاملتهما معاملة الرعية للخليفة، وخاطبتهما بلفظ: «الخليفة» و«أمير المؤمنين»، فلو كانا حقيقين بالخلافة فهو المطلوب، ولو لم يكونا حقيقين بها كان الجميع عصاةً وفاسقين وكاذبين وضالِّين، وكانوا شرّ خلق الله، وهذا باطل، إذ إن الله تعالى قال: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال رسول الله ﷺ: «**لا تجتمعُ أُمَّتِي على الضلالةِ**»[(٤)]، وقال:

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٣٥٥٨) عن ابن عمر، والرواية بكاملها: أن رسول الله ﷺ رأى على عمر قميصاً أبيض فقال: «**ثوبُكَ هذا غسيلٌ أم جديدٌ؟**» قال: لا، بل غسيل، قال: «**البس جديداً، وعِشْ حميداً، ومُتْ شهيداً**».

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٨٧) برقم: (٩٢٢٢).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٠٠) برقم: (٣٩٣).

«خيرُ القرونِ قرني»[١] الحديث.

ومن جهة المتكلِّمين بكلمة الإسلام (المسلمين)، فإنهم متفقون على أنَّ الإمام الحق بعد النبي ﷺ إما أبو بكر وإما علي، فلا يخرج الحَقُّ عن هذين القولين.

وتركُ عليٍّ المرتضى المنازعةَ لأبي بكر الصدِّيق في أمر الخلافة، فتعيَّن أن أبا بكر هو الإمام الحق، إذ إنَّ ترك المنازعة لا يخلو من حالين:

إما أن يكون بناءً على التقيَّة، وإما أن يكون بغير التقية، والتقية باطلة؛ لأن علياً المرتضى لم يكن عاجزاً بعد النبي ﷺ بحيث لا يقدر على مقاومة الصدّيق؛ لأنه كان شجاعاً بالاتفاق، وكان بنو هاشم معه، وكان أبو سفيان رئيس بني عبد شمس قد انقاد له ووافق، وكان الزبير معه، وكانت السيّدة فاطمة رضي الله عنها، بأعلى رتبتها وقرابتها من النبي ﷺ زوجةً له، وهذا من أكبر الدواعي لقبول رئاسته، وعادةً نفوس الجمهور مطمئنة بأن تكون الخلافة في أقارب الخليفة الأول.

وإنْ كان ترك المنازعة بغير التقيَّة كان عاصياً للنبيِّ ﷺ وخائناً في شأن الأمة، والعاصي والخائن لا يليق بالإمامة.

وإن قال الشيعة: إن سبعين ألفاً من العرب قد بايعوا أبا بكر الصدِّيق، والعرب لا ينقضون البيعة، ولا يرجعون عنها، فهذا باطل، إذ إن سبعين ألفاً من الناس قد بايعوا عليّاً المرتضى في أيام خلافته، ثم نقضوها، ورجعوا عنها، ثم مبايعة سبعين ألفاً لم يكن دفعة واحدة، إذ لم يبايعه في أول البيعة غير أشخاص معدودين، فكان عاصياً لترك المنازعة قبل البيعة الأولى وبعدها قبل تمام أمر الخلافة.

---

(١) انظر: «موطأ مالك» (٣/ ٢٩٥).

وإن قالوا: كان مشغولاً بمأتم الرسول ﷺ.

قلنا: كان عاصياً لترك المصلحة العامّة لأجل عمل لم تترتّب عليه فائدة.

ومن جهة أن الأمة قد اتفقت على أنّ الإمام الحق بعد النبي ﷺ هو أحدهما، فنحن نقول: إنّ علياً المرتضى لم يكن إماماً، إذ إنه قد تواتر أنّه قال في أيام خلافته غيرّ مرّة: «خيرُ هذه الأمةِ أبو بكر، ثم عمر»(١)، وقولُه هذا لا يخلو **من ثلاثةِ احتمالاتٍ**:

الأولى: أن يكون قلبه موافقاً للسانه في هذا القول، وهو الحقُّ، وبه يثبت المطلوب.

والثاني: أو يعرف هو خلاف ذلك، ولكن كان يقول ذلك بغير ضرورة، وبدون تقية أمام جماعة، ثم يقول خلاف ذلك أمام جماعة أخرى، فكان مدلِّساً وخائناً وإمعةً، ولا يستحقُّ المدلِّس والخائن والإمّعة بالإمامة.

والثالث: أو كان ذلك كله بناءً على التقية، ولا مساغ للتقية في خلافته، ولو كان ـ رغم ذلك ـ مُكْرَهاً على ذلك، لكان ينبغي له أن يكتفي بقدر الإكراه، ولا يبالغ في وصف حالهما.

ولو جازت التقية مع وجود الخلافة والشجاعة والشوكة والقيام بقتال جميع أهل الأرض يمكن أن يقال: إنَّ الجماعة الذين كانوا يسبّون الشيخين كان المرتضى ينكر عليهما أمامهم خفيةً بناءً على التقية، فتحقّق كلام «خير الأمة» في حقّهما، وما سوى ذلك تقية، ويمكن أن يقال أيضاً: إن إظهار الإسلام وإقامته للصلوات الخمس، والخوف من جهنم،

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٤٥).

صدر كلُّ ذلك منه بناءً على التقية، ولا شكَّ أنَّ الكراهة بتركه للإسلام أشدُّ من الكراهة الناشئة من إنكار الشيخين، فيرتفع بذلك الأمن من إسلامه فضلاً عن إمامته.

وكلُّ ذلك يجرُّ من المفاسد والمساوئ ما لا يتصوّره مسلم، فثبت بذلك أنّ الخلافة كانت من حقِّ أبي بكر ومن حق عمر من بعده بهذا الدليل نفسه.

ومن جهة أخرى، فإنّ الخلافة لا تخرج عن شخصين: أبي بكر وعلي، ولم يكن علي خليفة بعد النبي ﷺ، فتعيّن أبو بكر للخلافة، والدليل على أن علياً لم يكن خليفة بعد النبي ﷺ هو أن الخلافة تنعقد إما بنصّ الشارع، وإما بالبيعة، وإما بالتسلُّط، وأقوال الأمة تنحصر في هذه الثلاثة، وكلّ هذه الثلاثة مفقودةٌ في علي المرتضى رضي الله عنه، وموجودة في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أما البيعة والتسلّط فلا يخفيان، وأما النصّ فهو من جهة أنّه لو كان نصٌّ في خلافة علي المرتضى عنده أو عند غيره من الصحابة ورأوا صرف الخلافة منه إلى غيره لأظهروا هذا النصّ لا محالة، واتهموا السعاة للخلافة، وإلا كانوا عصاةً، والعادة تقتضي نقل صورة هذا الاتهام، ولا سيّما بعد وفاة الشيخين، وقيام المرتضى بالخلافة، ووقوع المشاجرات العريضة، وإذا كان ذلك كذلك فلا بدّ أن يطلع علي المرتضى على هذا النصّ ولا ينكره، ولكنه أنكر وجود أي نصّ فيه.

وأما ارتفاع الأمن من أحكام الشرع، فهو من جهة أنه لو لم تكن خلافة أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق حقاً، ولو كانا استوليا عليها غصباً وجوراً لكانا هما وأعوانهما[1] فسّاقاً ضالِّين، ولو كان الأمر كذلك

(١) وكان علي رضي الله عنه من أكبر أعوانهما.

لارتفع الأمن من القرآن والسنن، إذ إنَّ القرآن تحقّق جمعه في المصحف بأيدي الشيخين وأعوانهما، ومعظم السنن رُويت عن الشيخين وأنصارهما.

ولو سكت غيرهم على النهي عن المنكر لكان ذلك؛ إما بناءً على التقية أو بغير التقية، فلو كان بغير التقية لكانوا أفسق خلق الله، ولو كان بناءً على التقية فكل ما وافقوا عليه كانوا فيه متّهمين بالتقية أيضاً، وما خالفوا فيه وأخفوه هو غير مرضي عند الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]، ويقع هنا مع ذلك تعارض من غير ترجيح، ولا تبقى حجّة بيد الأمة، وكان هؤلاء لغواً، ولم يقع بهم تبليغ للدين.

فإن قال الشيعة: علمنا أحقّية القرآن بتلاوة الأئمة له.

قلنا: يحتمل أن يكون ذلك بناءً على التقية.

وإن قالوا: علمنا بناءً على حفظ الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف].

قلنا: ومن هنالك عُلم إمكان الاعتماد على حفظ الله تعالى، فلماذا يلزم وجود الإمام المعصوم؟

وإن قالوا: عرفنا أحقِّية الأئمة بالمعجزة.

قلنا: لم يثبت نقل أيّ معجزة عنهم بطريق التواتر والشهرة والاستفاضة، وإن ثبت شيء من الكرامة فهو بطريق خبر الواحد بغير التحدِّي، ومثل ذلك منقول عن الشيخين أيضاً.

وهذا الكلام يقتضي أن يفصّل فيه بعض الشيء وهو أن حجّة التكليف بدون معرفة المكلَّف به لا تتمّ ولا تصحّ، ولا تتحقق هذه المعرفة بدون نقل ثابت عن صاحب الشرع.

وإذا حكَّمنا العقل في معرفة تفصيل النقل يقضي بالضرورة بأن يكون النقل على نوعين.

النوع الأول: ما يقال له في الشرع: «بُرْهَانٌ»، «عندكم فيه من الله برهان»، واليقين المعتبر في الشرع يتعلّق بهذا النوع من النقل، لا اليقين الذي يذكره المتكلمون، والتسنّن والابتداع منوطان بموافقة ومخالفة هذا النوع، والتفرّق المحرّم والاختلاف المذموم الذي هو عبارة عن اختلاف الأمة يدخل في هذا النوع، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٥]، و«**مَنْ أحدثَ في ديننا ما ليسَ منه فهو ردٌّ**»، محمول على هذا النوع، وهذا النوع عبارة عن النصّ الصريح من كتاب الله، والحديث المشهور المنقول بطرق متعدّدة برواية رجال عن رجال في كلّ طبقة، وخبر الواحد الذي تحف به القرائن إلى مرتبة اليقين يدخل في حكم الحديث المشهور، وهذه القرائن تكون مفهوماً موافقاً ومخالفاً لكتاب الله، أو يكون حكم العقل الصريح موافقاً لمضمون الخبر أو القياس على أصول شتَّى وما أشبه ذلك، وإجماع الأمة المرحومة، ولا سيّما إجماع الطبقة الأولى من الأمة، والقياس الجلي على هذه الأمور المذكورة.

والنوع الثاني: هو **أخبار الآحاد**، التي وقع الخلاف بين العلماء في تصحيحها وتضعيفها، والأقيسةُ المتعارضة والأخبار المتناقضة في تطبيقها التي حارت بها الأمة وارتبكت، والاستدلالات الضعيفة التي تكلّمت العقول في ردّها وقبولها، وحُكْمُ هذا النوع أن تُصْرَف الهمّة إلى موافقة صاحب الشرع، ثم يختار للعمل ما يغلب الظنّ عليه بعد استفراغ الجهد، وقد أخذنا هذا الحكم الكليّ بإجماع الأمة أيضاً، والمختلفون في هذا النوع كلهم مصيبون، أو أحدهم مصيب والثاني مخطئ معذور.

ولا مجال للتفسيق هنا بناءً على اختلافهم في ذلك على قولين، واختلاف الأمة في هذا النوع رحمة وسعة.

وعُلم بضرورة حكم العقل أن الأصل في التكليف هو النوع الأول، والقسم الرابع من النوع الأول وهو القياس الجلي تفرّع عن الأقسام الثلاثة الأولى، فمن كان منكراً لخلافة الشيخين، بل المشايخ الثلاثة، ويطعن في هؤلاء المشايخ بالفسق والكفر، فعليه لعنةُ اللهِ والملائكة والناس أجمعين، وهم في الحقيقة يستأصلوا أصل الدين، ويريدون خلع ربقة الإسلام عن أعناقهم، إذ إنَّ كتاب الله تحقّق جمعُه في المصحف بجهود الشيخين، وعثمان ذو النورين هو الذي جعل المسلمين متفقين عليه، فلو كان هؤلاء قد أخذوا الخلافة بالجور والغصب، وخوّفوا من نُصَّ على خلافته، وتركوا فريضة من فرائض الله، لكانوا أفسق خلق الله، ومن أشرار الناس، كذلك من عاونوهم في شؤون الخلافة، فكيف يكون نقلهم معتبراً ومعتمداً عليه، وإن اعتبرنا التواتر فذلك هو المطلوب لدينا، إذ إن خلافة هؤلاء المشايخ ثابتةٌ بنقل متواتر، وإن سمعنا إلى نقل بعض الأشخاص ممن يثق به هؤلاء الملحدون من منكري خلافة هؤلاء الخلفاء، فإنه لم يثبت منهم تحمل نقل القرآن والأحاديث المشهورة، ولا بطريق الخبر الواحد، وإن كان ـ بالافتراض ـ مروياً بطريق ضعيف، من حيث لا يعرفه أحد من مهرة العلم وأئمته، فأين يبلغ نقل هذا إلى مرتبة نقل النوع الأول، والأحاديث المشهورة ثابتةٌ من نقل المشايخ الثلاثة وأعوانهم، والقائلين بخلافتهم، فنقل أي واحد من غيرهم من رواة الشيعة لا يصلح للاعتماد، وإن اعتمدنا التواتر فيرجع سهمهم إلى صدورهم، ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وكلمة «إجماع الأمة» مجملةٌ، فإذا قمنا بتحليلها لم يثبت في غير زمان الخلفاء الثلاثة، ولا انعقد بغير حكمهم، وعليه فلا اعتبار له.

بالجملة: فإنه لو لم يكن بأيدينا شيءٌ من شريعة نبينا محمد ﷺ من النوع الأول، وتعمل الأمة بظنونها وأوهامها، ولا يتمّ ثبوت العمل بالمظنون في جزئيات الشريعة إلا بإجماع الطبقة الأولى، وهذا لا يوجد، فلا يكون أحدٌ اليومَ مكلَّفاً بحكم الشريعة، فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين على هذه العقيدة الباطلة.

وأما مخالفة حكم العقل الصراح فإنه من جهة أنَّ بعثة النبي ﷺ بالشريعة الغرّاء كانت نعمةً عظيمةً ولطفاً جسيماً، وجُوِّز لأجل هذه قتال بني آدم لأجل هذه المصلحة الذي وإن كان قبيحاً لذاته، فإذا خرجت الأمة بأسرها من الإيمان بعد النبيِّ ﷺ، وسلكت طريق الضلالة إلا شرذمة قليلة في غاية القلّة لم تكن هذه النعمة نعمةً عظيمةً، ووقوع القتال لأجل هذه الفائدة بأن يسلموا في عهد النبي ﷺ، ويرتدُّوا عنه بعد قليل من المدة، أو يختاروا مجرد صورة الإسلام بغير أن ينفعهم في الآخرة كان غبناً عظيماً وقبحاً فاحشاً، ولو كان هؤلاء أو أكثرهم على الحق، فلماذا لم ينكروا المنكر؟ ولماذا استسلموا للجائر الغاصب؟.

ينبغي أن يُحكَّم العقل في هذا الموضع لبرهة، تدبّر أن المجاهدات التي تجشّمها النبي ﷺ لإعلاء كلمة الله، هل كان ذلك لمجرّد أن تدخل جماعة من المسلمين في الإسلام من باب وتخرج من باب آخر؟! وقتل الأعداء وشنّ الغارة عليهم وسبي نسائهم وذراريهم هل كان كل ذلك لمجرَّد تلفّظهم بكلمة الإسلام من غير أن ينالوا منه نصيباً في الآخرة؟!

وإن قالت الشيعة: إنَّ النبيَّ ﷺ قد أراد «الخيرية» لجميع المسلمين في الدنيا والآخرة باستخلاف علي المرتضى وأولاده، فظلموا أنفسهم بإخافة الإمام قصداً من عندهم.

قلنا: إنَّ مقتضى العقل الصُّراح أن ترتيب الموجودات، وتسلُّط

الملوك، وما يشبهه بحسب العناية الأولى أصلٌ بمنزلة الطعام، وإنَّ إلهام العلوم الحقّة والسنن الراشدة لإصلاح العالم في قلب أزكى خلق الله، وإجراء هذه العلوم منه في قلوب الحواريين ومنها في قلوب عامَّة الناس طبقةً بعد طبقة، هو إصلاح بمنزلة الملح في الطعام، فالشرائع كلّها إنما ظهرت في الخارج مطابقة لاستعداد الكائنات الخارجية، ولا يليق بحكمة الحكيم الأعلى جَلَّ جَلَالُهُ ـ بالقطع ـ أن يكون مدار تحقق اللطف الإلـٰهي ـ الذي اقتضى إرسال نبيِّنا محمد ﷺ ـ على خلافة المرتضى وأولاده، مع أنه قد تقرّر في العناية الأولى ألّا ينتصر علي ولا أولاده إلى يوم القيامة في أيِّ عصر من العصور، وألّا تتمكّن خلافتهم على وجهها المطلوب، بل الواقع أنَّ من يقوم من بينهم لجمع الناس حوله، ويتصدّى للقتال يكون مخذولاً بل مقتولاً، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، وللخلفاء الذين هم خلفاء الأنبياء ـ حقاً ـ أسوة المرسلين، فهم المنصورون وهم الغالبون.

من الممكن أن يأمروا بالصلاة، ويوفّق لإقامتها آلافٌ مؤلّفة من البشر، وأن يبلغوا لأجل ذلك إلى مراتب عاليةً، وبالعكس من ذلك يمكن ألّا يمتثل الأمرَ بعضُ الأشقياء، الذين كُتِبت عليهم الشقاوة في العناية الأولى، ويكونون محرومين من الفيض العامّ، ولا يمكن أن يأمر الله بشيء لا يعمل به أحد من الناس في أي وقت من الأوقات ـ كما يقول الشيعة: إن عليّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الخليفة الحق، ولكن لم يستخلفه أحد من الناس ـ.

ويلزم مخالفة العقل الصريح أيضاً من جهة أنّ جريان أفعال الله تعالى في العالم على نسق واحد يدلّ على بعض المعاني الدقيقة، وإن

قمنا بإحالة ذلك إلى سُنَّة الله يصحّ، وإن عبّرنا عنه بلزوم عقلي فهو أيضاً جائز، ولذلك قام العلماء المتكلِّمون في الإلـٰهيات بإثبات واجب الوجود القادر المختار العليم القدير لجريان أحسن نظام في العالم المشاهد، واعتبروا في النبوءات ظهور المعجزة بحسب دعوى النبي مثبتاً للنبوة، ونظيره من المحسوسات دلالة لبن الثدي على سبق الولادة، ودلالة خصب وريع الأراضي على سبق الغيث، ودلالة الضعف على المرض، ودلالة الجراحة على الجرح، إلى غير ذلك، فأحدث لطف الله الذي هو سبب بعثة نبيّنا محمد ﷺ أمراً في أول الوهلة، وهو أنه قد تمّ اتفاق طائفة على قبول دعوة التوحيد، وإنكار الشرك والمشركين قبل الهجرة، ثم أحدث بعد ذلك أمراً آخر متفرِّعاً عن الأول، وهو جهاد أعداء الله أولاً، ودخول أفواج بني آدم في دين الله آخراً، ثم أحدث بعد ذلك أمراً ثالثاً متفرِّعاً عن الثاني، وهو إزالة دولة كسرى وقيصر على يد الشيخين، فظهر الدين الحقّ على سائر الديانات بجهود الأمة المرحومة، بعد أن كان النبيُّ ﷺ يُبشِّر بكلّ ذلك في كلّ حالٍ، ويرغّب المسلمين فيه، فهذه الأمور كلها قد وقعت بأسلوب خاص، وهذا مثل غرس نبات، وظهور الأغصان والأوراق عنه أولاً، وظهور الأزهار ثانياً، وخروج الثمار ثالثاً، ومثل طفولة الإنسان وشبابه وكهولته، ويقوم ترتيب بعض هذه الأشياء على بعض، فلما رأينا هذا النسق الوحيد، عرفنا به أن ذلك هو اللطف الإلـٰهي الذي تظهر آثاره ساعة بعد ساعة، فبهذا النسق الوحيد يدرك العقلُ حقيقة خلافة الخلفاء بطريق الحدس، مثلما نعرف بترتيب الأزهار والثمار أنَّ غاية البستاني من وراء غرس الشُجيرة هو الثمر وحده، ولطف البستاني الذي اقتضى غرس الشُجيرة قد اقتضى هو نفسه الأزهار والثمار أيضاً، فكذلك نزول القرآن آياتٍ بعد آياتٍ، وترتيبه بعد ذلك سورةً بعد سورةً، ثم جمعه بكامله في المصاحف، كل ذلك نسق واحد، وكذلك

ظهور أصل علوم الأحكام من صدره الشريف ﷺ، بعد ذلك بلحوق القياس به والإجماع تورق الشجرة وتثمر، وكذلك ظهور علم الإحسان من داخل صدره الشريف ﷺ، ثم بعد ذلك ظهور أزهار هذه العلوم الإحسانية من الخلفاء، وهذا ترتيب واحد متناسق، يُبشِّر أوله بآخره، ويدلّ آخره على أوّله.

ويلزم مخالفة العقل أيضاً من جهة أن جميع المسلمين بايعوا الخلفاء، واتفقوا على خلافتهم، ثم تحقّق بعد ذلك على أيديهم قتال المرتدين أولاً، وجهاد الفرس والروم ثانياً، ثمّ جُمِعَ القرآن بعنايتهم، واتفق العالم الإسلامي عليه، وأزالوا الكفر من بلاد الشام والعراق واليمن، ونُفِّذت الحدود، وظهرت الصلاة والصوم وتلاوة القرآن واتفاق المسلمين بعضهم مع بعض، وكل شيء مما لم يكن له عين ولا أثر ولم نسمع به قبل بعثة النبي ﷺ قد ظهر وتحقّق بفضل بعثته ﷺ، وانتشر في جميع أقطار الأرض، وهذا من الأمور المتفق عليها في الأمة، فيحكم العقل الصُّراح المجرّد عن أي شائبة من التعصُّب أن هذه الخلافة حقّ، ولم تقع معصية الرسول ﷺ في انعقادها، ولم يحدث أيُّ تقصير في تكميل مقاصد الخلافة، إذ إن الأصل في اتفاق السواد الأعظم من الأمة المرحومة هو الموافقة لأمر النبي ﷺ وعدم عصيانه، ونبيُّهم مكي والقرآن الذي هو إمامهم مكي ـ أي: نزل في لغة قريش ـ، ولو كان وقع خلاف بين الأمة لكان ذلك إما بعارض الهوى، أو بسبب الجهل، ويستبعد العقل الصراح عارض الهوى بمجرّد وفاة النبي ﷺ بدون وقوع أيّ أمر مثير لقوتهم الغضبية غاية الاستبعاد، ولا يُعلم تقدُّم الحقد الذي يسبّب هذا الانحراف، وجهل السواد الأعظم للنصّ بعيدٌ جدّاً، ولو سلم أن النص كان وارداً في علي رضي الله عنه، وكان السواد الأعظم غافلين عن النصّ فلِم لم يُظهِرْه أهلُ الحقِّ ـ أي: في زعمهم ـ؟ وأي خوف جعلهم

مجبورين على كتمان الحق، سبحانك هذا بهتان عظيم!!

وعرفنا خيرية أفعالهم لموافقتها للقرآن، ويقضي العقل أنّ هذه كلها خير وحق قطعاً، ولا مصلحة للشرع في تأثيم الآلاف المؤلّفة من أصحاب رسول الله ﷺ في أمر معلوم الرشد لموافقة القرآن، وذلك لمجرّد أن تصدّى للخلافة رجل إزاء رجل، وأيُّ مصلحةٍ تكون في إيجاب الاستخلاف لشخص لا تقوم خلافته؟.

وإنَّ الشخص الذي ضاعت الخلافة من يده يتعلّق أصحابه وأقاربه بكل حشيش، «الغريق يتعلّق بكل حشيش»، ويرمون آخر سهمهم في جعبتهم، ولا يستبعد أن يحملهم حبّ الجاه والسلطان على ادّعاءٍ كاذبٍ، ويُرشدهم إلى الإقدام على مخالفة الجمهور، ومقتضى العقل المجرّد أن يكون الاعتماد على الظاهر إلا أن تكون القرائن القوية تصرِفُ عن الظاهر، فإذا رأينا النار ـ مثلاً ـ تشتعل وتلتهب جزمنا بوجودها رغماً عن احتمال وجود جوهرٍ يشبه النار، [فلا نترك الظاهر] إلا أن نطّلع على خطأ حسِّنا، وإغماض العينين عن النار إلى شبيهها بمجرَّد الاحتمال، وعدم الاعتبار ـ بتوقُّف طبخ الطعام عليها ـ جنونٌ محضٌ.

وأما لزومِ التناقض في مصالح الشرع، فهو من جهة أن الشيعة يقولون: إنّ اللطفَ واجبٌ على الله تعالى، ويقتضي لطفه أن يكون للملّة حافظ وأمين، ولا بدّ لهذا الحافظ من أن يكون عالماً معصوماً، ولم يكن غير علي المرتضى معصوماً، فتعيّن أن يكون هو إماماً.

ونحن نوافقهم في المقدمة الأولى والثانية بتغيرّ يسير، فنقول: إن الله متّصف باللطف، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]، ووعد بحفظ القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف]، وَوْعُده واجبُ الوقوع، ونقول: يقتضي لطفه أن يكون للملّةِ

محافظٌ، والمحافظ يحتمل أن يكون أحد من ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون الله نفسه متكفّلاً بحفظها، فيُحدِثُ أحوالاً من الغيبِ دفعةً بعد دفعة، بأن يلقي في قلبِ شخصٍ داعيةَ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي قلب قومٍ داعية الانقياد له، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [يوسف]، وقال رسول الله ﷺ: **«يُبْعَثُ في كلِّ مائة في هذِهِ الأُمَّةِ مَنْ يُجَدِّدُ دينها»**[١].

والثانية: أن تكون للأمة المرحومة من حيث المجموع ميزة وخاصية تجعلها لا تجتمعُ على ضلالة، كما قال رسول الله ﷺ: **«لا تجتمعُ أُمَّتي على الضلالةِ»**[٢].

والثالثة: أن يُعيِّن شخصاً لإقامة الدين.

وكما أنّ الشيعة يقولون: إنّ مهبط اللطف هو ظهور الإمام المعصوم، وهو أكمل أنواع اللطف، وتارةً يخفى وجوده، وهذا أيضاً لا يخلو عن أصل اللطف.

نقول نحن: إنَّ الله تعالى يجمعُ بين كلٍّ من الأنواع الثلاثة للحفظ مرةً، وهو أكمل أنواع اللطف، ويوجد هذا في أيام خلافة الرحمة وخلافة النبوة، ويكتفي بالنوعين الأوَّلين مرةً أخرى، إذ إنّ أصل اللطف يُؤدّى به.

ونوافقهم في المقدمة الثالثة أيضاً بتغيّر يسير، فنقول: إن اقتضى

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤/٥٦٨) برقم: (٨٥٩٣) ولفظ الحديث هكذا: «**إنَّ اللهَ يبعثُ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَنْ يجدِّدُ لها دينَها**».

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/٤٤٧) برقم: (١٣٦٢٣) بلفظ: «**لن تجتمعَ أُمتي على الضلالةِ أبداً**»، والحاكم في «المستدرك» (١/٢٠٠) برقم: (٣٩٣) بلفظ: «**لا يجمَعُ اللهُ أُمَّتي على الضلالةِ أبداً**».

لطفُ الله تعيينَ شخص يكون حافظاً للملّة فلا بدّ له من أن يكون مبشَّراً بكثرة العلوم، وعلوّ الدرجة في الآخرة، لكي يتحقّق لطفه تبارك وتعالى، والعصمةُ بمعنى ما يُثبته الشيعة لا يلزم، يمكن أن يكون في أول عمره فاسقاً أو كافراً، ثم يتوب إلى الله بتوفيق منه ﷻ، ويُخبر النبي ﷺ بحُسْنِ خاتمته، ويُبيِّن حُسْنَ حاله ومآله تصريحاً وتلويحاً، ولكن هنا شرط مطلوب آخر، وهو أن يكون الإمامُ ظاهراً منصوراً، لأنّه إن كان مختفياً يلزمُ التكليف باتّباع شخصٍ مجهولٍ لا يأمر ولا ينهى. وإن كان مخذولاً، لم تكن عاقبة نصبه خيراً، بل كانت شرّاً، وكان ترك نصبه أقربُ إلى اللطف من نصبه، ولا يؤاخذه الله تعالى في الصورة الأولى بترك الواجب وفعل الحرام، ويؤاخذه في الصورة الثانية.

وبعد تمهيد مقدِّمات نقول: إنّه لا بدّ أن يكون الإمام الحق موجوداً بعد وفاة النبي ﷺ «اتفق عليه الموافق والمخالف»، وهذا الإمام هو أبو بكر الصدّيق، ثم عمر الفاروق؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهما مُبَشَّر بالعلم والفلاح والصلاح، وكان كلُّ منهما ظاهراً ومنصوراً، ليس علياً المرتضى، إذ إنه وإن كان عالماً مبشَّراً بالجنّة لكنّه لم يكن ظاهراً ومنصوراً.

وتحقيق هذه المسألة يتوقّف على تمهيد نكتةٍ.

اعلم ـ أسعدك الله تعالى ـ أنّ الأشاعرة قالوا: إن أحكام الله لا تعلّل بالأسباب والعلل، وقد شرحوا هذه المسألة بأسلوب يؤشِّر إلى أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونسخ الشرائع السابقة، وتغيير العادات الجاهلية لا ينبني على مصلحة مرعية، فالإرادة التي هي عبارة عن ترجيح أحد المقدورين فعلت فعلها.

لا نسلّم بهذا القول بصورته وهيئته هاتين، نعم! إنَّ السبب الذي

يُوجِبُ تكميلَ الذات مردودٌ في نفسه، ولكنَّ المصلحة التي مرجعُها لطف بالعباد، ورَبْطُ بعض المسبَّبات بالأسباب واقعةٌ مقبولةٌ.

أصل مذهب الفقهاء سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو غيرهم هو معرفةُ علل الأحكام باعتبارٍ مناسبٍ، ومعرفة المعاني المناسبة، واعتبر الله تعالى ـ مثلاً ـ حفظ النفس، والمال، والعقل، والعرض، والملّة من الضرورات، وجعل القصاص، وحدود السرقة، والشرب، والقذف، والارتداد، دائرةً عليها، ومشروعية الصلاة والصوم والزكاة والحج لتهذيب النفس، وخروجها من أسر البهيمية إلى فضاء المَلَكِيَّة الواسع المهيب، وهذا أمر مقرَّر لا خفاء فيه، ومفاسد الكبائر من الذنوب معقولة، وقام الإمام الغزالي في باب التوبة بالتصريح بهذا أيما تصريح.

وإن مررنا بكل ذلك، وقمنا باستقراء الأحكام، وإعمال الذكاء والفطانة فيها، اضطُرِرنا باليقين إلى معرفة مصلحة مطلوبة، ومفسدة مطرودة عند الشارع، مثل ما قمتُ بتقرير معظم هذه المطالب في [كتابي] «حجة الله البالغة».

وإن مررنا بكلّ ذلك أيضاً رأينا في القرآن والحديث أخباراً كثيرة من باب المصالح والمفاسد قد وردت بكلِّ بسط وتفصيل، فقد قال الله تعالى في صدد إرسال الرسل: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه]، وجاء في حديث قدسي: «**إنَّ اللهَ خلقَ بني آدمَ حُنفاءَ، وإنَّ الشياطين اجتالتْهم**»[1]، ورد في حديثٍ آخر: «**إنَّ اللهَ نظر إلى أهل**

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥)، وأحمد في «مسنده» برقم: (١٧٤٨٤).

الأرض فَمَقَتَهُم عربَهم وعجمهم»[١]، وفي حديث: **«وإنّي بعثتُك لأبتليَك بهم، وأبتليَهم بِكَ»**[٢]، وورد في حديث: **«مَثَلُه ﷺ مَثَلُ مُنْذِرِ جَيْشٍ»**[٣].

وقد اشتهرت هذه المقدِّمات بوجه اضطرّ أهل السُّنَّة إلى إثباتها وفق قاعدتهم، التي هي عبارة عن التزام مدلول الحديث المشهور، والواقع أنّ مذهب السُّنَّة لا يكون قول الأشاعرة ولا قول الماتريدية، كل ما ثبت بنصّ الكتاب والحديث المشهور وإجماع الأمة، والقياس الجلي، هو السُّنَّة وحدَها، ولو كان قائله سُنياً أشعرياً أو غيره.

والأغلبُ عند الفقير أنّ مقصود الأشاعرة في هذه المسائل بعض الأجوبة الإلزامية التي يردّون بها على مذاهب المخالفين، ليس للجزم بأنَّ في الشريعة كذا وكذا.

وبعد أنْ ذُكِرَت هذه النكتة بالإجمال ينبغي أن يُعلمَ أنَّ سبب إرسال الرسل، وإنزالَ الكتب، والتكليفَ بأحكام الشرع، إنّما هو لطفٌ إلـٰهي؛ أي: لا يمكن وصولُ بني آدم إلى كمالهم النوعي بدون هذه الأشياء، وتلك الرحمةُ الإلـٰهيةُ التي كانت سبب خلق النوع البشري كشفت الحجاب عن وجهها مرةً ثانيةً، وأنزلت شريعة تُكمِّلُ أفراد البشر، وتَبْلُغُ بهم الكمال والجمال.

ومثال ذلك: أنَّ البستانيَّ يقوم بغرس الشجيرة ورعايتها، وأول رتبةِ ظهورِ أثر تربيته هو نباتُ البذرة في الأرض، وجذبها الماءَ والهواءَ من

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥)، وأحمد في «مسنده» برقم: (١٧٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥)، وأحمد في «مسنده» برقم: (١٧٤٨٤).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٨٦٧)، وابن ماجه في «سننه» برقم: (٤٥)، والرواية بكاملها هكذا: «**كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا خطبَ احمرّتْ عيناه، وعلا صوتُه، واشتدّ غضبُه، حتى كأنّه منذِرُ جيشٍ**».

الأطرافِ والجوانب، والثانيةُ أنَّ هذه التربية نفسَها سببُ ظهور الأغصانِ والأوراقِ في الشجر، والثالثة أنّها تُوجِبُ وجود الأزهار والثمار، وأيضاً إنَّ هذه التربية تكون سببَ زيادة أجزاء الشجر أولاً، وتكونُ هي نفسُها سببَ نضرة أجزاء الشجر، وظهور التخاطيط العجيبة في الأوراق والأزهار ثانياً، وهكذا جعل الله الذي هو مدبّر السماوات والأرض الطعامَ سببَ زيادةِ أعضاء الطفل في المرحلة الأولى، ثم يكون هذا الطعام سبب ظهور جماله وحسنه، وحركاته وسكناته الخاصة بنوعه في المرحلة الثانية، فالتشريعُ تتمّةُ التقديرِ، وتكليفُ الشرع تتمّةُ تكوين النوع.

وبعد أن رسخت هذه النكتةُ في الذّهن نتوجَّه إلى أصل الغرض، قال الله جلّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، وقال النبيُّ ﷺ في حديث عدي بن حاتم، وأبي ذر، والمقداد، وغيرهم حتى صار مشهوراً: «**وليتمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتّى يدخلَ في كلِّ بيتٍ مِنْ مَدَرٍ أو وَبَرٍ بِعِزِّ عَزِيزٍ أو ذُلِّ ذليلٍ**»[(١)]، ألفاظُهم شتَّى، والمعنى المشتَرَكُ واحدٌ.

الدين الحق هو الذي أصبح ممكَّناً، وأصبحَ كاملاً، والذي دخل في بيوت الوبر والمدر شرقاً وغرباً، ولا شكَّ أنَّ أبا بكر الصدّيق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين سيطروا على وجه الأرض، وفتحوا بلاد الروم والفرس، وجمعوا القرآن، وانتشر هذا القرآنُ نفسُه في سائر العالم، وراجت مسائلهم الإجماعية في جميع الآفاق، وأكثرُ أهل

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٦٩٩٨) عن تميم الداري بلفظ آخر، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٩١) برقم: (٦٦٩٩) عن المقداد بن الأسود بلفظ آخر كذلك.

الإسلام اختاروا مذهب السُّنَّة، سواء كانوا محدِّثين أو فقهاء أو قرّاء أو مفسِّرين أو ملوك الأرض، ولم تنتظم الخلافة على سادات أهل البيت حيناً خلا علي المرتضى وحده، ولا يخفى على أحد ما شاهد علي المرتضى في أيام خلافته، وما ابتلي به من صعوبات وشدائد، وكانت أيامُ خلافة علي المرتضى بحسب مذهب الشيعة أيامَ الابتلاءِ والتقيّةِ والخوفِ، ولمَّا انتقل إلى دار البقاء بعد أربع سنوات، حاول بنو أمية محاولاتٍ جبارةٍ في إخفاء أمره، واستئصال أصل خلافته، ولم تستقرّ الخلافة على سيّد من سادات أهل البيت بعد علي المرتضى قطّ، وإن خرجوا قُتِلوا في أول جَمْعِ الرجالِ ونَصْبِ القتال، إلى أن آذنتِ الدّنيا بالصَّرْم منه، وما زال قائل هذا المذهب مخذولاً مطروداً كما هو مصَرَّحٌ في كلامهم ـ أي: الشيعة ـ.

لِيُنْصَف الآن: أديننا ممكَّن أم دين الشيعة؟ أديننا متمَّمٌ أم دين الشيعة؟! واللطف الإلـهي المقصودُ من وراء بعثة النبي ﷺ ونشر دينه أظهرُ في حق مذهب أهل السُّنَّة أم في حق مذهب الشيعة؟! ونصبُ إمام مختفٍ خائفٍ لا يتمكَّنُ مِنْ عرضِ مذهبه على رؤوس الأشهاد أصلاً لطفٌ إلـهي أم تسليطُ مَلِكٍ يظهَرُ كالشمس في رابعة النهار، ويقوم بتقرير دينِهِ جهراً، ويخضع العالَمَ مِنْ شرقِهِ إلى غربِهِ لطاعته؟! ومدار هذا اللطف الجسيم هو شيوعُ الدين في أقطار الأرض أم هو نصب إمام مستور مخذول هو سببُ تأثيم جميع العالم؟! ولو كان ـ بالافتراض ـ مدارُ هذه البشارات المتواترة تصوير الإسلام بغير حقيقته لم يكن ذلك لطفاً ورحمةً؛ بل كان تدليساً، وإرادةَ الشرِّ لطوائِفِ بني آدم.

السؤال: إن قلت: إنّ الدليل الذي قمتَ بتقريره لا يُثبت مدّعاه إلا أن يكونَ المعارِضُ لا يقوم بتقديم أدلّة أخرى بإزائه، لكنّ الشيعة

يقولون: قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، وكان علي المرتضى من أولي أرحام النبي ﷺ، وليس أبو بكر الصدّيق، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقد صرّح أئمة التفسير بأنَّ الإشارة إلى علي المرتضى، وقال النبي ﷺ يومَ الغديرِ: «**مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مَوْلَاهُ**»(١)، وقال ﷺ يوم خرجَ إلى تبوك: «**أنتَ مِنِّي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بَعْدِي**»(٢)، وقال ﷺ: «**إنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي**»(٣) الحديث، كل هذه الأحاديث تدلّ على خلافة علي المرتضى، وزاد صاحب «الأساس» من الزيدية حديثاً وهو: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا(٤)، وأبوهما خيرٌ منهما(٥).

الجواب: قلنا: ظاهرُ الحديث إلى جانبنا، إذ إنّ هؤلاء المشايخ قد تصدّوا لأمر الخلافة عقب وفاة النبيِّ ﷺ مباشرةً، وانقاد جميع الأصحاب لأحكام خلافتهم، وترتبت آثارٌ جميلة على خلافتهم، ولم يرفعْ أيُّ مخالِفٍ رايةَ الخلافِ ضدّهم، ويكون اتفاقُ السواد الأعظم على الحقّ، والعدول عن الحقِّ لا يكون إلا بعرض الأهواء أو بعلّة الجهل، ووجود هذين الأمرين في السواد الأعظم بعيدٌ جدّاً، وكل ما فعلوه كان خيراً بدلالة القرآن وموافقته، وسكوت القوم تسليم ورضىً، ودعوى الخصم المدعي خلافُ الظاهر.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧١٣).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٠٤).
(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٨٨).
(٤) انظر: «الشيعة والتصحيح»، للعلامة موسى الموسوي (١/ ١٥٩).
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٨٢) برقم: (٤٧٧٩).

إذ إنَّ حاصل مذهب الخصم هو تفسيقُ وتكفيرُ جميع الأُمّة المرحومة، ولا سيّما الطبقة الأولى منها، ولا يكونُ شيءٌ أكثر شناعةً من ذلك، وادعاؤهم وجودَ النصّ في حقّ علي المرتضى ولم يروِهِ أحدٌ من الصحابة، ولم يذكره عليٌّ رضي الله عنه نفسُه في خطبه، ولا في محاوراته، ولم يظهر إثباتُ ذلك من أولادِه، وحاصلُ مذهبهم هو الإمامة بمعنى الحجّة المعصومة مفترضِ الطاعةِ، ولو كان هذا المعنى ثابتاً لكانت فرقةٌ من الفرق الإسلامية اعترفت به لا محالة.

ثمّ نقول: إنَّ علامة الوضع والاختراع تتجلّى على هذا المذهب لعدم وجوده في الدور الأول، ثم ظهر شيئاً فشيئاً على صفة الخوف والتقيّة، وكلّما بعدت الفترة من الصدر الأول بدأت هذه العقيدة تتقوّى، حتى قد ظهرت الكتب والدفاتر فيها.

ثم نقول: إنَّ سخافةَ أدلَّتهم ظاهرةٌ، وهي أنّهم تتبّعوا متشابهات القرآن والسُّنَّة، واخترعوا تأويلاتٍ ركيكةً وسخيفةً يأباها السياقُ والسباقُ.

ثم نبيّن **نكتة**، وهي أنَّ النبيَّ ﷺ إن كان ـ بالافتراض ـ قال كلمةً تدلّ على خلافة علي المرتضى، ثم ألقى خطبةً قربَ وفاته في مناقب أبي بكر الصدّيق، وأسند إليه إمامة [الصلاةِ] كان القول المتأخِّر ناسخاً للحكم المتقدِّم، أو صرفاً للكلام من ظاهره إلى معنى آخر.

وإن تنزّلنا من هذا الموضع قلنا: إنَّ النبي ﷺ كان أعقلَ مِنْ ألّا يعرف أن ذكر مناقب أبي بكر الصدّيق قُرْبَ وفاته، وإسناد أمر إمامة الصلاة إليه، يكون حجةً على ما يريد في آخر الحال، فكان ينبغي له أن يمسكَ عنه، وإلا يلزمُ تدليسٌ وتلبيسٌ، فلمَّا لم ينته عن ذلك، عرفنا بذلك أنَّ الغرض عند النبيِّ ﷺ لم يكن استخلافَ علي المرتضى.

ثم نذكر **نكتةً أخرى**، وهي أنّ ذكر استخلاف علي المرتضى لم يقع في القرآن العظيم بصريحِ اللفظِ، ولم يَرِدْ في الحديث المشهور كما يعترِفُ به المخالِفُ والموافق.

وأما الإشاراتُ الخفيّةُ في الكتاب والحديث المشهور أو الصراحة في خبر الواحد الذي تفرَّد بروايته المخالف، فالتفصيل في هذه المسألة أنّ قولَ السواد الأعظم على وجهِ ما ذكرتُه يمنَعُ ويَنْسَخُ الإشارةَ الخفيّةَ، ويصرِفُ الكلامَ من ظاهره المتبادَرِ إلى غيره بإجماع منا ومن مخالفينا، والخبرُ الواحِدُ في مقابلِ اتفاق كذا وكذا لو وقع فهو غيرُ مسموعٍ بإجماعٍ منّا ومن مخالفينا.

ثم نذكر **نكتةً أخرى**، وهي أنَّ كثيراً من الأدلّة الصريحة ليست نصاً في الاستخلاف، بل تُبيِّن استحقاقَ شخصٍ للاستخلاف، وحاصِلُ هذه الأدلّة: أنَّ هذا الشخص كاملٌ في نفسه، وتتوافر فيه شروط الخلافة، إن وقع الاتفاق عليه كانت خلافته راشدةً، وهذا ليس بعينِ الاستخلاف، ومثل هذه الأدلّة بين أيدينا لكلٍّ من الصدّيق والمرتضى، وقد ذكرنا في المقدّمة أنَّ النبيَّ ﷺ عاملَ خلفاءه معاملةَ الأمراء لولي عهده قولاً وفعلاً، فإذا تحقّقت الإمارةُ لشخصٍ في الخارج، كان ذلك أدلَّ دليلٍ على إثباتِ خلافته الراشدة، إذ إنَّ الخلافةَ الراشدةَ تشتمل على جزءين اثنين:

أحدهما: الإمارةُ، وهذه تُعْلَمُ بالحسِّ.

والثاني: أهلية الإمارة بأوصاف أودعها الله تعالى في استعدادِ هذا الشخص، وتُعلم هذه بهذه النصوص نفسها، فإذا لم تتحققِ الإمارةُ في شخصٍ رغم أهليته لها كان ذلك دليلاً على كمال الشخص في نفسه، لا على إيجاب خلافته، فلا يتحقّق غرض المستدلّ بمثل هذه الدلائل.

بالجملة: فإنّ هذه المقالةُ بمنزلة النقض الإجمالي لأدلّة المخالف، وبمنزلة التنبيه المُجْمَلِ على أسلوب التقصّي من إشكالاتهم.

ونتوجّه الآن إلى جواب مفصَّل مبسوط.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، فإنْ أنصفنا وألقينا النظر على سياق الآية تجلّى كالشمس في رابعة النهار أنَّ الله تعالى يبيِّن في هذه الآياتِ فضائلَ المهاجرين والأنصار، وأنهم ـ جميعاً ـ في المرتبة العليا في الأمة يأمرهم بتواصل بعضهم مع بعض، مثل ما يعامل أهل قبيلة بعضهم بعضاً، في تأكُّد عيادة المريض، وشهود الجنائز وغير ذلك، ويسلب هذه المنزلة من غيرهم بهذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلا في حكم، وهو إن استنصر غير المهاجرين عامَّة المسلمين على الكفّار يجب نصرهم، وإلّا يفعلوه تكن فتنة وفساد كبير، وهو غلبة الكفار على المسلمين، واجتياح أصل المسلمين رأساً.

وقال بعد ذلك: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ أي: وجوب التواصل بين المهاجرين والأنصار ليس ناسخاً لتواصل الأرحام.

ما قلنا: اتركوا تواصل الأرحام، والزموا تواصل المهاجرين والأنصار، بل لزوم وصل الأرحام مُحْكَمٌ على حاله غيرُ منسوخ، والتواصل بين المهاجرين والأنصار لا يزاحِمُه، وكل منهما واجب ومطلوب.

ويدلّ السياق والسباق على أنّ المراد من ﴿أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، هو صلة الرحم **ليس التوارث**، والطائفةُ الذين زعموا معناه التوارث فصلوا الآية عن السياق والسباق، مع أنَّ الآيةَ لا مجال للمخالف لإدخال رأيه

فيها أصلاً، ولكن حملهم الزيغُ والهوى على التأويل الباطل، فقالوا: الآيةُ عامّةٌ في الأمور كلّها لصحّة الاستثناء، ومنها الإمامة، وعليٌّ من أولي الأرحام دون أبي بكر، فهو أولى بخلافة رسول الله ﷺ.

وعجيبٌ أنْ يصدرَ هذا الكلامُ من عاقلٍ، إذ إنَّ غايةَ الأمر أنْ يكونَ مطلقاً، ونسأل: أولى في أي شيء؟ هل في هذا؟ أم في هذا؟ كما نقول: زيد أفضلُ من عمرٍو، فينشأ سؤال: في أي شيء؟ أفي العلم؟ أم في النسب؟ أم في الشجاعة؟ إلى غير ذلك، فإذا كان الاستثناء كان مع علامة الإطلاق أولاً، والأول مطلقٌ، والثاني مقيّدٌ، ويحوّلون المطلق إلى القرائن، أو يذكرون القيد صريحاً، وصحة الاستثناء لا تدلّ على ذلك، إذ إنَّ الاستثناء إذا كان، قلنا ـ على سبيل المثال ـ أولى إلا في كذا، يُقدّر هنا المستثنى منه بقرينة المستثنى، نحو «قرأت إلا يوم الجمعة»، معناها قرأت كل يوم إلا يوم الجمعة، ولو قلتُ: قرأتُ، كان إخباراً عن قراءةٍ ما، كذلك هذا، وإن صحَّ هذا الكلام، لزم أن يقسِّمَ أولو الأرحام الإمامةَ فيما بينهم، بمنزلة المال إن ماتَ إمامٌ، ولا قائل به.

وهنا نكتة غالية جداً، وهي أن سُنَّتين مسلوكتان في العالم:

إحداهما: سُنَّة الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم، التي لا يجري التوارث فيها، بُعث موسى وهارون عليهما السلام من سبط لاوي، وبُعث يوشع من سبط بنيامين، وداود وسليمان من سبط يهودا وهلمّ جرّا. . .

والأخرى: سُنَّة الملوك، كما أنّك علمتَ من تاريخ السلاطين بالتواتر أنّ ملكاً يموتُ ويعتلي العرشَ أحدُ أولاده، وإن كان أرادَ الملكَ غيرُ أولاده تصدّى الناسُ للحرب دفاعاً لوارثِ الملك، فإذا غلبَ كانت الدولةُ تخرج حينئذٍ من عائلة السلطان الأول.

ولخلافة النبوة احتمالان:

أحدهما: أن تلحق بالنبوَّة ولا يجري التوارث فيها.

والثاني: أن تنصرفَ إلى الملوكية، ويجري فيها التوارث بمقتضى طبيعة البشر، فإنْ ألحقوها بالنبوة ينبغي أن يجعلوا الخليفة ـ من بين الناسِ ـ مَنْ يُتمّم أعمالَ النبوّةِ، وإن صرفوها إلى الملوكية مالت نفوسُهم وطبائعُهم إلى إقامة الإرث، فلمَّا رأينا أنَّ الجميع سلكوا على خلافِ السُّنَّة الجارية في الملوكية، علمنا أنَّ مرادهم إقامة السُّنَّة الصالحة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإلى هذه النكتةِ أشارَ عبدُ الرحمٰن بن أبي بكر في قصة استخلاف معاوية لابنه حيث قال: سُنَّة كسرى وقيصر، لا سُنَّة أبي بكر وعمر.

ونقول تنزُّلاً من هذا المقام: إنَّ ترك العادة الجارية المستمرّة دليلٌ على أنّهم وجدوا هناك دليلاً أقوى على خلاف العادة المستمرّة رغم ميلان الطبائع إليها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، سياق الآية إنما هو ذكر المرتدّين وقتالهم، وهذا المعنى ثابتٌ في حقِّ أبي بكر الصدِّيق باتفاق المفسِّرين، قاله قتادة والضحاك والحسن البصري، وأوَّلُ دليل على ذلك هو تلك الحوادث والوقائع التي وقعت في العالم، وهل يوجَدُ بين المؤرِّخين من يذكر شخصاً قام بنصب القتال للمرتدّين بحشد جمع الرجال والنفير العام خلال هذه المدّة المتطاولة غير أبي بكر الصدّيق.

وتأتي لفظة «إنّما» في كلام العرب لإثبات الجملة السابقة وتحقيقها؛ يعني: لماذا تخافون، أيها المسلمون! من ارتداد العرب وجموعهم الحاشدة؟

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ مولاكم ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي يُلهم ويُدبّر الأمور بالإلهام،

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] الذي جاء بتعليم الجهاد، والترغيب إليه في العالم، ويُغيث أمته بدعاء الخير، ووليُّكم في الظاهر المحققون من أهل الإيمان، الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويتّصفون بوصف الخشوع والخضوع، ويتأهّلون لتحمّل الدعوة الإلٰهية، وينجِزُ الله تعالى على أيديهم إصلاحَ العالم، فثبت بشهادة السياق أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ نزل في أبي بكر الصدّيق، وفيه إيماءٌ إليه، وإلى الذين اتبعوه.

وإن تمسَّكنا بعموم الصيغة شمل جميعَ المحققين، ولهذا قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر حين قيل له: إنّها نزلت في عليٍّ قال: هو من المؤمنين، أخرجه البغوي.

وقال جابر بن عبد الله: نزلت في عبد الله بن سلام لمّا هجره قومه.

انظروا إلى زيغ هؤلاء المبتدعين، كيف أنّهم أرادوا ترويجَ أهوائهم الباطلة تركاً للسياق وراءهم ظهرياً، قال الزيدي في «الأساس»: المعنى لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥] عليٌّ وحده، لوقوع التواتر بذلك من المفسِّرين وأهل التواريخ، ورد بلفظ الجمع من باب إطلاق العام على الخاصّ، ونظيره قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧]، والمعنيّ بها ابن أُبيّ وحده.

أما التواتر الذي يتفوّه به فهو ممتنعٌ، إذ إنَّ معنى التواتر أن تكون جماعةٌ عظيمة ـ يستحيل تواطئها على الكذب عادةً ـ أدركت شيئاً بالحسّ ثمّ أخبرت بذلك، ولا يكون الحسّ هنا غير السماع من الصادق المصدوق ﷺ، ولم يثبتْ حديثٌ مرفوعٌ في هذا الباب فضلاً عن المتواتر.

وإن كان أريد بلفظ: «التواتر» «الاتفاق» على سبيل المسامحة، دخل في حيّز المنع أيضاً، لما مرّ عن جابرٍ وأبي جعفر محمد بن علي الباقر، بل هذا التأويلُ أمرٌ مختلَفٌ فيه، ينبغي التأمّل فيه، إن كان على القاعدة أخذناه وإن كان على خلافها رددناه.

ثم نقول: أيّ حاجة حملت على أن يُراد بلفظ العام معنى الخاصّ؟ ولا سيَّما إذا كان المرادُ بلفظ الجمع مفرداً، لا بدّ لمثل هذا التأويل البعيد من قرينةٍ قويةٍ، وأين توجد هذه القرينة؟

أما ما يظنّ الفقير فهو أن يكونَ بعضُ الناس قد فهموا من هذا اللفظ أنَّ المرادَ به هو علي المرتضى بطريق التعريض، والتعريض أمر مختلِفٌ عن تخصيص العام، إذ العام يبقى في مقامه على عمومه، وتدلّ القرائن مع هذا على دخول فرد واحد في حكم العام، بل تدلّ على سوق الكلام له وحده، كما قد بسطنا الكلام في ذلك في فصل التعريضات، لكن هذا الرجل لا يعرف هذا المعنى بسبب قلّة معلوماته، فيحمله على تخصيص العام.

ثم نقول: إنّه يصدق التعريضُ هنا إذا وقع ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ حالاً من ﴿يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وحده، وأن تكون هذه القصةُ المخترعةُ قد وقعت من علي المرتضى مراراً وتكراراً، وكلاهما ممنوعان من ثلاثة أوجه:

أولها: أن ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ وقع حالاً بعد فِقْرتين متناسقتين داخلتينِ في حيّز الصلة، مسندتين إلى ضمير الجمع، وهو فاعلهما، فالظاهر أنَّ يكونَ حالاً من كل من الفِقرتين، وحينئذٍ لا يبقى المعنى مربوطاً، فإنَّ صياغةَ الكلامِ تكون هكذا: «ويقيمون الصلاة وهم راكعون»، بل ينبغي أن نقول على خلاف ذلك: وهم خاشعون لله في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، أو نقول: يقيمون الصلاة المفروضة

ويؤتون الزكاة المكتوبة وهم راكعون مواظبون على النوافل.

والثاني: أن صيغة ﴿يُؤْتُونَ﴾ فعلٌ مضارعٌ يدلّ على استمرار تجدّدي، فإذا قُيِّد بالحالِ ينبغي أن يقع إيتاءُ الزكاة في حالةِ الركوع عدة مرّات، ولا تكفي مرّة واحدة، ولا قائلَ به.

والثالث: أنَّ التوجيه الذي اخترناه له تأثيرٌ كبيرٌ في تهذيب النفس، وأوفق للكتاب والسُّنَّة، إذ إنَّ الخشوع في وقت الصلاة والصدقة مطلوبٌ شرعي، ويؤيِّدُ ذلك آلاف مؤلفة من الدلائل الشرعية، وكذلك الإقامة للفرائض، والمواظبة على النوافل، ممدوحةٌ في الشريعة، وهي مدار أفضلية وأكملية أفراد البشر، على خلاف التصدُّق في حال الركوع، لا توجد أي مناسبة واضحة بمقاصد الشريعة، إلا أن تكون فيه دلالة على المسارعة في الصدقات في الجملة، وحينئذٍ من حسن العبارة أن يُقال: «وهم يسارعون في الصدقة» ولا دخل لخصوصية الركوع في ذلك حتى يدور عليه المدح والثناء.

وإن سلَّمنا أنَّ الآية نزلت في شأن علي المرتضى، كانت غايةُ الدلالة أنه رضي الله عنه ناصر المسلمين، والأمر كذلك، إذ إنَّ عليّاً المرتضى كان موفّقاً من الله تعالى كلَّ التوفيق في مشاهد النبي ﷺ حتى ظهرت أمورٌ عجيبةٌ ووقائعُ غريبةٌ على يده، مثل مبارزته يوم بدر وأُحد، وقتله لعمرو بن عبد ودّ في غزوة الخندق، وفتح حصن «خيبر» في «غزوة خيبر» إلى غير ذلك، وهذا نصرٌ للمسلمين، فمن أين فهمت الخلافة؟.

وإن قالت الشيعة: إنَّ «الولي» بمعنى «المتصرّف» في الأمور، مثل ولي المرأة في النكاح، وولي الصبي في معاملاته، وضمير الخطاب للأمة، ولا يكون ولي الأمة غير الإمام.

قلنا أولاً بنقض إجمالي: وهو إن كانت الآيةُ دالّة على إمامته في

الحال كان هو ـ بمقتضى ذلك ـ إماماً في حياة النبي ﷺ، ولا قائل به، وإن فهمنا بمعنى: «ولو بعد حين» كان في حقّنا؛ لأنّه رضي الله عنه كان في وقتٍ من الأوقات إماماً راشداً وحقاً، وهو وقت قيامه بالخلافة.

وثانياً بتحقيق: وهو حيثما ورد لفظ «الولاية» في القرآن جاء بمعنى «النصرة» قال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال في المائدة: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [المائدة: ٥١]، إلى غير ذلك، وخصوصاً في هذه الآية يدلّ السياق على معنى النصرة جهرةً؛ لأنه تبارك وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذه إشارةٌ إلى النصر، ثمّ قال بعد ذلك: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة]، وهذا صريحٌ في النصر.

أنصفوا: أهذا الدليل في نفسه يدلّ على وجوب خلافة علي المرتضى رضي الله عنه، أم جاؤوا به على دعواهم المستبعدة لمرض الهوى تخفيفاً عن آلامهم وأمراضهم؟!

وقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة]؛ يعني: الخلافة في رأي الزيدي، وأبو بكر كان ظالماً؛ لأنّه كان كافراً في أول عمره حتى بُعِث النبي ﷺ، ودعاه إلى الإسلام، وأصل القصة أنَّ الله تعالى خاطب سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة].

ولو أنَّ «الإمام» بمعنى: «القائد والزعيم» نبياً كان أو خليفةً أو

عالماً يُقتدى به، لكن المراد هنا هو النبي في الواقع، فمعنى الكلام أن الله تعالى جعل سيدنا إبراهيم نبياً، وبعثه إلى الناس، فسأل عليه الصلاة والسلام: اللَّهُمَّ ابعث طائفةً من الأنبياء من ذرّيتي فقال تعالى: لا يبلغ الوحي مني أو رسالتي الظالمين، وفي حكاية هذه القصة ردّ على مشركي العرب بأبلغ أسلوب لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف].

نقول بعد أن عُلِمَ معنى الآية: إنَّ هذا المقامَ ليس موضع ذكر الخلافة قطعاً، ولا يمسّ مدلول الآية مسألة الخلافة شيئاً، بل هنا ذكر الوحي والنبوّة فقط.

وإن سلّمنا ـ جدلاً ـ فإنَّ لفظ: «الظالم» يُطْلَقُ في الحقيقة على شخص كان ظالماً عند وقوع مضمون الجملة، لا على شخص كان ظالماً في زمن ما قبله أو ما بعده، وإطلاق العصير على الخمر، والخمر على العصير مجاز بالاتفاق، ولم يكن أبو بكر ظالماً حين توليه الخلافة.

وقوله ﷺ: **«ألا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزلةِ هارونَ مِنْ موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي»**[1] منشأ هذه القصّة أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ إلى تبوك، وخلّف علياً المرتضى في البيت لمصلحته العائلية، فآلم ذلك خاطره رضي الله عنه، وحزن لعدم شهوده المعركة، وعدم مرافقته للنبيِّ ﷺ، فقال له النبي ﷺ: **«ألا ترضَىٰ أنْ تكونَ مِنِّي بمنـزلةِ هارونَ مِنْ موسى»**.

• أخرج **الترمذي والحاكم** من حديث **سعد**: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول لعليٍّ، وخلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله! تخلّفني مع النساءِ والصبيانِ، فقال له رسول الله ﷺ: **«أما ترضَىٰ أنْ**

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/٤٠٦).

تكونَ منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى إلّا أنّه لا نبوةَ بعدي»[١].

والحاصل أنَّ سيدنا موسى عليه السلام جعل هارونَ عليه السلام خليفةً له على بني إسرائيل عند غيبته عنهم، حين ذهب إلى «الطور»، فكان هارون عليه السلام جمع بين ثلاث خصالٍ:

الأولى: أنّه كان من أهل بيت موسى.

والثانية: أنّه صار خليفةً له عند غيبته.

والثالثة: أنه كان نبيّاً.

فلمّا جعل النبيُّ ﷺ علياً المرتضى خليفةً في غزوة تبوك، وقع له تشبّه بسيّدنا هارون عليه السلام في خصليتن:

أولاهما: خلافته في وقت الغيبة.

والثانية: كونه من أهل البيت.

وليس له تشبُّه به عليه السلام في الخصلة الثالثة وهي النبوة، ولا علاقة لهذا المعنى بالخلافة الكبرى التي تكونُ بعد وفاة النبي ﷺ، ذلك لأن النبي ﷺ كان يؤمِّر واحداً من أصحابه على المدينة عند كل غزوة، الخلافة الكبرى شيء والخلافة الصغرى في وقت الغيبة شيء آخر، وإن كان هذا يدلّ على أنّه رضي الله عنه حقيقٌ بأن تفوض إليه الأمور، فإن ذلك لا يخالف ما نحن عليه.

ولو كان مرادُ النبيِّ ﷺ به بيان الخلافة الكبرى لشبّهه بيوشع الذي صار خليفة موسى من بعد وفاته، ليس بهارون عليه السلام؛ لأنَّ هارون عليه السلام كان خليفته عند ذهابه إلى الطور لا بعد وفاته، إذ إنّ وفاة هارون عليه السلام وقعت قبل موسى عليه السلام بعدة سنوات.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٢٤)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٧) برقم: (٤٥٧٥).

ولاحظوا تعنُّت الشيعة الآن، فإنّهم قالوا لتصويب هذا الدليل: «هذا يدلُّ على أنَّ جميعَ المنازل الثابتة لهارون من موسى ثابتةٌ لعلي من النبي ﷺ، وإلّا لما صحَّ الاستثناء، ومن المنازل الثابتة بهارون من موسى استحقاقه للقيام مقامه بعد وفاته لو عاش؛ لأنّه لو عزله كان منفِّراً، وذلك غير جائز على الأنبياء، وقالوا أيضاً: من جملة منازل هارون من موسى أنه كان شريكاً له في الرسالة، ومن لوازمه استحقاق الطاعة بعد وفاة موسى لو بقي، فوجب أن يثبت ذلك لعلي، إلَّا أنه امتنع الشركة في الرسالة، فوجب أن يبقى مفترضَ الطاعة على الأمة من غير رسالة وهذا معنى الإمامة.

نحن نقول: «**بمنزلة هارون من موسى**» هذا نوع من التشبيه، والمعتبَرُ في التشبيه هو الأوصاف المشهورة الجارية على الألسنة لا الأوصاف البعيدة.

ومثال ذلك: أن يتصوّر شخص من «زيد بمنزلة الأسد» أنياباً ووبراً لزيد، أو يتمثّل شركته في السبعية، والمشهور من خصال هارون عليه السلام إنّما هو الخصال الثلاث، ولا يفهم عاقل من مثل هذا الكلام معنى استحقاق الخلافة بعد الوفاة، وخصوصاً على وجه أن عدم الاستحقاق يستلزم العزل، والعزل باعث على نفور الخلائق، بل يمكن أن نقول: لو أن هارون عاش بعد موسى لما كان خليفة بالمعنى الاصطلاحي، إذ إن الخلافة بالمعنى الاصطلاحي يليق بها غير الأنبياء ليس الأنبياء.

ويمكن أيضاً أن نقول: إن انقطاع العمل الذي تمّ تفويضه بشرط الغيبة ليس عزلاً، بل هو تمام العمل وكماله، مثل ما يقولون: تعال بعد إنجاز عمل كذا، فجاء بعد ذلك، ويمكن أن نقول: إن استحقاق الطاعة في الأنبياء من جهة النبوة، فلمَّا استثنى النبوة من الأثناء استثني به كل ما

كان من جهة النبوة أيضاً، وأكثر الأمة لا تُثبت مرتبة الإمامة بمعنى الإمام المعصوم مفترض الطاعة، بل لا يحصُل مفهومه أصلاً، وكم يبعد بناء الكلام عليه عن الإنصاف.

• وقوله ﷺ يوم «غدير خمّ»: **«مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ»**، وأصل القصّة أن رسول الله ﷺ أرسل عليّاً المرتضى إلى اليمن، ووقع هناك بين المرتضى وجنوده خلافٌ، فلمَّا جاء هو وأصحابه إلى النبيِّ ﷺ في حجّة الوداع عرض جنوده الشكوى إلى النبي ﷺ، فتوقَّفَ النبيُّ ﷺ لعدة أيام، واستفسر عليّاً عن حقيقة الحال، فلمّا تنقَّح أصل القصّة في خاطره الشريف ﷺ، واطلع على تعنّت الجنود وتمرّدهم، ألقى خطبة أثناء الرجوع من حجة الوداع في رعاية صلة أهل البيت، وفي آخر خطبته كما ورد في بعض الروايات أنه ﷺ زجرهم على تمرّدهم ومخاصمتهم لعلي المرتضى، وأمرهم بموالاته.

• أخرج **مسلم** من طريق إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي حبان، عن يزيد بن حبان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى **زيد بن أرقم**، فلمّا جلسنا إليه قال له حصينٌ: لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً، رأيتَ رسول الله ﷺ، وسمعت حديثَه، وغزوتَ معه، وصلَّيتَ خلفَه، لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً، حدِّثنا يا زيدُ ما سمعتَ من رسولِ اللهِ ﷺ، قال: يا ابنَ أخي واللهِ لقد كبرتْ سِنِّي، وقدمَ عهدي، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعي من رسولِ اللهِ ﷺ، فما حدَّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلِّفونيهِ، ثم قال: قام رسولُ اللهِ ﷺ يوماً فينا خطيباً، بماءٍ يدعى «خُمّاً» بين مكّةَ والمدينة، فحمدَ الله، وأثنى عليه، ووعظَ وذكّر، ثم قال: **«أمّا بعدُ، ألا أيُّها الناسُ! فإنَّما أنا بشرٌ يوشِكُ أن يأتيَ رسولُ ربِّي فأجيبَ، وأنا تارِكٌ فيكم ثقلين: أوَّلُهما: كتابُ اللهِ، فيه الهُدَى والنُّورُ، فخذوا بكتابِ اللهِ، واستمسكوا به»**، فحثَّ على كتابِ اللهِ،

ورغّب فيه، ثم قال: «**وأهلُ بيتي، أذكِّركُمُ اللهَ في أهلِ بيتي، أذكّركمُ اللهَ في أهلِ بيتي، أذكّركمُ الله في أهلِ بيتي**»، فقال له حصين: ومن أهلُ بيته يا زيدُ؟ أليس نساؤه من أهل بيتِهِ؟ قال: نساؤه من أهل بيتِهِ، ولكنَّ أهلَ بيتهِ مَنْ حُرِمَ الصدقةَ بَعْدَهُ، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم[1]، ومن طريق محمد بن فضيل وجرير عن أبي حبان نحو حديث إسماعيل، ومن طريق سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان نحوه.

وهذا القدر من الرواية صحيح مذكور في «صحيح مسلم»، غير أنّ قصّةَ أمرِ الناسِ بموالاته ﷺ فلا توجد فيه، وقد اختلف فيه أهل الحديث، فطائفة منهم يراه صحيحاً، وطائفة أخرى يعتبره غريباً مطلقاً.

• ويرى هذا العبد الضعيف أنَّ هذه الزيادة ـ أيضاً ـ صحيحةٌ دون رتبة مسلم، أخرج **الحاكم** من طريق سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن **زيد بن أرقم** ﷺ قال: لمّا رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ من حجّة الوداع، ونزل «غديرَ خُمّ»، أمرَ بدوحاتٍ فقمن، فقال: «**كأنّي قد دُعيتُ فَأَجَبْتُ، إني قد تركتُ فيكم الثقلينِ: أحدُهُما أكبرُ من الآخِرِ، كتابُ اللهِ تعالى، وعترتي، فانظروا كيفَ تخلفوني فيهما، فإنَّهما لن يتفرَّقا حتَّى يردا عليَّ الحوضَ**»، ثم قال: «**إنَّ الله** ﷻ **مولاي، وأنا مولى كُلِّ مؤمنٍ**»، ثم أخذ بيد علي ﷺ، فقال: «**مَنْ كنتُ مولاه، فهذا وليُّه، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وعادِ مَنْ عاداه**»، وذكر الحديث بطوله[2].

• وأخرج **الحاكم** من طريق سلمة بن كُهَيل، عن أبيه، عن أبي

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٤٠٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/١١٨) برقم: (٤٥٧٦).

الطفيل، عن ابن واثلة، أنه سمع **زيد بن أرقم** رضي الله عنه يقول: نزل رسولُ اللهِ ﷺ بين مكة والمدينة عند شجراتٍ خمسٍ دوحاتٍ عظام، فكنسَ الناسُ ما تحتَ الشجراتِ، ثم راحَ رسولُ اللهِ ﷺ عشية، فصلَّى، ثم قام خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر ووعظ، فقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «**أيُّها الناسُ! إنِّي تاركٌ فيكم أمرينِ لن تضلُّوا إنِ اتبعتموهُما، وهما: كتابُ اللهِ، وأهلُ بيتي عترتي**»، ثم قال: «**أتعلمونَ أنِّي أولى بالمؤمنينَ من أنفسِهم؟**» ـ ثلاث مرات ـ، قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كنتُ مولاهُ، فعليٌّ مولاه**»[1].

• وأخرج **الحاكم** عن **بُريدة الأسلمي** رضي الله عنه، قال: غزوت مع عليٍّ إلى اليمن، فرأيت منه جفوةً، فقدمت على رسول الله ﷺ فذكرتُ عليّاً فتنقَّصته، فرأيتُ وجه رسولِ اللهِ ﷺ يتغيَّرُ، فقال: «**يا بريدةُ! ألستُ أولى بالمؤمنينَ مِنْ أنفسِهم؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فقال: «**مَنْ كنت مولاهُ، فعليٌّ مولاه**»[2].

• وأخرج **الحاكم والترمذي** نحوه، عن **عمران بن حُصينٍ** رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سريةً، واستعمل عليهم عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه، فمضى عليٌّ في السرية، فأصاب جاريةً، فأنكروا ذلك عليه، فتعاقد أربعةٌ من أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ إذا لقينا النبيَّ ﷺ لأخبرناه بما صنعَ عليٌّ، قال عمرانُ: وكان المسلمون إذا قدموا من سفرٍ بدؤوا برسولِ اللهِ ﷺ فنظروا إليه، وسلّموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمتِ السريةُ سلّموا على رسولِ اللهِ ﷺ، فقام أحدُ الأربعةِ، فقال: يا رسولَ اللهِ! ألم ترَ أنَّ عليّاً صنعَ كذا وكذا؟ فأعرضَ

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٨) برقم: (٤٥٧٧).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٩) برقم: (٤٥٧٨).

عنه، ثم قام الثاني، فقال مثل ذلك، فأعرضَ عنه، ثم قام الثالث، فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم قام الرابعُ، فقال: يا رسولَ اللهِ! ألم ترَ أنَّ علياً صنع كذا وكذا، فأقبل عليه رسولُ اللهِ ﷺ والغضبُ في وجهه، فقال: «**ما تريدونَ مِنْ عليٍّ، إنَّ علياً مِنِّي، وأنا مِنْهُ، ووليُّ كلِّ مؤمنٍ**»[١].

• وأخرج **الحاكم** عن **عمرو بن شاس الأسلمي** ـ وكان من أصحاب الحُديبية ـ قال: خرجنا مع علي رضي الله عنه إلى اليمن، فجفاني في سفره ذلك، حتى وجدتُ في نفسي، فلمّا قدمتُ، أظهرتُ شكايته في المسجدِ حتّى بلغَ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ، قال: فدخلتُ المسجدَ ذاتَ غداةٍ، ورسولُ الله ﷺ في ناسٍ من أصحابه، فلمّا رآني أبدني عينيه، قال: يقول: حدّد إليَّ النظرَ، حتَّى إذا جلستُ، قال: «**يا عمرو! أما واللهِ لقد آذيتَنِي**»، فقلتُ: أعوذُ باللهِ أن أؤذيكَ يا رسولَ اللهِ، قال: «**بلى، مَنْ آذى علياً فقد آذانِي**»[٢].

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: شكا علي بن أبي طالب الناسَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقامَ فينا خطيباً، فسمعتُه يقول: «**أيها الناس! لا تَشْكُوا عليّاً، فواللهِ إنَّه لأخشنُ في ذاتِ اللهِ وفي سبيلِ اللهِ**»[٣].

• وأخرج **الترمذي** عن **البراء** قال: بعث النبيُّ ﷺ جيشين، وأمَّرَ على أحدِهما عليَّ بنَ أبي طالب، وعلى الآخر خالدَ بنَ الوليد وقال: «**إذا كان القتالُ فعليٌّ**»، قال: فافتتحَ عليٌّ حصناً، فأخذ منه جاريةً، فكتب معي خالدٌ كتاباً إلى النبيِّ ﷺ يشي به، قال: فقدمتُ على النبيِّ ﷺ،

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٩) برقم: (٤٥٧٩).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣١) برقم: (٤٦١٩).
(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٤) برقم: (٤٦٥٤).

فقرأ الكتابَ فتغيَّر لونُه، ثم قال: «**ما ترى في رجل يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه؟**» قال: قلت: أعوذُ باللهِ من غضبِ اللهِ وغضبِ رسولِهِ، وإنّما أنا رسولٌ فسكت[١].

وقد بالغ النبي ﷺ في مداواة هذا الداء العضال وقام بتهديدات عظيمة.

ومن جملة ذلك:

• قوله ﷺ: «**مَنْ سبَّ علياً فقد سبّني**»، أخرجه **الحاكم**[٢] من حديث **أم سلمة**.

ومن جملة ذلك:

• خطاب النبي ﷺ في شأن المرتضى رضي الله عنه: «**مَنْ أطاعني فقد أطاعَ اللهَ ومن عصاني فقد عَصَى الله، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني**»، أخرجه **الحاكم**[٣] من حديث **أبي ذر**.

• **ومنها**: «**حبُّ عليٍّ آيةُ الإيمانِ، وبغضُ عليٍّ آيةُ النفاق**» أخرجه **البخاري**.

• وقال ﷺ: «**يا عليُّ طوبى لِمَنْ أحبَّك، وصدّقَ فيك، وويلٌ لمنْ أبغضَك وكذَّب فيك**»[٤]، كل هذه الألفاظ متقاربة المعنى، وأوقات ورود هذه الأحاديث متقاربةٌ أيضاً.

بعد ما أن تنقّح الحديثُ وسببُ وروده نتوجَّه إلى أصل الكلام:

• أمَّا حقُّ أهل البيتِ، فقد قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ أبرَّ البرِّ صلةُ**

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٢٥).

(٢) في «المستدرك» (٣/ ١٣٠) برقم: (٤٦١٥).

(٣) في «المستدرك» (٣/ ١٣٩) برقم: (٤٦٤١).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٥) برقم: (٤٦٥٧).

الرَّجُلِ أهلَ ودِّ أبيه»، أخرجه **مسلم**[1] من حديث **ابن عمر**، ولا شكَّ في أنه إذا كانت صلة أهل ودّ الأب مطلوبةٌ في الشرع، فإنّ صلة أقارب النبيِّ ﷺ مطلوبة بالطريق الأولى، ومعقول أن يعلِّمَ النبيُّ ﷺ أمته ذلك، ويدخل في هذا الأمر العباسُ وأولاده، وأزواجُ النبيِّ ﷺ جميعاً.

● عن **عبد المطلب بن ربيعة** أنّ العباسَ دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عندَه، فقال: «**ما أغضبك؟**».

قال: يا رسول الله! ما لنا ولقريش؟ إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوهٍ مبشَّرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك.

قال: فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتّى احمرَّ وجهُه، ثم قال: «**والَّذي نفسِي بيده، لا يدخُلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتّى يحبّكُم للهِ ورسولِهِ**»، ثم قال: «**يا أيها الناسُ! من آذى عمِّي فقد آذاني، فإنَّما عمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيه» أخرجه الترمذي**[2].

● عن **عائشة** أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقول: «**إنَّ أمرَكُنَّ ممَّا يهمُّنِي بعدي، ولنْ يصبِرَ عليكنَّ إلَّا الصابرون**»، قال: ثم تقول عائشة: «فسقى الله أباكَ من سلسبيلِ الجنّة (تريد عبدَ الرحمٰن بن عوف)، وكان قد وصل أزواجَ النبيِّ ﷺ بمالٍ بيعت بأربعين ألفاً». أخرجه **الترمذي**[3].

● عن **أم سلمة** قالت: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول لأزواجه: «**إنَّ الذي يحنو عليكُنَّ بعدِي لَهُوَ الصادقُ البارُّ، اللَّهُمَّ اسقِ عبدَ الرحمٰنِ بن عوفٍ من سلسبيل الجنةِ**»، **رواه أحمد**[4].

ومعنى الجمع بين الكتاب وغيره ـ إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا

---

(١) في «صحيحه» برقم: (٢٥٥٢).
(٢) في «سننه» برقم: (٣٧٥٨).
(٣) في «سننه» برقم: (٣٧٤٩).
(٤) في «مسنده» برقم: (٢٦٥٥٩).

إن اتبعتموهما، كتاب الله وأهل بيتي وعترتي ـ إن صلة أقارب النبيِّ وأزواجه ﷺ واجبةٌ ما دام الإيمانُ بكتابِ الله واجباً.

وسياقُ هذا الكلام يُشبِهُ سياق هذا الحديث: «**مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليكرِمْ ضيفَهُ**»[١]، وهذا المعنى ظاهِرٌ من لفظ مسلم في حديث زيد بن أرقم، وهو أصحُّ الألفاظِ لا خفاءَ فيه.

● وأما الغضبُ لعلي المرتضى، والتأكيد في النهي عن إيذائه، فكلُّ ذلك معقولُ المعنى، ولمّا ظهر أنَّ عليّاً كان على الحقِّ، وطاعنوه كانوا على الباطل، لم يبقَ طريقٌ إلا التشديد والغضب حتَّى يتحققَ العدل.

وقد رأيتَ تهيُّجَ الملكوتِ عند الإفك على عائشة أم المؤمنين، وقد قرأتَ قول النبي ﷺ حين نشوءِ الخلاف بين أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق: «**هل أنتم تاركون لي صاحبي**» الحديث، فبيَّن ﷺ وصيةَ الموالاةِ لعليٍّ المرتضى بهذه الكلمة: «**ألستُ أولى بِكُمْ من أنفسِكم؟**».

قالوا: بلى.

قال: «**فمن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»[٢].

ومعنى الابتداء بهذه الكلمة «**ألستُ أولى بِكُم مِنْ أنفسِكُم**»: أنَّه من حقوق النبيِّ صلوات الله وسلامه عليه على الأمة أن يُفوِّضوا جميعَ مصالحهم إليه ﷺ، ولا يبقى لهم الخيارُ والاستقلالُ مع النبي ﷺ؛ كالطفل في يدِ المرضعة، والأعمى بيدِ القائد والهادي، فمَنْ كانوا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٠١٨).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٩٢٩٨).

يعادون المرتضى، ويُبغضونه، ويُبيِّنون وجوه الشكوى، يليقُ بهم ألّا يعوِّلوا على أنفسهم وعقولهم، وأن ينقادوا لحكم النبيِّ ﷺ.

و«المولى» الصديق بقرينة: «**اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»، وبقرينة الأحاديث الكثيرة التي ذكرناها فيما تقدّم.

• **منها**: «**لا تبغض ولا تشكو**»، و«**حبُّ عليٍّ آيةُ الإيمانِ**»، و«**مَنْ سبَّ عليّاً فقد سبّني**»، إلى غير ذلك.

وبعد وضوح هذا المعنى ينبغي أن يُعْلَمَ أنَّ هذا الحديث لا علاقة له بمسألة إيجاب الاستخلاف، بل المرادُ هنا هو تعظيمُ صلةِ أهل البيت، والأمرُ بموالاةِ المرتضى، والنهي عن البغض والعداوة له، ولم يرد مثل هذا الكلام في شأن المرتضى وحدَه، بل ورد في شأن العباس وأولاده، وأزواجه الطاهرات، وفي شأن أبي بكر الصدِّيق أيضاً: «**هل أنتم تاركونَ لي أبا بكر**» الحديث.

عجباً لتعنّتِ الشيعة حيث يقولون: إنَّ لفظ: «المولى» بمعنى «الأولى»، والأولى هو متصرِّفٌ في حق جميع الأمة، ومن كان متصرِّفاً في حَقِّ جميع الأمة فهو الإمام، فالمرتضى إمام.

قلنا: معنى «المولى» و«المحبوب» لقرائن الأسباب المتقدمة.

ثم نقول: إنّ لفظ «المولى» مشهورٌ بمعنى المعتِق والمعتَق، وبمعنى ناصر ومالك أيضاً، ولكن لم يرد بمعنى ولي الأمر، ولم نسمع كلامَ العربِ لفظاً على وزن أفعل بمعنى فعيل، كما يقول الشيعة: إن «المولى» بمعنى «الأولى» وأولى بمعنى ولي الأمر.

ثم نقول لهم: مِنْ أين وجدتُم أن الولاية بمعنى التصرّف في الأمور الملكية؟.



الفصل الثامن

في تفضيل الشيخين

يتبيّن هذا المعنى بالأدلّة النقلية والعقلية، ولذلك قسَّمنا هذا الفصل إلى قسمين:

* القسم الأول: في بيان الأدلّة النقلية.
* القسم الثاني: في بيان الدلائل العقلية على أفضلية الشيخين.

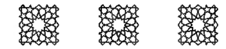




القسم الأول

في بيان الأدلّة النقلية

ليُعلمَ أنَّ فضيلة الشيخين ثابتةٌ بدلالة الكتاب والسُّنَّة السنية تصريحاً وتلويحاً، وبإجماع الأمة، وبملازمة استخلاف شخص بالخلافة الخاصة، وأفضليته على رعيته، ولذلك قسّمنا القسمَ الأول إلى أربعة مباحث:



المبحث الأول

[في دلالة كتاب الله على أفضلية أبي بكر الصديق رضي الله عنه على سائر الأمة]

إنَّ الله تعالى لم يجعل جميعَ الصحابة في مرتبةٍ واحدةٍ، بل فضَّل بعضَهم على بعض، ويتبيّن من استقراء أدلّة الشرع أن هذه الفضيلة تُعتبر في الشريعة بوجهين:

أحدهما: باعتبار السوابق الإسلامية.

والثاني: باعتبار الصفات النفسانية، التي تدخل في جملتها الصديقية والشهيدية والحوارية، وتتباين مراتبُ السابقين والأبرار لهذا السبب.

ويُستنبط بآيات وأحاديث كثيرة أنَّ براعة الجمال وكثرة المال وعلوّ النسب وما إلى ذلك، لا أثرَ لها في هذه الفضيلة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

• عَنْ **سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ** أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**».

فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»، متفق عليه(١).

أما وجه السوابق الإسلامية فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

لقد أفاد الله في هذه الآية أنَّ الصحابة ليسوا من طبقة واحدة، بل بعضهم أفضل من بعض، ومدار الفضل إنّما هو الجهاد ـ بالأنفس والأموال ـ في سبيل الله، فاتّضحَ من هذه الآية أنّ المجاهدين في سبيل الله بالأنفس والأموال من صناديد الأمة وأعلى طبقتها، وهم أفضلُ مِنْ غيرهم، وفي الأحاديث المشهورة ـ التي يقوم بها التكليفُ ولا يبقى عذر معها ـ قد ثبت أنَّ هؤلاء السعداء قد رافقوا النبي ﷺ في جميع المشاهد، إلا في بعض الأوقات لعذرٍ، وطائفةٌ وقع منهم القتالُ بزيادةٍ، وطائفةٌ أخرى وقع منهم الإنفاق أكثر، وطائفة قد وقع منهم كلٌّ من الأمرين على وجه الكمال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

---

(١) أخرجه البخاري وحده في «صحيحه» برقم: (٦٤٤٧)، ولم يخرجه مسلم لا بلفظه ولا بمعناه.

عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾، يقول: مَنْ أسلم ﴿وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾؛ يعني: أسلموا، يقول: ليس مَنْ هاجر كمن لم يُهاجِرْ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1].

عن قتادة في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ الآية، قال: كان قتالان أحدُهما أفضلُ من الآخر، وكانت نفقتان إحداهُما أفضلُ من الأخرى، قال: كانت النفقة والقتال قبل الفتح (فتح مكة) أفضلَ من النفقة والقتال بعدَ ذلك: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: الجنة[2].

وهذه الآية نصٌّ في أنَّ الطائفة الذين ظهر منهم القتال والإنفاق في سبيل الله قبل الفتح هي أفضل من الجماعة الذين وقع منهم ذلك بعد الفتح، وهذه الآية تدلّ ـ بطريق المفهوم الموافق ـ على أنَّ تباينَ المراتبِ واقعٌ، ومهما كانت مؤازرةُ النبيِّ ﷺ من ناحية القتال والإنفاق أسبق كانت الفضيلةُ أكثرَ.

ولهذا المفهوم الموافق شواهد كثيرة من الكتاب والسُّنَّة، ومن جملة ذلك آية سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾، وكلمة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ تدلّ ـ بصراحة ـ على أنَّ الجماعة الذين تقدَّمت هجرتهم وجهادهم هم أكثر فضيلةً من غيرهم.

وهناك أحاديث عديدة تدلّ على هذا المعنى:

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٣).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٣).

منها: حديث **البخاري**، عن **أبي الدرداء** أنَّ النبيَّ ﷺ قال (لعمر الفاروق الذي كان من المهاجرين الأولين): «**هل أنتُم تاركونَ لي صاحِبِي**»[(١)]، وجعل علّة تركه تقدّمه في تصديق النبي ﷺ.

ومنها: حديث **أنس**، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمٰن بن عوف: تستطيلون علينا بأيّامٍ سبقتمونا بها، فبلغَ النبيَّ ﷺ فقال: «**دعوا لي أصحابي، فوالّذي نفسِي بيدِهِ لو أنفقتُم مثلَ أُحُدٍ ـ أو مثلَ الجبالِ ـ ذهباً ما بلغتُم أعمالَهُم**»[(٢)].

ومنها: حديثٌ مستفيضٌ برواية **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي** رضي الله عنه وغيره، قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوالّذي نفسِي بيدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أدرك مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[(٣)]، والظاهر أن الخطاب موجَّهٌ إلى جمهور الحاضرين، فمراده ﷺ من «**أصحابي**» هو قدماء الصحابة لا محالة.

ينبغي أن يُعلم بعد وضوح هذه المقدمة أن أبا بكر الصدِّيق قام بالقتال والإنفاق في سبيل الله قبل الهجرة، وباشر عمر الفاروق القتال في سبيل الله قبل الهجرة، بخلاف الصحابة الآخرين، سواء كان علي المرتضى أو غيره، إذ إن القتال والإنفاق لم يقع منهم قبل الهجرة، فكان الشيخان أفضل من المرتضى وغيره من الصحابة بمقتضى فحوى هذه

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٤٠) وصاحبه ﷺ هو أبو بكر الصديق.

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٤) واللفظ له، «مسند أحمد» برقم: (١٣٨٣٩).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٧٣)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٥٤١)، «سنن أبي داود» (ح: ٤٦٥٨)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٨٦٠).

الآية، قال الواحدي: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]؛ يعني: فتح مكَّة[١]، قال مقاتل: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدوَّ مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده[٢].

• قال الكلبي في رواية محمد بن الفضيل: نزلت في أبي بكر، تدّل على أنه كان أوّلَ من أنفق المال على رسول الله ﷺ في سبيل الله، وأول من قاتل على الإسلام[٣].

• قال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامَه بسيفِهِ النبيُّ ﷺ وأبو بكر.

وقد شهد له النبي ﷺ بإنفاق ماله قبل الفتح، فيما أخبرنا عبد الله بن إسحاق بإسناده عن **ابن عمر**، قال: بينا النبيُّ ﷺ جالسٌ وعنده أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، عليه عباءة قد خلَّها على صدره بخلال، إذ نزل عليه جبريل عليه السلام، فأقرأه من الله السلام وقال له: يا رسول الله! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّها على صدره بخلال، قال: «**يا جبريلُ أنفقَ مالَه عليَّ قبلَ الفتحِ**»، قال: فأقرئه مِنَ الله السلام، وقل له: «**يقولُ لكَ ربُّك: أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هذا أم ساخِطٌ**؟ قال: فالتفت النبيُّ ﷺ إلى أبي بكر فقال: «**يا أبا بكرٍ هذا جبريلُ يقرِئُكَ مِنَ اللهِ السلامَ، ويقولُ: أراضٍ أنتَ عَنِّي في فقرِكَ هذا أَمْ ساخِطٌ؟**» قال: فبكى أبو بكر وقال: أعلى ربي أغضب؟ أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ[٤].

(١) «الوجيز»، للواحدي (١/ ٩٨٤).
(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣)، «تفسير مقاتل» (١/ ٣٤١).
(٣) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٣).
(٤) «فضائل الخلفاء الراشدين»، لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ١١٣).

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد: ١٠].

قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها، قال الزجّاج: لأنّ المتقدّمين نالهم من المشقة أكثر مما نال مَنْ بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠]؛ أي: وكلا الفريقين وعده الله الجنة[١].

• **أما قتال أبي بكر الصديق قبل الهجرة فهو ثابت بطرق كثيرة:**

• أخرج **البخاري** عن عُرْوَة بْن الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيداً، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ [غافر][٢].

• وعن **عمرو بن العاص** رضي الله عنه قال: ما تُنوِّل من رسول الله ﷺ شيء كان أشدّ من أن طاف بالبيت ـ كأنّه يقول ضحىً ـ فلقوه حين فرغ، فأخذوا بمجامع ردائه، وقالوا: أنتَ الذي تنهانا عمّا كانَ يعبدُ آباؤنا؟ فقال: «**أنا ذاك**»، فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه مِنْ ورائه، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾، ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر]، رافعاً صوته بذلك وعيناه

---

(١) «فتح القدير» (٧/ ١٤٦)، و«زاد المسير» (٨/ ١٦٤).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٨١٥).

تسيحان حتى أرسلوه[١].

• وعن **أنس** رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فجعل ينادي ويقول: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾؟ قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابنُ أبي قُحافةَ المجنون[٢].

• وعن **أسماء بنت أبي بكر** أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟

فقالت: كان المشركون قعوداً في المسجد الحرام، فتذاكروا رسولَ الله ﷺ، وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ دخل رَسولُ اللهِ ﷺ المسجدَ، فقاموا إليه، وكانوا إذا سألوه عن شيءٍ صدقَهم، فقالوا: ألستَ تقولُ في آلهتِنا كذا وكذا؟

قال: «**بلى**».

قال: فتشبَّثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخُ إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبَكَ، فخرجَ أبو بكر حتّى دخل المسجدَ، فوجدَ رسولَ اللهِ ﷺ والناسُ مجتمعون عليه، فقال: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾؟ قال: فلهوا عن رسولِ اللهِ ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر يضربونه، قالت: فرجع إلينا، فجعلَ لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام، رواه **أبو عمر** في «**الاستيعاب**»[٣].

• وعن **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس؛ أخبروني بأشجع الناس؟

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٦٢).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٤).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٦).

قالوا أو قال: قلنا: أنتَ يا أمير المؤمنين!

قال: أمّا إني ما بارزتُ أحداً إلا انتصفتُ منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟

قالوا: لا نعلم، فمن؟

قال: أبو بكر ﷺ، ولقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأخذته قريشٌ، فهذا يَجَأُ، وهذا يتَلْتِلُه، وهم يقولون: أنتَ الذي جعلتَ الآلهةَ إلـٰهاً واحداً، قال: فواللهِ ما دنا منه أحدٌ إلا أبو بكر، يضربُ هذا ويَجَأُ هذا، ويتلتلُ هذا، وهو يقول: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، ثم رفع عليٌّ بردةً كانت عليه، فبكى حتى اخضلّت لحيتُه، ثم قال: أنشدكم باللهِ أمؤمنُ آلِ فرعونَ خيرٌ أم أبو بكر؟ فسكتَ القومُ فقال: ألا تجيبوني؟ فواللهِ لساعةٌ من أبي بكرٍ خيرٌ مِنْ ملءِ الأرضِ مِنْ مؤمنِ آلِ فرعون، ذاك رجلٌ كتمَ إيمانَه، وهذا رجلٌ أعلن إيمانه(١).

• وعن **ابن جريج** قال: حُدِّثت أنَّ أبا قحافة سبَّ النبيَّ ﷺ، فصكَّه أبو بكر صكَّة فسقط، فذُكِرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**أفعلتَ يا أبا بكر؟**» فقال: واللهِ لو كان السيفُ منِّي قريباً لضربته، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢](٢).

• **وأما إنفاق أبي بكر الصديق قبل الهجرة فهو ثابت بطرق كثيرة كما سأذكره قريباً.**

• وأما قتال **عمر الفاروق** قبل الهجرة:

• فقد قال **ابن إسحاق**: وَلَمّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ

---

(١) انظر: «مسند البزار» (٣/ ١٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٤٣).

أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَدَّهُمَا النَّجَاشِيُّ بِمَا يَكْرَهُونَ، وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَ رَجُلاً ذَا شَكِيمَةٍ، لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، امْتَنَعَ بِهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِحَمْزَة حَتَّى عَازُوا قُرَيْشاً، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ، قَاتَلَ قُرَيْشاً حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ(١).

• وأخرج **الحاكم** عن **عبد الله بن عمر** أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء والصلاةُ قائمةٌ، وثلاثةُ نفرٍ جلوسٌ، أحدهم أبو جحش الليثي، قال: قوموا فصلّوا مع رسول الله ﷺ، فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقومَ، فقال له عمر: صلِّ يا أبا جحش مع النبيِّ ﷺ، قال: لا أقوم حتى يأتيني رجل هو أقوى مني ذراعاً، وأشدَّ مني بطشاً، فيصرعني، ثم يدسَّ وجهي في التراب، قال عمر: فقمتُ إليه، فكنت أشدَّ منه ذراعاً، وأقوى منه بطشاً فصرعته، ثم دسستُ وجهه في التراب، فأتى عليَّ عثمانُ فحجزني، فخرج عمر بن الخطاب مغضَباً حتى انتهى إلى النبيِّ ﷺ، فلما رآه النبيُّ ﷺ ورأى الغضبَ في وجهه، قال: «**ما رابَكَ، يا أبا حفص؟**».

فقال: يا رسول الله! أتيتُ على نفر جلوسٌ على باب المسجد، وقد أقيمت الصلاةُ، وفيهم أبو جحش الليثي، فقام الرجلان... فأعاد الحديث، ثم قال عمر: واللهِ يا رسولَ اللهِ ما كانت معونةُ عثمان إيّاه إلا أنه ضافه ليلةً فأحبَّ أن يشكرها له.

فسمعه عثمان، فقال: يا رسول الله، ألا تسمعُ ما يقول لنا عمر عندك؟

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤١).

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ رضى عمرَ رحمةُ اللهِ، لوددتُ أنّكَ كنت جئتني برأسِ الخبيثِ**»

فقام عمر فلما بَعُدَ ناداه النبيُّ ﷺ، فقال: «**هلمَ يا عمرُ أينَ أردتَ أن تذهب؟**».

فقال: أردت أن آتيكَ برأس الخبيثِ.

فقال: «**اجلس حتّى أخبرَكَ بغنى الربِّ عن صلاةِ أبي جحشٍ الليثي، إنَّ للهِ في سماءِ الدُّنيا ملائكة خشوعاً، لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامتِ الساعةُ رفعوا رؤوسهم، ثم قالوا: ربّنا ما عبدناك حقَّ عبادتك**».

فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وما يقولون يا رسول الله؟

قال: «**أمّا أهلُ السماءِ الدُّنيا فيقولون: سبحانَ ذي المُلك والملكوتِ، وأمّا أهلُ السماءِ الثانية فيقولون: سبحان الحيِّ الذي لا يموتُ، فقلها يا عمرُ في صلاتك**».

فقال: يا رسول الله، فكيف بالذي علمتني وأمرتني أنْ أقوله في صلاتي.

قال: «**قل هذه مرّةً، وهذه مرّةً**».

وكان الذي أُمِرَ به أن قال: «**أعوذ بعفوكِ من عقابِكَ، وأعوذ برضاك من سَخَطِكَ، وأعوذ بكَ مِنْكَ جلّ وَجْهُكَ**»[1].

● وعن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: قاتل عمرُ المشركين في مسجد مكة، فلم يزل يقاتلهم منذ غدوةٍ حتى صارتِ الشمسُ حيال رأسه، قال: وأعيا وقعد، فدخل عليه رجلٌ عليه بردٌ أحمرُ، وقميصٌ قومسي حسن الوجه،

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٣) رقم: (٤٥٠٢).

فجاء حتى أفرجَهم فقال: ما تريدون مِنْ هذا الرجل؟.

قالوا: لا والله إلا أنه صبأ.

قال: فنعم رجلٌ اختار لنفسه ديناً فدعوه وما اختار لنفسه، ترون بني عدي ترضى أن يُقْتَلَ عمر؟ لا واللهِ لا ترضى بنو عدي.

قال: وقال عمر يومئذ: يا أعداءَ اللهِ، واللهِ لو قد بلغنا بثلاث مائة لقد أخرجناكم منها.

قلت لأبي بعدُ: مَنْ ذلك الرجل الذي ردَّهم عنك يومئذ؟ قال: ذاك العاص بن وائل أبو عمرو بن العاص[١].

• وعن عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عمرُ رضي الله عنه قال المشركون: اليومَ انتصفَ القومُ مِنّا[٢].

• وكان المرتضى هذه الأيام صغيراً في حِجْر النبيِّ ﷺ وكفالته، لا يقدر على القتال والإنفاق خلافاً للشيخين، وما ثلمَ إسلامُه ملّةَ الكفر بخلافِ الشيخين، وإن استشكل أحدٌ إطلاق القتال على القتال بالعصا واليد، يدفع ذلك استعمالٌ شائعٌ في كلام العرب بأبلغِ أسلوب، واستعمالُ علي وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أدلّ دليل على ذلك، وإذا لم يكفِ كلُّ ذلك فإن قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩] نزلت في شأن المهاجرين، مع أنهم لم يستعملوا السلاح فهذه الآية قاطعة للشبهة.

• أما وجه التقرّب من الله فإن الله تعالى يقول في سورة الفاتحة التي أنزلها على ألسنة المسلمين: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة]؛ يعني: ينبغي لجمهور المسلمين أن يسألوا الله في

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩١) رقم: (٤٤٩٣).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩١) رقم: (٤٤٩٤).

صلواتهم الهداية لطريق الذين أنعم الله عليهم، ولا شك أن الجماعة الذين طريقهم من أعظم المطلوبات هم أفضل الناس عند الله تعالى، وإلا طلب طريق المفضول والمساوئ لا يُعقل، ثم فسّر تعالى «المنعم عليهم» بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

وبعد ذلك قال رسول الله ﷺ في أحاديث مستفيضة تقوم بها الحجة: «**أبو بكرٍ صدِّيقٌ، وعمرُ وعثمانُ شهيدان**»، فهذا برهان ساطع على أن هؤلاء السعداء أفضل الأمة، وتحقّقت لهم الرئاسة المعنوية على جميع المسلمين، وهناك وردت آياتٌ وأحاديث كثيرةٌ في معنى هذه الآية، تدلّ على أن الأمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

أولها: المقرَّبون السابقون.

والثاني: الأبرار والمقتصدون.

والثالث: الظالمون لأنفسهم.

والمقرّبون السابقون الطبقة العليا للمسلمين، والصدِّيقون والشهداء من جملة المقرَّبين السابقين، وهؤلاء المشايخ من جملة الصدِّيقين والشهداء، إلى أنْ تحقّقَ التواتر في كلِّ مقدمة، وإلى هذا النوع من الاستدلال إشارةٌ منقولةٌ عن الحسن البصري وأبو العالية حيث قالا في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾: رسول الله وصاحباه.

ثم كان قراءة أُبي بن كعب في سورة التحريم هكذا: وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر.

● عن **ابن عباس** قال: كان أُبَي يقرأها «وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر».

وقد فسَّر جمهور المفسِّرين «صالح المؤمنين» بهذين، قال ذلك من

الصحابة ابن مسعود، وابن عباس، وبُريدة الأسلمي، وأبو أمامة، ومن التابعين سعيد بن جبير، وعكرمة، وميمون بن مهران، والحسن البصري، ومقاتل بن سليمان، وكفى بهم قدوةً.

وأما ما حملهم على هذا التفسير فإنّه مهما كانت كلمة «وصالح المؤمنين» عامة، ولكن القصّة التي هي سبب نزول هذه الآية إنما تدلّ ـ بالقطع ـ على أنَّ أبا بكر وعمر يدخلان ضمن هذا العام، وذلك على نحو ما قال ابن اللُّتْبِيَّة في زمن النبي ﷺ: «هذا لكم وهذا أُهدي إلي» فقام النبيُّ ﷺ خطيباً، فقال: **«ما بالُ أقوامٍ نولِّيهم على عملٍ ممّا ولّاني اللهُ، ثم يقولُ أحدُهم: هذا لَكُم وهذا أُهْدِيَ إليَّ، هلّا جَلَسَ في بيتِ أبيه وأُمِّه فينظر أَيُهْدَىٰ لَهُ أَمْ لا»**[1]، فهناك قرائن كثيرة في هذه الصورة تدلّ على أنَّ ابن اللتبية داخلٌ في هذا العتاب بالقطع.

ومن جملة ذلك أنَّ سوقَ الكلام ومنشأَ الحديث، إنّما هو قصته بالذات، ثم حكى كلمته التي قالها وعاتبه عليها، فلا يتوقّف عاقل في دخوله فيه، كذلك القصة التي جرت بين النبي ﷺ وأزواجه الطاهرات وقعت فيها أمور كثيرة يضطرّ السامعون إلى الحكم بدخولهما في «صالح المؤمنين».

● عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: أنزل الله عُذْرِي، وكادت الأمةُ تهلك فيَّ، فلما سرِّي عن رسول الله ﷺ، وعرج المَلَكُ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: **«اذهبْ إلى ابنتِك، فأخبِرْهَا أنَّ اللهَ قد أَنْزَلَ عُذْرَها من السَّماءِ»**.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٢٥٩٧)، ومسلم في «صحيحه» (ح: ١٨٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٣٧٣) رقم: (٤٥١٥) كلهم باختلاف يسير في اللفظ، والمعنى واحد.

قالت: فأتاني أبي وهو يعدو، يكاد أن يعثرَ، فقال: أبشري يا بُنيّةُ، بأبي وأمي، فإنَّ اللهَ قد أنزلَ عُذْرَكِ.

قلت: بحمدِ اللهِ لا بحمدِكَ ولا بحمدِ صاحبِكَ الذي أرسلَكَ.

ثم دخل رسولُ الله ﷺ، فتناول ذراعي فقال بيده هكذا، فأخذ أبو بكر النعل ليعلوني بها، فمنعته أمي، فضحك رسول الله ﷺ فقال: **«أقسمتُ لا تَفْعَلْ»**[(١)].

وفي سورة التحريم: قال عمر: فإنِّي أظنُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ ظنّ أنِّي جئتُ من أجل حفصة، واللهِ لئن أمرني رسولُ اللهِ ﷺ بِضَرْبِ عنقها لأضربنَّ عنقها[(٢)].

أمّا وجه نفع المسلمين لأجلهم، فقد قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠]، علم من منطوق هذه الآية أنَّ هذه الأمة أفضل من سائر الأمم من جهة كمال صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدلُّ مفهومُها على أنّ مَنْ كان ـ من بين هذه الأمة ـ متصفاً بكمال الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو أفضل من غيره، وشاهد هذا المعنى قول الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

ثم يقول في آية أخرى في شأن المهاجرين الأولين: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١]، ولم يقع التمكين في الخارج إلا للمشايخ الثلاثة، فوجب أن يكون الوصفُ ـ الذي هو مدار الخيرية والفضيلة ـ متحققاً في

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٦١).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح: ١٤٧٩).

هؤلاء المشايخ، وتدلّ هذه الآيات على فضل هذه الجماعة على سائر المسلمين وعلى تقليل الشركاء جداً.

ونتوجَّه الآن إلى تعيين أبي بكر الصدِّيق من بينهم، فنقول: قال الله تعالى في سورة الليل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [الليل]، إنَّ سورة الليل من السور التي نزلت في أوائل البعثة، بينما كان الكفار يعذِّبون ضعفاء المسلمين، وجعل أبو بكر ماله وسيلةً لاستخلاصهم من أذى الكفار، إلى أن لم تبق للسامعين أيُّ شبهة من أحد الأمرين، إما أن يكون اللفظ عامّاً يشمل أبا بكر الصدِّيق قبل الآخرين من جهة قيام القرائن، وإما أن يكون «الأتقى» معهوداً، والمراد به شخصٌ معيّن، وذلك الشخص هو أبو بكر الصدِّيق.

• عن **ابن مسعود** أن أبا بكر الصدِّيق اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأُبي بن خلف ببردة وعشر أواق، فأعتقه لله، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾، سعي أبي بكر وأمية وأُبي إلى قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾، قال: لا إلٰه إلا الله إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]، قال: النار[(١)].

• عن **عروة** أن أبا بكر الصدِّيق أعتق سبعةً، كلُّهم يُعَذَّبُ في اللهِ: بلال، وعامر بن فُهيرة، والنّهدية، وابنتها، وزنِّيرة، وأم عيسى، وأمة بني المؤمل، وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾، إلى آخر السورة[(٢)].

• عن **عامر بن عبد الله بن الزبير** عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتقُ رقاباً ضعافاً، فلو أنّكَ إذا فعلتَ ما فعلتَ أعتقت رجالاً جُلْداً يمنعونك، ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبتِ إنِّي إنّما أريد

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٠).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٢).

وجه الله، فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل]، إلى قوله ﷻ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل][1].

• عن **سعيد بن المسيب** قال: نزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾ [الليل] في أبي بكر، أعتق ناساً لم يلتمس منهم جزاءً ولا شكوراً، ستة أو سبعة، منهم: بلال وعامر بن فهيرة[2].

• عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾، قال: هو أبو بكر الصدِّيق[3].

• وقال **عمار بن ياسر** في ذلك شعراً:

جزى اللَّه خيراً عن بلالٍ وصحبِه ... عَتِيقاً، وأَخْزَىٰ فاكِهاً وأبا جَهْلِ[4]

بالجملة: فإنّه لمَّا ثبتت هذه المقدمة، وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فكان الصدِّيقُ الأكبرُ أتقى الأمة، وأتقى الأمة هو أكرمُ الأمةِ وهو المطلوبُ.

ويدلّ كتاب الله على أفضلية أبي بكر وعمر من وجوه كثيرة على الأسلوب الذي قمت بتقريره.

❊ ❊ ❊

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٧٢) رقم: (٣٩٤٢)، «الدر المنثور» (١٠/ ٢٨٢).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٢).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٢).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٣٧٦).

المبحث الثاني

[في تصريح وتلويح من السُّنَّة السنية بأفضلية الصدِّيق ثم الفاروق ثم ذي النورين على سائر الأمة]

قبل أن نشرع في رواية الأحاديث نكتب نكتتين.

النكتة الأولى: أنّ مسألة أفضلية الشيخين في الملّة الإسلامية قطعيٌّ الثبوت، ويحصل اليقينُ هنا بوجهين:

أحدهما: تعدّد طرق الحديث إلى أن أصبح الأمرُ متواتراً بالمعنى، مثل سخاوة حاتم، وشجاعة رستم.

والثاني: توفّر القرائن؛ لأنّ خبرَ الواحد يصل إلى حدود اليقين بسبب ما تحفه به من القرائن.

مثال ذلك: أن نرى سقيماً طريحَ الفراش، يحمله أقاربه من طبيب إلى طبيب، ويئسوا من حياته ـ آخر الأمر ـ وأصيبوا بأنواع الهمّ والألم، إذ رأينا ذاتَ يوم نياحةً منكَرةً في بيته، والنعش على الباب، ويدخل الناسُ بيته أفواجاً من كلّ جانب، وهم محزونون صامتون، فإذا قام شخص يخبر بموت المريض بهذه المناسبة، يصل هذا الخبر الواحد إلى حدود اليقين، بسبب القرائن الحافة به.

وكذلك أحاديث أفضلية الشيخين محفوفة بقرائن كثيرة، وهذه القرائن على نوعين:

أحدهما: الأدلّة الظنية والخطابية التي توافق خبر الواحد في أصل الغرض، ومن جملة ذلك عموم ما في كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ في فضيلة المهاجرين والمجاهدين.

• مثل حديث رُفاعة في قصة مجيء جبريل إلى النبيِّ ﷺ قال: ما تعدّون أهل بدر فيكم؟

قال: «**مِنْ أفضلِ المسلمينَ**» ـ وقال رافع بن خديج: وخيارنا ـ، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة(١).

ومثل حديث جابر: كنّا يومَ الحديبيةِ ألفاً وأربع مائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أنتمُ اليومَ خيرُ أهلِ الأَرْضِ**»(٢).

وعلم من هذين الحديثين أنَّ مَنِ اتَّصف بالأفضلية فعددهم قليل جداً، والإشارات والإيماءات في كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ في فضيلة الشيخين يفهم منها أفضليتهما على جميع الأمة، فإنها توافق في معنى الفضيلة مع تقليل الشركاء جداً.

والثاني: من قرائن فروع الأفضلية هو: أن الأمة قالوا في كل موطن ومناسبة: «أفضل هذه الأمة» وذلك لمعرفتها بها قولاً وفعلاً، وقد ردّدوا هذه المقالة بوجه كأنه من اليقينيات لا مدخلَ لتجديد الفكر إليه، وكل من هذين المبحثين يتطلب تفصيلاً، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك، فينبغي استحضار هذه المقالات.

النكتة الثانية: إن قمنا باستقراء الأحاديث الواردة في أفضلية الشيخين وجدنا أنّ مدار الأفضلية على أربع خصال:

أولاها: هي تولي المرتبة العليا من مراتب الأمة، والصدِّيقية والشهيدية عبارة عن ذلك.

والثانية: هي مؤازرة النبي ﷺ، وتبليغ الإسلام في حين غربته،

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٥٦).

«أمنُّ الناسِ عليَّ أبو بكر، واساني بمالِهِ ونفسِهِ»، و«عزّةُ الإسلام» من خصائص عمر، إشارة إلى ذلك.

والثالثة: هي إنجازُ الأمور المطلوبة من النبوة بيد الشيخين، ورؤيا النبي ﷺ في قصة المقاليد، ورؤيا نزع الماء من البئر مظهرٌ من مظاهر ذلك.

والرابعة: علوّ درجاتهم في المعاد: **«سيدا كهولِ أهلِ الجنّة»**، و«الإقامة في الغرف العالية»، «والأولوية في الحشر»، «والتجلّي الخاص لأبي بكر الصدِّيق»، «ومعانقة الرب تبارك وتعالى لعمر الفاروق» بيان لذلك، وهذه الخصلةُ لا تنفصِلُ عن أي واحدة من الخصال الثلاث؛ لأن كثرة الثواب مناطها: إمّا الصفات النفسانية، وإمّا إعزاز الإسلام ونصرته، وإمّا إنجاز أعمال النبوة، ولكن يمكن أن يكون شخصٌ لم يتشرّف بصحبة النبي ﷺ لأجل تأخُّر إسلامه وإيمانه، ولم يشهد مشهداً من مشاهد الإسلام، وهو على الرغم من كل ذلك أفضل الأمة من ناحية إنجاز الأعمال المطلوبة من بعثة النبي ﷺ مع يده، أو باعتبار الصدِّيقية والشهيدية، أو لمناسبة قوته العاملة والعاقلة بنفس النبي ﷺ القدسية، ويمكن أن يحاول في إعزاز الإسلام ونصرته أقصى المحاولة، ويُتوفَّى في أواخر أيام حياة النبي ﷺ لم يعرف الأعمال المطلوبة من النبي ﷺ، فضلاً عن مباشرتها، ولم تكن له مناسبة قوية بالنبيِّ ﷺ باعتبار القوة العاقلة والعاملة، وغاية مرمى همته حال من أحوال الأبرار، ذلك من مقتضيات الإمكان العقلي، ولكن سنَّة الله تجري على ألَّا يلقي الدواعي العظيمة إلا في النفوس القدسية الذين تزكّت نفوسهم تحت تربية النبي ﷺ إلى مدة طويلة، والنبي ﷺ يقتضي منصبه النبوي العظيم ألا يكون خليفته إلا من كان أكمل الأمة من جهة هذه الخصال الأربع.

بالجملة: فإنه ينبغي التأمل الوافي في أحاديث هذا الباب والاستنباط لمدار الأفضلية من كل حديث بمفرده، والآن نتوجَّه إلى رواية الأحاديث بعد ذكر هذه الأشياء.

أما **باعتبار الأعمال التي قام بها النبي ﷺ من جهة النبوة**، فإن أفضلية الشيخين ثابتةٌ فيها بأحاديث كثيرة:

• **الحديث الأول**: حديث **أبي هريرة**، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**بينا أنا نائمٌ، رأيتني على قليبٍ، وعليها دلوٌ، فنزعتُ منها ما شاءَ اللهُ، ثم أخذَها ابنُ أبي قُحافةَ، فنزعَ مِنْها ذَنوباً أو ذَنوبينِ، وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ واللهُ يغفِرُ له، ثم استحالتْ غَرْباً، فأخذها عُمَرُ بنُ الخطَّاب، فلم أرَ عَبْقَرِيّاً من الناسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بنِ الخطابِ، حتى ضربَ الناسُ بعطنٍ**»[1].

• وحديث عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أريتُ في المنامِ أنِّي أنزعُ بدلوٍ بكرةٍ على قليبٍ، فجاءَ أبو بكرٍ، فنزعَ ذَنوباً أو ذَنوبين نزعاً ضعيفاً، واللهُ يَغْفِرُ لهُ، ثم جاءَ عمرُ بنُ الخطابِ، فاستحالتْ غَرْباً، فلم أرَ عَبْقَرِيّاً يَفْرِي فريّه، حتّى روي الناسُ، وضربوا بعطنٍ**»، رواهما **البخاري ومسلم** وغيرهما[2].

• وعن **أبي الطفيل** عن النبيِّ ﷺ وعن حبيب وحُميد، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا أنزعُ الليلةَ إذ وردتْ عليَّ غنمٌ سودٌ، وغنمٌ عُفْرٌ، فجاءَ أبو بكرٍ فنزعَ ذَنوباً أو ذنوبينِ، فيهما ضعفٌ، واللهُ يَغْفِرُ**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٦١٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٣٩٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (٣٦٨٢)، و«سنن الترمذي» (ح: ٢٢٨٩)، و«مسند أحمد» رقم: (٩٨٢٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٧٧)، و«المعجم الكبير»، للطبراني (١٢/ ٣٠١) رقم: (١٣١٧٧).

له، ثم جاءَ عمرُ، فاستحالتْ غَرْباً، فملأ الحياضَ، وأروى الواردةَ، فلمْ أرَ عبقريّاً من الناسِ أحسنَ نزعاً منه، فأوَّلْتُ أن الغنمَ السودَ العربُ والعفرَ العجمُ»[١].

• **والحديث الثاني**: حديث **ابن عمر** في الموازنة مع الأمة.

أخرج **ابن مردويه** عن **ابن عمر**، قال: خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ غداةٍ بعد طلوع الشمس، قال: «**رأيتُ قبلَ الفجرِ كأنّي أُعطيتُ المقاليدَ والموازينَ، فأمّا المقاليدُ فهي المفاتيحُ، وأمّا الموازينُ فهذِهِ التي يُوزَنُ بها، فوُضِعتُ في كفَّةٍ، ووضعتْ أُمّتي في كفّةٍ، فَوُزِنْتُ بهم فرجحتُ.**

ثم جِيءَ بأبي بكرٍ، فوُزِنَ بهم فرجَحَ.

ثم جِيءَ بعمرَ، فوُزِنَ بهم فرجحَ.

ثم جيءَ بعثمانَ، فَوُزِنَ بهم فرجَحَ، ثم رُفِعَتْ»[٢].

• **والحديث الثالث**: حديث **جابر بن عبد الله** أنه كان يحدِّثُ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أُري الليلةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكرٍ نِيطَ برسول الله ﷺ، ونِيطَ عمرُ بأبي بكرٍ، ونِيطَ عثمانُ بِعُمَرَ**».

قال جابر: فلمّا قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أمّا الرجلُ الصالح، فرسولُ اللهِ ﷺ، وأمّا تنوُّط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمرِ الذي بَعَثَ اللهُ به نبيَّه ﷺ[٣].

• **والحديث الرابع**: حديثُ **سَمُرَةَ بن جُنْدَب** أنّ رجلاً قال: يا رسولَ اللهِ! إني رأيتُ كأنَّ دلواً دُلِّي من السماء، فجاء أبو بكر، فأخذ

---

(١) «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٩٨) برقم: (٩٠٤).

(٢) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١/ ٢٤).

(٣) «سنن أبي داود» (ح: ٤٦٣٦).

بعراقيها[١]، فشربَ شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمرُ، فأخذ بعراقيها فشربَ حتى تضلَّعَ[٢]، ثم جاء عثمانُ، فأخذ بعراقيها، فشربَ حتّى تضلَّع، ثم جاء عليٌّ، فأخذ بعراقيها فانتشطتْ[٣]، وانتضحَ عليه مِنْها شَيْءٌ[٤].

• **والحديث الخامس**: حديثُ **ابن عباس وأبي هريرة**، وقع فيه تسمية الخلفاء بالتصريح، وهذا شاهدُ عدلٍ لهذه الأحاديث.

وهو أنَّ **ابن عباس** رضي الله عنهما كان يحدِّثُ أنَّ رجلاً أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: إنِّي رأيتُ الليلةَ في المنامِ ظلةً تنطِفُ السمنَ والعسلَ، فأرى الناسَ يتكفّفونَ منها، فالمستكثِرُ والمستقِلُّ، وإذا سَبَبٌ واصلٌ من الأرض إلى السماء، فأراكَ أخذتَ به فعلوتَ، ثم أخذَ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرَ فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرَ فانقطعَ، ثم وُصِلَ.

فقال أبو بكر: يا رسولَ الله! بأبي أنتَ واللهِ لتدعني فأعْبُرَها.

فقال النبيُّ ﷺ: «**اعبر**»، قال: أمَّا الظلةُ فالإسلامُ، وأما الذي ينطِفُ مِنَ العَسَلِ والسمنِ فالقرآنُ حلاوته تنطُف، فالمستكثِرُ من القرآنِ والمستقلُّ، وأمّا السببُ الواصلُ من السماءِ إلى الأرضِ فالحقُّ الذي أنتَ عليه، تأخذُ به، فيُعليكَ اللهُ، ثم يأخذُ به رجلٌ مِنْ بعدِكَ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فينقطِعُ به، ثم يوصَلُ له، فيعلو به، فأخبرني يا رسولَ الله! بأبي أنتَ أصبتُ أم أخطأتُ؟.

قال النبي ﷺ: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**»، قال: فواللهِ لتحدِّثني بالذي أخطأتُ.

---

(١) أي: أعواد يخالَفُ بينها، ثم تُشَدُّ في عُرَى الدلو، ويعلّق بها الحَبْلُ.
(٢) يريد الاستيفاء في الشرب.
(٣) أي: اضطرابها حتى ينتضح ماؤها.
(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٣٧).

قال: «**لا تُقْسِم**»[١].

كلُّ هذا يدلّ على أنَّ الأعمالَ المطلوبة من بعثة النبي ﷺ إنما تمَّت على يد هؤلاء المشايخ على ترتيب خلافتهم، ولا شريك لهم في هذا الأمر، فكانت الأفضليةُ باعتبار تكميل الأعمال إلى جانبهم دون غيرهم.

• **والحديث السادس**: حديث **حذيفة** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي، أبي بكرٍ وعُمَرَ**»[٢]

وعن **ابن مسعود** قال رسولُ الله ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي، أبي بكرٍ وعمرَ**»[٣].

يدلُّ هذا الحديث على أنّ الشيخين يقومان مقامَ النبيِّ ﷺ من بعد وفاته.

• **والحديث السابع: حديث بني المصطلق.**

عن **أنس بن مالك** قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: سَلْ لنا رسولَ الله ﷺ إلى مَنْ ندفعُ صدقاتِنا بعدَكَ؟ قال: فأتيتُه، فسألتُه، فقال: «**إلى أبي بكرٍ**»، فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه، فَسَلْه فإنْ حَدَثَ بأبي بكرٍ حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه، فسألتُه، فقال: «**إلى عمر**»، فأتيتُهم، فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فَسَلْه، فإنْ حَدَثَ بعمرَ حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فقال: «**إلى عثمانَ**»، فأتيتُهم فأخبرتُهم فقالوا: ارجع إليه فَسَلْه، فإنْ حَدَثَ بعثمانَ حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه فقال:

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٧٠٤٦).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٥).
(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٨٠٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٢٧).

«إنْ حَدَثَ بعثمانَ حدثٌ فتباً لكم الدَّهْرَ تبّاً»(١).

• **والحديث الثامن: حديث وضع الأحجار.**

عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: أوَّلُ حجرٍ حملَهُ النبيُّ ﷺ لبناءِ المسجدِ، ثم حملَ أبو بكرٍ حَجَراً آخر، ثم حملَ عمرُ حجراً آخر، ثم حملَ عثمانُ حجراً آخر، فقلت: يا رسول الله! ألا ترى إلى هؤلاءِ كيف يساعدونك؟ فقال: «**يا عائشةُ! هؤلاءِ الخلفاءُ مِنْ بعدي**»(٢).

• **والحديث التاسع**: حديث **جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِم** عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ، كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ، قَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أبا بكرٍ**»(٣).

• **والحديث العاشر**: حديث **العرباض بن سارية**، قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ موعظةً، ذرفتْ منها العيونُ، ووجِلَتْ منها القلوبُ، فقلنا: يا رسولَ الله! إنَّ هذه لموعظةُ مودِّع، فماذا تَعْهَدُ إلينا؟ قال: «**قد تركتُكُم على البيضاء، ليلُها كنهارِها، لا يزيغُ عنها بَعْدِي إلَّا هالكٌ، مَنْ يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكُم بما عرفتُم مِنْ سُنَّتي، وسُنَّة الخلفاءِ المهديينَ الراشدينَ، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وعليكُم بالطاعةِ، وإنْ كانَ عبداً حبشياً، فإنَّ المؤمنَ كالجَمَلِ الأَنِفِ حيثما قيدَ انقاد**»(٤).

ثم فسّر الخلافة بوجه تنطبقُ به على الخلفاء الثلاثة لا غير.

• وفي حديث **أبي هريرة**: «**الخلافةُ بالمدينةِ والمُلْكُ بالشامِ**» أخرجه **الحاكم**(٥).

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٢) برقم: (٤٤٦٠).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٣) برقم: (٤٥٣٣).

(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (ح: ٤٦).

(٥) «المستدرك» (٣/ ٧٥) رقم: (٤٤٤٠).

• والآن نثبت أن أبا بكر الصدِّيق أفضل من عمر الفاروق، وعمر أفضل من عثمان، وهذا المعنى ثابتٌ بحديث مستفيض، وهو الحديث الحادي عشر من أحاديث هذا الباب كما يأتي فيما يأتي:

• **والحديث الحادي عشر**: عن **سفينة** مولى أم سلمة ﷺ، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى الصبحَ، ثم أقبل على أصحابه، فقال: «**أيُّكم رأى الليلة رؤيا؟**» قال: فصلَّى ذات يوم، فقال: «**أيُّكم رأىٰ رؤيا؟**».

فقال رجلٌ: أنا رأيتُ يا رسولَ الله! كأن ميزاناً دُلِّي به من السماءِ، فوُضعتَ فِي كِفَّةٍ، ووُضِعَ أبو بكرٍ من كفَّةٍ أُخرى، فرجحتَ بأبي بكر، فرُفِعْتَ، وتُرِكَ أبو بكر مكانه، فجِيءَ بعمرَ بن الخطابِ، فوُضِعَ في الكفَّةِ الأخرى، فرجحَ به أبو بكر، فَرُفِعَ أبو بكرٍ، وجيءَ بعثمانَ، فوضع في الكفَّةِ الأخرى فرجحَ عمرُ بعثمانَ، ثم رُفِعَ عمرُ، وعثمانُ ورُفِعَ الميزانُ، قال: فتغيَّرَ وجهُ رسولِ الله ﷺ ثم قال: «**خلافةُ النبوَّةِ ثلاثون عاماً، ثم تكون مُلْك**»[1].

• وعن **أبي بَكْرَةَ**: أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذات يومٍ: «**مَنْ رأى مِنْكُم رؤيا؟**».

فقال رجلٌ: أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزلَ من السماءِ، فوزنتَ أنتَ وأبو بكر فرجحتَ أنتَ بأبي بكرٍ، ووَزِنَ أبو بكر وعمرَ فرجحَ أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمانَ فرجحَ عمرُ، ثم رُفِعَ الميزانُ، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ[2].

وعن عرفجة نحو من ذلك.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٥) رقم: (٤٤٣٨).
(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٢٢٨٧).

ليعلم هنا أنَّ مضمونَ حديث ابن عمر مختلِفٌ عن مضمون حديث أبي بكرة وعرفجة، إذ إنَّ في حديث ابن عمر الموازنة مع سائر الأمة، وفي حديث أبي بكرة وعرفجة الموازنة مع الخلفاء بعضهم مع بعض، وكلا المعنيين صحيحٌ روايةً ودرايةً.

• وليعلم أيضاً أنه أخرج **الدارمي** عن **أبي ذر الغفاري** قال: قلت: يا رسول الله! كيف علمتَ أنَّكَ نبيٌّ حين اسْتُنْبِئْتَ، فقال: «**يا أبا ذرّ! أتاني ملكانِ، وأنا ببعضِ بطحاءِ مكَّةَ، فوقع أحدُهما على الأرضِ، وكان الآخَرُ بين السماءِ والأرض، فقال أحدُهما لصاحبِه: أَهُوَ هُوَ؟ قال: نعم، قال: فَزِنْهُ بِرَجُلٍ، فوُزِنت بهِ فَوَزَنْتُهُ، ثم قال: فَزِنْهُ بِعَشَرَةٍ، فوُزِنْتُ بِهِم فرجَحْتُهم، ثم قال: زِنْهُ بمائةٍ فوُزنتُ بهم، فرجحتُهم، ثم قال: زِنْهُ بألفٍ، فوُزِنْتُ بهم فرجحتُهم، كأنِّي أنظرُ إليهم ينتثرونَ عليَّ مِنْ خفّة الميزانِ، قال: فقال أحدُهُما لصاحبه: لو وَزَنْتُهُ بأُمَّتِهِ لرجحَها**»[1].

لقد عرف النبي ﷺ هناك من الرؤيا وزن نبوته، إذ الوزن دلّ على الرجحان عند الله، وعلم هنا بهذه القصة خلافة الخلفاء الثلاثة وأفضليتهم.

• وأما **باعتبار إعانة الإسلام عند الغربة ومؤازرة النبي** ﷺ حين إيذاء الكفار وتعذيبهم، فأفضليةُ الشيخين ثابتةٌ بأحاديث كثيرة، ومنها الحديث الثاني عشر من أحاديث هذا الباب كما هو فيما يلي:

• **والحديث الثاني عشر**: حديث **أبي سعيد الخدري**، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ نبيٍّ إلَّا له وزيرانِ مِنْ أهلِ السماءِ، ووزيرانِ من أهلِ الأرضِ، فأمَّا وزيرايَ مِنْ أهل السماءِ فجبريلُ وميكائيلُ، وأمَّا وزيراي**

(١) انظر: «سنن الدارمي» رقم: (١٤).

من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعُمَرُ»[١].

• وعن **سعيد بن المسيب** قال: كان أبو بكر الصدِّيق ﵁ من النبيِّ ﷺ مكانَ الوزير، فكان يشاوِرُه في جميع الأمور، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في القبر، ولم يكن رسولُ اللهِ ﷺ يقدّم عليه أحداً[٢].

• **والحديث الثالث عشر**: عن **أبي أروى الدَّوْسي** قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ فاطلع أبو بكر وعمر، فقال: «**الحمدُ للهِ الذي أيَّدني بهما**»[٣].

• وعن حذيفة بن اليمان ﵄، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لقد هممتُ أن أبعثَ إلى الآفاقِ رجالاً، يعلِّمونَ الناسَ السُّنَنَ والفرائضَ، كما بعثَ عيسى ابنُ مريم الحواريين**».

قيل له: فأين أنتَ من أبي بكرٍ وعمرَ؟

قال: «**إنَّه لا غنى بي عنهما، إنَّهما من الدِّينِ كالسَّمْعِ والبَصَرِ**»[٤].

• **والحديث الرابع عشر**: هو إثباتُ مِنّةِ أبي بكر الصدِّيق على نفسه ﷺ، وذلك مستفيضٌ من حديث **أبي سعيد الخدري**، **وأبي هريرة** وعلي **المرتضى**.

• عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن أمنَّ الناس عليَّ في مالِهِ وصحبتِهِ أبو بكرٍ**»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٣٦٨٠).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٦) برقم: (٤٤٠٨).
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (ح: ٤٤٢١).
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٨) برقم: (٤٤٤٨).
(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٣٨٢).

• وعن **أبي هريرة** قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلَّا وقد كافأناه، ما خلا أبا بكر، فإنَّ له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحدٍ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ»**[١].

وهذه إشارةٌ إلى أفضليته باعتبار مؤازرة النبي ﷺ وتبليغ الإسلام.

• **والحديث الخامس عشر**: هو أوليةُ إسلام أبي بكر الصدِّيق من بين الأحرار البالغين، وظاهرٌ أنَّه لا يتزعزع بنيانُ ملّة الكفر بإسلام غير بالغ وحرٍّ.

وهذا مستفيضٌ أيضاً من حديث **أبي الدرداء**، **وعمرو بن عتبة**، و**المقدام** وعمّار.

• عن **أبي الدرداء** في قصّة مغامرة عمر معه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي»**[٢].

• **والحديث السادس عشر**: دعاءُ النبيِّ ﷺ في حقّ عمر الفاروق: **«اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام...»** وظهرت إجابةُ هذا الدّعاء بأبلغ الوجوه.

وهذا مستفيضٌ أيضاً من حديث **ابن عمر**، و**ابن عباس**، و**عائشة**، و**ابن مسعود**.

• عن **ابن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذينِ الرجلينِ إليكَ بأبي جَهْلٍ أو بِعُمَرَ بنِ الخطَّابِ»**، قال: وكان أحبّهما إليه عُمَرُ[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٣٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦١).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٨١).

وأما **حصول عزة الإسلام بإسلام عمر الفاروق**، فهو مستفيضٌ من حديث **ابن مسعود**، و**ابن عباس**، و**حذيفة**.

• عن **ابن مسعود**: «ما زلنا أعزَّةً منذُ أسلمَ عُمَرُ»[(١)]، وفي رواية: «واللهِ ما استطعنا أن نصلِّيَ عندَ الكعبةِ ظاهرينَ حتى أسلمَ عمرُ»[(٢)].

• **والحديث السابع عشر: استبشار أهل السماوات بإسلام عمر الفاروق**، وهذا ـ أيضاً ـ **تلويح بإعانة الإسلام والمسلمين**.

وهذا مأخوذٌ من حديث **ابن عباس**، قال: لمَّا أسلمَ عمرُ نزل جبرئيلُ، فقال: يا محمّدُ! لقد استبشرَ أهلُ السماءِ بإسلامِ عُمَرَ[(٣)].

• **والحديث الثامن عشر**: كان عمرُ رضي الله عنه **باباً مغلقاً من الفتنة**، ومن **جهنم**.

وهذا الحديثُ مستفيضٌ.

عن **حذيفة** وقد سأله عمر عن الفتنة الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً[(٤)]، ثم فسَّر البابَ لعمر، لأجل سؤال مسروق.

وقد ظهر بعد ذلك في الخارج مثل الشمس في رابعة النهار بفتح فارس والروم، الذي كان من ثمرات بعثته ﷺ، وتمّ ظهوره على يده بغير شركة أحد.

وتحقَّق جمعُ القرآن، الذي كان موعوداً في كتاب الله تعالى بجهوده

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٨٦٣).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٧).
(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (١٠٣).
(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٥٢٥).

بغير مشاركة من أحد، وتحقَّق الإجماع بسعيه، الذي هو ثالث أصول الشريعة بدون سعي من غيره.

وإنجاز تحقيق مقامات التصوّف وغير ذلك كذلك، حتى وقد تبيَّن اختصاص هؤلاء المشايخ وفق إشارة هذه الأحاديث رأساً برأس.

وقد تواتر أنَّ أبا بكر الصدِّيق هو أوَّلُ المسلمين، وقام بنصرة النبي ﷺ في مواطن كثيرة، وأسلم عمر الفاروق قرب السنة السادسة للنبوة، وازدادَ الإسلامُ به عزةً، وكل ذلك من البراهين القاطعة على أفضليتهما وتفسير لهذه الأحاديث.

وقد وصلنا ـ والحمد لله ـ إلى أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أفضلُ مِنْ عمر الفاروق رضي الله عنه في هذا الوصف ـ أي: السابقية ـ، وهذا المعنى ثابتٌ بقول النبي ﷺ في قصة مغامرة الصدِّيق مع الفاروق: «**هل أنتُم تاركونَ لي صاحِبي**»، وهو الحديث التاسع عشر من أحاديث هذا الباب كما هو فيما يلي:

• **والحديث التاسع عشر**: أخرج **البخاري** عن **أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتَّى أبدى عن ركبته، فقال النبيُّ ﷺ: «**أمَّا صاحبُكم فقد غامرَ**»، فسلَّم، وقال: إني كان بيني وبين ابنِ الخطَّابِ شيءٌ، فأسرعتُ إليه، ثم ندمتُ، فسألته أن يغفرَ لي فأبى عليَّ، فأقبلتُ إليكَ، فقال: يغفرُ الله لكَ يا أبا بكر ثلاثاً.

ثم إنَّ عمرَ ندمَ، فأتى منزلَ أبي بكرٍ، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبيِّ ﷺ فسلّم، فجعل وَجْهَ النبيِّ ﷺ يتمعَّرُ، حتى أشفقَ أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسولَ الله! واللهِ أنا كنتُ أظلمَ، مرَّتين، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله بعثني إليكُم فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو**

بكر: **صَدَقَ، وواساني بنفسِهِ ومالِهِ، فهل أنتُم تاركو لي صاحِبِي**» ـ مرتين ـ فما أوذي بعدها[١].

وأمَّا أنَّ عمرَ أفضلُ من عثمانَ فهو ثابتٌ بقصة مغامرة عثمان مع عمر الفاروق في نصر أبي جحش، قال النبي ﷺ: «**رضا عُمَرَ رحمةٌ**»، وهو الحديث العشرون من أحاديث هذا الباب كما هو يأتي فيما يلي:

• **والحديث العشرون**: حديث **عبد الله بن عمر** في قصة طويلة فيها مغامرةُ عمر مع أبي جحش، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ رضا عُمَرَ رحمةٌ**»، أخرجه **الحاكم**[٢].

• وأما **باعتبار الكمال النفساني**، وكونه من الطبقة العليا للأمة فهو ثابت بأحاديث كثيرة، ومنها شهادة النبي ﷺ في حق أبي بكر بالصدِّيقية، وعمر الفاروق، وعثمان ذي النورين بالشهيدية، وهذا هو الحديث الحادي والعشرون من أحاديث هذا الباب، **وهو فيما يلي**:

• **والحديث الحادي والعشرون**: وهو حديثٌ مستفيضٌ برواية **عثمان**، **وأنس**، **وأبي هريرة**، **وسعيد بن زيد**، وصحابي مبهم.

وأخرج أحمد في «مسنده»[٣] عن ثمامة بن حزن القشيري في قصة طويلة، قال **عثمان**: أنشدكم باللهِ والإسلام، هل تعلمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان على ثبيرِ مكةَ، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرّكَ الجبلُ، حتى تساقطت حجارتُه بالحضيض، قال: فركضَه برجلِه، وقال: «**اسْكُنْ ثَبِيرُ! فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدانِ؟**»

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٦١). (٢) في «المستدرك» (٣/ ٩٣).

(٣) لم يخرّجه أحمد في «مسنده» عن ثمامة بن حزن القشيري، ولكن أخرجه عن سهل بن سعد، وأنس بن مالك باختصارٍ جداً، ولكن أخرجه الترمذي (ح: ٣٧٠٣) عن ثمامة بن حزن القشيري.

قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

قال: الله أكبر شهدوا لي وربِّ الكعبة أني شهيد ثلاثاً.

• **والحديث الثاني والعشرون:** هو **إثبات مرتبة لأبي بكر الصدِّيق تقارِبُ الخلَّة.**

وهو مستفيضٌ، جيِّدُ الأسانيدِ من حديث **ابن عباس**، وابنِ **الزبير**، **وأبي سعيد الخدري**، و**عبد الله بن مسعود**، و**أبي المعلى**.

• عن **ابن عباس** عن النبيِّ ﷺ قال: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**»[١].

• **والحديث الثالث والعشرون:** هو **موافقة رأي أبي بكر الصدِّيق للوحي**، في وقائع عديدة، إلى أن أصبحَ القدر المشترك متواتراً بالمعنى، ومن جملةِ ذلك قصةُ فنحاص اليهودي، التي رواها عِكْرمةُ ومجاهِدٌ والسدّي.

• روي عن **عكرمة** أنَّ النبيَّ ﷺ بعث أبا بكر إلى فنحاص اليهودي يستمدُّه، وكتبَ إليه، وقال لأبي بكر: «**لا تفتتْ عليَّ بشيءٍ حتى ترجعَ إليَّ**»، فلما قرأ فنحاصُ الكتابَ، قال: قد احتاجَ ربُّكم، قال أبو بكر: فهممتُ أن أمدّه بالسيفِ، ثم ذكرتُ قول النبي ﷺ: «**لا تفتتْ عليّ بشيء**»، فنزلت: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ**﴾ الآية [آل عمران: ١٨١]، وقوله: ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٨٦][٢].

• وقال ابن جريج: حُدِّثْتُ أنَّ أبا قحافة سبَّ النبي ﷺ، فصكّه

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٥٦).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٣/٦).

أبو بكر صكّة فسقط، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**أفعلت يا أبا بكر؟**» فقال: والله لو كان السيف مني قريباً لضربته، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢][(١)].

• وعن **أبي أيوب الأنصاري** عن النبيِّ ﷺ قال: «**إني رأيتُ في المنامِ غنماً سوداء، يتبعها غنم عُفْر، يا أبا بكر اعْبُرْها**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله! هي العربُ تتبعُكَ، ثم تتبعُها العجمُ، حتى تغمرَها، فقال النبيُّ ﷺ: «**هكذا عَبَرَها المَلِكُ بِسَحَرٍ**»[(٢)].

• وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر][(٣)].

• وفي الحديبية، قال لعمرَ مثل ما قال له النبيُّ ﷺ، قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ[(٤)].

• **والحديث الرابع والعشرون**: هو **طلبُ النبيِّ ﷺ من أبي بكر الصدِّيق التعبيرَ والتأويلَ في وقائع كثيرة**، وهذا يدلُّ على أنَّ قوته العاقلة توافِقُ القوَّةَ العاقلةَ للنبيِّ ﷺ.

قال **محمد بن إسحاق**: وَقَدْ بَلَغَنِي أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ وَهُوَ مُحَاصِرٌ ثَقِيفاً: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! إنّي رَأَيْت أَنّي أُهْدِيَتْ لِي قَعْبَةٌ مَمْلُوءَةٌ زُبْداً، فَنَقَرَهَا دِيكٌ، فَهَرَاقَ مَا فِيهَا**».

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٥٣).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٧٣١).

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَظُنّ أَنْ تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَك هَذَا مَا تُرِيدُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَنَا لَا أَرَى ذَلِكَ**»[(١)].

• وقال ابن هشام: حَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنّهُ حُدِّثَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَحْمُودِيّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ كَأَنّي لَقِمْتُ لُقْمَةً مِنْ حَيْسٍ، فَالْتَذَذْتُ طُعْمَهَا، فَاعْتَرَضَ فِي حَلْقِي مِنْهَا شَيْءٌ حِينَ ابْتَلَعْتهَا، فَأَدْخَلَ عَلِيٌّ يَدَهُ فَنَزَعَهُ؟**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذِهِ سَرِيّةٌ مِنْ سَرَايَاك تَبْعَثُهَا، فَيَأْتِيك مِنْهَا بَعْضُ مَا تُحِبّ، وَيَكُونُ فِي بَعْضِهَا اعْتِرَاضٌ، فَتَبْعَثُ عَلِيّاً فَيُسَهّلُهُ[(٢)].

• **والحديث الخامس والعشرون:** هو نزع الخيلاء من صدر **أبي بكر**، وهذا يدلّ على أن قوته العاملة توافِقُ القوة العاملة للنبيِّ، وهذا تلو العصمة.

• من حديث **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّي ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ**»[(٣)].

• **والحديث السادس والعشرون:** هو كون **أبي بكر الصدِّيق مستجمعاً أنواع البرّ**، وهذا يدلّ على أنَّ **قوته العاملة توافق القوة العاملة للأنبياء**.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٤). (٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦٥).

• من حديث **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أصبحَ مِنْكُم اليومَ صائماً؟**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُم اليومَ جنازةً؟**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُم اليومَ مسكيناً؟**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال: «**فَمَنْ عادَ مِنْكُم اليومَ مريضاً؟**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعنَ في امرئٍ إلا دخلَ الجنّةَ**»(١).

• **والحديث السابع والعشرون: هو نداء الملائكة لأبي بكر الصديق من الأبواب الثمانية للجنة.**

من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ أنْفَقَ زوجينِ في سبيلِ اللهِ نُودِيَ من أبوابِ الجَنَّةِ! يا عبدَ الله هذا خيرٌ، فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ من بابِ الصَّلاةِ، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الجِهادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الجِهادِ، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصِّيامِ دُعِيَ من بابِ الرَّيّانِ، ومَنْ كانَ من أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّدقَةِ**».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأُمّي يا رسولَ اللهِ! ما على مَنْ دُعِيَ من تِلْكَ الأبوابِ من ضرورةٍ، فهل يُدْعَىٰ أحدٌ من تلك الأبواب كلِّها؟

قال: «**نعم، وأرجو أن تكونَ مِنْهُم**»، أخرجه **البخاري**، ومسلم

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٠٢٨).

والترمذي، **ومالك** في «الموطأ»[١].

• **والحديث الثامن والعشرون: وَضْعُ الله الحقَّ على لسان عمر، وهذه فضيلةٌ في عمرَ تماثِلُ الوحي في الأنبياء.**

وهذا الحديثُ مستفيضٌ، من حديث **ابن عمر**، **وأبي ذرّ**، **وعلي المرتضى** وغيرهم.

• عن **ابن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه**»، أخرجه **الترمذي**[٢].

• **والحديث التاسع والعشرون**: هو **إثبات المحدَّثية لعمر الفاروق**، وهي تلو الوحي.

وهذا مستفيضٌ من حديث **أبي هريرة**، **وعائشة**، **وعقبة بن عامر**.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كانَ فيما كانَ قبلَكُم مِنَ الأُمَمِ ناسٌ محدَّثون، فإنْ يَكُ في أُمَّتِي أحدٌ فإنَّه عُمَرُ**»[٣].

• **والحديث الثلاثون**: هو **فرار الشيطان من ظلّ عمر**، وهو تلو العصمة.

وهو مستفيض أيضاً من حديث **سعد بن أبي وقاص**، **وأبي هريرة**، **وبُريدةَ الأسلمي**، **وعائشة**.

عن **سعد بن أبي وقاص** قال: استأذنَ عمرُ على رسولِ اللهِ ﷺ وعنده نساءٌ من قريش يكلِّمْنَهُ، ويستكثِرْنَهُ، عاليةٌ أصواتُهنَّ، فذكر

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ١٧٩٧)، «صحيح مسلم» (ح: ١٠٢٧)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٧٤)، «موطأ مالك» (ح: ١٧٠٠).

(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٣٦٨٩).

الحديث إلى أن قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**والَّذي نفسِي بيدِهِ ما لَقِيَكَ الشيطانُ قطُّ سالكاً فَجّاً إلا سلكَ فَجّاً غيرَ فَجِّكَ**»، أخرجه **البخاري، ومسلم**[١].

• **والحديث الحادي والثلاثون**: هو **مناولةُ النبي ﷺ اللبنَ لعمرَ في المنام**، من حديث **عبد الله**: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ شربتُ** ـ يعني ـ: **اللبنَ، حتّى أنظرَ إلى الري يجري في ظُفُري أو في أظفاري، ثم ناولتُ عُمَرَ**»، فقالوا: يا رسولَ الله! فما أوّلته؟ قال: «**العلمُ**»، أخرجه **البخاري، ومسلم**[٢].

• **والحديث الثاني والثلاثون**: هو **موافقة رأي عمر الفاروق للوحي، وهذا يماثل الوحي**.

هو مستفيضٌ من حديث عمر، قال: وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ[٣]: في مقامِ إبراهيمَ، وفي الحِجَابِ، وفي أسارى بدرٍ[٤]، أخرجه **مسلم، والبخاري** نحوه.

• **والحديث الثالث والثلاثون: رؤية النبي في عمر زيادةَ الدّين**.

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرِضُوا عليّ، وعليهم قُمُصٌ، فمنها ما يبلغُ الثديَ، ومنها ما يبلغُ دونَ ذلك، وعُرِضَ عليَّ عُمَرُ وعليه قميصٌ اجترَّهُ**»،

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣٢٩٤)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٣٩٦).
(٢) «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٨١)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٣٩١).
(٣) وفي «الخير الجاري» (١/ ٢٤٧): وذكر البعض موافقته أحد وعشرين كما نقله السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (ص١٢٠)، وقال بعضُ آخر: في خمسة عشر، ولعلَّ قوله المذكور كان قبل الحوادث الباقية، أو لأنّ ذكرَ العددِ القليلِ لا ينفي العدد الزائد. انتهى. انظر: حاشية «صحيح البخاري»، للسهارنفوري (١/ ٦٩١).
(٤) «صحيح البخاري» (ح: ٤٠٢)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٣٩٩).

قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: «**الدين**»، أخرجه **البخاري ومسلم**[(١)].

• وأما **فضيلةُ الشيخينِ من ناحيةِ كثرة الأجر والثواب وعلوِّ درجتهما في الجنَّةِ**، فهي ثابتة بأحاديث كثيرة.

منها حديث: «**سيدا كهولِ أهلِ الجنَّة**».

وهو **الحديث الرابع والثلاثون** من أحاديث هذا الباب، وهو مستفيضٌ من حديثِ **أنسٍ**، و**علي المرتضى**، و**أبي جُحيفة**.

عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**هذانِ سيدا كهولِ أهلِ الجنَّةِ من الأوَّلينَ والآخرينَ إلا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»، أخرجه **الترمذي**[(٢)].

• وعن علي بطرق مختلفة، منها طريق علي بن الحسين بن علي، عن **علي بن أبي طالب** قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ إذ طلعَ أبو بكرٍ وعمرُ، فقال رسول الله ﷺ: «**هذانِ سيدا كهولِ أهلِ الجنَّةِ مِنَ الأوَّلينَ والآخرينَ إلا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»[(٣)].

• **والحديث الخامس والثلاثون**: هو **اختصاصهم بغرف الجنة**.

من حديث **أبي سعيد** رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أهلَ الدَّرجاتِ العُلَى ليراهُم مَنْ تحتَهم، كما ترونَ النَّجْمَ الطالعَ في أُفُقِ السماءِ، وإنَّ أبا بكرٍ وعمرَ منهم وأنعما**»[(٤)].

• **والحديث السادس والثلاثون**: هو **تقدُّم الشيخين على الأمة عند الحشر**.

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٩١)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٣٩٠).
(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٦٤).
(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٣٦٦٥).
(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٥٨).

من حديث **ابن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ ذاتَ يومٍ، ودخلَ المسجدَ، وأبو بكرٍ وعمرَ أحدُهما عن يمينه، والآخرُ عن شمالِهِ، وهو آخذٌ بأيديهما، وقال: «**هكذا نُبْعَثُ يومَ القيامةِ**»[١].

• وفي رواية عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أنا أوَّلُ من تَنْشَقُّ الأرضُ عنه، ثم أبو بكر، ثم عمرُ**»[٢].

• **والحديث السابع والثلاثون: أول من يدخل الجنة هو أبو بكر الصدِّيق.**

من حديث **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريلُ** عليه السلام **فأخذَ بيدي، فأراني بابَ الجنّةِ الذي تدخلُ منه أُمّتي**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله! وددتُ أني كنتُ معكَ حتّى أنظرَ إليه.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنّكَ يا أبا بكرٍ! أوّلُ مَنْ يدخلُ الجنّةَ من أُمّتي**»[٣].

• **والحديث الثامن والثلاثون:** هو **تجلِّي الله** عز وجل **لأبي بكر الصدِّيق خاصةً.**

• من حديث **جابر** في قصة وفد القيس، قال: فأجابهم أبو بكر رضي الله عنه بجوابٍ، وأجادَ الجوابَ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر! أعطاكَ اللهُ الرضوانَ الأكبر**».

فقال له بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله؟

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦٩).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٥) رقم: (٣٧٣٢).
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (ح: ٤٦٥٢).

قال: «**يتجلَّى اللهُ لعبادِهِ في الآخرةِ عامّةً، ويتجلَّى لأبي بكرٍ خاصَّةً**»[١].

• **والحديث التاسع والثلاثون:** هو ورود أبي بكر للحوض مع النبي ﷺ.

• من حديث **عبد الله بن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوضِ، وصاحبي في الغارِ**»[٢].

• **والحديث الأربعون: أول من يصافحه الحق تبارك وتعالى ويعانقه هو عمر الفاروق.**

• من حديث **أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُهُ الْحَقُّ عُمَرُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ**»[٣].

• وفي رواية أخرى عنه: «**أَوَّلُ مَنْ يعانِقُه الحَقُّ يَوْمَ القيامَةِ عُمَرُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُصافِحُهُ الحَقُّ يَوْمَ القيامَةِ عُمَرُ، وأَوَّلُ مَنْ يُؤْخَذُ بِيَدِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إلى الجنَّةِ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ** رضي الله عنه»[٤].

والآن نريد أن نذكر أن أفضلية أبي بكر الصدِّيق على عمر الفاروق من أين تفهم؟.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٣) برقم: (٤٤٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٣٦٧٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (ح: ١٠٤). وفي «الزوائد» (١/ ٧٦): إسناده ضعيف، فيه داود بن عطاء الليثي، وقد اتفقوا على ضعفه، وباقي رجاله ثقات، وقال السيوطي: قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في «جامع المسانيد»: هذا الحديث منكر جداً، وما هو أبعد من أن يكون موضوعاً، والآفة فيه من داود بن عطاء. انتهى.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٩).

فمصدر هذا المعنى إنَّما هو حديثُ عمّار وعائشة، وهو:

• **الحديث الحادي والأربعون** من أحاديث هذا الباب وهو فيما يلي:

• عَنْ **عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمَّارُ أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفاً، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، حَدِّثْنِي بِفَضَائِلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَوْ حَدَّثْتُكَ بِفَضَائِلِ عُمَرَ مِثْلَ مَا لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً مَا نَفِدَتْ فَضَائِلُ عُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ لَحَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ**»(١).

• وعن **عائشة** رضي الله عنها قالت: «بينا رأسُ رسولِ اللهِ في حِجري في ليلة ضاحيةٍ إِذْ قُلْتُ: يا رسولَ الله! هل يكونُ لأحدٍ من الحسنات عددَ نجومِ السماءِ؟ قال: «**نعم، عمر**».

قلت: فأين حسناتُ أبي بكرٍ؟

قال: «**إنما جميعُ حسناتِ عمرَ كحسنةٍ واحدةٍ من حسناتِ أبي بكرٍ**»(٢).

• وأما أفضليتهم بالإطلاق من دون اعتبار شيء بطريق الإشارة، وهي راجعةٌ إلى إحدى الخصال الأربع المذكورة فثابتة بأحاديث كثيرة، ومن جملة ذلك حديث عمرو بن العاص، وهو:

• **الحديث الثاني والأربعون** من أحاديث هذا الباب وهو فيما يلي:

• عن **عمرو بن العاص** رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٧٩) رقم: (١٦٠٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٨): فيه الوليد بن الفضل العنزي وهو ضعيف جداً.

(٢) أورده الخطيب في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٧١١) برقم: (٦٠٥٩).

السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَي النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**»(١)، وذلك كناية عن الأفضلية مطلقاً.

• **والحديث الثالث والأربعون**: هو أفضليةُ عمرَ الفاروق من حديث **جابرٍ** موقوفاً ومرفوعاً، ومن حديث **أبي سعيد الخدري**.

عن **جابر بن عبد الله**، قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعد رسولِ الله! فقال: أبو بكر: أمّا إنَّكَ إنْ قلتَ ذاك، فلقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٌ من عُمَرَ**»(٢).

وعن **أبي سعيد** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ذلكَ الرجلُ أرفعُ أُمّتي درجةً في الجَنَّةِ**»، قال أبو سعيد: واللهِ ما كُنّا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب، حتّى مضى لسبيله(٣).

• **والحديث الرابع والأربعون**: هو **أمرُ النبيِّ ﷺ بالإمامة في حال المرض، ونهيه عن إمامة غيره**، ومعلوم بالقطع أن يكون الإمام أفضل الناس.

وهذا الحديثُ مستفيضٌ عن **عائشة**، و**ابن عمر**، و**أبي موسى**، و**عبد الله بن زمعة**، و**عمر بن الخطاب**، و**ابن عباس**، و**ابن مسعود**، و**علي بن أبي طالب**، و**الزبير بن العوام** وغيرهم.

• عن **عائشة** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مُرُوا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ**».

فقالت عائشةُ: يا رسول الله! إن أبا بكرٍ إذا قامَ مقامَكَ لم يُسْمِعِ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦٢).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٨٤).
(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٤٠٧٧).

الناسَ مِنَ البكاءِ، فَأْمُرْ عمرَ فليصلِّ بالناسِ، قالت عائشةُ: فقلتُ لحفصةَ: قولي له: إنَّ أبا بكرٍ إذا قامَ مقامَكَ لم يُسْمِعِ الناسَ من البكاءِ، فَأْمُرْ عُمَرَ فليصلِّ بالناسِ، ففعلتْ حفصةُ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنكنَّ لأنتنَّ صواحبَ يوسفَ، مروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ**»، فقالت حفصة لعائشة: «ما كنتُ لأصيبَ منك خيراً»، **أخرجه الجماعة**[(١)].

• عن عائشة ﵂ قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أنْ يؤمّهم غيرُه**»[(٢)].

• وعن **ابن عمر** قَالَ: «لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ، قَالَ: «**مُرُوهُ فَيُصَلِّي**».

فَعَاوَدَتْهُ، قَالَ: «**مُرُوهُ فَيُصَلِّي، إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**»، أخرجه **البخاري**[(٣)].

• **والحديث الخامس والأربعون**: هو تنويه النبيّ ﷺ **بمناقب الشيخين أمام جمع من الصحابة.**

وذلك مستفيضٌ من حديث **علي المرتضى**، **وأنس**، **وأبي محجن** ﵃.

• عن **علي** قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رحمَ الله أبا بكرٍ، زوَّجني**

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٧٦٩)، «صحيح مسلم» (ح: ٤١٨)، «سنن النسائي» (ح: ٩٢٧٢)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٧٢)، «سنن ابن ماجه» (ح: ١٢٣٤).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٧٣). (٣) «صحيح البخاري» (ح: ٦٨٢).

ابنتَهُ، وحملني إلى دارِ الهِجْرَةِ، وأعتقَ بلالاً من مالِه، رحمَ اللهُ عمرَ، يقول الحقَّ وإنْ كانَ مرّاً، تركه الحقُّ وما له صديقٌ، رحمَ الله عثمانَ تستحييه الملائكةُ، رحمَ اللهُ عليّاً، اللَّهُمَّ أدرِ الحقَّ معه حيثُ دار»[١].

• **والحديث السادس والأربعون: تشبيه النبي ﷺ للشيخين بالملكين المقرَّبين والرسولين من أولي العزم.**

• أخرج **الطبرانيُّ** بسندٍ حسنٍ عن أُمِّ سلمةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ في السَّماءِ ملكينِ أحدُهما يأمرُ بالشدَّةِ، والآخرُ يأمرُ باللين، وكلٌّ مصيبٌ، وذكر جبريلَ وميكائيلَ، ونبيَّان أحدهُما يأمرُ باللينِ، والآخرُ يأمرُ بالشدَّةِ، وكلٌّ مصيبٌ، وذكر إبراهيمَ ونوحاً، ولي صاحبانِ أحدهُما يأمرُ باللينِ، والآخرُ بالشدَّةِ، وكلٌّ مصيبٌ، وذكرَ أبا بكرٍ وعُمَرَ**»[٢].

• وعن **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما قال: جاء فئامٌ مِنَ الناسِ إلى النبيِّ ﷺ، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! زعمَ أبو بكرٍ أنَّ الحسنات من اللهِ والسيئاتِ من العبادِ، وقال عمرُ: السيئاتُ والحسناتُ من اللهِ، فتابعَ هذا قومٌ، وتابعَ هذا قومٌ، فأجابَ بعضُهم بعضاً، وردَّ بعضُهم على بعضٍ، فالتفتَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى أبي بكرٍ، فقال: «**كيفَ قلتَ؟**» فقال قولَهُ الأوَّلَ، والتفتَ إلى عمرَ، فقال قولَه الأولَ، فقال: «**والَّذي نفسي بيدِهِ، لأقضينَّ بينَكُما بقضاءِ إسرافيل بينَ جبريلَ وميكائيلَ**»، فتعاظَمَ ذلك في أنفسِ النّاس، وقالوا: يا رسولَ الله! وقد تكلّم في هذا جبريلُ؟ فقال: «**إي والّذي نفسِي بيدِه، لَهُما أوَّلُ خلقِ اللهِ تكلَّمَ فيه، فقال ميكائيلُ بقولِ أبي بكرٍ، وقال جبريلُ بقولِ عمرَ، فقالَ جبريلُ لميكائيلَ: إنّا متى نختلِفُ**

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧١٤).

(٢) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٢٣/ ٣١٥) برقم: (٧١٥).

أهلُ السماءِ يختلِفُ أهلُ الأرضِ، فلنتحاكَمُ إلى إسرافيلَ، فتحاكما إليه، فقضى بينهما بحقيقةِ القَدرِ، خيرِه وشرِّه، حلوِه ومُرِّه، كلّه من اللهِ ﷻ، وإني قاضٍ بينكُما، ثم التفتَ إلى أبي بكرٍ، فقال: **يا أبا بكرٍ، إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لو أرادَ أن لا يُعْصَىٰ لم يَخْلُقْ إبليسَ**»، فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله(١).

• وأخرج **الحاكم** من حديث **عبد الله بن مسعود** في قصة بدر وإشارة أبي بكر إلى الفداء وإشارة عمر وابن رواحة إلى القتل، قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولونَ في هؤلاءِ؟ إنَّ مثل هؤلاءِ كمثلِ إخوةٍ لهم كانوا من قبلهم**، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح]، **وقال موسى**: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ **الآية** [يونس: ٨٨]، **وقال إبراهيم**: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٦﴾ [إبراهيم]، **وقال عيسى**: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة]»(٢).

والحديث السابع والأربعون: حديث **ابن عمر**: «كنا نخيِّرُ بين الناسِ في زمنِ النبيِّ ﷺ، فنخيِّرُ أبا بكرٍ، ثم عمر بنَ الخطّاب، ثم عثمان بن عفّان ﷺ»، أخرجه **البخاري**(٣).

وفي روايةٍ: «كنا نقول في زمن النبيِّ ﷺ: لا نعدِلُ بأبي بكرٍ أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحابَ النبيِّ ﷺ لا نفاضِلُ بينهم»(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٢٠٥).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢٤).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥٥).
(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٢٧).

وهذا الحديث خبر واحد، لكنَّه أصح شيء، وجزم بصحّته الشيخان وغيرهما، ويصحّ إيراده في إثبات مذهب السُّنَّة، وذلك باعتبار أنَّ ذلك صيغة تقرير وإثبات، وفي إثبات الإجماع أيضاً باعتبار منطوقه.

• **والحديث الثامن والأربعون: قبول النبي ﷺ مشورة الشيخين في وقائع كثيرة.**

• عن **عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري**، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**لو اجتمعتُما في مشورةٍ ما خالفتُكما**»، رواه أحمد[١].

• وأخرج **مسلم** في قصة طويلةٍ، عن **أبي هريرة** فقال ـ يعني: عمر ـ: يا رسولَ اللهِ! بأبي أنتَ وأُمِّي أبَعَثْتَ أبا هريرةَ بنعليكَ؛ مَنْ لَقِيَ يشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله مستيقناً بها قلبُه، بشِّره بالجنةِ؟ قال: «**نعم**»، قال: فلا تَفْعَلْ، فإنِّي أخشَى أنْ يَتَّكِلَ الناسُ عليها، فخلِّهم يعملون، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فخلِّهم**»[٢].

• **والحديث التاسع والأربعون: تكريم أبي بكر بلقب «الصدِّيق»**.
من حديث **علي المرتضى**، **وعائشة** رضي الله عنهما.

• عن **النزّال بن سبرة** قال: وافقنا عليّاً رضي الله عنه طيِّبَ النفسِ، وهو يمزحُ، فقلنا: حدِّثنا عن أصحابك، قال: كلُّ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ أصحابي، فقلنا: حدِّثنا عن أبي بكر، فقال: ذاك امرؤ سمّاه الله صدِّيقاً على لسان جبريل ومحمد صلى الله عليهما، أخرجه **الحاكم**[٣].

• وعن **عائشة** رضي الله عنها قالت: لما أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبحَ يتحدَّث الناسُ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممَّن كان آمنوا به

---

(١) «مسند أحمد» رقم: (١٧٩٩٤). (٢) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٣١).
(٣) «المستدرك» (٣/ ٦٥) برقم: (٤٤٠٦).

وصدَّقوه، وسعى رجالٌ من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لكَ إلى صاحبِكَ يزعمُ أنّه أسري به الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ؟

قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم.

قال: لئن قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أو تصدِّقه أنه ذهبَ الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ، وجاء قبل أن يصبحَ؟

فقال: نعم، إني لأصدِّقه في ما هو أبعدُ من ذلك، أصدِّقه في خبرِ السماءِ في غَدوةٍ أو رَوْحةٍ، فلذلك سُمِّي أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه[1].

• **والحديث الخمسون**: هو **اختيار النبي ﷺ أبا بكر الصديق لإمارة الحج**.

• أخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر رضي الله عنه، وأمره أن يُنادي بهؤلاء الكلمات...[2] إلخ، وأخرج البخاري[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه في مثل معناه.

إنّ إمارةَ الحجِّ إحدى الأمور العظيمة التي قام بها النبيُّ ﷺ من جهة النبوة مثل إمامة الصلاة، بل هي أدلُّ شيء على الاستخلاف منها.

إذ إنَّ إمامة الصلاة تنصرِفُ إلى شخص في كلِّ مسجد، بخلاف إمارة الحج، فإنها تعود إلى شخص واحد في تمام العالم.

وإمامةُ الصلاةِ تقدُّمٌ على قوم محصورين معدودين، وإمارةُ الحجِّ تقدُّمٌ على قوم غير محصورين ولا معدودين، وإمارةُ الحجِّ في ملّتنا ـ في

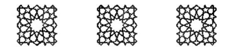
(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨١) برقم: (٤٤٥٨).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٣) برقم: (٤٣٧٥).
(٣) «صحيح البخاري» (ح: ٣١٧٧).

الحقيقة ـ مثل الجلوس على العرش، أو النزول في قصر الملوك العظيمة في الدولة الساسانية أو العباسية في الدلالة على الاستخلاف، ولكن الصحابة استدلُّوا بالإمامة لقرب عهدها، بخلافِ إمارة الحجِّ.

• **والحديث الحادي والخمسون: اختيار النبي ﷺ عمر الفاروق لأخذ البيعة منهم،** وهذا أكبر دليل على أفضليته.

وهذه الأحاديث التي تيسرت لنا في بيان أفضلية الشيخين في هذه الأوراق، وذكرنا الأحاديث الكثيرة كالنماذج، والغرض من إيرادِ هذه الأحاديث معرفةُ الخصال الأربع التي ذكرناها في البداية، وهي مدار الفضيلة التي تُعْرَفُ في هولاء المشايخ، ويجب أن تعلمَ أنَّ كلَّ خصلةٍ من هذه الخصال الأربع ثابتةٌ بالأحاديث المتواترة.

وأمَّا فضيلتُهم على أشخاص معدودين من أهل الفضل بتعيين أسمائهم، فهي لا توجد بالقطع في هذا الموضع، ولمعرفة القطع ينبغي الرجوعُ إلى مصادر ومسالك أخرى.



المبحث الثالث

تحقُّق إجماعِ الأمة على أفضلية المشايخ الثلاثة بترتيب خلافتهم

ونقوم بتقرير إجماع الأمة بوجهين:

أحدهما: حكايةُ انعقاد الإجماع بلسان الثقات.

والثاني: روايةُ أقوال الجمِّ الغفير من الصحابة والتابعين، على قدر ذاكرتي، وسعةٍ في الوقت، وهذه الرواياتُ متفقةٌ على بيان أصل معنى الأفضلية مهما تغايرت طرق الدلالة.

أما **الوجه الأول** فله رتبتان:

إحداهما: نقل صريح الإجماع.

• وهو من حديث **عبد الله بن عمر** قال: كُنّا نخيِّرُ بينَ الناسِ في زمن النبيِّ ﷺ فنخيِّرُ أبا بكرٍ، ثم عمرَ بنَ الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم، أخرجه **البخاري**[1].

وفي رواية: لا نعدلُ بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نتركُ أصحابَ النبيِّ ﷺ لا نفاضل بينهم، أخرجه **أبو داود**[2].

وإن كان هذا الحديثُ خبراً واحداً، لكنه أصحُّ شيءٍ في هذا الباب، ومحفوفٌ بقرائنَ كثيرة يحصل القطع باجتماعها، ذلك لأنَّ الروايات التي سنذكرها في (نقل الإجماع دلالةً)، وفي رواية أقوال الجمع العظيم من الصحابة والتابعين، تجد فيها أن الناس قالوا حينما

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥٥). (٢) «سنن أبي داود» (ح: ٤٦٢٧).

تكلَّموا حول أمر الاستخلاف: «**خير الأمة**» و«**أفضل الناس**» و«**أحقُّ بالخلافة**» و«**أحقُّ بهذا الأمر**»، وقد ذكروا ذلك بوجه كأنه كان محقّقاً لديهم من قبل، ولم تكن لهم حاجة إلى أيِّ استدلال وتحقيقٍ لهذا المقال ـ وهذه القرائنُ المذكورة تجعل الخبر الواحد قطعياً ـ.

والثانية: نقل الإجماع دلالةً، وبناؤه على أصلٍ، وهو أنَّ السكوتَ قبل تدوين المذاهب إجماعٌ، ونقرِّر ذلك في خمسة أنواع:

النوع الأول: أنَّ جماعةً من فقهاء الصحابة قالوا في أبي بكر الصدِّيق عند انعقاد خلافته: «**أفضل الأمة**»، واستدلّوا بذلك على استخلافه، وسلَّم ذلك الآخرون، ووافقوا على ذلك في أول الأمر أو بعد توقف وسكوت، والسكوت والتسليم قبل تدوين المذاهب إجماع كما بُيِّن في محله.

• من حديث **عمر الفاروق** قال: قلت: يا معشرَ الأنصارِ! يا معشر المسلمين! إنَّ أولى الناسِ بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار أبو بكر السبَّاق المبين، ثم أخذت بيده... الحديث، أخرجه **ابن أبي شيبة**[1]، من حديث **ابن عباس** في قصة سقيفة بني ساعدة.

• ومن حديث **الفاروق** أيضاً في قصة البيعة العامة، عن **أنس بن مالك** رضي الله عنه أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفّي النبي ﷺ، فتشهّد وأبو بكر صامتٌ لا يتكلّم، قال: كنتُ أرجو أن يعيشَ رسولُ اللهِ ﷺ حتّى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يكُ محمّدٌ ﷺ قد مات، فإنَّ الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمّداً ﷺ وإنّ أبا بكر صاحبُ رسول الله ﷺ

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣١) رقم: (٣٨١٩٨).

ثاني اثنين، فإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه[١].

• ومن حديث **الفاروق** أيضاً برواية **ابن مسعود** قال: لما قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ قالتِ الأنصارُ: مِنّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فأتاهم عمر، فقال: ألستُم تعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد أمرَ أبا بكرٍ أن يصلِّيَ بالناس؟ فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدَّم أبا بكر؟ قالوا: نعوذُ باللهِ أن نتقدَّم أبا بكر[٢].

• ومن حديث **أبي عبيدة بن الجراح**، فقال: أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة؛ يعني: أبا بكر، أخرجه **ابن أبي شيبة**[٣].

وأخرج **أحمد** معناه، غير أنه ذَكَرَ استدلال أبي عبيدة لاستخلافه ﷺ في الصلاة.

ومن حديث علي المرتضى والزبير رضي الله عنهما حين رجعا إلى البيعة: ما غضبنا إلّا لأنّا قد أخِّرنا عن المشاورة، وإنّا نرى أبا بكر أحقَّ الناسِ بها بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ، إنّه لصاحبُ الغارِ، وثاني اثنين، وإنا لنعلمُ بشرفه وكبره ولقد أمره رسولُ اللهِ ﷺ بالصلاة بالناسِ وهو حيٌّ، أخرجه **الحاكم**[٤].

النوع الثاني: أن عمر الفاروق بيَّن أفضلية أبي بكر الصدِّيق على المنبر في مجالسَ عديدةٍ، ولم يتّجه إليه ردّ وسؤال من القوم.

• من حديث **عبد الله بن عباس**، قال عمرُ: كان والله أن أقدَّمَ، فتُضْرَبَ عُنقي، لا يقربني ذلك من إثم أحبُّ إليَّ من أَنْ أتأمّرَ على قومٍ فيهم أبو بكر، اللَّهُمَّ إلا أن تُسَوِّل إليَّ نفسي عند الموتِ شيئاً لا أجده

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢١٩).
(٢) أخرجه النسائي في «سننه» برقم: (٧٧٧).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٣) رقم: (٣٧٠٥١).
(٤) «المستدرك» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٢).

الآن، أخرجه **البخاري**[١].

• ومن حديث **ابن عباس** قال عمرُ في جواب مَنْ قال: «إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ»: أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، أخرجه البخاري[٢].

مع أن عادة القوم في السؤال والاعتراض في محلِّ الخفاء معلوم، وهي مأخوذة من الروايات الكثيرة التي أصبحت متواترة بالمعنى، وقد ذكرنا منها كثيراً في بيان مقالات عمر الفاروق.

ورُوي أنّه قال يوماً على المنبر: يا معاشرَ المسلمينَ! ماذا تقولون لو مِلْتُ برأسي إلى الدُّنيا كذا؟ ـ وميَّلَ رأسُهُ ـ فقام إليه رجلٌ فسلَّ سيفه وقال: أجل! كنا نقولُ بالسيفِ كذا ـ وأشارَ إلى قطعه ـ فقال: إياي تعني بقولك؟ قال: نعم، إيَّاكَ أعني بقولي، فنهره عمر ثلاثاً، وهو ينهرُ عمرَ، فقال عمر: رحمك الله! الحمدُ للهِ الذي جعلَ في رعيَّتي من إذا تعوَّجت قوَّمني[٣].

النوع الثالث: أن أبا بكر الصديق بيَّن أفضلية عمر الفاروق عند استخلافه، ولم يأتِ ردٌّ وإنكارٌ من أي جانب.

• من حديث **زبيد بن الحارث** أنّ أبا بكر حين حضره الموتُ أرسل إلى عمر ليستخلِفَه، فقال الناسُ: تستخلِفُ علينا فظاً غليظاً، ولو قد وَلِيَنا كان أفظَّ وأغلظَ، فما تقول لربِّك إذا لقيتَه، وقد استخلفتَ علينا عمرَ، قال أبو بكر: أبربي تخوِّفونني؟ أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ.

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٦٨٣٠).
(٢) «صحيح البخاري» (ح: ٦٨٣٠).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٠).

ثم أرسل إلى عمر، فقال: إنِّي موصيكَ بوصيةٍ. . .، الحديث، أخرجه **ابن أبي شيبة**[١].

• ومن حديث أبي بكر الصدِّيق برواية **جابر بن عبد الله**، قال عمر لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعدَ رسولِ اللهِ، فقال أبو بكر: أما إنَّكَ إن قلتَ ذاك فلقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خير من عمرَ**»، أخرجه **الترمذي**، و**الحاكم**[٢]، والمعنى أنّه خيرهم في أيام الخلافة.

النوع الرابع: قد شرط عبد الرحمٰن بن عوف العمل بسيرة الشيخين في جمعٍ عظيمٍ عند استخلاف عثمان ذي النورين، وسلَّم ذلك الحاضرون من الأنصار والمهاجرين، وقد ناقش عليّاً المرتضى، وتباحث في أفضلية عثمان ذي النورين بمقابل نفسه لا على هذا الشرط، فهذا المعنى دليل قاطع على أفضلية الشيخين، إذ إنَّ إحالة أحد المجتهدين إلى المفضول أو من كان مساوياً له غير معقول.

• من حديث **مسور بن مخرمة**، فأرسل ـ يعني: عبد الرحمٰن ـ إلى مَنْ كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسلَ إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلمّا اجتمعوا تشهَّدَ عبد الرحمٰن، ثم قال: «أمّا بعدُ يا علي! إني قد نظرتُ في أمرِ الناسِ، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنَّ على نفسِكَ سبيلاً، فقال: أبايعُكَ على سُنَّة الله ورسولِهِ، والخليفتينِ من بعدِه، فبايعه عبد الرحمٰن، وبايعه الناس: المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون»، أخرجه **البخاري**[٣].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبه» (٧/ ٤٣٤) برقم: (٣٧٠٥٦).
(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٨٤)، «المستدرك» (٣/ ٩٦) رقم: (٤٥٠٨).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٠٧).

• ومن حديث **أبي الطفيل** قال: لما احتُضِرَ عمرُ، جعلها شورى بين علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد، فقال لهم عليٌّ: أنشِدُكم الله، هل فيكم أحدٌ آخى رسول الله ﷺ بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري؟ قالوا: اللَّهُمَّ لا، أخرجه **أبو عمر**(١).

• وأخرج **البخاريُّ** في قصة الاتفاق على عثمان، من حديث **عمرو بن ميمون**: فلمّا فُرِغ من دفنه، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمٰن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى علي، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمان، وقال سعدٌ: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمٰن بن عوف، فقال عبدُ الرحمٰن: أيُّكما تبرأَ من هذا الأمر فنجعله إليه، واللهُ عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلَهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمٰن: أفتجعلونه إليَّ والله عليّ أنْ لا آلو عن أفضلِكُم، قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابةٌ من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فاللهُ عليكَ لئنْ أمَّرْتُكَ لتعدلنَّ، ولئن أمَّرتُ عثمانَ لتسمعَنَّ ولتطيعنَّ، ثم خلا بالآخر، فقال له مثلَ ذلك، فلمَّا أخذَ الميثاقَ قال: ارفعْ يدكَ يا عثمانُ، فبايِعْهُ، فبايَعَ له عليٌّ، وولجَ أهل الدار فبايعوه(٢).

النوع الخامس: لقد بيَّن عليُّ المرتضى في أيّام خلافته أفضليةَ الشيخين في مجالسَ متعدِّدةٍ بالترتيب، وزجرَ الطائفةَ الذين كان لهم ظنٌّ فاسِدٌ في هذه المسألة، وكان فقهاء الصحابة حاضرين، ولم يظهر منهم منع واعتراض، بلغت هذه الآثار حدّ التواتر كما سنذكرها بعد قليل.

وقبل أن نشتغل برواية آثار الصحابة والتابعين **نذكر نكتةً**: وهي أنه

---

(١) «الاستيعاب» (١/٣٣٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٧٠٠).

إذا كان صحابي أو تابعي أو غيرُهما من العدولِ الثقاتِ يروي حديثاً قبل التمذهب بمذهب السلف، وتعصُّب كلِّ شخص لمذهبه، وقبل جمع أحاديثِ البلدان، والتكلّم في التطبيق والتأويل، ويجزم بصحته، فالظاهر أن يكون قائلاً بمنطوقه؛ لأنّه إن كان غيرَ قائل به رغم صحَّةِ الحديث عنده صار ساقطَ العدالةِ، وقد قيَّدنا بـ «القبلية» من جهة أنَّ ترك العمل بالحديث بعدَ هذه الحوادثِ قد راجَ وعمَّ، بسبب أنَّ العملَ بالحديثِ لا يتأهَّل لذلك إلا المجتهدُ المطلقُ، وقد فُقِدَ الاجتهاد في هذه الأيام، رغم أنَّ كلَّ ذلك خطأ، ولكن قد جعلوا ذلك عُذراً لأنفسهم، واختلفت الآراء كذلك في تطبيق الأحاديث وتأويلها، فيمكن، بل الواقع أن يروي العلماءُ حديثاً بالجزم بصحته بدون العمل بمنطوقه، ومنشأ ذلك خطأ اجتهادي، ولا تسقط عدالتُهم، بخلاف زمن ما قبلَ ذلك، لأنّ هذه الأشياء لم تكن موجودةً وقتذاك.

وقيَّدنا ذلك بـ«المنطوق» من جهة أن يروي عدلٌ حديثاً بالجزم بصحته، ولهذا الحديث معنى أو مقتضى دقيق المأخذ، وهو لا يفهم ذلك أصلاً، ولا ينتقل ذهنه إليه، فضلاً عن أن يكون قائلاً به، ويتّخذه مذهباً لنفسه، إذ إنَّ النفوسَ تختلف في إدراك المفهومات والمقتضيات، ويذهبون في الردّ والقبول إلى مذاهب شتى، بناءً على نحو ما يقول الأصوليّون: إنَّ السكوت عن الردّ والإنكار إجماعٌ، إذا كان ذلك قبل تدوين المذاهب لا بعده، فمن روى حديثاً يدلُّ على أفضلية الشيخين بمنطوقه، يأتي في عدادِ الإجماع والاتفاق، والآن نتوجَّه إلى أصل الغرض بعد ذكر هذه النكتة.

أمّا حكاية أقوال فقهاء الصحابة والتابعين في أفضلية الشيخين بالتفصيل فاستيعابه متعذِّر، لذلك نكتفي ببعض النماذج.

- أما **أقوال أبي بكر الصدِّيق في أفضليته**، فقد أخرج **الترمذي** عن

أبي سعيد قال: قال أبو بكر: ألستُ أحقَّ الناسِ بها؟ ألستُ أوَّلَ من أسلمَ؟ ألستُ صاحبَ كذا؟ ألستُ صاحبَ كذا؟[(١)]، قد اختلف في إرسال هذا الحديث ووصله.

• عن **عمرو بن الحارث** عن أبيه: أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال: أيُّكم يقرأُ سورةَ التوبة؟ قال رجل: أنا، قال: اقرأ، فلمّا بلغ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠]، بكى وقال: واللهِ أنا صاحبُه[(٢)].

• وأما **أقوال أبي بكر الصديق في أفضلية عمر الفاروق**، فقد أخرج **الترمذي عن جابر بن عبد الله**، قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعد رسول الله، فقال أبو بكر: أما إنّك إن قلتَ ذاك، فلقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٍ مِنْ عُمَرَ**»[(٣)].

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة عن زبيد بن الحارث**: أنَّ أبا بكر حين حضره الموتُ أرسل إلى عمرَ ليستخلفه، فقال الناسُ: تستخلف علينا فظاً غليظاً، ولو قد وَلِيَنا كانَ أفظّ وأغلظ، فما تقولُ لربِّكَ إذا لقيتَه وقد استخلفتَ علينا عمرَ، قال أبو بكر: أبربي تخوِّفونني؟ أقولُ: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ[(٤)]... الحديث.

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة**، عن محمّدٍ عن رجل من بني زُريقٍ في قصة طويلة، فقال أبو بكر لعمر: أنتَ أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضلُ مني[(٥)].

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٧).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٨٠).
(٣) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٨٤).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٤) برقم: (٣٧٠٥٦).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٣) برقم: (٣٧٠٥١).

• وأما **أقوال عمر الفاروق في أفضلية أبي بكر الصدِّيق**، فإنّها خارجة عن الإحصاء، بلغت حدَّ التواتر، قال في بعض الروايات: «**خير الناس**»، وفي بعضها: «**سبَّاق إلى الخير**»، وفي بعضها: «**أحقّ بالخلافة**». ومعلوم أن الخلافة مشروطة بشروط الكمال، ومن كان أحق بالخلافة كان أكمل الناس في هذه الصفات.

• فمن حديث عائشة، أخرج **البخاري** عن **عائشة** في قصّة سقيفة بني ساعدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنتَ سيدُنا وخيرُنا وأحبُّنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ[1].

وأخرج **الحاكم** عن هشام بن عروة عن أبيه عن **عائشة** رضي الله عنها عن عمر رضي الله عنه قال: كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ[2].

• ومن حديث **ابن عباس**، أخرج **البخاري** عن ابن عباس خطبة عمر في قصة الاتفاق على أبي بكر، وجواب مَنْ قال: إنما كانت بيعةُ أبي بكر فلتة، وفي تلك الخطبة قال عمر: ثم إنَّه بلغني أنَّ قائلاً منكم يقول: والله لو قد مات عمرُ بايعتُ فلاناً، فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول: إنَّما كانت بيعةُ أبي بكر فلتةً وتمَّت، ألا وإنَّها قد كانت كذلك، ولكنَّ الله وقى شرَّها، وليس فيكم مَنْ تقطع الأعناقُ إليه مثل أبي بكر[3].

وفي هذا الحديث أيضاً: كان واللهِ أن أقدَّمَ فيُضْرَبَ عنقي، لا يقرّبني ذلك من إثمٍ، أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر.

• ومن حديث **أنس**، أخرج **البخاري** عن أنس أنَّه سمع خطبةَ عمر الآخرةِ، وفيها: فإنْ يكُ محمَّدٌ ﷺ قد مات، فإنَّ الله تعالى قد جعل بين

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٦٨).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٩) برقم: (٤٤٢١).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٨٣٠).

أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ، وإنَّ أبا بكر صاحبُ رسول الله ﷺ ثاني اثنين، فإنَّه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه[(١)].

• ومن حديث **شيبة**، أخرج **البخاري** عن أبي وائل قال: جلست مع شيبة على كرسي في الكعبة، فقال: لقد جلسَ هذا المجلسَ عمرُ رضي الله عنه فقال: لقد هممتُ أن لا أدعَ فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته، قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال: هما المرءان أقتدي بهما[(٢)].

• ومن حديث **رجل من بني زريق**، أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في قصة الاتفاق على أبي بكر، قال: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنت أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضل مني، فقالاها الثانية، فلما كانت الثالثة قال له عمر: إن قوتي لك مع فضلك، قال: فبايعوا أبا بكر[(٣)].

• ومن حديث **جابر بن عبد الله** قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعد رسولِ اللهِ، فقال أبو بكر: أما إنّك إنْ قلتَ ذاك، فلقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشَّمْسُ على رجلٍ خيرٍ من عمرَ**»، أخرجه **الترمذي**[(٤)].

• ومن حديث **ابن عمر**، قال: قيل لعمرَ: ألا تستخلِفُ؟ قال: إنْ أستخلف فقد استخلفَ مَنْ هو خيرٌ منِّي أبو بكر، وإنْ أتركْ فقد تركَ مَنْ هو خيرٌ منِّي رسولُ اللهِ ﷺ، أخرجه **البخاري**[(٥)].

• وعن **ضبة بن محصن العنزي** قال: قلت لعمرَ بن الخطَّاب: أنتَ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢١٩).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٥٩٤).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٣) برقم: (٣٧٠٥١).
(٤) في «سننه» برقم: (٣٦٨٤).
(٥) في «صحيحه» برقم: (٧٢١٨).

خيرٌ مِنْ أبي بكر فبكى، وقال: واللهِ لليلةٌ من أبي بكرٍ ويومٌ خيرٌ من عُمْرِ عُمَرَ، هل لك أنْ أحدِّثكَ بليلتِه ويومِه؟ قال: قلت: نعم، يا أميرَ المؤمنين!.

قال: **أمّا ليلتُه** فلمّا خرجَ رسول الله ﷺ هارباً من أهل مكة خرج ليلاً، فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرةً أمامه، ومرةً خلفه، ومرةً عن يمينِه، ومرةً عن يسارِه، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**ما هذا يا أبا بكر؟ ما هذا مِنْ فعلِك؟**».

قال: يا رسول الله! أذكرُ الرَّصَدَ فأكونُ أمامَك، وأذكرُ الطلبَ فأكونُ خلفَك، ومرةً عن يمينِكَ، ومرةً عن يسارِك، لا آمنُ عليكَ، قال: فمشى رسولُ اللهِ ﷺ ليلتَه على أطرافِ أصابعِه حتى حفيتْ رجلاه، فلمّا رآه أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيتْ حمله على كاهلِه، وجعلَ يشتدُّ به، حتى أتى به فَمَ الغارِ، فأنزله، ثم قال له: والّذي بعثكَ بالحقِّ لا تدخلُه حتى أدخلَه، فإن كان فيه شيءٌ نزل بي قبلكَ، فدخل فلم ير شيئاً، فحمله فأدخلَه، وكان في الغار خَرْقٌ فيه حيّات وأفاعي، فخشي أبو بكر أن يخرجَ منهنَّ شيءٌ يؤذي رسولَ اللهِ ﷺ، فألقمَه قدمه، فجعلنَ يضربنه ويلسعنه: الحيات والأفاعي، وجعلت دموعُه تنحدِرُ، ورسولُ اللهِ ﷺ يقول له: «**يا أبا بكرٍ لا تحزنْ، إنَّ الله معنا**»، فأنزل الله سكينته وطمأنينته لأبي بكر، فهذه ليلته.

وأما يومه فلمّا تُوفِّي رسول الله ﷺ وارتدّتِ العربُ، فقال بعضهم: نصلِّي، ولا نزكِّي، وقال بعضهم: لا نصلِّي ولا نزكِّي، فأتيتُه، ولا آلوه نصحاً، فقلتُ: يا خليفةَ رسولِ اللهِ! تألَّف الناسَ، وارفق بهم.

فقال: جبَّارٌ في الجاهليةِ، خوَّارٌ في الإسلامِ، فبماذا أتألَّفهم،

أَبِشِعْرٍ مُفْتَعَلٍ، أو بِشِعْرٍ مُفْتَرى؟ قُبِض النبيُّ ﷺ، وارتفع الوحيُ، فوالله لو منعوني عقالاً، ممّا كانوا يعطون رسولَ الله ﷺ لقاتلتُهم عليه، قال: فقاتلنا معه فكانَ واللهِ رشيدَ الأمرِ، فهذا يومُه[١].

• ومن حديث **علقمة بن قيس**، قال: جاء رجلٌ إلى عمرَ وهو بعرفة، فذكر قِصَّة عبد الله بن مسعود، وبشارة النبيِّ ﷺ له، قال عمر رضي الله عنه: قلتُ: واللهِ لأغدونَّ إليه، فلأبشِّرنَّهُ، قال: فغدوتُ إليه لأبشِّرهُ، فوجدتُ أبا بكر رضي الله عنه قد سبقني إليه فبشَّرَهُ، ولا واللهِ ما سابقتُه إلى خيرٍ قط إلا وسبقني إليه، أخرجه **أحمد**[٢].

• ومن حديث **أسلم مولى عمر** قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطّاب يقول: أمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نتصدَّق، فذكر الحديثَ، إلى أن قال: قلت: «واللهِ لا أسبِقُه إلى شيءٍ أبداً»، أخرجه **الترمذي**[٣].

• ومن حديث **مالك بن أوس بن حدثان النضري**، أخرج **البخاري** في قصة بني النضير، ومخاصمة العباس وعلي، واللهُ يعلمُ أنه بارٌّ راشدٌ تابع للحق[٤].

• أما **أقوال الفاروقُ في أفضليته**:

فمن جملة ذلك قوله: «وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ: في مقامِ إبراهيمَ، وفي الحجابِ، وفي أسارَىٰ بدرٍ»[٥] أخرجه **مسلم، والبخاري** نحوه.

• وردت فضيلته صراحةً في «صحيح مسلم» حديث **ابن عباس** سأل فيه عمرَ الفاروق عن المرأتين اللتين نزلتْ في شأنِهما آية ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٨٠).
(٢) في «مسنده» برقم: (١٧٥). (٣) في «سننه» برقم: (٣٦٧٥).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٣٣).
(٥) «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٩٩)، و«صحيح البخاري» برقم: (٤٠٢).

[التحريم: ٤]، أخرجه مسلم[(١)].

• وأخرج محمد بن الحسن في «الموطأ» عن **سالم بن عبد الله** قال: قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: لو علمتُ أنّ أحداً أقوى على هذا الأمر منّي لكانَ أن أقدَّم فتضربَ عنقي أهونُ عليَّ، فمَنْ وَلِيَ هذا الأمرَ بعدي، فليعلمْ أنْ سيردُّه عنه القريبُ والبعيدُ، وايمُ اللهِ إنْ كنتُ لأقاتِلُ الناسَ عن نفسِي[(٢)].

• وأما أقواله في فضيلة الستّة[(٣)] الذين أوصى لهم بالخلافة:

• فمن جملة ذلك حديثُ **مسلم**: «فإن عُجِّل بي أمرٌ فالخلافةُ شورى بين هؤلاء الستة، الذين تُوفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ»[(٤)].

• **وأما أقوال عثمان ذي النورين التي قالها في فضيلة الشيخين وأفضلية نفسه:**

• فمن جملة ذلك الحديث المرفوع الذي رواه ردّاً على منكري خلافته، قال عثمان: أنشِدُكم باللهِ والإسلامِ، هل تعلمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان على ثَبِيرِ مكةَ، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرّكَ الجبلُ حتى تساقطتْ حجارتُه بالحضيضِ، قال: فركضَهُ برجلِه، وقال: «**اسكُنْ ثَبِيرُ! فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان؟**».

قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٣٦٧٩).
(٢) «موطأ محمد» (٣/ ٤٨٦) برقم: (٩٧٧).
(٣) وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنهم.
(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٥٦٧).

قال: اللهُ أكبرُ شهدوا لي ـ وربِّ الكعبة ـ أنِّي شهيدٌ ثلاثاً[(١)].

• ومن جملة ذلك ذكر **فضل نفسه وبشارات النبي ﷺ في حقّه**.

وهذا باب مبسوط ينبغي فحصها في مآثر ومناقب عثمان ذي النورين.

• ومن جملة ذلك قوله في مسألة الجدّ لما قال عمر بتشريكه: «وإن نَتْبَعِ الشيخَ قبلك فنعمَ الشيخُ كان: يعني أبا بكر». وقوله للصدِّيق في حديث: «ما نجاة هذا الأمر»: كنت أحقّ بهذا.

• وقوله في جواب تعريضاتِ عبد الرحمٰن بن عوف بالطعن عليه: «إنِّي لم أترك سُنَّةَ عمرَ، فإنِّي لا أطيقُها ولا هو»، أخرجه **أحمد**[(٢)].

• وروى **عبيد الله بن عدي بن الخيار**، قال عثمانُ رضي الله عنه: أمّا بعدُ، فإنَّ الله بعثَ محمّداً ﷺ بالحقّ، فكنتُ ممّنِ استجابَ للهِ ولرسولِه، وآمنتُ بما بعثَ به، وهاجرتُ الهجرتين، كما قلتُ وصحبتُ رسولَ الله ﷺ، وبايعتُه، فواللهِ ما عصيتُه ولا غششتُه حتّى توفّاهُ الله عز وجل، ثم أبو بكر مثله، ثم عمرُ مثله، ثم اسْتُخْلِفْتُ، أفليسَ لي مِنَ الحقِّ مثل الذي لهم؟!

قلتُ: بلى.

قال: فما هذه الأحاديثُ التي تبلغُني عنكم[(٣)]، الحديث.

• أما أقوال علي المرتضى رضي الله عنه فينبغي أن يُعلمَ أنَّ أفضليةَ الشيخين كانت مذهبَ جميع أهل الحق، ولكن لم يُبيِّن ذلك أحدٌ بأسلوب أصرح وأقوى من علي المرتضى، مرفوعاً وموقوفاً، وقام كلُّ

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧٠٣).
(٢) «مسند أحمد» برقم: (٤٩٠).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٩٦).

صحابي من صحابة رسول الله ﷺ بالتصريح بأفضلية الشيخين مع إحدى الخصال الأربع التي قمنا بتقريرها سابقاً، وصرَّح علي المرتضى بكلٍّ من الخصال الأربع.

○ ○ ○ ○ ○

وهذه الروايات عن الآخرين من الصحابة إمّا مستفيضةٌ، وإما آحاد، وأما عن علي وعن عمر الفاروق فهي متواترة.

• أما مرفوعه فحديث أبي بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «**هذان سيدا كهولِ أهلِ الجَنَّةِ من الأوَّلينَ والآخرينَ إلَّا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»، أخرجه **الترمذي**[1] وابن **ماجه**[2].

وهذا الحديثُ صريحٌ بأفضليتهما على جميع الصحابة، ومستفيض عن عليٍّ برواية الشعبي عن الحارث عن علي عند **الترمذي وابن ماجه**.

وبرواية الحسن بن زيد بن الحسن عن أبيه عن جدِّه عن **علي** عند عبد الله بن أحمد في «**زوائد المسند**».

وبرواية الزهري، عن علي بن الحسين، عن علي بن أبي طالب عند **الترمذي**، وقد وافق عليّاً على هذا الحديث غيرُه.

فقد روى **أنسٌ** مثله، وحديثه عند **الترمذي**، وأبو جحيفةَ مثلُه، وحديثه عند **ابن ماجه**.

• وحديثُ النجباء الرقباء أخرجه **الترمذي** عن **علي**.

• وحديث: «**إنْ تؤمِّروا أبا بكرٍ تجدوه هادياً أميناً**»، أخرجه **الترمذي**.

---

(١) في «سننه» برقم: (٣٦٦٥).

(٢) في «سننه» برقم: (٩٥)

• وحديث: «**رَحِمَ الله أبا بكر**»، أخرج **الترمذي** من حديث **أبي حبان التَّيْمِيّ** عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ زَوَّجَنِيَ ابْنَتَهُ**»(١).

• وأما موقوفُه فمنه: «**خيرُ هذه الأُمةِ أبو بكرٍ ثم عمرُ**» متواترٌ رواه ثمانون نفساً عن **علي**.

منهم ابنه **محمد ابن الحنفية** عند **البخاري**، ومنهم: عبد الله بن سلمة وعلقمة بن قيس وعبد الخير صاحب لواء علي، روى ذلك عن أبي الخير بطرق متكثِّرةٌ.

ومنهم: **أبو جحيفة** روى عنه جماعات، منهم: عاصم عن زرّ عن أبي جحيفة والشعبي عن أبي جحيفة، وأبو إسحاق عن أبي جحيفة، وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه.

ومنهم: **نزال بن سَبُرة** عن علي.

• ومن موقوفه: سبق رسولُ الله ﷺ وصلَّى أبو بكر وثلَّثَ عمر(٢)، ورُوي عن أبي جحيفة وجابر نحوَهُ.

ومن موقوفه: حكمُه بالتعزيرِ على مَنْ فضّل علياً على الشيخين.

• أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن الحكم بن جَحْل قال: قال علي رضي الله عنه: لا يفضِّلُنِي أحدٌ على أبي بكرٍ وعمرَ إلّا جلدتُه حدَّ المفتري(٣).

• وأخرج **أبو القاسم الطلحي** في «كتاب السُّنَّة» له من طريق سعيد بن

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧١٤).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (١/ ١١٢) برقم: (٨٩٥)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٧٤).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧).

أبي عروبة، عن منصور بن المعتمر، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: بلغ عليّاً رضي الله عنه أنَّ أقواماً يفضِّلونه على أبي بكر وعمر، فصعِدَ المنبرَ، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناسُ! إنّه بلغني أنّ قوماً يفضِّلوني على أبي بكر وعمرَ، ولو كنتُ تقدّمتُ فيه لعاقبتُ منه، فمن سمعتُه بعدَ اليوم يقول هذا فهو مفترٍ، عليه حدُّ المفتري، ثم قال: إنَّ خيرَ هذه الأمةِ بعد نبيِّها: أبو بكر ثم عمر، ثم اللهُ أعلمُ بالخيرِ بعدُ، قال: وفي المجلسِ الحسنُ بنُ علي رضي الله عنهما، فقال: واللهِ لو سمّى الثالثَ لسمّى عثمان[1].

• وأخرج **أبو القاسم الطلحي** عن **عبد خير** صاحب لواء علي أنَّ عليّاً رضي الله عنه قال: ألا أخبِرُكم بأوَّلِ مَنْ يدخلُ الجنّةَ من هذه الأمة بعدَ نبيِّها؟ فقيل له: بلىٰ يا أميرَ المؤمنين، قال: أبو بكر ثم عمرَ، قيل: فيدخلانِها قبلك يا أميرَ المؤمنين؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: إي والّذي فلقَ الحبّةَ وبرأَ النسمةَ ليدخلانها قبلي، وليشبعانِ من ثمارِها، وليرويانِ من أنهارِها، وإنّي لمع معاوية موقوفٌ في الحسابِ[2].

○ ○ ○ ○ ○

• وأما **أقوالُ سادات أهل البيت في أفضلية الشيخين**، فهي كثيرة، نكتفي ببعض النماذج.

• أمّا **العبّاسُ بنُ عبد المطّلب** الذي كان أسنَّ أهل البيت وأكبرَهم، فقد روي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر]، جاء العبّاسُ إلى عليٍّ رضي الله عنه، فقال: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمرُ لنا مِنْ بعدِه لم تشاحِنّا فيه قريشٌ، وإن كان لغيرنا سألناه الوصاةَ لنا.

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٦٩).
(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٦٩).

قال: لا.

قال العباس: جئتُ ـ رسولَ اللهِ ﷺ سرّاً ـ فذكرتُ ذلك له، فقال: **«إنَّ الله جعلَ أبا بكرٍ خليفتي على دينِ اللهِ، ووحيه، وهو مُسْتَوْص، فاسمعوا له وأطيعوا تهتدوا وتفلحوا، واقتدوا به ترشدوا»**، قال ابنُ عبّاس: فما وافقَ أبا بكر على رأيه ولا وازره على أمره ولا أعانه على شأنه إذ خالفه أصحابه في ارتداد العرب: إلا العباس، قال: فواللهِ ما عدلَ رأيَهما وحزمَهما رأيُ أهلِ الأرضِ أجمعين[١].

- وأما **علي بن أبي طالب**، فقد ذكرنا أقواله وآثاره.
- وأما **عبد الله بن عباس**، فسنذكر أقواله.
- وأما من أقوال **عبد الله بن جعفر** فقد أخرج **الحاكمُ** عن جعفر بن محمد عن أبيه عن **عبد الله بن جعفر** رضي الله عنهما، قال: وَلِينا أبو بكر، فكانَ خيرَ خليفةِ اللهِ، وأرحمه بنا، وأرضاه علينا[٢].
- وأما من أقوال **الحسن المجتبى** فقد أخرج **أبو يعلى** من طريق أبي مريم رضيع الجارود، قال: كنتُ بالكوفة، فقام الحسن بن علي خطيباً، فقال: أيُّها الناسُ! رأيتُ البارحةَ في منامي عجباً، رأيتُ الربَّ تعالى فوق عرشِهِ، فجاء رسولُ الله حتّى قامَ عند قائمةٍ من قوائم العرشِ، فجاء أبو بكر فوضعَ يده على منكبِ رسولِ اللهِ، ثم جاءَ عمرُ فوضع يدَه على منكبِ أبي بكرٍ، ثم جاءَ عثمان فكان بيدِهِ رأسُه[٣] فقال: ربِّ سَلْ عبادك فيم قتلوني؟ قال: فانثعبَ من السماءِ ميزابانِ من دمٍ في الأرض.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١٠/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٤) برقم: (٤٤٦٨).

(٣) كذا في الأصل، وفي «مسند أبي يعلى»: «فكان نبذة»، والظاهر ما في الأصل.

قال: فقيل لعلي: ألا ترى ما يحدِّثُ به الحَسَنُ؟ قال: يحدِّث بما رأى[١].

• وذكر المحب الطبري عن ابن السمّان أنّه أخرج في كتابه عن **الحسن بن علي**، قال: لا أعلمُ علياً خالفَ عمرَ ولا غيَّرَ شيئاً مما صنع حين قدمَ الكوفة[٢].

• وذكر أيضاً عنه في «كتاب الموافقة»، عن **أبي جعفر** قال: بينما عمرُ يمشِي في طريق من طرق المدينة، إذ لقيه عليٌّ ومعه الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهم، فسلَّمَ عليه عليٌّ، وأخذ بيده، فاكتنفاهما الحسنُ والحسينُ عن يمينهما وشمالهما، قال: فعرض لعمرَ من البكاء ما كان يعرِضُ له، فقال له عليٌّ: ما يبكيك يا أمير المؤمنين! قال عمر: ومَنْ أحقُّ منّي بالبكاءِ يا عليّ؟ وقد ولِّيتُ أمرَ هذه الأمة أَحْكُمُ فيها، ولا أدري أمسيءٌ أنا أم محسنٌ؟.

فقال له عليّ: والله إنّكَ لتعدِلُ في كذا، وتعدِلُ في كذا.

قال: فما منعه ذلك من البكاء.

ثم تكلّم الحسن بما شاء الله، فذكر من ولايته وعدله، فلم يمنعه ذلك.

فتكلّم الحسين، بمثل كلام الحسن فانقطعَ بكاؤه عند انقطاع كلام الحُسين، فقال: أتشهدانِ بذلك يا ابنَيْ أخي فسكتا، فنظرا إلى أبيهما، فقال علي: اشهدا وأنا معكما شهيد[٣].

• وأما من **أقوال أولاد الحسن المجتبى**، فقد أخرجَ عبدُ الله بن أحمد في زوائد «المسند» عن **الحسن بن زيد بن الحسن** قال: حدَّثني

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٧) برقم: (٦٧٦٧).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٨). (٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).

أبي عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ فأقبلَ أبو بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما، فقال: «**يا عليُّ! هذانِ سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ وشبابِها بعدَ النبيينَ والمرسلينَ**»[١].

• وذكر المحبُّ الطبري عن **عبد الله بن الحسن** بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقد سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: أفضِّلُهما، وأستغفرُ لهما.

فقيل له: لعلَّ هذه تقيةٌ، وفي نفسك خلافه، فقال: لا نالتني شفاعةُ محمّدٍ ﷺ إن كنتُ أقولُ خلافَ ما في نفسي[٢].

• وعنه وقد سُئِلَ عنهما، فقال: «**صلَّى الله عليهما، ولا صلَّى عَلىٰ مَنْ لَمْ يصلِّ عليهما**»[٣].

• ومن أقوال **أولاد الحسين** رضي الله عنه:

أما مرفوعاً فقد أخرج **الترمذي** عن الزهري، عن **علي بن الحسين**، عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع رسولِ اللهِ ﷺ إذ طلعَ أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «**هذان سيّدا كهولِ أهل الجنّةِ من الأولينَ والآخرينَ، إلا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»[٤].

• وأما **موقوفاً**، فقد أخرج أحمدُ في مسند ذي اليدين، عن ابن أبي حازم قال: جاء رجل إلى **علي بن الحسين**، فقال: ما كان منزلةُ أبي بكر وعمرَ من النبيِّ ﷺ، فقال: «**منزلتُهما الساعة**»[٥].

• وأخرج **الحاكم** من طريق عبد الله بن عمر بن أبان: ثنا

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٦٠٢).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢٨). (٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢٨).
(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٥٦).
(٥) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٦٧٠٩). أي: قربهما منه ﷺ كقرب قبريهما من قبره.

سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن **جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما أنَّ عليَّاً دخلَ على عمرَ، وهو مسجّىً، فقال: صلَّى الله عليك، ثم قال: ما مِنَ الناسِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أَنْ ألقى اللهَ بما في صحيفتِه مِنْ هذا المُسَجَّى[١].

• وأخرج محمد بن الحسن عن أبي حنيفة قال: حدثنا **أبو جعفر محمد بن علي** قال: جاء عليُّ بن أبي طالب إلى عمرَ بن الخطاب حين طُعِنَ، فقال: رحمكَ اللهُ، فواللهِ ما في الأرضِ أحدٌ كنتُ ألقى اللهَ بصحيفتِهِ أحبُّ إليّ منك، «كتاب الآثار» لمحمد[٢].

• وروي عن ابن أبي حفصة قال: سألتُ **محمد بن علي وجعفر بن محمد** عن أبي بكر وعمر، فقالا: إماما عدلٍ، نتولّاهما، ونتبرّأُ من عدوِّهما، ثم التفت إليّ جعفرُ بنُ محمّدٍ فقال: يا سالمُ أيسبُّ الرجلُ جدَّهُ، أبو بكر الصدِّيق جدّي، لا نالتني شفاعةُ جدِّي محمّدٍ إن لم أكنْ أتولّاهما وأتبرّأُ من عدوِّهما[٣].

• وعن **أبي جعفر محمد بن علي** بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنّه قال: مَنْ جَهِلَ فضلَ أبي بكرٍ وعمرَ جَهِلَ السُّنَّةَ[٤].

• وعنه: وقد قيل له: ما ترى في أبي بكر وعمر؟

فقال: إنِّي أتولّاهُما وأستغفرُ لهما، وما رأيتُ أحداً مِنْ أهلِ بيتي إلا وهوَ يتولّاهُما[٥].

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٠) برقم: (٤٥٢٣).

(٢) أخرجه محمد في «كتاب الآثار» (ص١٩١)، برقم: (٨٦٩)، وأخرجه أبو يوسف في «كتاب الآثار» (٢/ ٤٧٩).

(٣) «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).

(٤) «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).

(٥) «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).

• وعنه قال: مَنْ شكَّ فيهما كمن شكَّ في السُّنَّة، وبُغْضُ أبي بكرٍ وعمرَ نفاقٌ، وبغضُ الأنصارِ نفاقٌ، إنّه كان بين بني هاشم وبين بني عدي وبني تيم شحناءُ في الجاهلية، فلمّا أسلموا تحابّوا، ونزع الله ذلك من قلوبهم، حتى إن أبا بكرٍ اشتكى خاصِرَتَهُ، فكان عليٌّ يسخِّنُ يدَهُ بالنارِ، ويضمِّد بها خاصرةَ أبي بكر، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر][١].

○ ○ ○ ○ ○

• وأما **أقوال المهاجرين الأولين**:

فمنهم: **الزبير بن العوام**، أخرج **الحاكم** من حديث إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف في حديث طويل فيه خطبة أبي بكر وفي آخر الحديث: قال علي والزبير رضي الله عنهما: ما غضبنا إلا لأنا قد أخِّرنا عن المشاورة، وإنّا نرى أبا بكر أحقُّ الناسِ بها بعد رسول الله ﷺ، إنَّه لصاحِبُ الغارِ، وثاني اثنين، وإنّا لنعلمُ بشرفه وكبره، ولقد أمره رسولُ الله ﷺ بالصلاة بالناسِ وهو حيٌّ[٢].

• ومنهم: **طلحة بن عبيد الله**، ذكر المحبُّ الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ عمرَ شاور الناسَ في الزحف إلى قتال ملوك فارس التي اجتمعت بنهاوند، فقام طلحةَ بنُ عبيدِ الله، وكان من خطباء الصحابة، فتشهّدَ، ثم قال: أمّا بعدُ يا أميرَ المؤمنين! فقد أحكمتْكَ الأمورُ، وعجنتْك البلايا، وأحنكتْكَ التجاربُ، فأنتَ وشأنك، وأنتَ ورأيك، إليكَ هذا الأمرُ، فمُرْنا نُطِعْ، وادْعُنا نُجِبْ، واحملنا نَرْكَبْ، وقُدْنا نَنْقَدْ، فإنك وليُّ هذه الأمور، وقد بلوتَ واختبرتَ، فلم ينكشف لك عن شيءٍ

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٢).

من عواقب قضاء الله ﷻ إلا عن خيارٍ، ثم جلس[١].

• ومنهم: **عبد الرحمٰن بن عوف**، روى حديث بشارة العشرة بالجنة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عشرةٌ في الجنّةِ، أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة**»[٢]... الحديث.

• وأخرج **الحاكم** عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن أن **عبد الرحمٰن** كان مع عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه؛ يعني: في تفضيل أبي بكر، والسعي في إقامة خلافته، وإليه رجع أمرُ الشورى، قال: أفتجعلونه إليَّ؟ والله علي أنّ لا آلو عن أفضلِكُم، قالا: نعم، فبايعَ عثمان.

• ومنهم: **سعد بن أبي وقاص**، روى حديثَ: «**والّذي نفسي بيدِهِ ما لقيكَ الشيطانُ قطّ سالكاً فجّاً، إلا سلَكَ فجّاً غيرَ فَجِّكَ**»[٣]؛ يعني: لعمر.

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** من حديث أبي سلمة قال: قال **سعد**: أما واللهِ ما كان بأقدمنا إسلاماً، ولا أقدمنا هجرةً، ولكن قد عرفتُ بأي شيءٍ فضلنا، كان أزهدَنا في الدُّنيا؛ يعني: عمر بن الخطاب[٤].

• قال عند فتنةِ عثمان بن عفان أشهدُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ: القاعِدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي**»، قال: أفرأيتَ إن دخلَ عليَّ بيتي، وبسطَ يده إليّ ليقتلَنِي، قال: «**كُنْ كابْنِ آدم**»[٥].

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٣٠٣).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧٤٨).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٤٧٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٦) برقم: (٣٤٤٦٠).
(٥) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).

• ومنهم: **سعيد بن زيد**، روى حديثَ بشارة العشرة بالجنة: «**أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة**» .

• وحديثُ إثبات الصدِّيقية والشهيديةِ، قَالَ: اخْتَبَأْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوْقَ حِرَاءٍ، فَلَمَّا اسْتَوَيْنَا رَجَفَ بِنَا، فَضَرَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَفِّهِ، قَالَ: «**اسْكُنْ حِرَاءُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**»، وَعَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ الَّذِي حَدَّثَ الْحَدِيثَ[١]، وهو القائل: ولو أن أُحَداً ارفضّ للذي صنعتم بعثمان لكان[٢].

• ومنهم: **أبو عبيدة بن الجراح** وكونه مع عمر في استخلاف أبي بكر مشهورٌ، وهو القائل: تأتوني وفيكم ثالثُ ثلاثةٍ؛ يعني: أبا بكر.

وروي عن النبي ﷺ: «**إنه بدأ هذا الأمر نبوةً ورحمةً، ثم كائن خلافةً ورحمةً، ثم كائنٌ ملكاً عضوضاً**»[٣]، الحديث، وحُمِل قوله: «**خلافةً ورحمةً**» على خلافة الشيخين.

• ومنهم: **عبد الله بن مسعود**، وروى حديث بشارة الشيخين بالجنة، وحديث: «**اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر، وعمرَ**»[٤].

• وأخرج أبو عمر في «الاستيعاب» عن **ابن مسعود**: «اجعلوا إمامكم خيركم، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ جعل إمامَنا خيرَنا بعده»[٥].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٢٥٩) برقم: (٩٧٠).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٨٦٢).
(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٧٧) برقم: (٨٧٣).
(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠).
(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧).

• وأخرج أبو عمر عنه أنه قال: لأن أجلسُ مع عمرَ ساعةً خيرٌ عندي من عبادةِ سَنَةٍ[(١)].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب أو بأبي جَهْلِ بنِ هشام**»، فجعل اللهُ دعوةَ رسول الله ﷺ لعمرَ رضي الله عنه، فبنى عليه ملكَ الإسلامِ، وهدمَ به الأوثانَ[(٢)].

• وأخرج **الدارميُّ** عن إبراهيم، قال: قال **عبد الله**: كان عمرُ إذا سلكَ بنا طريقاً وجدناه سهلاً[(٣)].

• قال **عبدُ الله** حين استُخْلِفَ عثمانُ: ما أَلَوْنا عن أعلانا ذا فوقٍ، أخرجه **ابن أبي شيبة**[(٤)].

• وقال **عبدُ اللهِ**: لئن قتلوا عثمانَ لا يصيبوا منه خلَفاً[(٥)].

• ومنهم: **عمّار بن ياسر**، روى حديث: «**يَا عَمَّارُ أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفاً، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ حَدِّثْنِي بِفَضَائِلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَوْ حَدَّثْتُكَ بِفَضَائِلِ عُمَرَ مِثْلَ مَا لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً مَا نَفِدَتْ فَضَائِلُ عُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ لَحَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ**»[(٦)].

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥) برقم الترجمة (١٨٧٨)، ولفظه هكذا: «ولمجلسٌ كنتُ أجلسُه مع عمرَ أوثقُ في نفسِي مِنْ عملِ سَنَةٍ».
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٩) برقم: (٤٤٨٦).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٣) برقم: (٢٨٦٥).
(٤) في «مصنفه» (٧/ ٤٤٠) برقم: (٣٧٠٧٦).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٥١٦) برقم: (٣٧٦٦٣).
(٦) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٧٩) برقم: (١٦٠٣).

وله شعرٌ في سوابق أبي بكر:

جَزَى اللَّهُ خيراً عَنْ بلالٍ وصَحْبِهِ ... عَتِيقاً، وأَخْزَىٰ فَاكِهاً وأبا جَهْلِ
عَشِيَّةَ هَمَّا في بلالٍ بِسَوْءَةٍ ... وَلَمْ يَحْذَرا مَا يَحْذَرُ المَرْءُ ذو العَقْلِ
بِتَوْحِيدِهِ ربَّ الأنامِ وقولِهِ: ... شهدتُ بأنَّ اللَّهَ ربِّي على مَهْلِ
فَإِنْ يَقْتُلوني يَقْتُلوني فلم أَكُنْ ... لِأُشْرِكَ بِالرَّحْمٰنِ مِنْ خِيفَةِ القَتْلِ
فَيَا رَبُّ إبراهيمَ والعبدِ يونسٍ ... وَمُوسىٰ وعيسى نَجِّني ثُمَّ لا تبلِ
لِمَنْ ظلَّ يَهْوَىٰ الغِيَّ من آلِ غالبٍ ... على غيرِ بِرٍّ كانَ مِنْهُ ولا عَدْلِ[١]

• ومنهم: **حذيفة بن اليمان** روى حديث: «**إنَّهما مِنَ الدِّينِ كالسَّمْعِ والبَصَرِ**»[٢].

وحديث: «**اقتدوا باللَّذينِ مِنْ بعدي أبي بكرٍ وعُمَرَ**»[٣].

وهو القائلُ: كان الإسلامُ في زمانِ عمرَ كالرَّجُلِ المقبلِ، لا يزدادُ إلا قرباً، فلمّا قُتِلَ عمرُ كانَ كالرَّجُلِ المُدْبِرِ لا يزدادُ إلا بُعْداً[٤].

• ومنهم: **أبو ذر**، روى حديث: «الحصياتُ السبعُ».

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** رضي الله عنه قال: مرّ فَتىً على عمر، فقال عمرُ: نعم الفتى، قال: فتبعه أبو ذر، فقال: يا فتى! استغفرْ لي، فقال: يا أبا ذر! أستغفرُ لك وأنتَ صاحِبُ رسول الله ﷺ؟ قال: استغفرْ لي، قال: لا، أوتخبرني، فقال: إنّكَ مررتَ على عمرَ رضي الله عنه، فقال: نِعْمَ الفتى، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ جَعَلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ**»[٥].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١/١٤٨).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٧٨) برقم: (٤٤٤٨).
(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/١٤٠).
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٨).
(٥) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٣) برقم: (٤٥٠١).

• ومنهم: **بريدة الأسلمي**، روى حديث: «**اثبتْ حراءُ، فإنَّما عليك نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدٌ**»(١).

• وحديث: «**رؤيا قصر في الجنة لعمرَ**».

• وحديث: «**إنَّ الشيطانَ لَيَفْرُقُ مِنْكَ يا عمرُ**»(٢).

• ومنهم: **سفينةُ**، روى رؤيا الميزان.

• وقول النبيِّ ﷺ: «**خلافةُ النبوِّةِ ثلاثونَ عاماً**»(٣).

• ومنهم: **عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري**، روى حديث: إنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما: «**لو اجتمعتُما في مشورةٍ ما خالفتُكما**»(٤).

• ومنهم: **أبو موسى الأشعري**، روى حديث: «بشارةُ الثلاثةِ بالجنَّةِ»(٥).

• ومنهم: **أبو أمامة الباهلي**، فسَّر قوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، قال: أبو بكر وعمر(٦).

• ومنهم: **أبو أروى الدَّوْسي**، روى حديث: «**الحمدُ للهِ الذي أيَّدني بهما**»(٧).

• ومنهم: **عرفجة الأشجعي**، روى حديث: «الوزن».

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/٣٤٦).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٢٢٩٨٩).
(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/٧٥) برقم: (٤٤٣٨).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٧٩٩٤).
(٥) «الوافي بالوفيات» (٢/٣٩٦).
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٥٧).
(٧) «المعجم الكبير» (٢٢/٣٦٩).

• **وأما أقوال الأنصار:**

فمنهم: **معاذ بن جبل**، روى حديث: «**إنَّ هذا الأمرَ بدأ نبوةً ورحمةً، ثم يكونُ خلافةً ورحمةً، ثم يكون مُلْكاً عَضُوضاً**»(١).

• ومنهم: **أُبَيُّ بن كعب**، روى حديث: «**أَوَّلُ مَنْ يعانِقُه الحقُّ يومَ القيامةِ عمرُ**»(٢).

• ومنهم: **أبو أيوب**، روى حديث: «رؤيا النبي ﷺ ربَّه، وتعبيرَ أبي بكر، وقول النبيِّ ﷺ: «**هكذا عَبَرَها المَلَكُ بِسَحَرٍ**»(٣)».

• ومنهم: **أبو الدرداء**، روى حديث: «**هل أنتم تاركونَ لي صاحبي**»(٤).

• ومنهم: **زيد بن ثابت**، وهو ممَّن حملَ الأنصار على بيعةِ أبي بكر.

• ومنهم: **أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ**، وهو أيضاً ممّن حملَ الأنصارَ على بيعة أبي بكر.

• ومنهم: **رُفاعة بن رافع، ورافع بن خَدِيج**، رويا حديث: «فَضْلُ أهل بدرٍ».

• ومنهم: **زيد بن خارجة**، تكلَّم بفضائل الثلاثة بعد موته.

• ومنهم: **أبو سعيد بن المعلى**، روى خطبةَ النبيِّ ﷺ قريباً من وفاته في فضائل أبي بكر وعمر.

---

(١) انظر: «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٢/ ١٣٣)، «شعب الإيمان» (ح: ٥٢٢٨)، «جامع الأحاديث» رقم: (٨٦٠٩).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٩).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).

(٤) «الرياض النضرة» (١/ ٣٣).

• ومنهم: **سهل بن سعد**، روى: أَنَّ أُحُداً ارْتَجَّ وَعَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ**»(١).

• ومنهم: **عويم بن ساعدة**، أخرج **الحاكم** من حديث عبد الرحمٰن بن سالم بن عبد الرحمٰن بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده عن عويم بن ساعدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى اختارَني، واختارَ لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراءَ وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبَّهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يقبلُ منه يومَ القيامةِ صرفٌ ولا عدلٌ**»(٢).

• ومنهم: **حسَّان بن ثابت**، المنشد بين يدي النبي ﷺ شعراً في الثناء على أبي بكر:

وثانيَ اثنينِ في الغارِ المُنِيفِ(٣)

• ومنهم: **أبو الهيثم بن التيهان**، القائل: وإنِّي لأرجو أن يقومَ بأمرنا(٤).

○ ○ ○ ○ ○

• وأما **أقوال المكثرين من أصحاب رسول الله ﷺ**:

فمنهم: **عبد الله بن عمر**، القائل: كُنّا نخيِّرُ بينَ الناسِ في زمن النبيِّ ﷺ، فنخيِّرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٤٢٨) رقم: (٧٦١٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٣٢) برقم: (٦٦٥٦)، «المعجم الكبير» (١٧/ ١٤٠)، «الآحاد والمثاني» (ح: ١٧٧٢).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٧) برقم: (٤٤١٣).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥).

عفان رضي الله عنهم[١].

• وروى حديثَ: «رؤيا القليب».

• وحديث: **«أَرْأَفُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي الإِسْلامِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ»**. . . الحديث[٢].

• وروى: «أنهما يبعثان مع النبي ﷺ».

• وروى من مناقب الشيخين شيئاً كثيراً.

• ومنهم: **عبد الله بن عباس**، روى حديثَ: **«لو كنتُ متَّخِذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً»**[٣].

• وحديثَ: «لمّا أسلمَ عمرُ نزل جبريلُ فقال: يا محمّدُ لقد استبشرَ أهلُ السماءِ بإسلامِ عمرَ»[٤].

• وهو القائِلُ لعمر لما طُعِنَ: «لقد صحبتَ رسولَ الله ﷺ فأحسنتَ صحبتَهُ، ثم فارقتَهُ، وهو عنكَ راضٍ، ثم صحبتَ أبا بكرٍ فأحسنتَ صحبتَه». . . الحديث[٥].

• وهو القائل في حديث النهي عن الركعتين بعد العصر: أخبرني رجالٌ مرضيّون وأرضاهم عندي عمرُ[٦].

• ومنهم: **عبد الله بن عمرو بن العاص**، روى حديث: «دفع الكفار عنه ﷺ».

• ومنهم: **أبو هريرة** روى حديث القليب.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٤٥٥).
(٢) «مسند أبي يعلى» (١٠/ ١٤١) برقم: (٥٧٦٣).
(٣) «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٨٣).
(٤) «سنن ابن ماجه» برقم: (١٠٣).
(٥) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٩٢).
(٦) «صحيح البخاري» برقم: (٥٨١).

• وحديث: «**وما نفعني مالُ أحدٍ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ**»[١].

• وحديث: «**أرجو أن تكونَ مِنْهُم**»[٢]؛ يعني: مَنْ يُدعى مِنْ جميعِ أبواب الجنة.

• وحديث: «رؤيا قصر في الجنة لعمرَ».

• وحديث المحدَّثين.

• و«**إنَّما عليكَ نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدٌ**».

• ومنهم: **أم المؤمنين عائشة** رضي الله عنها، القائلة: «لو استخلف، استخلفَ أبا بكر ثم عمرَ».

• والقائلة: كان أبو بكر أحبَّ الناسِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، ثم عمر، روت حديثَ الإمامةِ في مرضه ﷺ.

• وحديث تلقيبِ النبيِّ ﷺ أبا بكر بالعتيق.

• وحديث: «**إنِّي أنظرُ إلى شياطين الجنِّ والإنسِ قد فرّوا من عمرَ**»[٣].

• وحديث: «**همُ الخلفاءُ مِنْ بعدي**» في قِصّة تأسيس المسجد.

• والقائلةُ: كان عمرُ أحوذياً[٤] نسيجَ وحدِه، خُلِقَ لإعلاءِ كلمةِ الإسلام.

• ومنهم: **أنس بن مالك**، روى حديث: «**إنّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان**»[٥].

• وحديث: «**سيِّدا كهولِ أهلِ الجنّةِ**».

---

(١) «موطأ مالك ـ رواية محمد بن الحسن» (٣/ ٤٤٤) برقم: (٩٤٤).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٢١٦).
(٣) «سمط النجوم العوالي» (١/ ٤٥٥). (٤) أي: الحاذق.
(٥) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٩٦).

وحديث: «**أرحمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ**»[١].

• وروى حديثَ: «**أنتَ مع مَنْ أحببتَ**»، قال أنس: «فأنا أحِبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ، وأرجو أنْ أكونَ معهم بحبِّي إياهم، وإن لم أعملْ بمثلِ أعمالهم»[٢].

• ومنهم: **أبو سعيد الخدري** رضي الله عنه، روى حديثَ: «**إنَّ أمنّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً**»[٣]... الحديث.

• وحديث رؤيا القميص لعمر.

• وحديث: «وإنّ أبا بكر وعمر منهم وأنعما»؛ يعني: من أهلِ الدّرجات العلى في الجنة.

• ومنهم: **جابر بن عبد الله**، روى حديث: «**يا أبا بكر! أعطاك الله الرضوان الأكبر**»[٤].

• وحديث: «رؤيا قصرٍ في الجنةِ لعمرَ».

○ ○ ○ ○ ○

وأما **أقوال سائر أصحاب النبي** ﷺ:

• منهم: **معاوية بن أبي سفيان**، القائل: عليكُم من الأحاديثِ ممّا كان يُروى في زمان عمرَ، فإنَّ عمرَ كان يخيفُ الناسَ في الله[٥].

• ومنهم: **عمرو بن العاص**، القائل: واللهِ لئن كان أبو بكر وعمرُ

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٩٠). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٨٨).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٦).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٣) برقم: (٤٤٦٣).
(٥) «صحيح مسلم» برقم: (١٠٣٧).

تركا هذا المالَ، وهو يحلُّ لهما شيءٌ منه، لقد غُبِنَا ونقصَ رأيهما، وايمُ اللهِ ما كانا بمغبونين، ولا ناقصي الرأي، ولئن كانا امرأين يَحْرُمُ عليهما مِنْ هذا المالِ الذي أصبنا بعدَهما لقد هلكنا، وايم اللهِ ما الوهمُ إلّا مِنْ قبلنا»، أخرجه **ابن أبي شيبة**[١].

• وروى: «أحبُّ الناسِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ عائشة، ومن الرجال: أبو بكر، ثم عمر».

ومنهم: **عبد الرحمٰن بن أبي بكر**، روى حديث: «**أكتبُ لكم كتاباً لَنْ تضلّوا بعدَه أبداً**»، ثم ولّانا قفاه، ثم أقبل علينا، فقال: «**يأبى الله والمؤمنونَ إلا أبا بكر**»[٢].

• ومنهم: **عمران بن حصين**، الراوي حديثَ: «**خيرُ القرونِ قرني، ثم الذين يلونهم**»[٣].

• ومنهم: **عبد الله بن هشام بن زهرة**، الراوي حديثَ: «قال عمر: يا رسولَ اللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفسِي، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا والذي نفسِي بيدِه، حتّى أكونَ أحبَّ إليكَ من نفسِكَ**».

فقال له عمر: فإنّه الآنَ واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسِي.

فقال النبيُّ ﷺ: «**الآنَ يا عمرُ**»»، أخرجه **البخاري**[٤].

• ومنهم: **عثمان بن أرقم**، الراوي حديثَ: «**اللَّهُمَّ أعزّ الإسلامَ بأحبِّ الرجلينِ إليكَ: عمرَ بن الخطاب أو عمرو بن هشامٍ**»[٥].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٢) برقم: (٣٤٤٣٨).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٤٢) برقم: (٦٠١٦).

(٣) «موطأ مالك ـ رواية محمد بن الحسن» (٣/ ٢٩٥) برقم: (٨٤٧).

(٤) في «صحيحه» برقم: (٦٦٣٢).

(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٧٤) برقم: (٦١٢٩).

• ومنهم: **الأسود بن سريع**، الراوي حديثَ: «**هذا عمرُ بنُ الخطّاب، وليس من الباطل في شيء**»[(١)].

• ومنهم: **أبو جحيفة السوائي**، الراوي حديثَ: «**سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ**»[(٢)].

• ومنهم: **أبو بكرة الثقفي**، الراوي: «رؤيا الميزان».

• ومنهم: **سمرة بن جندب**، الراوي: «رؤيا الدلو».

• ومنهم: **أبو الطفيل**، الراوي: «رؤيا القليب».

• ومنهم: **جُبَيرُ بنُ مُطعم**، الراوي حديث: «**إنْ لم تجديني فأتِي أبا بكرٍ**»[(٣)].

• وله قصة في ذهابه إلى الشام، ورؤيته تصاوير الأنبياء، فيها تصويرُ النبيِّ ﷺ وأبو بكر آخذٌ بقدميه، وإخبارُ أهل الكتاب أنّه خليفة النبي ﷺ من بعده.

• ومنهم: **عبد الله بن الزبير**، الراوي حديثَ: «**لو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً**»[(٤)].

• والراوي سبب نزول آية: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢][(٥)].

• ومنهم: **جندب بن عبد الله**، الراوي حديثَ: «**لو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتخذتُ...**» إلخ.

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧١٢) برقم: (٦٥٧٦).

(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٥).

(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٢٠).

(٤) «مسند أحمد» برقم: (٤٤١٣).

(٥) «صحيح البخاري» برقم: (٧٣٠٢).

● وأما **أقوال علماء التابعين**:

● فمنهم: **سعيد بن المسيب**، قال: كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه من النبي ﷺ مكانَ الوزيرِ، فكان يشاوِرُه في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يومَ بدرٍ، وكان ثانيه في القبرِ، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يقدِّمُ عليه أحداً، أخرجه **الحاكم**(١).

● ومنهم: **قاسم بن محمد**، روى أنَّ رجلاً من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ قال في مجلس فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق: واللهِ ما كانَ لرسولِ الله ﷺ من موطنٍ إلا وعليٌّ معه فيه.

فقال القاسم: يا أخي! لا تحلفْ، قال: هلمّ.

قال: بلى! ما تردُّه، قال الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، أخرجه **أبو عمر** في **«الاستيعاب»**(٢).

● ومنهم: **مسروق**، قال: حُبُّ أبي بكرٍ وعمرَ ومعرفةُ فضلهما من السُّنَّة(٣)، أخرجه **أبو عمر**.

● ومنهم: **الحسن البصري**، روى عن يونس قال: كان الحسن ربما ذكر عمر، فقال: واللهِ ما كانَ بأوّلهم إسلاماً، ولا أفضلهم نفقةً في سبيلِ اللهِ، ولكنه غلبَ الناسَ بالزهدِ في الدنيا، والصرامة في أمرِ اللهِ، ولا يخافُ في اللهِ لومةَ لائم، أخرجه **ابن أبي شيبة**(٤).

● ومنهم: **محمد بن سيرين**، قال: ما أظنُّ رجلاً ينتقِصُ أبا بكر وعمر يحبُّ النبيَّ ﷺ، أخرجه الترمذي(٥).

---

(١) في «المستدرك» (٣/ ٦٦) برقم: (٤٤٠٨).
(٢) (١/ ٢٩٦).
(٣) في «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧).
(٤) في «مصنفه» (٦/ ٣٥٨) برقم: (٣٢٠١٠).
(٥) في «سننه» برقم: (٣٦٨٥).

• ومنهم: **عمرو بن ميمون**، و**إبراهيم النخعي**، روي عن عمرو بن ميمون قال: ذهب عمرُ بثلثي العلم، فذكر لإبراهيم، فقال: ذهبَ عمرُ بتسعة أعشار العلم، أخرجه **الدارمي**[(١)].

• ومنهم: **أبو العالية**، فسّر «الصراط المستقيم» بأبي بكر وعمر، فصدّقه الحسن البصري.

• ومنهم: **عكرمة والكلبي**، فسَّرا: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ بأبي بكر وعمر»[(٢)].

• ومنهم: **قتادة** قال: فكنّا نتحدّثُ أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤][(٣)].

• ومنهم: **الضحاك**، قال في هذه الآية: أبو بكر وأصحابه.

• ومنهم: **الحسن**، قال في هذه الآية: أبو بكر وأصحابه.

• ومنهم: **زيد بن أسلم**، قال في آية ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام[(٤)]، ومثله عن **الحسن**، **والضحاك**، **وأبي سنان**.

• ومنهم: **كعب الأحبار**، عن ابن أبي مليكة قال: لمّا طُعِنَ عمرُ، جاء كعبٌ، فجعل يبكي بالباب، ويقول: واللهِ لو أنَّ أميرَ المؤمنينَ يقسِمُ على اللهِ أن يؤخِّره لأخَّره، فدخل ابن عباسٍ عليه، فقال: يا أمير المؤمنين! هذا كعبٌ يقول كذا وكذا، قال: إذاً واللهِ لا أسأله[(٥)].

---

(١) في «سننه» (١/ ١١٢) برقم: (٣٥٥).
(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ١١٢).   (٣) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١٩).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).
(٥) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٦١).

• وهو القائِلُ: في كتابِ اللهِ المنزل من السماء أبو بكر وعمر وعثمان.

• ومنهم: **عروة بن الزبير**، قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر أميراً على الناس، وكتب له سُنَنَ الحجّ، وبعث معه علي بن أبي طالب[1]، وأصل القصة متواترٌ عن **ابن عمر، وجابر، وأنس، وأبي هريرة، وابن عباس**.

• وعن **الحسن** رضي الله عنه، أنّه سُئِلَ عن الحجّ الأكبر؟ فقال: ما لكم وللحجِّ الأكبر؟ ذاك عام حجَّ فيه أبو بكر رضي الله عنه، استخلفه رسولُ اللهِ ﷺ فحجَّ بالناس[2].

○ ○ ○ ○ ○

ومن الذين ذهبوا إلى أنّ خلافةَ أبي بكر وعمر إنّما كان بنصٍّ من النبي ﷺ: عليٌّ، وابنُ عباس، وميمونُ بن مهران، وحبيبُ بنُ أبي ثابت، والضحّاكُ، ومجاهِدٌ، كلّهم قالوا: إمارةُ أبي بكرٍ وعمرَ لفي كتاب الله أسرَّ النبيّ ﷺ بها إلى عائشة.

• ومن الذين ذهبوا إلى أن أبا بكر وعمر مرادان من قوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]: أبيٌّ، وابن عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وأبو أمامة، وعكرمة، وميمون بن مهران، وعبد الله بن بريدة، وسعيد بن جبير، والحسن، ومقاتل بن سليمان.

• ومن الذين ذهبوا إلى أن آية ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾ [الليل]، نزلت في: أبي بكر الصدِّيق: ابن مسعود، وابن عباس، وعبد الله، وعروة ابنا الزبير، وسعيد بن المسيب.

○ ○ ○ ○ ○

(١) «دلائل النبوة»، للبيهقي (٥/ ٣٨٣).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١١).

● ومن **أقوال علماء تبع التابعين**:

● **سفيان الثوري**، أخرج **أبو داود** عن محمّد الفريابي، قال: سمعتُ سفيانَ يقول: مَنْ زعمَ أنَّ عليّاً كان أحقّ بالولاية منهما فقد خطّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضي الله عن جميعهم، وما أراه يرتفِعُ مع هذا له عملٌ إلى السماء[1].

● ومنهم: **مالك بن أنس**، اشتُهر عنه أنه قائلٌ بتفضيل الشيخين، وحبّ الخَتَنين، وقد صنّف الطحاوي كتاباً[2] في عقائد أبي حنيفة وصاحبيه، والبيهقيُّ كتاباً في عقيدة الشافعي، فأفصحا أنَّ مذهبهم تفضيلُ الشيخين.

○ ○ ○ ○ ○

● وبعد ذلك مذاهبُ جمهور المسلمين كالأشاعرة والماتريدية، فإنّهم كانوا قائلينَ بتفضيل الشيخين كما هو معلوم، بل الأوائلُ من المعتزلة ـ أيضاً ـ كانوا قائلينَ بذلك.

وبعد ذلك الفقهاء من كل الطبقة.

والمتصوِّفون من كلِّ الطبقة قائلون بذلك.

هذا ما توافر بكل يُسْرٍ في هذا الباب، ولعلّ ما تركنا من ذلك أكثر ممّا ذكرنا، والله أعلم بالحال.

○ ○ ○ ○ ○

وليعلم أننا نختم هذا المبحث على نكتتين مهمتين:

النكتة الأولى: أنّه مِنْ شأنِ المتفطِّنِ اللبيب أن يتأمَّلَ في أقاويل

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٠).

(٢) هو «العقيدة الطحاوية».

الصحابة والتابعين، وينظر ما هي الخصلة التي جعلوها وجه الأفضلية؟ وإنْ أعملنا فكراً صائباً في هذه المسألة علمنا أنَّ معظم الصحابة والتابعين قد بيَّنوا أفضليةَ الشيخين بالإشارة والإيماء، ولم يقيِّدوها بإحدى الخصال المحمودة، وما ذكرنا من النوع الخامس في مبحث السُّنَّة السَّنية وفقهاء الصحابة الذين امتازوا بمزيد من التفطّن والذكاء، قد أشاروا في سياق كلامهم في وجه الأفضلية إلى إحدى هذه الخصال الأربع.

كما قد أشار عليٌّ المرتضى رضي الله عنه إلى إحكام الخلافة، وتبليغ الدين، حيث قال: «اسْتُخْلِفَ أبو بكر ـ رحمة الله على أبي بكر ـ فأقامَ واستقام، ثم اسْتُخْلِفَ عمر ـ رحمة الله على عمر ـ فأقام واستقام حتى ضربَ الدين بجرّانه»[1]، وأشار إلى علوّ الدرجة في الآخرة، حيث قال في مدح الفاروق والثناء عليه: «ما مِنَ الناسِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أنْ ألقى اللهَ بما في صحيفتِهِ من هذا المُسَجَّىٰ»[2]، وبيّن سوابق أبي بكر الإسلامية يوم وفاته بأوضح عبارة.

• ووصفت **عائشةُ** أبا بكر وعمر بصفة نشر الإسلام وتبليغه، حيث قالت: «ما رأى نقطةً إلا طارَ أبي لحظها وغنائها في الإسلام»[3].

• وقرَّر **ابن مسعود** سوابقَ عمر الإسلامية حيث قال: «ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر»[4].

وذكر **حذيفةُ بنُ اليمان** حسن قيامه بحقوق الخلافة حيث قال: كان

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٩٢١).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٠) برقم: (٤٥٢٣).
(٣) «سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ٢٠٠) برقم: (١٦٦٢٥).
(٤) «صحيح البخاري» برقم: (٣٨٦٣).

الإسلامُ في زمان عمر كالرَّجُلِ المقبلِ، لا يزدادُ إلا قُرْباً، فلما قُتِلَ عمرُ كان كالرَّجلِ المدبرِ، لا يزدادُ إلا بعداً[١].

• وبيَّن **عبدُ اللهِ بن عمرَ** جدّه في العبادة، وزهده في الدنيا حيث قال: ما رأيتُ أحداً قطّ بعد رسولِ الله ﷺ من حين قبض كان أجدّ وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب[٢].

• وعلى هذا **القياس** أشار معظم فقهاء الصحابة إلى إحدى هذه الخصال الأربع أو اثنتين منها أو ثلاث، ويُفهم هذا المعنى بأدنى تأمّل في أقوالهم.

• وأما أنَّ فقهاء الصحابة بيّنوا الأفضلية بأوصاف أخرى، فمن جملة ذلك «العلم».

أخرج الدارميُّ عن **ابن مسعود**: «كان عمر إذا سلك بنا طريقاً اتبعناه فيه وجدناه سهلاً»[٣].

وأخرج الدارمي عن **حذيفة** قال: إنّما يفتي الناسُ ثلاثةٌ: رجلٌ إمامٌ، أو والٍ، ورجلٌ يَعْلَمُ ناسخَ القرآنِ من المنسوخ، قالوا: يا حذيفةُ! ومَنْ ذاك؟ قال: عمرُ بنَ الخطاب، أو أحمق متكلِّفٌ[٤].

• وأخرج **الدارميُّ** عن عمرو بن ميمون قال: ذهب عمرُ بثلثي العلم، فذكر لإبراهيم فقال: ذهب عمر بتسعة أعشار العلم[٥].

• ووقعت الإشارة إلى هذه الخصلة في الحديث أيضاً، قال

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٨).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٨٧).
(٣) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٤) برقم: (٢٨٧٢).
(٤) «سنن الدارمي» (١/ ٧٣) برقم: (١٧٢).
(٥) «سنن الدارمي» (١/ ١١٢) برقم: (٣٣٥).

رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ**»[١].

• وقال ﷺ: «**لقد كانَ فيما كانَ قبلكم من الأمم ناسٌ محدَّثونَ من غيرِ أن يكونوا أنبياء، فإن يكُ في أُمَّتِي أحدٌ فإنَّه عمرُ**»[٢].

• وقال: «**بَيْنَا أنا نائمٌ أُتيتُ بقدحٍ من لبن، فشربت منه، حتّى إني لأرى الريّ يجري في أظفاري، ثم أعطَيتُ فضلي عمرَ**»، قالوا: فما أوّلت ذلك؟ قال: «**العلم**»[٣].

لكن ورد ذكر هذه الخصلة في الحديث الشريف ضمْنَ تحقيق وتأكيد معنى **قرب الباطن والمحدَّثية**، والمراد بذلك **علمٌ وهبيٌّ**، الذي يحصل بفيض من الله تبارك وتعالى، والمرادُ لدى القوم هو علم الكتاب والسُّنَّة والاهتداء بطرق الاستنباط.

• ومن جملةِ ذلك الأخلاق القويّة التي أودعت في جبلّة الإنسان ويتّصف بها في الحقيقة كلّ من المسلم والكافر والمتقي والفاسق، ولكن تكونُ في السابقين المقرَّبين ممداً لكمالاتهم المعنوية، ومُعيناً في إتمام حقوق الخلافة، ولا يكونُ في غيرهم كذلك، قال رسولُ اللهِ ﷺ لما سئل عن الأكرم عن معادن العرب: «**تسألوني خيارَهُم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا**»[٤]، ويؤكّد العقلُ أنَّ منبعَ صدور الأفعال إنّما هو الأخلاق، من كان له خُلُق قويّ يصدر منه أفعال قوية جادّة.

والتحقيق في هذا الباب أنَّ في الخلافةِ الخاصّةِ صفاتٍ عديدةً من الكمالاتِ الكسبية، جعلها مدارَ الفضائل في الشريعة، وتلك هي الصفات السبعُ التي أحصيناها من لوازم الخلافة الخاصة، وصفات

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٢).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٨٩).
(٣) «سنن النسائي الكبرى» (٥/ ٤٠) برقم: (٨١٢٣).
(٤) «صحيح البخاري» برقم: (٣١٧٥).

عديدة من الكمالات الجبلّية جعلَها مدارَ الخلافة الراشدة؛ كالقرشية، والسمع والبصر، والشجاعة والكفاية، وصفات عديدة من الكمالات الجبلّية التي يتوقّف عليها حسن سياسة القوم.

وقد ذكر ذلك الصحابةُ والتابعون عند مشاورة الخلافة، وعند الثناء على الخلفاء، كان أبو بكر يقول في عمر الفاروق: «أقوى» ويقول عمر في أبي بكر الصدِّيق: «أفضل»، «فالأفضل» عبارةٌ عن زيادة الفضائل الشرعية، والصدِّيقية والشهيدية من هذا القبيل، والسوابقُ الإسلامية من جملة ذلك أيضاً، «والأقوى» عبارةٌ عن زيادة الأخلاق الجبلِّية المساعدة في أحكام الخلافة والممدة على حسن السياسة.

نكتب روايات من هذا الباب:

• أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب»، عن **ابن عباس** قال: بينا أنا أمشي مع عمرَ يوماً إذ تنفّس نفساً، ظننتُ أنه قد قضبت أضلاعه، فقلت: سبحانَ اللهِ واللهِ! ما أخرجَ منك هذا يا أميرَ المؤمنين إلا أمرٌ عظيمٌ.

فقال: ويحك يا ابنَ عباس! ما أدري ما أصنعُ بأمَّةِ محمّدٍ ﷺ.

قلت: ولم؟ وأنتَ بحمدِ اللهِ قادرٌ أن تضعَ ذلك مكانَ الثقة؟ قال: إني أراك تقول: إنَّ صاحبكَ أولى الناسِ بها؛ يعني: عليّاً رضي الله عنه.

قلتُ: أجل واللهِ إنّي لأقولُ ذلك في سابقتِهِ، وعلمِهِ، وقرابتِهِ وصهره.

قال: إنه كما ذكرتَ ولكنّه كثيرُ الدّعابةِ.

فقلت: فعثمان؟

قال: فواللهِ لو فعلتُ لجعلَ بني أبي مُعَيْطٍ على رقابِ الناس، يعملون فيهم بمعصية الله، واللهِ لو فعلتُ لفعل، ولو فعل لفعلوه، فوثبَ الناسُ عليه فقتلوه.

فقلتُ: طلحة بن عبيد الله؟.

قال: الأكيسعُ، هو أزهى من ذلكَ، ما كان الله ليراني أولِّيه أمرَ أمةِ محمَّدٍ ﷺ وهو على ما هو عليه من الزهو[١].

قلت: الزّبير بنُ العوام؟

قال: إذاً كان يظلّ يلاطِمُ الناس في الصاع والمُدّ.

قلت: سعد بن أبي وقاص؟

قال: ليس بصاحبِ ذلك، ذاك صاحبُ مقنب[٢] يقاتلُ به.

قلت: عبد الرحمٰن بن عوف؟

قال: نعم الرجلُ ذكرتَ، ولكنّه ضعيفُ عن ذلك، واللهِ يا ابن عباس! ما يصلحُ لهذا الأمر إلا القويُّ في غير عُنْفٍ، اللّينِ في غيرِ ضَعْفٍ، الجوادُ في غير سرفٍ، الممسكُ في غير بخلٍ.

قال ابن عباس: كان عمر واللهِ كذلك[٣].

• وأخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب»: قيل **لابن عباس**: أخبرنا عن أصحابِ رسولِ الله ﷺ أخبرنا عن أبي بكر، قال: كان واللهِ خيراً كلّه مع حِدّةٍ كانت فيه.

قلنا: فعمر؟ قال: كان واللهِ كيّساً حذراً؛ كالطيرِ الحَذِرِ، الذي قد نُصِبَ له الشركُ، فهو يراه، ويخشى أن يقع فيه، مع العنف وشدة السير.

قلنا: فعثمان؟

---

(١) يجب علينا أن نحسن الظن بهولاء العشرة المبشرة بالجنة.

(٢) **المقنب**: وعاء للصائد يجعل فيه ما يصيده.

(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٥).

قال: كان واللهِ صوّاماً قوّاماً من رجل غلبته رقدته.

قلنا: فعليّ؟

قال: كانَ والله قد مُلِئَ علماً وحكماً من رجل غرَّته سابقتُه وقرابتُه، فقلّما أشرفَ على شيءٍ من الدنيا إلا فاته[١].

● وأخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» قول **عثمان**: هل أستطيعُ أن أكون مثل لقمان الحكيم[٢].

● وأخرج **أبو يوسف**، عن أبي المليح بن أبي أسامة الهذلي، قال: خطب عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال:

أيها الرعاء! إن لكم علينا حقَّ النصيحةِ بالغيبِ، والمعونةِ على الخيرِ.

أيها الرعاء! إنّه ليس من حلم أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلمِ إمامٍ ورفقه، وليس من جهل أبغض إلى الله وأعمّ ضرراً من جهل إمامٍ وخَرْقِهِ، وإنَّه من يأخذُ بالعافيةِ فيما بين ظهرانيه يعطَ العافية من فوقه[٣].

● وأخرج **أبو يوسف**، عن مسعر، عن رجل، عن عمر رضي الله عنه قال: لا يقيمُ أمرَ اللهِ إلا رجلٌ لا يضارَعُ، ولا يصانعُ، ولا يتّبع المطامع، ولا يقيم أمرَ اللهِ إلا رجلٌ لا ينتقص غربه، ولا يكظم في الحق على حزبه[٤].

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٤١).

(٢) ما عثرنا على هذه الرواية في استيعاب أبي عمر ابن عبد البر، ولكن أخرج هذه الرواية ابن عبد ربه الأندلسي في «العقد الفريد» (٢/ ٨٠)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (ص٤٤٢) برقم: (٢٣١).

(٣) «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٣).

(٤) «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٥).

• وذكر **المحبُّ الطبري** عن **أبي بكر العبسي** قال: دخلتُ مع عمر وعثمان وعليّ مكان الصدقة، فجلس عثمانُ في الظلِّ يكتب، وقام عليّ على رأسه يملي عليه ما يقولُ عمر، وعمرُ قائمٌ في الشمس في يوم شديد الحر، عليه بردتان سوداوان، مؤتزر بواحدة، وقد وضع الأخرى على رأسه، وهو يتفقّدُ إبل الصدقة، يكتب ألوانها وأسنانها، فقال عليّ لعثمان: أما سمعتَ قول ابنة شعيب في كتاب الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص]، وأشار إلى عمر وقال: هذا القوي الأمين[1].

• وعن **عروة بن رويم اللخمي** قال: كتب ابنُ الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح كتاباً يقرؤه على الناس بالجابية، أمّا بعدُ: فإنّه لا يقيمُ أمرَ اللهِ في الناسِ إلا خصيف القعدة، بعيد الغرة، ولا يطَّلِعُ الناسُ منه على عورة، ولا يحنق في الحق على حرة، ولا يخاف في الله لومة لائم، والسلام عليك».

وفي رواية: «ولا يحابي في الحق على قرابة مكان، ولا يحنق في الحق على حرة»[2].

قلت: والحرة ما يحافِظُ عليه الأحرار من الحماية لقرابتهم والأنفة عن ما يخلّ في قدرهم.

• عن **محمد بن علي بن الحسين**، عن مولى لعثمان بن عفان قال: بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف، إذ رأى رجلاً يسوق بكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحرّ، فقال: ما على هذا لو قام بالمدينة حتى يبردَ ثم يروحُ، ثم دنا الرجل فقال: انظر من هذا؟ فنظرتُ فقلتُ: أرى رجلاً معمّماً بردائه، يسوق بكرين، ثم دنا الرجل

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٥).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٦).

فقال: انظر، فنظرتُ فإذا عمرُ بنُ الخطاب فقلت: هذا أميرُ المؤمنين، فقام عثمان، فأخرجَ رأسه من الباب فأذاه نفحُ السَّموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟

فقال: بكران من إبل الصدقة تخلّفا، وقد مضى بابُ الصدقة، فأردتُ أن ألحقها بالحمى، وخشيتُ أن يضيعا فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان: هلمَّ يا أميرَ المؤمنين إلى الماءِ والظلِّ ونكفيك.

فقال: عُدْ إلى ظلّك.

فقلت: عندنا مَنْ يكفيك.

فقال: عد إلى ظلّك ومضى.

فقال عثمان: مَنْ أحبَّ أن ينظرَ إلى القوي الأمين فلينظرْ إلى هذا، أخرجه **الشافعي** في «مسنده»[1].

• وهناك صفاتٌ عديدة من قبيل رعاية حقوق العباد، والتورُّع فيها، فضّل بها عليٌّ الشيخين على نفسه، بل ذهب جميعُ فقهاء الصحابة والتابعين إلى هذه الصفات في تفضيلهما.

• قال علي ﷺ: سبق رسولُ اللهِ ﷺ وصلّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا فتنةٌ.

• وقيل لعلي: أيدخلانها قبلك؟ أي: يدخل أبو بكر وعمر الجنةَ قبلك.

فقال علي: إي والذي فلقَ الحبّةَ، وبرأ النسمةَ، ليدخلانها وإنِّي لمع معاوية موقوفٌ في الحساب.

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) «مسند الشافعي» (١/ ٣٩٠).

والنكتة الثانية: وإن قلت: إن القرآن جعل صفتين اثنتين سبب تفضيل بعض الصحابة على بعض:

إحداهما: السوابق الإسلامية.

والثانية: أوصاف القرب المعنوي التي يُعبَّر عنها بالصدِّيقية والشهيدية.

وسبب تفضيل بعض الصحابة على بعض في السُّنَّة السنية هي أربع خصال، اثنتان منها هما الخصلتان المذكورتان في القرآن، وأما الأخريان:

فإحداهما: علّو الدرجات في الجنة، والتقدّم يوم الحشر.

والثانية: هي القيام بمواعيد الله تعالى لنبيِّه ﷺ.

وقد زاد الصحابة على ذلك صفاتٍ أخرى:

الأولى: علم الكتاب والسُّنَّة.

والثانية: الكفاية والحزم، وحُسن سياسة الأمة.

والثالثة: الاجتناب من الشبهات في قتال المسلمين، وفي رعاية بيت المال، وما إلى ذلك، فكيف يمكن التوفيق بين كل من الثلاث.

قلنا: يمكن التوفيق بين هذا الاختلاف وفق توفيق الفقهاء في الاختلاف الواقع في مسألة القتل، فإن القرآن قسَّمه إلى قسمين، القتل إما عمد وإما خطأ، وقُسِّمَ في السُّنَّة إلى ثلاثة أقسام: القتل إما عمد، وإما خطأ خالص، وإما خطأ شبه العمد، وقسَّمه الفقهاء الحنفية إلى خمسةِ أقسامٍ، فيرجعون هذه القسمة الثلاث إلى القسمة الثنائية، والخماسية إلى الثلاثية.

هكذا نقول هنا؛ يعني: أنّ الخصلة الزائدة في السُّنَّةِ راجعةٌ إلى الخصلتين المذكورتين في كتاب الله، وهي مفصلة وشارحة لهما، إذ إنَّ

علّو الدرجة في الجنة لسبب هاتين الخصلتين، ذلك لأن المرء يبلغ ذلك المبلغ إمّا بكماله النفساني، وإما بسعيه في مؤازرة النبي ﷺ، والقيام بموعود الله تعالى نوع من السوابق الإسلامية، إذ إنّ الأصل في السوابق الإسلامية إعانة النبي ﷺ في تبليغ دينه ﷺ، ويكون ذلك في بدأ الإسلام تارةً وفي أواخره تارةً أخرى بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، والخصال الزائدة الثلاث في أقاويل الصحابة راجعة إلى هذه الخصلة الأخيرة، التي هي عبارةٌ عن إنجاز موعوده ﷺ؛ إذ إن الإعانة باعتبار تبليغ علمه ﷺ موقوفةٌ على السعة في علم الكتاب والسُّنَّة وإجماعات الأمة، وهي **باعتبار كثرة الفتوح**، وأمن المسلمين من شرِّ الكفار موقوفة على الكفاية والحزم وحسن السياسة، **وباعتبار تعليم الزهد** موقوفة على الاجتناب من الشبهات، الذي امتاز به الشيخان، وبما أنّ دماء المسلمين من الأمور المهمّة العظيمة لذلك خصّص فيها التورُّع والاحتياط بمزيد من العناية والاهتمام، فكل ذلك شرحٌ وتفصيلٌ للسنَّة السنية، والسُّنَّة شرحٌ وتفصيل لما في القرآن العظيم.

إن قلت: وقد اعتبر في أقوال الصحابة قربُ النسب من النبي ﷺ والوجاهة بين الناس، وما أشبه ذلك من الفضائل، ووقع في القرآن العظيم نفي الفضيلة باعتبار النسب والوجاهة.

لقد ذكروا من فضائل عثمان ذي النورين أنَّ النبيَّ ﷺ زوّج منه فلذتي كبده، ومن فضائل عليّ المرتضى أنه كان ابنَ عمّ رسولِ اللهِ ﷺ وزوجَ فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله ﷺ، وبعض الفضائل الجبلّية كذلك مثل الشجاعة والفصاحة ذكروا في تضاعيف فضائل عليّ المرتضى، فكيف يمكن التوفيق بين هذين القولين المتخالفين؟

قلنا: إنَّ الفضائل على قسمين:

أحدهما: أنها تكون في حدِّ ذاتها فضيلة وسعادة للإنسان، ويحصل بها التشبّه بالنبيِّ ﷺ من جهة النبوة، وهذا القسم هو الذي وقع التصريح والتلويح بها في السُّنَّة.

والثاني: أنها لا تكون في حدِّ ذاتها فضيلة معتبرة في الشرع؛ كالنسب، والمصاهرة، وقوة البدن، وشجاعة القلب، وفصاحة اللسان، والوجاهة بين الناس، ولذلك تحصل هذه الفضائل للكافر والمسلم، ويتّصف بها كل من المتقي والفاسق، ولكن تصبح أحياناً وسيلةً لفضيلة من الفضائل المعتبرة في الشرع.

وبهذا الاعتبار يمكن أن يذكر بهذه الفضائل، فتزويجُ النبيِّ ﷺ بنته ـ مثلاً ـ يتضمّن عنايته بشأنه، ومن سُنَّة الله الجارية أنَّ صهر أفضل الأنبياء عليه الصلاة والسلام لا يكون إلا شخصاً محمودَ الحال في الشرع، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦].

فيدلّ ذلك بهذا الاعتبار على بعض الفضائل النفسانية، وكونه ابن عمه ﷺ كذلك سبب عنايته ﷺ به واعتنائه بتعليمه وتثقيفه، وتصرف الشجاعة والفصاحة كذلك تارةً في نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله، فكانت لها بهذا الاعتبار علاقة بالفضائل المعتبرة، وما أوفقَ وأنسبَ بيت مولانا جلال الدين الرومي قدس سره في هذا المبحث:

علم بر تن زني مارے بود   علم گر بر زني يارے بود

معناه: العلمُ إذا جعلتَه وسيلةً لوجاهتك بين الناسِ وحُسنَ شهرتك في الخلقِ فإنَّه حيةٌ تلدغُكَ، والعلمُ إذا جعلته ذريعةً لتزكيةِ قلبِكَ وإصلاح باطنك، فإنّه مؤنسك، وسببُ جلب رحمة الله تعالى.

فإسقاط هذه الصفات من درجة الاعتبار بمعنى أنها ليست في حدِّ ذاتها فضيلةً معتبرةً، وإثبات هذه المعاني ضمن المناقب والفضائل بمعنى

أنها تكون في خاص مادّتها وسيلةً لكسب الفضائل المعتبرة، فالأمر الواقع أنهم يذكرون هذه الأسماء ولكن مرادُهم هو الفضائلُ المعتبرةُ في الشرع لا غير، وشتّان بينهما، وبون شاسع بين مواقع هذين القسمين ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق]، فإذا ثبت وجود الفضائل من القسم الأول يُسبِّب القسمُ الثاني زيادةَ رونقها وبهائها ويشهد بتحقّقها، وإذا لم يثبت القسمُ الأولُ أو ثبتَ دون رتبة الآخرين فلا ترفعه هذه الفضائل في الشريعة.



المبحث الرابع

في إثبات أفضلية الشيخين
من جهة ملازمة الخلافة الخاصة الأفضلية

وهذا مسلكٌ دقيق المأخذ، قد أثبت ذلك المحقِّقون من الصحابة وغيرهم، وبيّنوا ذلك بأساليب عديدة.

والأصلُ في هذه المسألة أنّ حقيقة الخلافة الخاصّة هي إرادةُ الله تبارك وتعالى لإصلاح العالم بوجهٍ يكون تلوَ إصلاح العالم المقصود ببعث الأنبياء، حين يمتلئ العالم كفراً وفسوقاً وظلماً، فيختار الله المدبرّ جلّ شأنه من بين الناس شخصاً يكون جوهر نفسه أشبه بالملائكة المقرَّبين، وتنشأ من غيوب العرش إرادةُ تعليمه، وإشاعةُ علمه بين الناس، وينادي جبريل بأنّ فلاناً محبوب عند الله، وإرادة الله تعالى غلّبته، وجمع العالم على الانقياد لعلمه، ثم شيوع علمه في الآفاق، وتهذيب نفوس بني آدم بهذا العلم الحق، ثم يفتّتْ شملُ أعدائه، ثم بعد ذلك ينادي جبريل في ملكوت السماوات: «**ألا إنَّ الله أحبَّ فلاناً فأحبّوه**»، فيحبّه جميع الملائكة، ويلعنون على أعدائه، ويستغفرون لمن يتّبعونه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر].

ثم ينزل قَبوله في الأرض، ويقوم أفواج من الملائكة السفلية بنشر دينه، ونصر الموافقين له، إلى أن يتحقّق مرادُ الله بكماله.

هذه حقيقة النبوّة، وإذا بُعِثَ النبيُّ ﷺ في العالم وهذّب جماعة

المؤمنين، وانقضت أيامُ حياة النبي ﷺ قبل ظهور مراد الله ببعثة النبيِّ ﷺ بكامله، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [يونس: ٤٦]، فيختار التدبيرُ الإلٰهيُّ شخصاً من بين أصحابه لخلافته، الذي يقارب أصل جوهر نفسه جوهر نفس النبي، كما لا يخفى عليك حالُ مؤمن آل فرعون ومؤمن أنطاكية، وبعد ذلك إنه ـ أي: الخليفة ـ يبذل سعياً بليغاً لمؤازرة النبي، وبضمن هذه المؤازرة تشمله رحمةُ اللهِ مرّةً أخرى، وتجذبه نفس النبي، وتهذبه تهذيباً، حتى يظهر فيه استعدادٌ للمحدَّثية والصدِّيقية، وهي فرع لهذا الجذب.

وآنذاك يتخذ التدبيرُ الإلٰهيُّ هذا الشخصَ جارحةً له في إنجاز موعوده للنبي، وتنزل العنايةُ الإلٰهيةُ على قلبه تترا، ويكون هو كالسراج في وسط البيت، تتنوَّر به الأجسام الصافية المتواجدة في البيت بضيائه، وتتأثّر نفوسُ بني آدم بالخليفة، ويتحرَّك الجميعُ بتلك الحركة التي مبدأها من الغيب، فأحياناً يبلون في القتال بلاءً حسناً، وأحياناً ينشرون العلم، وأحياناً يفيضون البركات ـ قولاً وحالاً ـ على نفوس الطالبين، وهذه النفسُ ـ التي هي مبدأ هذا الفيض الخاص في الخارج كالسراج ـ خليفة النبي في الحقيقة، وهو كالقلبِ بالنسبة لأعضاءِ الإنسان.

• ومن لوازم الخلافة الخاصة وجوب نصرته على العالم، وإلا فإنّه يكون مهبط الفيض الرباني، ولا تظهر المواعيد على يده، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

• ومن لوازم الخلافة الخاصة ظهور المواعيد الإلٰهية على يده ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [التوبة].

ومن لوازم الخلافة الخاصة تأليف المسلمين فيما بينهم وعدم اختلاف الأمة ومعاملة الرحمة فيما بينهم وكبت الكافرين وهزيمتهم على مرِّ الأيام، لكي تتحقّق كلمة ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

هذه خلافة خاصة للنبيِّ أشير إليها بـ«خلافة ورحمة» وذهبت طائفة من المحقِّقين إلى القول بأفضلية الشيخين لأجل اصطفاء الله ﷻ لهما لخلافة نبيِّه.

• أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **عبد الله بن مسعود** قال: إن اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجد قلبَ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاه، وبعثَه برسالتِه، ثم نظر في قلوبِ العبادِ، فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلهم وزراءَ نبيِّه يقاتلونَ عن دينه[1].

وذهبت طائفة أخرى إلى أنّ إفاضة الخير عبارةٌ عن ائتلاف المسلمين، وتشتيت شمل الكافرين.

• أخرج **الحاكم** عن **أبي وائل** قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلِفُ علينا؟.

قال: ما استخلفَ رسولُ الله ﷺ فأستخلفُ، ولكنْ إنْ يردِ اللهُ بالناس خيراً، فسيجمُعهم بعدي على خيرِهم، كما جمعهم بعد نبيّهم على خيرهم[2].

• وأخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **علي** قال: خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، ثم عمر[3].

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٥).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٤) برقم: (٤٤٦٧).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧).

• ثم بيَّن وجه الخيرية في حديث آخر قال: استخلف أبو بكر ـ رحمة الله على أبي بكر ـ فأقامَ واستقامَ، ثم استخلف عمر ـ رحمة الله على عمر ـ فأقام واستقام حتّى ضرب الدين بجرّانه[١].

وأدرك بعضُ المحقِّقين أفضلية الشيخين بإجماع الصحابة على استخلافهما، قال سفيان الثوري: مَنْ قال إن عليّاً أفضل من أبي بكر فقد خطَّأ المهاجرين والأنصار، ولا أرى أنَّ عمله يُقْبَلُ.

وبعد فإنَّ عِلْمَ أصلِ حقيقة الخلافة الخاصة، ييسّرُ معرفة ارتباط وعلاقة كلِّ استنباطٍ بوصف من الأوصاف التي تدخل في حقيقة الاستخلاف، أو هي من لوازمه بأدنى تأمّل.

ولا يكتمل تقرير هذا المسلك إلا أن نبيِّن ثلاث مقدمات:

الأولى: تلازم الخلافة الخاصّة والأفضلية على الرعية.

والثانية: إثباتُ الخلافة الخاصّة لهؤلاء المشايخ بنصّ الكتاب والسُّنَّة السنية، وإجماع الأمة بوجهٍ معقولٍ تتبيّن حقيقةُ الخلافة الخاصة به، وبما أنَّ مضمون هذه المقدمة قد مضى سابقاً بكلِّ بسطٍ وتفصيل نكتفي هنا ببعض النكات المختارة.

والثالثة: بيان أنَّ الخلافة الخاصة لم تنتظم في أيام عليّ المرتضى رغم أنّه كان متّصفاً بصفات الكمال اللازمة والمطلوبة في الخلافة الخاصة، ورغم هذه الصفات لم تقدَّر له النصرة في سابق الأزل فلم تنتظم في الخارج وفق هذا التقدير الإلـٰهي، وذلك بسبب حكمة موزَّعة على الزمان، ومسَّت الحاجة إلى بيان هذه المقدمة الثالثة لأجل أنَّ المهاجرين الأولين لم يُسمَّ أحدٌ منهم غير عليّ بعد المشايخ الثلاثة

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٩٢١).

بالخليفة حتى نضطرّ إلى بيان مزيد، فكل ما يحتاج إلى البيان إنما هو عدم انتظام خلافة علي المرتضى.

المقدمة الأولى: بيان التلازم بين الخلافة الخاصة وبين أفضلية شخص يكرمه الله بهذه الخلافة على أهل زمانه، وتارةً يُقرَّر هذا التلازم باعتبار سُنَّة الله في وقت إرادة الرحمة الخاصة للأمة، ولفظ: «**خلافة ورحمة**» الوارد في الحديث الشريف إشارة إلى ذلك، إذ إنّ الحكيم المطلق تبارك وتعالى لا يُسلِّط المفضولَ ويترك الأفضل عند إرادة الرحمة الخاصة.

وتارةً يُقرَّر باعتبار أنَّ ظهور الداعية لا يكون في نفس شخص غير أفضل أهل زمانه، وهو لا يتأهّل لقبوله، «الطيبات للطيبين».

وتارة يُقرَّر باعتبار تعيين النبيِّ ﷺ شخصاً لخلافته الخاصة، إذ إن تعيين شخص لهذا الأمر العظيم من قِبَلِ النبي ﷺ لا يصدر إلَّا في أفضل الأمة، وتارة يُقرَّر باعتبار اتفاق الصحابة على شخص خاص، بحيث جعلوا أفضليته مبنى الاتفاق، إذ إنَّ إجماع الصحابة، بل المسلمين قاطبةً لا يكون إلا على ما هو الحقّ عند الله تعالى، وكل هذه الوجوه متقاربةٌ ومتلازمةٌ فيما بينها، أحدها مبشِّر بالآخر.

عباراتُنا شتَّى وحسنُك واحدٌ وكلٌّ إلى ذاكَ الجمالِ يُشيرُ

والوجه الأول من الملازمة قد قرَّره عليّ المرتضى بقوله: «إنْ يُرِدِ الله بالناسِ خيراً فسيجمعُهم على خيرِهم»[(١)].

والوجه الثاني: ذكره **عبد الله بن مسعود**» بقوله: «**ثم إنَّ اللهَ نظرَ إلى قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العباد، فجعلهم وزراء**

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٨٤) برقم: (٤٤٦٧).

نبيّه يقاتلون عن دينه»(١).

والوجه الثالث: بيَّنه أبو بكر الصدِّيق وعبد الله بن عباس ﷺ بحديث مرفوع، وبمقتضى نصه.

والوجه الرابع: قرَّره عبد الله بن مسعود أيضاً، وشرحه سفيان الثوري بقوله: «ما رآه المسلمونَ حسناً فهو عندَ اللهِ حسنٌ»، وقد رأى المسلمون استخلافَ أبي بكر، ثم قال في استخلاف عمر: أفرسُ الناسِ ثلاثةٌ، إلى أن قال: وأبو بكر حين استخلفَ عمر.

وقال سفيان الثوري: من فضَّل عليّاً على الشيخين فقد خطَّأَ المهاجرين والأنصار.

وتارة يُقرَّر بأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عُلِّقا في كتاب الله بالتمكين في الأرض، ومجموع التمكين، وهذه الصفاتُ حقيقةُ الخلافة الخاصة.

وقال في موضع آخر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وجعل «الخيرية» من لوازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر داخلانِ في حيِّزِ الخلافة الخاصة، فثبت أنَّ الأفضلية من خواصّ الخليفة الخاصة، وتارة يُقرَّر بأن تسليط الخليفة في حكم الله والشريعة ووجوب انقياد القوم له في الأمور المنسوبة إلى خلافته نوعٌ من أنواع الأفضلية، وهذا النوعُ من الأفضلية من لوازم الخلافة الخاصة، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦].

وتارة يقرّر بـ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]، وفيها

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٣٦٠٠).

إشارةٌ بسياقها إلى أنَّ ولاية المسلمين لا يجدر بها إلا قومٌ من صفاتهم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، إلى آخر ما قال.

وبعد أن بيَّنَّا أصل التلازم بوجوه شتى فلا بأس إذاً في أن نفصله تفصيلاً زائداً.

تقرير الوجه الأول: لقد أراد الله تعالى باستخلاف المشايخ الثلاثة تمكين الدين المختار المرضيّ والرحمة بأمّة محمد ﷺ ودفع الكفار، وإقامة أركان الإسلام، وشيوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا المعنى يستلزِمُ استخلافَ مَنْ هو أفضل الأمة، وأحقّهم بالخلافة، وأقومهم بحقوقها، ذلك لأنَّ الأحقّ إذا جُعِلَ خليفةً لا بدّ أن يُظْهِرَ تمكين الدين، والرحمة بالأمة وسائر المعاني المذكورة بأكمل وجه.

واستخلافُ غير الأحقّ عند إرادة تمكين الدين المختار المرضيّ الذي يُشعِرُ بكماله وشيوعه على الوجه الأبلغ نوعٌ من السفاهة والحُمق. والله حكيم، وأفعاله متقنةٌ غير متهافتةٍ.

وأراد الله تعالى دفعَ دين المرتدّين بقوم من صفاتهم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية، ليس الدفع مطلقاً بل دفعٌ بأيدي قوم مخصوصين، وأراد تعالى كبت ملل الكفر، واستخلاص بلاد الشام من أيدي الكافرين بسعي الصالحين، لا بسعي غيرهم.

وجاء في الحديث النبوي الشريف: «**استقامتُكم ما استقامت أئمتُكم**»، إذا كان المراد هو استقامةُ الأمة يلزم «استقامة الأئمة» وهذا لا يكون إلا بتسليط الأحقّ بالخلافة.

وأما قولنا: عند إرادة تمكين الدين والرحمة يكون كذا، فذلك من جهة أنّه إذا كانت إرادةُ إضلال قوم يناسِبُ ذلك المقامُ استخلافَ جبّار وكافر، كما وقع في عصر الجاهلية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ

قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]؛ أي: كثّرناهم، وجعلناهم الولاة، قاله ابن مسعود، وفي زمن إرادة الهداية من وجهٍ، والإضلالِ من وجه، يجوز استخلاف المفضول، قال رسول الله ﷺ: «**ثم يكونُ ملكٌ عضوضٌ**».

تقرير الوجه الثاني: يقول الله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، والعقل يكون مضطرّاً إلى الجزم بأنَّ إلهامَ العلوم الحقّة؛ ونزول الدواعي الكلية؛ لا يكون إلا على النفس القدسية، وبقدر ما تكون النفس صافية يكون نزول الدواعي الإلـٰهية عليها أعظم، وإذا لم ينزل الإلهام، وهو يتحرّك كالحجر والخشب؛ كان من قبيل «**إن الله يؤيِّد هذا الدِّين بالرَّجلِ الفاجِرِ**»[(١)]، وهذا المعنى بعيدٌ عن الخلافة الخاصّة بمراحل.

تقرير الوجه الثالث: أخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ استعملَ رجلاً مِنْ عصابةٍ، وفي تلكَ العصابةِ مَنْ هُوَ أرضى للهِ مِنْهُ فقد خانَ اللهَ، وخانَ رسولَهُ، وخان المؤمنين**»[(٢)].

هذا حكم أمراء السرايا والبعوث، فكيف بالخليفة المطلق، الذي يملك زمام قدرة جمهور المسلمين، ويُنفَّذ تصرّفه في جميع الأمور، سواء كانت دينيةً أو دنيويةً، فإذا ثبت أنَّ النبيَّ ﷺ جعل أبا بكر الصدِّيق خليفة له تصريحاً تارةً وتلويحاً أخرى، لزم أن يكون هو أفضل الأمة، وكذلك جَعْلُ أبي بكر عمرَ الفاروق خليفةً له، فكان هو أفضل الأمة في زمانه.

فإن قلت: إنَّ النبي ﷺ جعل أسامة بن زيد خليفة على المهاجرين الأولين.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب (١٨٢)، برقم: (٤٢٠٣).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ١٠٤) برقم: (٧٠٢٣).

قلنا: إنَّه كان يطلبُ ثأر أبيه، وكان هو في طلب ثأر أبيه متفرِّداً، وكلّما وقع استخلاف مفضول، كان ذلك بناءً على وجه خاصّ به كذلك، أما الاستخلاف المطلق، الذي يكون خالصاً لإعلاء كلمة الله، لا يليق بغير الأفضل، وإنَّ كيفية واستقراء سيرة النبي ﷺ في مجاري الأحوال والأمور تدلّ على أنَّ تقديم شخص بالاستخلاف لا يكون إلا من جهة رجحانه على سائر الناس في الدين، كما قال علي المرتضى: «وكان قريبهم عنده ﷺ على حسب الدين أو كما قال»، أخرجه **الترمذي** في الشمائل.

وقال رسول الله ﷺ: «**كبِّره كبِّره**»؛ أي: قدِّم الأكبر، وخلافة النبوة رئاسة عامّة في الدين والدنيا ظاهراً وباطناً.

ولذلك قام النبي ﷺ بالتلويح لاستخلاف أبي بكر بتقديمه في الصلاة؛ لأن الصلاة أفضل العبادات، وقد بيَّنه المرتضىٰ رضي الله عنه كما مرَّ.

ومعنى الرئاسة تبليغ المرؤوسين إلى درجة الكمال، ومكمِّل القوم خيرٌ من رعيته المكمَّلين، بخلاف الملك العضوض، فإن فيه الرئاسة ظاهراً فقط، إذا لم يكن كذلك لا يوجد فرق بين خلافة النبوة وغيرها، ولا تتوقّف خلافة النبوة على ثلاثين عاماً، ولا تختصّ بالخلفاء الأربعة، ولا يَجْعَلُ الحكيمُ المشفِقُ الناصحُ خليفةً في حلقته، إلا مَنْ كان أفضل الجماعة، وأشبههم به، وإذا لم يكن كذلك ما كان ناصحاً ولا حكيماً.

فاستخلاف النبي ﷺ أبا بكر الصدِّيق ـ ومعلوم أنه ﷺ أنصح الناس للخلق وأعلمهم بالله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، وقال رسول الله ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**

وأخشاكُم» ـ أدلّ دليل على أن النبيَّ ﷺ أفضل المسلمين، وأبو بكر الصدِّيق أشبههم به ﷺ.

وإذا كانت جماعة تتساوى في استحقاق الخلافة فما معنى: «**يأبى اللهُ والمسلمون**»؟ ومنعه ﷺ غير الصدِّيق من إمامة الصلاة بأوكد وجهٍ، لأيّ شيء كان؟ وظهر رجحانُ الوزن في بعض الأحاديث بهذا الترتيب، وليس ذلك باعتبار كثرة الفتوح؛ لأنَّه باعتبار كثرة الفتوح جاء في أبي بكر الصدِّيق «**وفي نزعه ضعفٌ**»، فلا يكون هذا الترتيبُ إلا من جهة الأفضلية عند الله.

تقرير الوجه الرابع: قد استنبط فقهاء الصحابة؛ كعمر الفاروق وعليّ المرتضى وابن مسعود ﷺ من الاستخلاف أفضليتهم، كما قالوا: «أحقّ بها»، فهؤلاء الذين كانوا أئمةَ الأمةِ في الاستنباط وفهم معاني الشرائع ما استنبطوا هذا المعنى إذا لم يكن التلازم القوي قائمٌ بينهما.

● قال عمر: أيّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدّم أبا بكر[1]، وقد رويناه من قبل.

● وقال علي والزبير ﷺ: «ما غضبنا إلّا لأنّا قد أُخِّرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنّه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم شرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيّ»، رواه **الحاكم**[2].

وقال عبد الله بن مسعود: اجعلوا إمامَكم خيرَكم، فإنَّ رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرَنا بعدَه، رواه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[3].

---

(١) «سنن النسائي» (٢/ ٧٤) برقم: (٧٧٧)، و«مسند أحمد» برقم: (١٣٣).

(٢) في «المستدرك» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٢).

(٣) (١/ ٢٩٧).

ويتضح بالاستقراء أن ذكر الأفضلية جاء في عقد الاستخلاف عينه، فقد قال عمر الفاروق: أحقّ بهذا الأمر.

وقال أبو بكر الصدِّيق في استخلاف عمر الفاروق: «أبالله تخوِّفوني؟ أقول: استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ».

ولمّا انصرف أمرُ الشورى إلى عبد الرحمٰن بن عوف قال: «والله عليّ أن لا آلُ عن أفضلهم، ثم بايعَ عثمان» لم ينفصل «الاستخلاف» عن اعتقاد «الأفضلية» أبداً.

تقرير الوجه الخامس: قال الله تعالى في المهاجرين الأولين: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية [الحج: ٤١]، فثبت أنه إذا وقع تمكينُ شخصٍ من المهاجرين الأولين لا بدّ أن تكون حقيقة الخلافة عبارةً عن انضمام التمكين بالصفات الأربع المذكورة.

ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وتؤوَّل هذه الآية بوجهين:

أحدهما: أنّ الخطاب موجّه إلى فضلاء الأمة دون جميع الأمة؛ يعني: يا فضلاء الأمة! أنتم خيرَ الأمة، بُعثتم للناس، وهذا التأويل أشبه بآية أخرى في القرآن، وهي: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]، والقرآن نزل متشابهاً مثاني يُشبه بعضه بعضاً.

والثاني: أنّه موجَّه إلى المهاجرين الأولين؛ يعني: هذه الأمةُ التي هي من المهاجرين الأولين خيرٌ من جميع الأمم، أخرجت للناس، فيُعلم حينئذٍ بطريق المفهوم الموافق أنَّ مَنْ كان متّصفاً بمزيد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الخير كان أفضلَ من غيره.

على كلِّ حالٍ، فإنّ دعاء الناس إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لازمٌ وداخلٌ في حقيقة الخلافة الخاصّة وجزءٌ منها، فثبت أن الأفضلية لازمةٌ للخلافة الخاصة.

تقرير الوجه السادس: قال الله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، عُلِمَ من هنالك أنَّ حكمَ الخليفة الخاصّ يُنفّذ على القوم، إذ إنه خليفةُ النبيّ ﷺ، وللخليفة الخاصّ - في حكم الله والشريعة - تسلّط على رعيته، وهذا النوع من الأفضلية ثابتٌ له على رعيته، ومن أنصفَ يعلم باليقين أنَّ نبوة شخص تدلّ على أفضليته على القوم الذين بُعث إليهم، فكذلك يدلّ استخلاف شخص بالخلافة الخاصّة على أفضليته على رعيته، وعلى أنه جامع لإرادة الانتظام بأكمل الوجوه، بل يعرف أهل القلوب أنَّ إرادة إصلاح العالم على يد شخص وإيجاب الانقياد له على القوم عين أفضليته، وكلامنا يدور حول فضيلة هي بمعنى التشبّه بالنبيِّ من جهة النبوّة، لا من وجوه أخرى.

تقرير الوجه السابع: هو أنَّ الله تعالى أشار في آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، إلى أنه لا يتولّى رفعُ فتنةِ الارتداد إلا طائفةٌ من شأنها أنّه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذا خاصّ بالجماعةِ الذين تندفعُ بهم فتنةُ الردّة.

ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، وهذا عامّ؛ يعني كذلك: ولاية المسلمين خاصّة بأفاضل الأمة، فأصبحت الأفضليةُ لازمةً للخلافة الخاصة، والله أعلم.

المقدمة الثانية: قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور:

٥٥]، ومصداق هذه الآية هو المشايخ الثلاثة، فكان المراد من استخلاف هؤلاء المشايخ عند الله تعالى هو تمكينُ الدّينِ المرضيّ المختار، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الحج: ٤١]، بعد أن قال في صدر المبحث: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، وقال في أثناء السياق: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾، علم من هذه الآية أنّ المرادَ باستخلاف هؤلاء المشايخ، إنّما هو دفع الكفار وإحياء الإسلام، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]، عُلِمَ من هذه الآية أنَّ مراد الحق تبارك وتعالى كان في الغيب قبل بعثة النبي ﷺ أن تُفتح أرض الشام على أيدي الصالحين، ولما وقع فتحُ هذه الديار على أيدي الشيخين اتّضحَ أنّ هؤلاء هم الصالحون، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، عُلم من هنا أنه قُدِّرَ في علم الله قبل وقوع فتنة الردة أن قوماً من صفاته كذا وكذا يقضي على هذه الفتنة، وقال الله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، عُلم من هذه الآية أنَّ شخصاً يقوم بدعوة الجهاد ضد الفرس والروم، ويكون هو في ذاته نائبَ الرسول ﷺ ويصبح أمره في الشريعة واجبَ الانقياد.

وقال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء]، مضمون هذه الآية على أحد التأويلات: «اللَّهُمَّ أدخلني في العالم الأعلى مُدْخلَ صدق، وأخرجني من العالم الأدنى مُخْرَجَ صِدْقٍ، واجعل لي من بعد وفاتي غلبةً من عندك»، فلمّا غلبَ الخلفاء الثلاثة، ونزل النصر والتأييد من الغيب لهم ولأتباعهم أفواجاً، رأينا ـ رأي العين ـ أنّ ذلك من ثمراتِ إجابة

هذا الدعاءِ، بل الأمرُ بهذا الدعاء بشارةٌ بخلافة هؤلاء المشايخ.

بالجملة، فإنّه قد اتّضح بهذه الآيات وأمثالها أنَّ قوماً من فضلاء الأمة وكبرائها، صفاتُهم خيرُ صفاتٍ، يكونون خلفاءَ النبيِّ ﷺ، فلما تحقّقت خلافتُهم، وأُنجزت المواعيدُ على أيديهم، علمنا ـ يقيناً ـ أنّ ما ذكر بطريق الإجمال كان إخباراً بشأنهم.

وقبل أن يتصدَّى هؤلاء المشايخ للخلافة، وتنجز المواعيد ظهرت احتمالات شتَّى، واختلفت الأفكار إلى كل جانب، وتوجَّه النبي ﷺ في هذه الحالة إلى الغيب، فتبيَّن الأمرُ برؤيا القليب، والميزان، والدلو، وغير ذلك، وانحلّ هذا اللغز.

ثم بيَّن النبيُّ ﷺ ـ قولاً وفعلاً ـ رجحانهم على سائر الأمة، وأوصى باقتدائهم بقوله: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر**».

واتّضح هذا المعنى في كثير من الأحاديث حتّى بلغَ كلُّ ذلك بهيئته الاجتماعية درجة التواتر، وحصل يقينٌ كلّيٌّ بهذا المعنى ـ إلا لكل مارد متمرِّدٍ إلى أن يقبل الحق مع وضوحه عناداً وتعنتاً، وقام بعد ذلك بإشارات أبلغ من التصريح في مرض وفاته، وكلُّ هذه الأقوال والإشارات من النبيِّ ﷺ تفصيلٌ لذلك الإجمال، كأنَّ جميعَ هذه الصفات الكاملة التي يستقيمُ إطلاقُ اسم الخلافة الخاصة عليها مندرجةٌ في كلامه ﷺ، فتعيين النبيِّ ﷺ لهم، هو بمعنى أن الموصوفين في القرآن هؤلاء المشايخ دون غيرهم، ثم وفِّق الصحابة بعد ذلك للانقياد للشيخين والمبايعة لهما، ولو أنهم عملوا بنوع من الاجتهاد ولكن هذا الاجتهاد أوله ظنّ، وآخره يقينٌ.

المقدمة الثالثة: لقد وزَّع الله تعالى حوادثَ الخيرِ والشرِّ على أجزاء الزمان، وربط في عالم الغيب كلَّ حادثة بزمان، وبيّن على ألسنة

الرسل ما كانت معرفته مطلوبةً في الشريعة من بين هذه الحوادث الموزَّعة على طبقات الزمان، ليعرفوا هذه الحوادث قبل وقوعها، وعيَّن حكماً في كلِّ حادثة، لكي تتمَّ حكمة الابتلاء، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء]، وبيَّن تعالى على لسان نبيِّنا ﷺ، كذلك أنّ مدة بعد زمان النبي ﷺ تكون مدة خير، ثم يظهر تغيُّرٌ كليٌّ بعد ذلك، وتحدث فتن عظيمة، ومن جملة تلك الحوادث ثلاث فتن، وهدنتان تتخلَّلان بينها قد أوضحها ﷺ، وطرق هذه الأحاديث في غاية كثرة بلغت حدَّ التواتر، وأصبح العلم بها في الشريعة يقينياً.

ومن **جملة ذلك** حديثٌ صحيحٌ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الذينَ يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يَنْشَأُ أقوامٌ تَسْبِقُ أيمانُهم شهادتِهم، وشهادتُهم أيمانَهم**»[1]، وفي أسانيده العدد والثقة، رواه عمر بن الخطاب، وعمران بن حصين، وسهل بن سعد وغيرهم.

وبعد التأمّل يتّضحُ أنَّ القرن الأول هو زمان النبي ﷺ من قُبيل الهجرة إلى وفاته، والقرن الثاني خلافةُ أبي بكر الصدِّيق وعمر الفاروق، والقرنُ الثالث خلافةُ عثمان إلى تمام اثني عشر عاماً، وظهرت الفتن ونشأ أقوام بعد ذلك قرأتَ مِنْ أحوالها.

• **ومن جملة ذلك**، حديث **عبد الله بن مسعود**: «**تزولُ رحى الإسلامِ بخمسٍ وثلاثينَ سنةً، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ هَلَكَ...**»[2] إلخ.

• وحديث **أبي هريرة**: «**الخلافةُ بالمدينةِ، والملكُ بالشامِ**».

• وحديث **حذيفة**: «**لا تقومُ الساعةُ حتّى تقتلوا إمامَكم، وتجتلدوا**

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٦٤٢٩).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٤٣١٥).

بأسيافِكُم، ويرثُ دنياكم شرارُكم»[١].

وحديث **كرز بن علقمة**، قال أعرابي: يا رسول الله! هل للإسلام من منتهى؟ قال: «**نعم، أيُّما أهلُ بيتٍ من العربِ أو العَجَمِ أرادَ الله بهم خيراً أدخلَ عليهم الإسلام**».

قال: ثم ماذا يا رسول الله؟.

قال: «**ثم تقعُ الفتنُ كأنَّها الظّلَل**»[٢].

قال الأعرابي: كلّا يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: «**بلى! والذي نفسِي بيدِهِ، ثم تعودونَ فيها أسَاوِدَ**[٣] **صُبّاً**»[٤].

• وحديث **عُتبة بن غزوان**: «وإنّها لم تكنْ نبوّةٌ قطّ، إلا تناسختْ، حتّى يكونَ آخر عاقبتها مُلْكاً، فستخبرون وتجرّبون الأمراء بعدنا»[٥].

• وحديث **أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل**: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ بَدَأَ هَذَا الأَمْرُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكاً عَضوضاً، ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوّاً وَجَبْرِيَّةً وَفَسَاداً فِي الأُمَّةِ...**»[٦] إلخ.

• وحديث **عبد الله بن عمرو**: «**وإنّ أمتَكُم هذه جعلتْ عافيتَها في**

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢١٧٠).

(٢) **الظُّلل**: هي كل ما أظلك، واحدتها: ظلّة، أراد كأنها الجبال أو السحب، «النهاية» (ص٥٨١).

(٣) **الأساود**: الحيات، الصُّبّ جمع الصبوب، وهو أنَّ الأسود إذا أراد أن ينهش ارتفع، ثم انصب على الملدوغ، «النهاية» (ص٥٠٦).

(٤) انظر: «مسند أحمد» رقم: (١٥٩١٧)، و«المستدرك» (١/ ٨٩) رقم: (٩٨)، و«المعجم الكبير» (١٩/ ١٩٨)، و«مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٣٦٢).

(٥) «صحيح مسلم» برقم: (٢٩٦٧).

(٦) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٧٧) برقم: (٨٧٣).

أوَّلِها، وإنَّ آخرَهم يصيبُهم بلاءٌ وأمورٌ ينكرونها، ثم تَجِيءُ فِتَنٌ يرقّق بعضُها بعضاً...»[١] إلخ.

• وحديث **أبي بكرة الثقفي**، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رأىٰ مِنْكُم رؤيا؟**»، فقال رجلٌ: أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً. .، إلى أن قال: وَوُزِنَ عمرُ وعثمانُ فرجحَ عمرُ، ثم رُفِعَ الميزان[٢].

وحديث **سمرة بن جندب**: قال رجل: رأيتُ كأنَّ دلواً دلِّي من السماءِ إلى أنْ قالَ: ثم جاء عليٌّ فأخذَ بعراقيها، فانتشطتْ، فانتضح عليه منها شيءٌ[٣].

• وحديث **أنس**، وسؤال بني المصطلق: إلى مَنْ ندفعُ صدقاتنا بعدك؟ إلى أن قال: «**فإنْ حدث بعثمانَ حَدَثٌ فتباً لكم الدّهرَ فتباً**».

• وحديث **سهل بن حثمة**،[٤] وربيع **الأعرابي** عنه ﷺ، وقوله: مَنْ يقضيه؟ إلى أن قال النبي ﷺ: «**إذا أتى على أبي بكرٍ أجلُه وعمرَ أجلُه، وعثمانَ أجلُه فإن استطعتَ أن تموتَ فَمُتْ**»[٥].

• وحديث عمر رفعه: «**رأيتُ عموداً مِنْ نورٍ خرجَ من تحتِ رأسي ساطعاً حتّى استقرّ بالشَّامِ**»[٦].

• وحديث **عرفجة**: «**ثم رفع الميزان بعد عثمان**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٣٩٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢٨٧).

(٣) «سنن أبي داود» رقم: (٤٥٣٧).

(٤) ورد في «تحفة الصديق» (١/ ٨) بلفظ: «سهل بن أبي حثمة»، وفي «حلية الأولياء» (٨/ ٢٨٠) بلفظ: «سهل بن أبي خيثمة».

(٥) انظر: «تحفة الصديق» (١/ ٨)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٨٠).

(٦) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٣٣١).

• وحديث **أبي هريرة**: «**هلاكُ أُمَّتِي على يدي غلمة من قريش**»[١].

• وحديثُ **أمِّ مالك** البهزية قالت: ذكرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً فقرَّبها، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! مَنْ خيرُ الناس فيها؟ قال: «**رجلٌ في ماشيتِهِ...**»[٢] إلخ.

• ومن حديث **سعد بن أبي وقاص**، قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهدُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ: القاعدُ فيها خيرٌ مِن القائمِ...**»[٣] إلخ.

• وحديث **أُهبان بن صيفي**: جاء عليُّ بنُ أبي طالب إلى أبي، فدعاه إلى الخروج معه، فقال لي أبي: إنَّ خليلي وابنَ عمِّكَ عهد إليّ إذا اختلفَ الناسُ أنْ أتّخذَ سيفاً من خشب[٤].

وحديث **أبي موسى** قوله ﷺ في الفتنة: «**كسِّروا فيها قِسِيَّكُم، وقَطِّعُوا فيها أوتارَكُم**»[٥].

• وحديث **خباب بن الأَرَتِّ**: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً، «**القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي**»[٦].

• وحديث **عبد الله بن مسعود** رفعه: «**تكونُ فتنةٌ، المضطجعُ فيها خيرٌ من القاعدِ، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ**»[٧].

• وحديث **أبي هريرة**: «**أيها الناسُ! أظلّتْكُم فتنٌ، كأنَّها قِطَعُ**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٠٥).
(٢) انظر: «الإصابة في معرفة الصحابة» (٤/ ١٢١).
(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).
(٤) «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٠٣).
(٥) «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٠٤).
(٦) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).
(٧) «شرح مشكل الآثار» (١٢/ ٢١٩).

الليلِ المُظْلِمِ...»[١] إلخ.

• وحديث **أبي بكرة**: «**ألا إنّها ستكونُ فتنٌ، ثم تكونُ فتنةٌ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائمِ...**»[٢] إلخ.

• وحديث **محمد بن مَسْلَمة**: قلت: يا رسول الله! كيف أصنع إذا اختلف المصلّون؟ قال: «**تَخْرُجُ بسيفِكَ إلى الحرَّةِ، فتضربها به، ثم تدخلُ بيتَكَ...**»[٣] إلخ.

• وحديث **الحسن بن علي**: «أنَّ رسولَ الله ﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره، رجلاً رجلاً، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾»[٤].

• وحديث **وائل بن حجر**: «رفعَ رسولُ اللهِ ﷺ رأسَه نحو المشرقِ، فقال: «**أتتكم الفتنُ كقطعِ الليلِ المظلمِ...**» فشدّد أمرها وعجّله وقبّحه.

قلت له من بين القوم: يا رسول الله! وما الفتن؟ قال: «**يا وائلُ! إذا اختلفَ سيفانِ في الإسلامِ فاعتزلهما**»[٥].

• وحديث **مرة بن كعب**: ذكر ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ فتنةً، فقرّبها، فمرَّ رجلٌ مقنَّعٌ، فقال: «**هذا يومئذ وأصحابه على الحقِّ والهدى**»، فقلت: هذا يا رسول الله؟ وأقبلتُ بوجهه إليه، فقال «**هذا**»، فإذا هو عثمان رضي الله عنه[٦].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٧٨) برقم: (٨٣٣١).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٨٧) برقم: (٨٣٦١).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٢٧) برقم: (٤٦٠٤).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٨٦) برقم: (٤٧٩٦).
(٥) «المعجم الكبير» (٢٢/ ٤٦).
(٦) «مسند أحمد» برقم: (١٨٠٦٨).

• وحديث عليّ المرتضى: «إنّ ممّا عهد إليّ النبيُّ ﷺ أنَّ الأمةَ ستغدِرُ بي بعدَه»[١].

• وحديث **ابن عباس**: قال النبي ﷺ لعلي: «**أما إنك ستلقى بعدي جهداً**».

قال: في سلامةٍ من ديني؟

قال: «**في سلامةٍ من دينِكَ**»[٢].

• وحديث **المرتضى** أيضاً، آخرُه: «**وإنْ تؤمِّروا عليّاً** رضي الله عنه **ـ ولا أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهدياً، يأخذُ بكم الطريقَ المستقيم**»[٣].

• وحديث **جابر بن سَمُرة**: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**إنك مؤمَّرٌ مستخلَفٌ، وإنّكَ مقتولٌ، وهذه مخضوبةٌ من هذا**» لحيته من رأسه[٤].

• وحديث **حذيفة**: ذكر فتنتين وهدنة، فقال في الفتنة الأولى: جاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: «**نعم، دعاةٌ إلى أبوابِ جهنم**»[٥].

• وكلام **سعيد بن المسيب**: «ثارت الفتنةُ الأُولى، فلم يبق ممّن شهد بدراً أحد، ثم كانت الفتنةُ الثانيةُ، فلم يبقَ ممّن شهد الحديبيةَ أحدٌ»[٦].

قال البغوي: أراد بالفتنة الأولى مقتل عثمان، وبالثانية الحرّة.

• وحديث **عبد الله بن مسعود**: «**إنّكم سترونَ بعدي أَثَرَةً، وأموراً**

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥٠) برقم: (٤٦٧٦).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٧).

(٣) «مسند أحمد» برقم: (٨٥٩). (٤) «المعجم الأوسط» (٧/ ٢١٨).

(٥) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٠٦).

(٦) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٩٥) برقم: (٨٣٨٦).

تنكِرُونها...»[١] إلخ.

• وحديث **أبي ذر**: «**كيف أنتَ إذا كانتْ عليكَ أمراءُ يؤخِّرون الصلاةَ عن وقتِها** أو قال: **يميتون الصلاةَ عن وقتِها**»[٢].

• وحديث أبي ذر أيضاً: «**كيف أنتَ إذا غمرَ الدمُ أحجارَ الزيتِ...**» إلخ.

• وحديث **أبي سعيد الخدري**: «**يوشِكُ أن يكونَ خيرُ مالِ المسلمِ غنمٌ يتبعُ بها شعفَ الجبالِ**»[٣].

• وحديث **أبي ثعلبة الخُشَنِي** في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] حديثه ﷺ في آخره: «**فإنَّ وراءَكم أيَّامُ الصبرِ، صبر فيهنَّ كقبض على الجَمْرِ**»[٤].

• وحديث **عبد الله بن عمرو**: «**كيفَ أنتَ إذا بقيتَ في حُثالةٍ من الناسِ؟**» قال: قلت: يا رسول الله! كيفَ ذلك؟

قال: «**إذا مرجتْ عهودُهم وأماناتُهم، واختلفوا، فكانوا هكذا**» وشبّك يونسُ بين أصابعه...»[٥] إلخ.

• وحديثُ **ذي الزائد في خطبة حجة الوداع**: «**اللَّهُمَّ هَلْ بلّغتُ؟**»

قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

ثم قال: «**إذا تجاحفت قريشٌ على المُلكِ فيما بينها، وعاد العطاءُ رُشاً فدعوه**»[٦].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧٠٥٢).
(٢) «صحيح مسلم» برقم: (٦٤٨). (٣) «صحيح البخاري» برقم: (١٩).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٤/٣٥٨) برقم: (٧٩١٢).
(٥) «مسند أحمد» برقم: (٦٥٠٨). (٦) «السنن الكبرى» (٦/٣٥٩).

• وحديث **ابن مسعود** رفعه: «**ما مِنْ نبيٍّ بعثَه اللهُ في أُمّةٍ قبلي إلا كانَ له مِنْ أُمَّتِهِ حواريون، وأصحاب يأخذونَ بسنَّتِهِ، ويقتدونَ بأمرِهِ، ثُمَّ إنَّها تخلف من بعدهم خلوفٌ، يقولون ما لا يفعلونَ، ويفعلونَ ما لا يؤمرونَ، فمَنْ جاهدهم بيدِه فهو مؤمنٌ...**»[١] إلخ.

• وحديث **العرباض بن سارية**: ذكر خطبة النبي ﷺ فيها: «**وسترونَ مِنْ بعدِي اختلافاً شديداً، فعليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ، عَضُّوا عليها بالنواجذِ**»[٢].

وبالجملة، فإننا نعلم ـ يقيناً ـ أنَّ النبيَّ ﷺ أمرنا بالصلاة والصوم والزكاة والحج، ونعلمُ بمثل هذا اليقين أنّه ﷺ وصف مدة من بعد زمانه بالخيرية، وسمّى خلافة هذه الأيام خلافةً ورحمةً، وعدَّها زمانَ العافيةِ، وأنذرَ بعد ذلك فتنةً عظيمةً، وسمَّاها «الملكَ العضوضَ» واعتبرها زمنَ البلاء، ورغّبَ الناسَ في الزمن الأول إلى الجهاد، وأكَّدَ الأمرَ بالقتال تحت راية الإمام.

وأوصى في الزمن الثاني بتكسير القسيّ، وقطع الأوتار، ومفارقة الناس، وكما أننا نعلمُ باليقين أنَّ المعراجَ حقٌّ واقع، وعذاب القبر حقّ يقعُ، والدَّجالُ يظهَرُ ويخرجُ، والإمام المهدي يصبِحَ خليفةً، وسيدنا عيسى ابن مريم ينزِلُ من السماءِ، نعلم كذلك بمثل هذا اليقين أنَّ النبيَّ ﷺ أشار إلى قتل عثمان، وما يترتَّب عليه، وسمّاه زمن الفتنة الأولى، وتبيَّن هذا المعنى من جهة قرائن كثيرة.

وعيَّن زمان الفتنة بقوله: «**تدورُ رحى الإسلامِ بخمس وثلاثينَ سنةً**»[٣].

---

(١) «صحيح مسلم» برقم: (٥٠).
(٢) «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٢).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (٣٧٣٠).

وعيَّنَ مكانَ مبدأ الفتنة وهو الجانب الشرقي من المدينة بقوله: «**ألا إنَّ الفتنة هاهنا حيثُ يطلعُ قَرْنُ الشيطانِ**»[١].

وبيَّن صورة الفتنة بقوله: «**حتّى تقتلوا إمامَكم، وتجتلدوا بأسيافِكم، ويرثَ دنياكم شراركم**»[٢].

وذكر ثلاثةَ أشخاص بأسمائهم بأنّهم يتولَّون الخلافةَ في زمن الخير، وهم: أبو بكر الصدّيق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، ويبايع الناس عليّاً المرتضى في زمن الفتنة، لكن لا تنتظِمُ خلافته، ولا يجتمع القوم عليه، إلى غير ذلك، حتى وقد علمنا رأي العين أنَّ المراد هو: «الحالة التي ظهرت من بعد قتل عثمان من اختلاف الناس في حرب الجمل وصفين».

وبعد كلّ ذلك عُلِمَ بضرورة العقل أنَّ الناسَ مهما بايعوا علياً المرتضى، وعقدوا له الخلافة، ولزمت إطاعته في حكم الشرع بناءً على المظنّات، لكن مراد الحق هو إصلاح العالم، والخلافةُ وسيلة لذلك.

ولأجل هذا المقصودُ شُرِعَتِ الخلافةُ، فلو كانت خلافته مرادَ الحقِّ تبارك وتعالى لما تخلّفت عن الوجود، ولم يكن المرتضى في هذه الخلافة كالناي[٣] يضعه العازِفُ في فيه، ولا كالجارحة لإنجاز مراد الحق تبارك وتعالى، ولم يكن الناسُ مأمورين بالقتال تحت رايته مثلما كانوا مأمورين به تحت راية المشايخ الثلاثة.

ورأينا في الخارج رأي العين وفقاً لما يُفهم من هذه الأحاديث أنَّ العناية الإلٰهية التي نزلت بكثرة كاثرة في الماضي احتجبت في زمن علي المرتضى، ولم تنفع المجهودات الكثيرة شيئاً، وغابت الخيرية التي هي

(١) «مسند أحمد» برقم: (٥٤١٠). (٢) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٧٠).
(٣) جمعه نايات ـ فارسية ـ آلة من آلات الطرب ينفخ فيها.

عبارة عن تأليف المسلمين فيما بينهم، وترك المنازعة، والإنفاق على جهاد الكفار، وإيقاع الهزيمة على الكفار على مرِّ الأيام، ولم يظهر معنى ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]؛ أي: ليمكِّننَّ بسببهم دينهم، ولم يقع «التمكين في الأرض» الذي قرَّر لدفع الكفار، وإعلاء كلمة الله، ولم يتحقّق في هذا الزمان معنى ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء]، ولم ينفَّذ حكمه بين جميع المسلمين، ولم يدخل المسلمون كلهم تحت حكمه، ولا ينكِرُ أيُّ عاقل هذا المعنى، كما أنّه لا يستطيعُ أن ينكِرَ أن الشمسَ طلعت من الشرق، ولكن هنا نكتةٌ لا يفهمها إلا أهل البصيرة.

بهر نظر مَهِ من جلوه مي كند ليكن
كس آن كرشمه نه بيند كه من همي نگرم(١)

وهي: أنّ الفضيلةَ التي حصلت للأنبياء على أمتهم، والخلفاء على رعيتهم، سرُّها ولبابها كونُهم جارحةً للتدبير الإلـٰهي وواسطةً لإصلاح العالم، وتحقق هذا السرُّ واللبابُ في الخلفاء الثلاثة على وَجْهِ الكمال بشهادة النقل والعقل، وليس في حياة المرتضى كذلك، ولم يُحدث ذلك في نفسه خللاً ونقصاً، إذ إنّه كان ساعياً في إقامة الدين، وإن لم يتيسَّر له ذلك، ولكن فضيلة كون الجارحة الإلـٰهية شيء، لو حصلت له تلك الفضيلة لم تتخلّف عنه أحكام الخلافة الخاصة، وهذا من أقوى وجوه الفضيلة للمشايخ الثلاثة على المرتضى رضي الله عنه، تفاضل أصحاب اليمين فيما بينهم باعتبار صحة النية وكثرة العمل.

وتفاضل هؤلاء المشايخ فيما بينهم باعتبار كونهم كالناي يضعه

---

(١) يتجلّى قمري على كلّ نظري، ولكنّه لا يرى أحدٌ الدلالَ الذي كنت أراها.

العازف في يده، أو كالحجر بيد الرامي، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، رائحة من هذا البستان، وقول النبي ﷺ: «وإني مكاثر بكم الأمم» رمز إلى هذه القصة، لم يكن النبيُّ ﷺ أفضل من الأنبياء الذين كانت أمتهم أقل عدداً من أمته ﷺ باعتبار صحة النية، بل كلّما كثرت أمته قويت جارحية البركات الإلـٰهية المختصَّة به.

تشريف دستِ سلطان چوگان برد وليكن
بـے گوئي روز ميدان چوگان جه كار دارد

لقد ضرب السلطان الكرة بالصولجان، ولكن ماذا ينفعُ الصولجانُ إذا لم تكن الكرةُ موجودةً في الميدان.

لعلَّ المراد من الاستشهاد بهذا الشعر أنّ كرة التوفيق والكرامة التي كانت في ميدان الخلافة في عهد الخلفاء الثلاثة، وكانوا يضربونها بصولجان الحكمة والتدبير، إنّما رُفعتْ بحكمةِ الله تعالى من ميدان الخلافة، ولم تبق لمن بعدهم حتى يضربَها.

ولم يزدد النبي ﷺ في نبوته وصفاته الباطنية بسبب مجرد فتح مكة، بل مهما تنامى جسم الفتوحات الإسلامية، واتسعت دائرتها، أشرقت روحه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ الآية [الفتح: ١، ٢].

إن قلت: إنْ كان هذا الكلام على حرب «الجمل» «وصفين» فمسلَّم به؛ إذ إنّ الحركات العنيفة لم تتوقف، بل تفاقم اختلافُ المسلمين ساعة بعد ساعة، وفقدت وحدتهم على مرِّ الأيام والسنين، لكن صار عليٌّ رضي الله عنه جارحةَ الفيض الإلـٰهي في معركة «النهروان» ـ سنة ٣٨هـ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال في هذه الطائفة المارقة: «**لئن أدركتُهم لأقتلنّهم قتلَ عادٍ**»[١].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧٤٣٢).

قلنا: هنا تحقيقٌ أنيقٌ شريف، وهو أنَّ هناك فرقاً شاسعاً بين شيوع الإسلام وائتلاف المسلمين فيما بينهم، وكبت الكفار، ووقوع الهزيمة عليهم على وجه الاستمرار والدوام، وبين خروج الفرقة المارقة من جماعة المسلمين بسبب شبهة ناشئة من بعض أحكام الخليفة، فرفعوا رؤوسهم ولصقوا بالمسلمين، ويحاول الخليفةُ في كبتها.

مثال الأول: أن يُتعهَّدَ الطفل بالرعاية حتى يتحوَّلَ من سنِّ الطفولة إلى سنِّ الترعرع، ومنه إلى حدِّ الشباب.

ومثال الثاني: أن نجاراً حاذقاً ضرب القدّومَ على الخشبة لحاجة مهمّة فأخطأ من سوء حظه، ووقع القدوم على رجله، فوجب عليه في هذه الحالة أن يتركَ النجارة، ويُعنى بمعالجةِ رجلهِ.

وحذار أن تقع في مغالطة في هذا المبحث، وحاشا أن تحملَ هذه النكتةَ الدقيقةَ على غير محملها، ليس المراد عندي أن علياً المرتضى ﵁ لم يكن خليفةً، أو لم تنعقد خلافته في حكم الشرع، أو لم يكن سعيه في الحروب والمعارك في الله ولله، كلا، أعوذ بالله من جميع ما كره اللهُ، بل المراد عندي: أنَّ فضيلة كونه ﵁ جارحةَ الفيض الإلٰهي لم تتحقّق في هذه المقاتلات، وألا تظهر خيريته وإصلاح الخلق أفواجاً، وقد عَجزَ لسان الفقهاء والمتكلِّمين عن تقرير هذه النكتة الدقيقة، ولم يتكلّم أحدٌ منهم حولها إثباتاً ونفياً، لكن قد عرف هذه النكتة فقهاءُ الصحابة، بفضل صحبة النبيِّ ﷺ، ووقعت الإشاراتُ في الأحاديث الصحيحة إلى هذه النكتة.

❁ ❁ ❁



القسم الثاني

في بيان الدلائل العقلية على أفضلية الشيخين

أما الدلائل العقلية فيتوقَّف تقريرها على سبع مقدِّمات، ويتيسَّر ترتيب الشكل الأول من القياس الاقتراني بعد وضوح هذه المقدِّمات السبع؛ يعني:

أن الشيخين أفضل من جميع الصحابة في صفات كذا وكذا.

وهذه الصفات هي الأساس للفضل الكلّي.

فتميَّز الشيخان عن جميع الصحابة بفضلٍ كلّي.

المقدمة الأولى

في بيان حقيقة الفضل مطلقاً

اعلم أن حقيقة فضل شيء على شيء آخر إنما هي اشتراكهما في أصل واحد، فإنّه بزيادة الأول على الثاني في ذلك الأصل، ودليل هذه المقدمة إنما هو استقراء موضع استعمال لفظ «الفضل» كما لا يخفى، فإذا لم نعتبر الاشتراك في أصل واحد يمتنع استعمال لفظ «الفضل»، إذ لا يستقيم القول بأن النار أفضل في صفة ميلها إلى العلوّ من الحمار في بلَادته، أو أن هذه الدار أطول وأوسع من حقيقة الإنسان، أو يتساوى شيئان في صفة، أو يكون الثاني أكثر في تلك الصفة من الأول، لا يستقيم القول بأن الأول أفضل من الثاني.

إن قلت: يقال في بعض المواقع إن الياقوت أفضل من الحجر في ذاته، أو إنّ الإنسان أفضل من الفرس في نفسه، والفرس من الثور، والثور من الحمار بدون الاعتبار للاشتراك في أصل واحد.

قلنا: قد تداولت جملة من الأوصاف والعلوم بين أهل التخاطب وكثر الالتفات إليها، واستقرَّ في قلوب الناس أن فضيلة شيء على شيء آخر أمر حقيقي بدون اعتبار شيء دون شيء، وهذا من قبيل خلط الخطابيات والشعريات بالبرهانيات، وهذا داء عضال لا يمكن معالجته بغير آراء ناشئة من خُلُق الحكمة والعدالة وسلامة الفطرة.

ومن علامات هذا الخلط أنه إذا جرى الكلام في خواصِّ الأحجار بحسب الطب أو بحسب سهولة النحت والحكاكة كان البِلَّور والفادزهر أرجح من الياقوت تارةً، وإذا دار الكلام حول حمل الأحمال والأثقال

وقطع المسافات كان للفرس ترجيح على الإنسان، وإذا كان الأمر يتعلّق بالحراثة والفلاحة كان للبقر فضل على الفرس، وإذا كان الحديث حول موافقة مزاج اللحم لمزاج الإنسان كان للضأن ترجيح على البقر، وإذا كان الكلام في سهولة الاقتناء والكفاية في الحاجات الخفيفة كان للحمار ترجيح على الثور، لكن في جميع هذه الصور لا يجوز استعمال لفظ: «التفضيل» بملاحظة أدب المجالس، بل يُرجع إلى استعمال لفظ آخر مكان «التفضيل»، يهمُّنا في هذا الموضع تحقيق معنى «الفضل» ليس أدب المجالس ومواقع استعمال الألفاظ الخطابية.

بالجملة فإنه إذا كان مرادنا هو تحقيق الحقيقة، فلا بدّ من التصريح بالأوصاف التي يقوم بها الفضل، إذ إن الخلاف لا ينقضي بدون تصريحها بها، ولا ينكشف الخفاء عن وجه الحقيقة.



المقدمة الثانية

في بيان حقيقة الفضل الكلّي

اعلم أن الفضل الكلي عبارة عن الزيادة بحسب الأوصاف التي يعتبرها العقلاء في أكثر وأحسن الأحوال، وبحسب الأوصاف التي يدركون نفعها في أكثر الأمور، فيقولون ـ مثلاً ـ: إن الياقوت أفضل من الحجر، والذهب أفضل من النحاس، والفرس من الثور، والسبب في تفضيل الياقوت والذهب إنما هو التحلِّي والتزيُّن بهما، ورغبة الملوك فيهما، وغلاء ثمنهما، وما إلى ذلك.

والسبب في تفضيل الفرس إنما هو استعداده لركوب الملوك، وجهاد الأعداء، والتزيُّن بركوبه، وحصول الربح في تجارته، ولما كان ميزان الفضل والنفع يختلف بحسب الرسوم والحاجات والصناعات فلا بدّ أن نحدِّد للفضل الكلي حدّين اثنين: **أحدهما**: بحسب العرف العام، **والثاني**: بحسب العرف الخاص.

ويوجد الفضل الكلّي باعتبار **العرف العام** في أشياء يعتبرها الناس جميعاً أفضل وأنفع بحكم جبلّتهم أو العرف العام، وذلك بسبب أن هذه الصفات تكون أكثر تداولاً بين الناس، ولا سيّما بين أفاضلهم من كل طبقة، كالقمح بالنسبة إلى الشعير، والذهب بالنسبة إلى النحاس.

ويختلف الفضل الكلي باعتبار **العرف الخاص** بحسب حاجات وأغراض الطبقات والأمم، ومثال ذلك بين أفراد الإنسان أن الفضل الكلّي لا يحصل في اصطلاح الطبقة التي تعنى بتدبير الملك والسياسة إلا لمن كان أحذق الناس وأقدرهم على جمع الرجال، ونصب مكايد

القتال، والجباية، وتقسيم الأموال، وسياسة المدن في جميع الأحوال.

ولا يحصل في اصطلاح الطبقة التي تعنى باستنباط العلوم وتعليمها وتدريسها إلا لمن كان أحفظ الناس، وأقدرهم على اقتناء العلوم وتأليفها وإفادتها، ولا يحصل في زمرة الحدَّادين إلا لمن كان يصنع آلات الحرب وأدوات الارتفاقات الأخرى على أحسن وجه.

وإذا ظهرت فضيلةٌ في أحدٍ من غير جهة عُرِف هذه الطبقات، مثل براعةُ الجمال، أو شرف النسب يقال لها: فضيلة جزئية، وتارةً تشتغل جماعة بفنَّين، ويُستخرج عرفهم من كل من الفنين كعائلة من سادات أهل البيت تفتخر بكلٍّ من النجابة واليسار، أو بطن من بطون قريش يبتهج بكلٍّ من العلم والنجابة، فإذا كان فيهم مَنْ لا يحصل له العلم واليسار وله نجابة كاملة لا يحصل له فضل كلّي بحسب عرفهم، وتتّضح هذه المقدمة بفحص وتحقيق استعمالات الفِرَق والأمم.

❋ ❋ ❋

المقدمة الثالثة

إنَّ أهلَ الملّة الذين جمعوا همَّتهم على نبيّ مبعوث من عند الله تعالى بعلم وكتاب، واعتقدوا أنّ السعادة منحصرةٌ في اتّباعه، وأن هذا النبي هو ميزان الخيرية والفضيلة كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «**وأحسنُ الهدي هَدْيُ محمّدٍ ﷺ**»، وأنَّ هذا النبي أفضلُ البشر، بل هو أفضلُ من الملائكة، فكلّما استعملوا لفظ: «فضل كلّي» في علوم ملّتهم كان مرادُهم بذلك بحكم «المقدمة السابقة» هو التشبُّه بنبيّهم في صفاتٍ حصلت للنبيِّ من جهة نبوّته، وتحمّل أعباء تبليغ ونشر تلك الملّة والتوسّط بين النبي وأمته في تلك العلوم، وتربية الأمة على منهاج تربية النبي.

ومثال ذلك: أنّ أفضل أصحاب الشافعي في مذهبه إنما هو أبو إسحاق الشيرازي، ثم الإمام محمد الغزالي من بعده، ثم الإمام الرافعي من بعده، ثم الإمام النووي من بعده، كما لا يخفى على متّبعي مذهبه.

كذلك في المذهب الحنفي أفضل أصحاب أبي حنيفة هو الإمام أبو يوسف، والإمام محمد، ثم الطحاوي، والكرخي من بعدهما، ثم القُدوري وبرهان الدين المرغيناني، وأبو البركات النسفي من بعدهما.

وكذلك في طريق النقشبندية كان الشيخ علاء الدين العطّار، ثم الخواجة عبيد الله الأحرار أفضل أصحابه، إلى غير ذلك من الأمثلة والنظائر.

وإن استطعتَ الفهمَ، فافهم أنّ نظام الملَّة يُشبه نظام السياسة المدنية بوجوه شتَّى، كما أنّ أمور المُلك لا تكتمل في السياسة المدنية بدون إعانةِ الأعوان والأنصار الذين هم بمنـزلة جوارح المَلِكِ، لا يكتمل

أمر الملَّة كذلك بدون إعانة أعوان النبي الذين يكونون بمنزلة جوارح النبيّ.

ثم الأعوان يختلف بعضهم عن بعض، فمن صاحب قلم، وصاحب سيف، وكلٌّ له شركة ومساهمة في إتمام أمره بمختلف الأبواب والمداخل بحسب استعداده ومقدرته، وأفضل الأعوان للملك مَنْ كان بمنزلة الوزير والقائد في جمع الجنود، وتدبير النصب والعزل، وكان شريكاً للمَلِكِ في الحلّ والعقد، والجمع والتفريق.

وكذلك لا تكتمل سياسة الملّة بدون القرّاء والغزاة والعلماء، ولكلٍّ منهم دخلٌ ومساهمةٌ في إتمام أمره بحسب مقدرته بمختلف المداخل والأبواب.

وأفضل أعوانه من كان عضده الأيمن في حين وحدته، وأعزَّ الإسلام في وقت غربته، وقام بكسر جماعةِ المتعصِّبين عند غلبة الأعداء، وقام بنشر علم النبيّ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وبتبليغ دينه في العرب والعجم.

وأما قولنا: إن التشبُّه بالنبيِّ ينبغي أن يكون في صفاتٍ تحصلُ للنبيِّ من جهة النبوة، فذلك من جهة أن نبيّنا ﷺ قد جمع بين سائر صفات الكمال بأسرها، بحيث لا يستلزم بعضها أصل النبوة مثل الجمال الرائع، والنسب البارع، وحسن الصوت، وقوة البطش، والباءة وغير ذلك:

آنچه خوبان همه دارند تو تنها داري(١)

لكنّ الكلام يدور هنا حول فضيلة حصلت لجميع الأنبياء على أمتهم، والتشبّه بها، والإعانة فيها.

---

(١) معناه: الصفات التي يتّصفُ بها أربابُ الحُسنِ من حيث المجموع كان النبي ﷺ متّصفاً بها وحدَه.

فإن قلتَ: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، يُفهم من هنا أنّ الأفضلية منوطةٌ بحالة فيما بين الله وبين العبد.

قلنا: إنّ التقوى عبارةٌ عن امتثال الأوامر، واجتناب المناهي، والأوامر والنواهي المنوطة بحالة توجد فيما بين الله وبين العبد فقط ليست محصورة محدودة، والجهاد من الأوامر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من الأوامر، وتعلّم العلم من الأوامر، وربما تكون الأذكار النافلة والصلوات النافلة والصدقات النافلة أقلَّ فضيلةً بدرجات من الجهاد والتشاغل بأمر الجنود، وما أشبه ذلك «لكلِّ مقامٍ مقالٌ، ولكلِّ نكتةٍ مجالٌ».

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف عن **عبد الله بن عمرو** أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده، فقال: «**كلاهُما على خيرٍ، وأحدُهما أفضلُ من صاحبه.**

أما هؤلاء فيدعون الله، ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم.

وأما هؤلاء فيتعلَّمون الفقه والعلم، ويعلِّمون الجاهل، فهم أفضلُ، وإنّما بُعِثْتُ معلّماً» . قال: ثم جلس فيهم، رواه الدارمي[1].

إن فضل العالِمِ على العابدِ أمرٌ مقرَّرٌ في الدين، نعم، يتبيَّن بملاحظة سياق الآية، وسبب نزولها أنَّه لا اعتبارَ للجمال الرائع والنسب البارع وما أشبه ذلك في الأكرمية، وهذا هو المقصودُ من مقالنا هذا.

---

(١) في «سننه» (١/ ١١١) برقم: (٣٤٩).

المقدمة الرابعة

في تحديد صفات حصلت للنبيِّ من جهة النبوّة

ليُعلم أنّ أصل نبوة الأنبياء أولي العزم إنّما هو إرادة الله تبارك وتعالى اللطفَ والكرمَ بعباده، وتقريبهم إلى الخير ببعثة نبيّ من بينهم، وإعلاء كلمته، وإظهار حججه وبراهينه، ونشر علمه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

• عن **عياض بن حمار المجاشعي** أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربِّي أمرني أنْ أعلِّمكم ما جهلتُم، ممّا علّمني يومي هذا:**

كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ، وإنِّي خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتْهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أنْ يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً.

وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا من أهلِ الكتابِ.

وقال: إنّما بعثتُك لأبتليَك وأبتليَ بكَ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسلُه الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظانَ.

وإنَّ الله أمرني أنْ أحرِّقَ قريشاً، فقلتُ: ربِّ إذاً يثلغوا رأسِي، فيدعوه خبزةً، قال: استخرِجْهم كما استخرجُوك، واغزُهم نغزِكَ، وأنفقْ فسننفق عليك، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسةً مثله، وقاتِلْ بمن أطاعَكَ من عصاك»، رواه مسلم(١).

---

(١) في «صحيحه» برقم: (٢٨٦٥).

وإن تأمّلنا بعد ذلك تأمّلاً بليغاً علمنا أنَّ من لوازم النبوَّة وأجزائها أن يمتازَ النبيُّ عن سائر البشر في كلٍّ من قوَّتي النفس الناطقة؛ أي: القوة العاملة، والقوة العاقلة، فإن الله تعالى يزيد النبيَّ بفضله ومنِّه في قوته العاقلة بدون سوابقه العملية، فيأتيه الوحيُ من الغيبِ بسبب ذلك، وهو يشاهد الجنة والنار، ويرى الملائكة بصورهم، ويدرِكُ الوقائعَ المقبلةَ في الوقائع والرؤى الصالحة بصورها المثالية، ووقعت الإشارة إلى هذا المعنى في الحديث: «**الرؤيا جزءٌ من ستّة وأربعينَ جزءاً من النبوّةِ**»[1].

وكذلك ينصره الله في قوّته العاملة، فيحظى لأجلِ ذلك بالسَّمتِ الصالح، ويهتمُّ برعاية آداب العبادات، وتدبير المنزل، والسياسة المدنية، من حيث لا يُتصوَّر فوق ذلك.

وكذلك يعطيه الله الشجاعة والسياسة والعدالة والكفاية ومعرفة مصلحة الوقت، ووقعت الإشارةُ إلى هذا المعنى في الحديث: «**السَّمْتُ الصالحُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرينَ جُزْءاً من أجزاءِ النبوّةِ**»[2].

وإن أردت أن تفهم خواصَّ النبي فهب أن الله تعالى قد جمع أربعة أشخاص في جسم واحد، وسمَّى هذا المجموع نبيّاً.

الأول منهم: ملك، يقال له في عالم السياسيات: إنسان مدني؛ يعني: أنّ إنساناً يقع ظلُّ نفسه الناطقة على الناس، فيظهر بذلك نظام وترتيب بين أفراد البشر من الكتَّاب والمجاهدين والأبطال والقوَّاد والقضاة وأمراء الأمصار والمزارعين والتجَّار وغيرهم، ويتلقَّى كل منهم تربيةً مناسبةً حسب عادته وصلاحيته.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢٧٩).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٣٥) برقم: (٣٤٧٧٢)، وفيه «السمت الصالح والهدي الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة».

فإذا لم يكن الاجتماع والترتيب قائماً بينهم، يقوم بسبب ظلّ نفسه الناطقة، الذي يقع عليهم بواسطة أفعاله وأقواله من جديد.

وإن كان الاجتماع والترتيب محقَّقاً من قبلُ، فإنّه يبلغ به الكمال، ويزول النقص الذي كان فيه.

والحاصل: فإن كل ما ينبغي أن يكون فيه ـ أي: الملك ـ من حظٍّ وحكمة وعدالة وشجاعة وكفاية وغير ذلك يتوافر في النبي بكماله.

والثاني: حكيم كامل البراعة في الحكمة العملية، وعارف بعلم الأخلاق وتدبير المنازل وسياسة المدن، ويكون جامعاً لأصول وفروع هذه العلوم، غير مكتف بالعلم، بل برزت هذه الصفات كلها فيه تحقيقاً وتخلُّقاً، وتتجلَّى آثار هذه الصفات منه حيناً فحيناً، إذ إن كل إناء يَتَرَشَّحُ بما فيه.

والثالث: صوفي مرشد، جالس في زمرة الصوفيين، تصدر منه كراماتٌ عجيبةٌ، وخوارق غريبة، ينقذ بقوة إرشادِه مَنْ ضلّوا الطريق، ويهديهم إلى سواء السبيل، بعد أن عرف طريق تهذيب النفس جيداً بطاعات ورياضاتٍ متتابعة، وأصبحَ حسُّه المشتركُ مرآةً للعلوم الحقّة، وانكشفت له خفايا عالم الملائكة، وعالم الملكوت، وقد مارس خواصَّ أعمال الجوارح، وأذكار اللسان جيداً، فأحاط بجزئيات وكليات هذه الفنون، كما قرأت في مقامات المشايخ كـ«بهجة الأسرار» و«مقامات الخواجه نقشبند».

والرابع: جبريل الذي هو جارحةٌ من جوارح التدبير الإلـٰهي، وواسطةٌ لأخذ العلوم الحقة من أصل منبعها، ومن صفاته: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، ومن جذر جبلّته تتفرّع طريقٌ إلى حظيرة القدس، ومن هذه النافذة تُلقى العلوم المجردة العالية إلى عقله وقلبه، وتتيسر له طُمأنينةٌ وسكينةٌ ويقينٌ وعظمةٌ.

ثم ينبغي التأمّل والتدبّر في الذي اعتنى به النبي ﷺ في أيام حياته اعتناءً بالغاً، وما الذي بقي من آثاره ﷺ في العالم؟ ورغم أن هذا الكلام يطول ويتسع، ولكن ينبغي الانتقال من الجزئيات إلى الكليات ويناسب استخدامُ الحدس والقياس، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الجمعة].

ليعلم أنَّ النبي ﷺ بُعِث في زمان عمَّ فيه الشركُ في العبادات، وأنكر الناس المعادَ، ونسوا العبادات، وتسرَّب التحريفُ إلى الدين الحنيف، الذي يُنْسَبُ إلى سيّدنا إبراهيم عليه السلام، فقام النبي ﷺ في بداية أمره بإبطال الشرك، وإثبات المجازاة، ونبذ التحريفات، فقام العربُ عامةً، وقريش خاصةً، بالتعصّب والعناد إزاءه ﷺ وآذوه.

واستقام النبي ﷺ بقوته الموهوبة في مقابلتهم ومجادلتهم، إلى أن اتضح الطريقُ، وتبيَّن الرشدُ من الغيّ، والإسلامُ من الكفرِ، ودخل الناسُ في دين الله.

ثم أمر بعد ذلك بالهجرة، والجهاد، وقد بذل في سبيل ذلك محاولاتٍ ضخمةً، ليس في مقدور البشر أن يزيدوا عليها، فحصلت الفتوح، ووقعت الهزيمة على الكفار، ودين الجاهلية قد تشتّت شمله، وتمزَّق جمعه، وتلاشى وجوده، وانقضت المظالم، ومخالفة السُّنَّة العادلة بعد شيوعها ورسوخها، وقد نشأ فيهم علمٌ وشاع، ولم يكونوا عارفين به من قبلُ، وهو على عشرة أنواع:

الأول: علم القرآن.

والثاني: علم الإيمان؛ أي: الأركان الخمسة للإسلام، مع تحديد الأوقات، وتعيين الآداب، وما أشبه ذلك.

والثالث: علم المعاد؛ أي: شرح أحوال البرزخ، والحشر، والجنة، والنار.

والرابع: علم الإحسان؛ أي: هو الارتقاءُ من قوالب العبادات إلى أرواحِها، ومن صور الطاعات إلى أنوارِها، ويسمّى الإحسانُ اليوم بالطريقةِ والمعرفةِ.

والخامس: علم الشرائع، في تدبير المنازل وسياسة المدن وطريق المعاش.

والسادس: علم الأخلاق.

والسابع: علم الآداب.

والثامن: علم الفتن والملاحم؛ يعني: الحوادث والوقائع التي تحدثُ في المستقبل.

والتاسع: علم فضائل الأعمال.

والعاشر: علم مناقب العمّال ـ أي: علم محاسن الصالحين وفضائلهم ـ.

وقد شرح النبيُّ ﷺ هذه العلوم كلَّها، وفصَّلها، ونشرها، وقام بتبليغها بوجهٍ وصلت إلى القاصي والداني، والصغير والكبير، والذكي والغبي، إلا من كان شقياً أو محروماً، أصابته شقاوة من الأزل.

وقام ﷺ بتربية أهل زمانه حتى أصبح أهل البدو وسكّان الصحراء من المحسنين والمقرَّبين، وكانت هذه التربية نتيجة صحبته المباركة، ونتيجة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، برعاية حالة الفرد وبقدر الحاجة، وهذه المنّة العظيمة التي وقعت الإشارة إليها في هذه الآية القرآنية إن قضيتَ عمراً في تأمّلها ما ظفرتَ بمثل هذا التنقيح والتفصيل والضبط والتناسق.

المقدمة الخامسة

في بيان الحالة التي يتشبّه غير النبي بالنبيِّ لأجلها وبيان التصوّر للإعانة الكلّية للنبيّ في الأمور التي بعث لأجلها وقام بها باعتناء بالغ

اعلم أنَّ التشبُّه في الخصلة الأولى ـ التي هي عبارة عن إرادة البعثة ـ يتحقّق من جهة أن تكون إرادة الله تعالى أن يتمَّ هذا الأمرُ على أيدي بعض أفراد أمته ويُبيِّن النبيُّ ﷺ هذا المعنى، ويشير إلى ذلك في بعض المناسبات، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

• عن **بهز بن حكيم** عن أبيه عن جده أنّه سمع النبي ﷺ يقول في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «**إنكم تتمُّون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمُها على اللهِ**»، أخرجه **الترمذي**(١).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، أخرجه **الحاكم**(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

---

(١) في «سننه» برقم: (٣٠٠١).

(٢) في «المستدرك» (٢/ ٣٢٣) برقم: (٣١٦٠).

• عن **أبي بن كعب** رضي الله عنه قال: لمّا قدم رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العربُ عن قوسٍ واحدةٍ، كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلّا فيه، فقالوا: ترون أنّا نعيشُ حتى نبيتَ آمنين مطمئنينَ لا نخاف إلا الله؟ فنزلت: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾، أخرجه **الحاكم**[(١)].

• وعن **أبي عروة**، قال: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقال مالك: مَنْ أصبحَ مِنَ الناسِ وفي قلبه غيظٌ على أصحاب رسولِ الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، أخرجه **الواحدي**[(٢)].

وقد بيَّنَّا أن الله تعالى كشف لنبيّه ﷺ بما رأى أصحابه أنّ المراد بذلك استخلاف أصحابه ثلاثين سنة، وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

• عن **خيثمة** قال: قرأ رجل على عبد الله رضي الله عنه سورة الفتح، فلمّا بلغ: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾، قال: ليغيظَ الله بالنبيّ ﷺ وبأصحابِهِ الكفارَ، قال: ثم قال عبدُ الله: أنتم الزرَّاعُ، وقد دنا حصاده، أخرجه **الحاكم**[(٣)].

• وعن **عائشة** رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾، قالت:

---

(١) «المستدرك» (٢/ ٤٣٤) برقم: (٣٥١٢).

(٢) لم يخرجه الواحدي في «تفسيره»، ولكن أخرجه البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٨).

(٣) في «المستدرك» (٢/ ٥٠١) برقم: (٣٧١٨).

أصحابُ رسولِ الله ﷺ، أمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم، أخرجه **الحاكم**[١].

• وقال **الواحديُّ**[٢]: هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لمحمد ﷺ، فالزرع محمدٌ، والشطأ أصحابه والمؤمنون حوله، وكانوا في ضعفٍ وقلةٍ كما كان أول الزرع دقيقاً، ثم غلظ وقوي وتلاحق، كذلك المؤمنون، قويّ بعضُهم بعضاً، حتى استغلظوا واستووا على أمرهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ أي: إنما كثَّرهم وقوَّاهم ليكونوا غيظاً للكافرين.

○ ○ ○ ○ ○

أما التشبّه في زيادة **الجزء العلمي للنفس الناطقة**، فذلك من جهة أن يجعل أحداً من الأمة محدَّثاً وملهَماً، لتشرقَ بعضُ ومضاتِ الغيبِ في قلبه، ويظهر هذا المعنى بوجهين:

أحدهما: أن يتبادرَ إلى ذهنه بمجرد سماع كلام النبي أصلُ المقصود، كأنّه رآه رأيَ العين، ويعرفه بدون واسطة، ومن لوازم هذا المعنى تصديقُ النبيِّ ﷺ بغير تردُّد، وأيضاً من لوازمه أن يلازم النبيَّ ﷺ بالاستمرار على وصف الفناء والفداء والتسليم والرضا، وترك المخالفة، ولو كانت في أدنى شيء، وإمامُ هذه الطريقة إنّما هو **سيّدنا أبو بكر الصدّيق** رضي الله عنه.

والثاني: أن يمنحه الله فراسةً صادقةً، ويرزق عقله تأييداً من حظيرة القدس، بحيث يُصيبُ في مجتهداته غالباً، ومن لوازمِ هذا المعنى أن

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٠١) برقم: (٣٧١٩).

(٢) لم يخرج الواحدي هذا النص بعينه ولكن أخرجه باختلاف كثير وقع فيه. انظر: «الوجيز»، للواحدي (١/ ٩٢١)، وأخرجه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٥).

ينزلَ الوحيُ حسبَ رأيه، وأيضاً من لوازمه أن يمتازَ بين بني جنسه بموافقة ظنِّه للواقع، وإمامُ هذه الطريقة إنما هو **سيّدنا عمر الفاروق** ﷺ.

○ ○ ○ ○ ○

وأما التشبُّه في زيادة **الجزء العملي للنفس الناطقة**، فذلك بوجهين:

أحدهما: أن يتحلَّى بالسَّمتِ الصالح، والعدالة الكاملة، ويستخدمهما في أمور الإمارة وسياسة المدن، بكل مهارة وحذاقة، ويباشِرَ الأمور بوجه لا تختلِفُ عليه الأمة، وينجز المعاملات بين المسلمين بدون سلِّ السيف حتى المقدور، ويقوم بالجهاد ضدَّ العرب والعجم بوجه لا يُتصوَّر أحسن منه، ويعرف حقَّ كل شخص من بين الآلاف المؤلفة الذين لهم سعي ومساهمة في أمر الملّة على حدته، ويؤظِّف كل واحد فيما هو أهله علماً وعملاً، ويجعل نصرةَ الدين ـ بأقصى همته ـ نُصبَ عينيه، كأنّه خُلِقَ لأجل ذلك، وهذا الأمر غاية سعادته.

ويكون ردُّه لشيء وقبوله لشيء بناءً على موافقة الملَّة ومخالفتها، وأن يكون بلغ في إصابة رأيه وفطانة ألمعيته موضعاً كأن رأيه مرآة إرادة الله تعالى، وكل شيء يتخيُّله يظهر من الغيب حسب خياله، كما قال علي المرتضى: «إن عمر كان رشيد الرأي»[١]، وقال أيضاً: «دِرّة عمر خير من سيوفنا»[٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٥٧) برقم: (٣٢٠٠٤)، والرواية بكاملها هكذا: عن سالم قال: جاء أهل نجران إلى علي، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين! كتابُك بيدك، وشفاعتُك بلسانِك، أخرجنا عمرُ من أرضنا فاردُدنا إليها، فقال لهم علي: ويحكم إنَّ عمرَ كان رشيدَ الأمر، ولا أغيّرُ صنعةَ عمر، قال الأعمش: فكانوا يقولون: لو كان في نفسه على عمرَ شيءٌ لاغتنم هذا عليٌّ.

(٢) أخرجه المحبّ الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ١٤٩) بلفظ: قال بعضهم: «كانت دِرّةُ عمر أهيَب من سيف الحجّاج، وكان يخافه ملوك فارس والروم وغيرهم»، وذكره =

والثاني: أن يقومَ بتربية جميع أصحابه بتأثير صحبته، ويأمر كل واحد بالمعروف بحسب حاله، وتكون مواعظه وخطبه البليغة أكبرَ تأثيراً في النفوس، وتصدر منه كرامات عجيبة وخوارق غريبة.

وأمَّا تشبُّهه بالنبيِّ في تحمّل أعباء الدعوة فهو من جهة أن يكون رجلٌ جليلُ القدرِ مكرَّماً في أعين الناس، ويراجعه الناس في حلِّ مشكلاتهم، ويرتبط به طائفة من كل بطن، يدخل بأقصى همته وصدق إرادته في الإسلام، وبمجرد دخوله في الإسلام يدخل جماعة الناس فيه، ويعزُّ الإسلام به، وينكشفُ على الناس أنّ هذه الملّة لا بدّ أن تظهر وتغلب، ويُمسك المتعصّبون أيديهم عن الاعتداء على هذه الملّة بسبب قيامه، وينقطع رجاءُ الغلبة والفتح من قلوبهم بسبب رسوخ قدمه فيه، ثم أن يكون له نصيبٌ وشركة في كلّ وقعة من الوقائع حين قيام الجهاد وفي الحلّ والعقد وجمع الرجال ونصب القتال، وأن يكون لمشورته قبول حسن عند النبيِّ ﷺ.

وأمَّا تشبُّهه بالنبيِّ في نشر العلوم فهو من جهة أن يتصرَّف في العلوم المروية عن النبي ﷺ بالإرشاد إلى طرق الرواية، وحمل الناس على تعليم علومه ﷺ، وإن اختلفت أقوالُ الرواة في مسألة يخرج من مضيق الاختلاف بالقضاء والإجماع، ويرشد إلى طريق الاجتهاد، ويسدُّ طريق التحريف.

وبالجملة: فإنَّه يُحْكِمُ طريقَ أخذِ العلم من النبي، ويُغْلِقُ أبوابَ الشكوك والشبهات، ويكونُ إماماً في هذا المجال والميدان، ويكون واسطة بين النبي ﷺ وأُمّته في أخذ العلوم.

= ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٣/ ١٤) بلفظ: وقال الشعبيُّ: «كانتْ دِرّةُ عمرَ رضي الله عنه أهيَب من سيفِ الحجّاجِ».

فائدة: قد جاء في الحديث المتواتر: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم**» إلخ، والسرُّ في تفضيل الصحابة على كلّ مَنْ جاء بعدهم أن هؤلاء الصحابة وسائِطُ بين النبيِّ ومَنْ جاؤوا بعدهم، ومن جهة أنَّ غلبة الإسلام تحقّقت بواسطتهم، وانتشر العلم بجهودهم، وإن استطعتَ فافهم أنَّ أمرَ الملّة إنّما يُشْبِهُ جداراً تقوم لبنته الفوقانية على اللبنة التحتانية التي هي سبب استقامتها وثباتها، وهكذا يتسلسل أمرُ البنيان، وهكذا كل قرن متأخِّر يستمِدُّ من القرن المتقدِّم شرائع الإسلام وعلوم الهداية والشرع، وتكون في عنقه منَّة للقرن المتقدِّم، إلى أن ينتهي الأمر إلى صاحب الشرع الذي جاء بالشريعة بدون واسطة من عند الله تبارك وتعالى.

ألا ترى أنَّ كافراً إذا أراد اليوم أن يسلم: كم يُعاني من المشكلات والشدائد في خروجه من بين الكفار، وترك رسومهم وتقاليدهم، ودخوله في الإسلام، والتخلّق بأخلاقه وآدابه، رحم الله تعالى آباءنا وأساتذتنا ومشايخنا رحمةً واسعةً كاملةً، إذ إنهم ربَّونا في أحضانهم، وأول كلمة بلَّغوها إلينا هي كلمة الإسلام، وأول رسم علَّمونا إيّاه هو رسم الإسلام، وقد تجشَّموا لأجلنا هذه المشقة والشدة ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء]، وارحم ثانيةً أصولهم؛ أي: أجدادهم أوفى وأتمَّ من ذلك، إذ إنهم ربَّوهم في أحضانهم كذلك، وأنقذوهم من المشكلة والشدة، وهكذا.

اللَّهُمَّ صلِّ على نبيك محمد صلواتٍ تامةً وتحياتٍ كاملةً بعدد كل مسلم نال حظه من هذه الملّة، وينبغي أن نعتقد من حيث العلم والعمل كذلك، ونعرف لهم المنَّة على أنفسنا، لندعو لآبائنا الحقيقيين والروحانيين، ونتجنَّب عقوقهم، والحمد لله ربِّ العالمين.

❊ ❊ ❊

المقدمة السادسة

في بيان تحقُّق هذه الخصال في الشيخين بوجه الكمال

وأمّا تضمُّن بعثة النبي ﷺ بعثتهما ـ الشيخين ـ والإعلام من جانب الغيب لهذا المعنى فقد مضى بيانه في المسلك الأول في تقرير ذلك.

ومن هذا الباب قصة الأسقف، عن **الأقرع** مؤذّن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته، فقال له عمر: وهل تجدني في الكتاب؟

قال: نعم.

قال: كيف تجدني؟

قال: أجدك قرناً ـ القرن بالفتح: الحصن ـ.

فرفع عليه الدِّرَة فقال: قرن مه؟

فقال: قرنٌ حديدٌ أمينٌ شديدٌ.

قال: كيف تجدُ الذي يَجِيءُ مِنْ بعدي؟

فقال: أجده خليفةً صالحاً غيرَ أنه يؤثرُ قرابته.

قال عمر: يرحمُ الله عثمانَ ثلاثاً.

فقال: كيف تجدُ الذي بعدَه؟

قال: أجده صدأً حديدٍ، فوضع عمرُ يده على رأسِه.

فقال: يا دفراه! يا دفراه!

فقال: يا أمير المؤمنين! إنَّه خليفةٌ صالحٌ، ولكنه يُستخلَفُ حين

يُستخلَفُ والسيفُ مسلولٌ والدمُ مهراقٌ[١].

قال أبو داود: والدفرة: النتن، أخرجه أبو داود في بعض النُّسخ.

ومن هذا الباب رؤيا عوف بن مالك.

• عن **عوف بن مالك الأشجعي** أنّه رأى في المنام كأنَّ الناسَ جُمعوا، فإذا فيهم رجلٌ فرعهم، فهو فوقهم بثلاثة أذرع، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: عمر، قلت: لم؟ قالوا: لأنّ فيه ثلاثَ خصالٍ: إنّه لا يخاف في الله لومةَ لائمٍ، وإنه خليفةٌ مستخلَفٌ، وشهيدٌ مستشهَدٌ.

قال: فأتى إلى أبي بكر فقصّها عليه، فأرسل إلى عمرَ فدعاه ليبشِّره، قال: فجاء عمر فقال لي أبو بكر: اقصُصْ رؤياك، قال: فلمّا بلغتُ «خليفةٌ مستخلَفٌ» زبرني عمر وانتهرني وقال: اسكت تقولُ هذا وأبو بكر حيٌّ، قال: فلما كان بعدُ وولي عمر، مررتُ بالمسجدِ وهو على المنبر قال: فدعاني، وقال: اقصُصْ رؤياك فقصصتُها، فلما قلت: «إنّه لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ»، قال: إنِّي لأرجو أن يجعلني الله منهم، قال: فلمَّا قلتُ: «خليفةٌ مستخلَفٌ»، قال: قد استخلفني الله، فسله أن يعينَني على ما ولّاني، فلمّا ذكرت: «شهيدٌ مستشهَدٌ» قال: أنَّى لي بالشهادة وأنا بين أظهُرِكم تغزون ولا أغزو، ثم قال: بلى يأتي اللهُ بها أنَّى شاء. أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[٢].

• وأمَّا تشبُّه الشيخين بالنبيِّ ﷺ في **الجزء العقلي للنفس الناطقة** بالوجهين اللذين ذكرتهما فله شواهد كثيرة.

• ومن جملة ذلك حديث **أبي الدرداء** قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله**

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٥٦).
(٢) (٣/١١٥٦).

بعثني إليكم فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقَ، وواساني بنفسِه ومالِهِ، فهل أنتم تاركونَ لي صاحِبي؟» ـ مرتين ـ فما أوذيَ بعدها، أخرجه **البخاري**[(١)].

• وحديث **عائشة** قالت: لما أُسريَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدَّثُ الناسُ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممَّن كان آمنوا به، وصدّقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لكَ إلى صاحبِكَ يزعمُ أنه أُسريَ بهِ الليلةَ إلى بيتِ المقدس؟

قال: أَوَ قال ذلك؟

قالوا: نعم.

قال: لئن قالَ ذلك لقد صدقَ.

قالوا: أو تصدِّقه أنه ذهبَ الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ، وجاء قبل أن يصبحَ؟

فقال: نعم، إنِّي لأصدِّقه فيما هو أبعدُ من ذلك، أُصدِّقه بخبرِ السماءِ في غدوةٍ أو روحةٍ، فلذلك سمِّي أبا بكر «الصدِّيق» رضي الله عنه، أخرجه **الحاكم**[(٢)].

• قال أبو عمر: وسُمِّي الصدِّيقُ لبدارِه إلى تصديق رسولِ اللهِ ﷺ في كلِّ ما جاء به ﷺ، وقيل: بل قيل له الصدِّيق لتصديقه له في خبر الإسراء.

وفي **حديث التخيير**: قال عليٌّ رضي الله عنه: فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا به.

وقال رسول الله ﷺ: **«دعوا لي صاحبي فإنكم قلتُم لي: كذبتَ، وقال لي: صدقتَ»**.

---

(١) في «صحيحه» برقم: (٣٦٦١).

(٢) في «المستدرك» (٣/ ٨١) برقم: (٤٤٥٨).

وقال رسولُ الله ﷺ في كلام البقرةِ والذئبِ: «**آمنتُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَمَّ علما بما كانا عليه من اليقين والإيمان**»[(١)].

انتهى قول أبي عمر.

• وعن **أبي سعيد الخدري** أنّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر، قال: «**إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده فاختارَ ما عندَه**».

فقال أبو بكر: فديناك يا رسول الله! بآبائنا وأمهاتنا، قال: فعجبنا، فقال الناسُ: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبدٍ خيّره الله بين أن يؤتيَه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا.

قال: فكان رسولُ اللهِ هو المخيّر، وكان أبو بكر هو أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ مِنْ أمنِّ الناسِ عليَّ في صحبتِهِ ومالِهِ أبو بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر، ولكن أخوةُ الإسلام، لا تبقَيَنَّ في المسجدِ خوْخَةٌ إلا خوخةُ أبي بكرٍ**»، أخرجه **الترمذي**[(٢)]، وللشيخين نحوه من طرق متعددة.

• وعن **عائشة** أنَّ أبا بكر لم يقل بيتَ شعر في الإسلام حتى مات، وإنه كان قد حرّم الخمرَ في الجاهلية هو وعثمان رضي الله عنهما، أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[(٣)].

• وعن **سعيد بن المسيب** أنّ رجلاً مِنْ أسلم، جاء إلى أبي بكر الصدّيق فقال له: إن الآخر زنى.

فقال له أبو بكر: هل ذكرتَ هذا لأحد غيري.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (٣/ ٩٦٧).
(٢) في «سننه» برقم: (٣٦٦٠).
(٣) (١/ ٢٩٩).

فقال: لا.

فقال له أبو بكر: فَتُبْ إلى اللهِ، واستتر بستر الله، فإنّ الله يقبل التوبةَ عن عبادِه.

فلم تقرره نفسه حتى أتى عمر بن الخطاب، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال له عمر مثل ما قال له أبو بكر.

فلم تقرره نفسه حتى جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إن الآخر زنى.

فقال سعيد: فأعرضَ عنه رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مرّاتٍ، كلُّ ذلك يعرض عنه رسولُ اللهِ ﷺ حتى إذا أكثرَ عليه بعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أهله، فقال: «**أيشتكي أم به جِنَّةٌ؟**».

فقالوا: يا رسول الله! والله إنَّهُ لصحيحٌ.

فقال رسول الله ﷺ: «**أبكرٌ أم ثَيِّبٌ؟**».

فقالوا: بل ثيّبٌ يا رسول الله!

فأمر به رسولُ اللهِ ﷺ فرُجِمَ، أخرجه **مالك**(١).

● وعن **المسور بن مَخْرَمَةَ** في قصة الحديبية، وحديث أبي جندل، فقال عمر بن الخطاب: فأتيتُ نبيَّ الله ﷺ فقلتُ: ألست نبيَّ الله حقاً؟

قال: «**بلى**».

قلت: ألسنا على الحقِّ، وعدّونا على الباطل؟

قال: «**بلى**».

قلت: فَلِمَ نعطي الدنيةَ في ديننا إذاً؟

قال: «**إنّي رسولُ اللهِ، ولست أعصيهُ، وهو ناصري**».

---

(١) في «موطأ مالك» برقم: (٣٠٣٦).

قلت: أوليس كنتَ تحدِّثنا أنا سنأتي البيتَ فنطوفَ به؟

قال: «**بلى، فأخبرتُك أنّا نأتيه العامَ؟**»

قال: قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوفٌ به**».

قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبيُّ الله حقاً؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحقِّ وعدوّنا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فلمَ نعطي الدنيةَ في ديننا إذاً؟

قال: أيُّها الرجلُ، إنّه لرسولُ اللهِ ﷺ، وليس يعصي ربَّه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق؟

قلت: أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيتَ ونطوفَ به؟

قال: بلى، أفأخبركَ أنك تأتيه العامَ؟

قلت: لا، قال: فإنك آتيه، ومطوفٌ به، أخرجه **البخاري**[(١)].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخرجَ أهلُ مكة النبيَّ ﷺ، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: إنا لله وإنّا إليه راجعون، أخرجوا نبيّهم ليهلُكَنَّ، قال: فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج]، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: فعلمتُ أنَّها قتال، أخرجه **الحاكم**[(٢)].

وفي **قصة رؤيا النبي** ﷺ: رأيت غنماً كثيرة سوداء دخلت فيها غنم كثيرة بيض[(٣)]، وفي رواية أبي أيوب قول النبي ﷺ: «**يا أبا بكر!**

(١) في «صحيح» برقم: (٢٧٣١).
(٢) في «المستدرك» (٢/ ٧٦) برقم: (٣٢٧٦).
(٣) في «المستدرك» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٤).

اعْبُرْها»، فقال أبو بكر: يا رسول الله! هي العربُ تتبعك، ثم تتبعها العجم حتى تغمرَها، فقال النبي ﷺ: «**هكذا عَبَرَها المَلَك بِسَحَرٍ**»، أخرجه **الحاكم**(١).

• قال ابن هشام: حدَّثني بعضُ أهل العلم أنه حُدِّثَ عن **إبراهيم بن جعفر المحمودي** قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رأيتُ كأنِّي لقمتُ لقمةً من حَيْسٍ، فالتذذتُ طعمَها، فاعترضَ في حلقي منها شيءٌ حين ابتلعتُها، فأدخل عليٌّ يده فنزعَه**».

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله! هذه سرية من سراياك، تبعثها، فيأتيك منها بعضَ ما تحبُّ، ويكون في بعضها اعتراضٌ فتبعثُ عليّاً فيسهّله(٢).

• وعن **عائشة** زوج النبيِّ ﷺ قالت: رأيتُ ثلاثةَ أقمارٍ سقطنَ في حُجرتي، فقصصتُ رؤيايَ على أبي بكر الصدّيق، قالت: فلمّا توفّي رسولُ اللهِ ﷺ ودفن في بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحدُ أقمارِكِ وهو خيرُها، أخرجه **مالك** في «الموطأ»(٣).

• وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لقد كان فيما كان قبلكم من الأممِ ناسٌ محدَّثون، فإن يكُ في أُمَّتي أحدٌ فإنَّه عمرُ**»، أخرجه **البخاري**(٤).

• قال **أبو عمر** من حديث **ابن عمر** قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه، ونزلَ القرآنُ بموافقتِهِ في أسرى بدرٍ، وفي الحجابِ، وفي تحريمِ الخمرِ، وفي مقامِ إبراهيمَ**».

---

(١) في «المستدرك» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٢٩). (٣) «موطأ مالك» (٧٩٣).

(٤) في «صحيحه» برقم: (٣٦٨٩).

• وروي من حديث **عقبة بن عامر وأبي هريرة** عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لو كانَ بعدي نبيٌّ لكان عمرَ**»[١].

• ومن حديث **ابن عمر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بينا أنا نائمٌ أُتِيتُ بقدحِ لبنٍ، فشربتُ حتى رأيتُ الريّ يخرجُ من أظفاري، ثم أَعْطَيْتُ فَضْلي عمرَ**».

قالوا: فما أَوَّلتَ يا رسول الله ذلك؟

قال: «**العلمُ**».

• وقال **عليٌّ**: ما كنا نبعِدُ أنَّ السكينة تنطقُ على لسانِ عمرَ[٢].

• عن **ابن سيرين** قال كعبٌ لعمر بن الخطاب: يا أميرَ المؤمنين! هل ترى في منامك شيئاً؟ قال: فانتهره، فقال: إنا نجدُ رجلاً يرى أمرَ الأمة في منامه. معزواً **لابن عساكر**[٣].

• ذكر **ابن أبي داود** في «كتاب المصاحف» أنه كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبيِّ ﷺ ولا يراه، من «كتاب الخصائص» في «باب ما كان يظهر عليه في الوحي من الآيات».

• وقال حذيفة: كان علمُ الناسِ كلهم قد دُسَّ في جُحرٍ مع علمِ عمرَ[٤].

• وقال **ابن مسعود**: لو وُضِعَ علمُ أحياء العرب في كفّةِ ميزانٍ، ووُضِعَ علمُ عمرَ في كفّةٍ لرجحَ عِلْمُ عمرَ، ولقد كانوا يرون أنّه ذهبَ بتسعةِ أعشارِ العِلْمِ، ولمجلسٌ كنتُ أجلِسُه مع عمرَ أوثقُ في نفسي من عملِ سنةٍ[٥]. انتهى كلام **أبي عمر**.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥).
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٩٥).
(٤) انظر: «الوافي بالوفيات» (٧/ ١٤٢).
(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥).

• عن **عبد الله بن عمر** قال: ما سمعتُ عمرَ لشيءٍ قط يقولُ: إنِّي لأظنُّه كذا إلا كانَ كما يظنُّ، أخرجه **البخاري**[(١)].

• وعنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه**»[(٢)].

• وقال **ابن عمر**: ما نزل بالناسِ أمرٌ قطّ، فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآنُ على نحو ما قال عمر[(٣)]، أخرجه **الترمذي**.

• وعن **عمرو بن شرحبيل** عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخمرِ بيان شفاءٍ، فنزلت التي في البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فدُعِيَ عمرُ، فقرئت عليه، فقال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخمرِ بيانَ شفاءٍ، فنزلتِ التي في النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فدُعِيَ عمرُ، فقُرِئَتْ عليه، ثم قال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخمرِ بيانَ شفاءٍ، فنزلت التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة]، فدُعِيَ عمرُ، فقرئتْ عليه، فقال: انتهينا انتهينا، أخرجه **الترمذي**[(٤)].

❁ ❁ ❁

---

(١) في «صحيحه» برقم: (٣٨٦٦).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٢).

(٣) في «سننه» برقم: (٣٦٨٢).

(٤) في «سننه» برقم: (٣٠٤٩).

المقدمة السابعة

في بيان رجحان الشيخين على غيرهما
في الخصال التي اعتبرناها مناط الفضل الكلّي

وقبل الخوض في هذه المقدمة نبيِّن نكاتٍ عديدةً ليكونَ الخوضُ في المقصدِ على وجه البصيرة.

النكتة الأولى: ليُعلمَ أنّ سُنَّةَ الله جرت على أنَّ عباد الله المقرَّبين لا يتساوون في جميع صفات الكمال، بل يتفاوتون فيما بينهم، إن رقّة أبي بكر مطلوبة في حكمة الله تعالى، كما أنَّ شدّةَ عمرَ مطلوبةٌ عنده ﷻ أيضاً، ولا ترى أنّ الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ خلاصة البشر وأفضل بني آدم، ولا نقص فيهم بأي وجه من الوجوه، يختلفون في صفات الكمال فيما بينهم، كان داود وسليمان عليهما السلام من الملوك، وكان عيسى ويونس عليهما السلام من أهل التجرُّد، ولا ترى أنّ قاعدة السلطنة لا تستقيم بدون الأمراء والجنود وأهل الشرطة وأرباب القلم.

إنّ صفةَ الرئاسة، وحشرَ الجنود، وانتظامَ المصالح الملكية مطلوبة في الأمراء، وصفةَ الشجاعة والبطولة، مطلوبةٌ في الجنود والشرطة، وصفة الذكاء والكياسة وقوة البيان مطلوبةٌ في أصحاب القلم والقرطاس، ولا تتأدَّى شؤون المملكة بدون توفّر هذه الأمور، ومعلومٌ أنّ ما يؤدِّيه فرد من أعمال وخدمات لا يستطيعه شخص آخر مِثْلَه، فكل هذه الأمور مطلوبةٌ في الهيئة الاجتماعية للسلطنة، وكذلك في النبوة الكبرى التي هي جامعة للخلافة والرسالة، فإن كلَّ هذه الأمور مطلوبةٌ فيها.

ونال سيدنا حسّان بن ثابت بشارةَ الجنَّةِ بشعره ومدحه للنبي ﷺ،

وأُبي بن كعب بحفظ القرآن، وعبد الله بن مسعود بالفقه والقرآن، وخالد باستعمال السيف، وكان الخلفاءُ الأربعةُ جامعين لأكثر صفات الكمال، ولكنّهم مختلفين ومتفاوتين باعتبار الكثرة والقلّة.

فالصحبةُ الدائمةُ بالإخلاص والحب والفناء الكلّي في مرضاة النبي ﷺ بوجه لا يخالفُه ﷺ في أيِّ حالٍ من الأحوال، ولو كان في أدنى شيء، وبذل النفس والمال والجاه في حبّ النبي ﷺ ونشر الإسلام وتبليغه، تلك هي **خصيصةٌ قد فاق فيها أبو بكر الصدّيق** غيره من أصحاب رسول الله ﷺ.

والقيام بتصريف شؤون الملّة ونشر الإسلام في أقطار الأرض مع رعاية الأدب والتعظيم مع النبي ﷺ، هي **خصيصةٌ قد فاقَ فيها عمر الفاروق**.

والإعانة بالمال في كل المناسبات، وحسن الصحبة لبنتي رسول الله ﷺ، وصلة الأرحام بوجهٍ لا يتصوَّر أحسن وأفضل منه، وكمال الحياء الذي هو عبارة عن حبس النفس عند ثوران داعية الشهوة والغضب، مع حظ وافر من نور الطهارة والعبادة والتلاوة والقيام بالعبادات المالية من الإعتاق والإنفاق، هي **خصيصةٌ فاقَ فيها عثمان ذو النورين**.

والقرابةُ القريبةُ مع النبيِّ ﷺ ودوام السعادة بتربية النبي ﷺ بمنزلة الولد في تربية الوالد، مع نجابةٍ كاملةٍ، وشجاعةٍ وافرةٍ معتبرةٍ في صفات البطولة، وزهد كامل، وورع عظيم، يناسب الولاية، مع ذكاء ثاقب وسرعة انتقال الذهن إلى أخذ المسألة في القضايا، وفصاحة كاملة، تلك هي **خصيصة قد امتاز بها علي المرتضى** عن غيره من أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد شهد النبي ﷺ بتفوُّق كل واحد منهم في هذه الخصال على سائر المسلمين.

• أخرج **الترمذي** أن رسول الله ﷺ قال: «**أرحمُ أُمَّتِي بأُمَّتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في أمرِ اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأعلَمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنِ جبلٍ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤهم أُبي، ولكلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ**»[١].

• «**وما أظلَّتِ الخضراءُ، ولا أقلَّتِ الغبراءُ أصدقُ لهجةً من أبي ذر، شِبْهُ عيسى في ورعِهِ**»[٢].

• وأخرج **الحاكم** عن **النزَّال بن سَبُرَة**، قال: وافقنا عليّاً رضي الله عنه طَيِّبَ النفسِ وهو يمزحُ، فقلنا: حدّثنا عن أصحابِكَ، قال: كلُّ أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ أصحابي، فقلنا: حدّثنا عن أبي بكر، فقال: ذاك امرؤٌ سمَّاه الله صدّيقاً على لسان جبريل ومحمد صلى الله عليهما[٣].

• وأخرج **ابن عبد البر** عن **طارق**، قال: جاء ناسٌ إلى ابن عباس، فقالوا: جئناك نسأَلُكَ، فقال: سلوا عما شئتُم.

فقالوا: أيُّ رجلٍ كان أبو بكر؟

فقال: كان خيراً كله، أو قال: كان كالخيرِ كلّه على حدَّةٍ كانت فيه.

قالوا: فأيُّ رجلٍ كان عمرُ؟

قال: كانَ كالطائرِ الحَذِرِ، الّذي يظنُّ أنَّ له في كل طريقٍ شركاً.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٨٠١).

(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٥) برقم: (٤٤٠٦).

قالوا: فأيُّ رجلٍ كان عثمان؟

قال: رجلٌ ألهته نومتُه عن يقظتِه.

قالوا: فأيُّ رجلٍ كان علي؟

قال: كان قد مُلِئَ جوفُهُ حكماً وعلماً وبأساً ونجدةً، مع قرابته من رسول الله ﷺ، وكان يظنُّ ألّا يمدُّ يده إلى شيء إلا ناله، فما مدَّ يده إلى شَيْءٍ فناله[١].

بالجملة: فإنّه لا يمكن أن يقول عاقِلٌ: إن أحداً يشبه عليّاً المرتضى في هاشمية النسب، ومبارزة الأقران، كما أنّه لا يمكن أن يقول: إن أحداً يشبه عمرَ الفاروق في حُسْنِ السياسة، وتدبير أمور الفتح، وبُعْدِ النظر، وكذلك لا يمكن أن يقال: هناك من يماثل أبا بكر الصدِّيق في الصحبة الدائمة، مع ابتغاء مرضاة النبي ﷺ والفناء والاستماتة في سبيله، وبذل الأموال والأسباب منذ بداية الإسلام إلى آخر لحظة حياته، وكذلك لا يمكن أن يقال: إنّ أحداً كان مثل عثمان ذي النورين في الإنفاق، والإعتاق، والحياء، وكظم الغيظ، وترك الخوض في الفتنة حين وقوعها.

هر كسے را بهر كارے ساختند   ميل او اندر دلش انداختند[٢]

والنكتة الثانية: ليُعلَم أن النبي ﷺ كان ترجمان الغيب فيما قاله في مناقب كل واحد من أصحابه، وخصّه بالفضيلة التي كانت فيه وبرزت تلك الفضيلة ـ عاقبة أمره ـ حسب قوله ﷺ فقال: في شأن أُبي بن كعب: سيّد القراء، وقال: «**أمرني الله أن أعلِّمك سورة** ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ [البينة: ١]»،

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٤٩).
(٢) كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، ومحبّته جُبِلت في قلبِهِ.

قال أُبَيّ: أوسمّاني الله، قال: «**نعم**»، فذرفت عينا أُبيّ.

هل تعرف ما هي الحكمة في تخصيص **أُبيّ**؟ هي أن تنتهي سلسلة قرّاء هذه الأمة إلى النبي ﷺ بواسطته بمشيئة الله وقدره.

ولماذا قال في شأن **عبد الله بن مسعود**: «**ما أمرَكُم ابنُ أمِّ عبدٍ فخذوه، وما أقرأكم فاقرؤوه**»(١)؟ ذلك لأنّه قدر الله ﷻ أن تصل سلسلة الفقه والقراءة لجمٍّ غفير من الأمة إلى النبي ﷺ بواسطته.

ولماذا قال في شأن **خالد بن الوليد**: «**سيفٌ من سيوفِ اللهِ**»(٢)؟ ذلك لأنّ فتوحاً كثيرة كانت تقعُ على يده.

ولماذا قال في حقّ **سعد بن أبي وقاص**: «**عسى أن تبقى حتى ينتفعَ بك أقوامٌ ويضرُّ بك آخرون**»(٣)؟ ذلك لأنّ فتحَ العراقِ كائنٌ على يده، وزمامُ حكومتها منصرِفٌ إليه.

ولماذا قال في حقِّ **أبي عبيدة**: «**أمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدة**»(٤)؟ قال ذلك؛ لأنَّ حلَّ عقدِ الشام كان واقعاً في يده.

وقال في حقِّ **عمرو بن العاص**: «**نِعْمَ المالُ الصّالِحُ للرجلِ الصالحِ**»(٥)، ذلك لأنّ ولايةَ مِصْرَ كانت منصرفةً إليه نهايةَ الأمرِ.

وقال في حقِّ معاوية: «**إنْ ولّيتَ أمرَ الناسِ فأحسنْ إليهم**»، ذلك لأنّ الخلافة كانت تصل إليه نهاية الأمر.

---

(١) قوله: «**ما أمركم ابن أمّ عبدٍ فخذوه**» هذه الفقرة ما وجدناها، وأما الفقرة الثانية: «**وما أقرأكم فاقرؤوه**» فأخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٨١٢).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٣٨٤٦)، و«مسند أحمد» (ح: ١٦٨٢٣).

(٣) «شرح مشكل الآثار» (١١/ ٣٦٨) برقم: (٤٥٤٠).

(٤) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٩١)، و«مسند أحمد» برقم: (١٣٩٩٠).

(٥) «شعب الإيمان» (٢/ ٩١) برقم: (١٢٤٨).

ودعا **لابن عباس**: «**اللَّهُمَّ علِّمه الكتابَ**»[١]، ذلك لأنّ تفسيرَ القرآن كان مقدراً نشره وإشاعته على يده.

وقال في حقّ **أنس**: «**اللَّهُمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه**»[٢] فظهر الأمرُ وفقَ ما قال ﷺ.

وقال في حقّ **أبي ذر**: «**شِبْه عيسى في الزهدِ**»[٣]، ذلك لأنّ هذه الصفة كانت فيهِ كاملةً.

وألقى حُثياتِ العلم في حِجْر **أبي هريرة**، ذلك لأنّه ﷺ شاهدَ كثرةَ رواية الحديث في حظّه.

ولماذا قال في حقّ الشيخين: «**اقتدوا باللّذيْنِ مِنْ بعدِي أبي بكرٍ وعمرَ**»[٤]؟، ذلك لأنّ خلافتهما كانت مقدَّرةً.

بالجملة: فإنَّ مَنْ لم يعرف مناقبَ كلّ صحابي على حدته، ولم يطّلع على منزلة كلّ منهم بانفراده، لم يعرف ـ في الواقع ـ حقيقة ما قُدِّرَ في الغيب، ولم يدرك كمال مظهر النبوة على صاحبها الصلاة والسلام، فإنه لا يمكِنُ أن يُبشِّر النبي ﷺ شخصاً بالخلافة ولوازمها، ولا يقع هذا في الخارج، فإذا روى أحدٌ بشارةً صحيحةً لمن لم تظهر آثارها منه فهذا مستحيل، وإذا رُوِيت بشارةٌ بأمر قد وقع يصدِّقها أصلُ الواقعة بعد تتبّع السند.

وأشدُّ غموضاً من ذلك قول الزيدية: إنَّ الإمامةَ في الشرع حقٌّ للفاطميين.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧٥). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٦٣٤٣).

(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٣٨٠٢)، و«الرياض النضرة» (١/ ٣٣)، وفيه «مثل» بدلاً من «شبه».

(٤) «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠) برقم: (٣٨١٦)، و«حلية الأولياء» (٩/ ١٠٩).

يقول الفقير: عقيدتهم هذه فاسدةٌ، إذ إنّ تكليفَ النبيِّ ﷺ بأمر لم يقع قطُّ بعيدٌ جداً، إذ إنَّ هذا الفيضَ النبوي ينزل من موضعٍ يتمُّ فيه تقديرُ الحوادث، وإذا كان الأمرُ كذلك فلم يكن ذلك من اللطف في شيء، بل كان ذلك باعثاً على تقريب المعصية، نعوذ بالله من سوء الاعتقاد، ونرى أنَّ الشارع بيَّن مسائل العبادات والمعاملات والمناكحات والجراحات والقصاص والقضاء والحدود، ولم يُبيِّن شروط الخلافة العظمى، ذلك لأن الخلافة بشروطها لا توجد في أكثر أفراد الأمة، فاقتضت الشفقة على الأمةِ أن يترك التصريحَ بها لئلا يعصوا في ضروريات الدين، والله أعلم بحقيقة الحال.

النكتة الثالثة: أن النبيَّ ﷺ كان أعرفَ الناس بمراتبهم، وأوفاهم بالذِّمة، وأكثرهم صلةً للأرحام، وأحسنهم رعايةً للحقوق، لذلك فإنه ﷺ كان يكثِرُ من رعاية صلة أولي الأرحام، ويغضب لهم، فكيف لا يقول في العباس: «**أو ما شعرتَ يا عمرُ! أنَّ عمَّ الرجلِ صِنْوُ أبيه**»[(١)].

وكيف لا يقول في السيدة فاطمة رضي الله عنها: «**يُرِيبُنِي ما أرابَها، ويؤذيني ما آذاها، إنَّ بني فلان يستأذنوني أن ينكِحُوا بنتهم عليَّ بن أبي طالبٍ، فلا آذنُ لهم، ثم لا آذنُ لهم**»[(٢)].

وكيف لا يُكلِّم في شأن أبي بكر «**هل أنتُم تاركونَ لي صاحبي**[(٣)]».

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٩٨٣)، وأبو داود في «سننه» برقم: (١٦٢٣).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٢٣٠)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٤٤٩)، و«سنن أبي داود» برقم: (٢٠٧١)، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٨٦٧)، والترتيب في جميع هذه الكتب: «**أن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن يُنْكِحُوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذنُ، ثم لا آذنُ، ثم لا آذنُ، إلا أن يريدَ ابنَ أبي طالب أن يطلِّقَ ابنتي، وينكحَ ابنتَهم، فإنَّما هي بضعةٌ مني، يريبُني ما أرابَها، ويؤذيني ما آذاها**».

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٤٠ ـ ٣٦٦١).

وكيف لا يُكلِّم في علي «**هو مني وأنا منه**»[1]، و«**يؤذيني ما آذاه**» و«**مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه**»[2]، و«**مَنْ سبَّ عليّاً فقد سبَّني**»[3]؟

وكيف لا يتخلّف لعلي حين الرجوع من غزوة بدر حينما وجدَ عليٌّ مَغْصاً في بطنه؟

وكيف لا يقول في الأنصار: «**الأنصارُ شعارٌ، والناسُ دثارٌ**»[4]، و«**اللَّهُمَّ أنتم مِنْ أحبِّ الناسِ إليَّ**»[5].

فيلزم المنصف أن يضعَ مراتِبَ الأرحام والخصائص الناشئة عن القرابة في موضعٍ، ويضعَ مناطَ المدح والثناء في الأمور الدينية المتعلّقة بالاتصاف بصفة خلافة النبوة في موضعٍ آخر، اعتباراً لكلٍّ من المعنيين، فكلمة: «**إنما هو منِّي وأنا منه**» ـ مثلاً ـ بيانٌ كمال خصوصية القرابة، وأداء حقوق الأرحام، ولا مساس لها بمسألة الفضل الكلّي، بدليل أنَّ النبيَّ ﷺ كما قال هذه الكلمة في شأن علي المرتضى وفاطمةَ الزهراءِ، قالها في حقّ العباس كذلك، ثم تنزَّل وقال في حقِّ درّة بنتِ أبي لهب هذه الكلمة بعينها، كما أخرجه أحمد عن دُرّة بنتِ أبي لهب قالت: كنتُ عند عائشةَ، فدخلَ النبيُّ ﷺ فقال: «**ائتوني بوَضوءٍ**»، قالت: فابتدرتُ أنا وعائشةُ الكوزَ فبدرتُ وأخذته، فتوضّأ، فرفع بصره إليَّ أو طرفه إليّ وقال: «**أنتِ منّي وأنا مِنْكِ**»[6].

---

(١) انظر: «سنن النسائي الكبرى» (٥/ ١١٢) برقم: (٨٤٠٩)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٣) برقم: (٤٦٥٢).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» رقم: (٣٧١٣)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (١٢١).

(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٦٧٤٨)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٠) برقم: (٤٦١٥).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٣٣٠)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٠٦١).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٥١٨٠).

(٦) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٧٤٣٣).

فعُلِمَ من هنا أنَّ هذه الكلمة بيانٌ لصلة الرحم، لا من باب الفضل، قال ﷺ في صدقات بني تميم: «**هذه صدقاتُ قومنا**»، ثم قدَّم «**أسلمَ**» و«**غفارَ**» و«**مزينةَ**» على «بني تميم» في الفضائل، فعُلِمَ أنَّ هذه الإضافة جاءت بمعنى صلة الأرحام لا من باب الفضل.

وكذلك: «**مَنْ سبَّه فقد سبّني، ومن آذاه فقد آذاني**» من قبيل وصل الأرحام، بدليل أنّه ﷺ قال مثل هذه الكلمة في حقّ العباس ومَنْ هم على شاكلته.

النكتة الرابعة: هي أن لفظ: «أحبَّ» وما أشبه ذلك ورد في شأن الكثيرين، وينبغي إيراده بحسب القرائن، وخصوصيات الأحوال، بمعنىً مناسب، فنقول مثلاً: الحبّ على عدة أنواع؛ كحبّ المرءِ لزوجته، وحبّه لأولاده، وحبّ صاحب الكمال لشخص آخر مثله بسبب الموافقة في الكمال، وحبّه ليتيم، لكونه محلّ الشفقة، وحبّ التلميذ لشيخه، وكل هذا الحبّ يختلِفُ بعضُه عن بعضٍ، وزيادةُ نوعٍ منه في فردٍ وزيادةُ نوعٍ آخرَ في فردٍ آخرَ معقولةٌ مفهومةٌ.

فإذا قال النبيُّ ﷺ في عائشة: «**أحبّ الناس**» مرةً، وقاله ثانيةً في أسامةَ بن زيد، وثالثةً في أبي بكر الصدِّيق، ورابعةً في عليّ المرتضى فلا تناقُض ولا تعارُضَ، بل في كلِّ حديثٍ إشارةٌ إلى حبٍّ خاصٍّ، فافهم.

النكتة الخامسة: وقد سبق أنّ حقيقة الفضل إنّما هي وجودُ خصلةٍ في شخصين، ورجحان أحدهما على الآخر في تلك الخصلة.

والآن ينبغي أن يُعلمَ أنّ الرجحان يكون تارةً باعتبار أنواع هذه الخصلة، فيظهر نوعٌ منها في شخص، ونوع آخر في شخص آخر، ويكون النوع الأول أنفعَ من النوع الآخر في الصناعة المتكلَّم فيها.

فالشجاعة على قسمين مثلاً، شجاعة الأبطال، وشجاعة الملوك، وشجاعة الملوك أنفعُ شيءٍ في الخلافة الكبرى.

وصفة العلم لها شعب كثيرة، منها سرعة انتقال الذهن إلى أخذ المسألة، ومنها الخروج من مقام الاشتباه وتعارض الأدلّة بوجهٍ يناسِبُ الصناعة المقصودة.

ومثال ذلك: أنّ مَنْ كان في العلم المنقولِ أوثقُ في الحفظ، ويخلو حديثه من النكارة، هو أقوى وأفضل ممّن كان له فهم ثاقبٌ على تسرّب الأوهام في حديثه.

والزهد على نوعين مثلاً: زهدُ الأولياءِ الذي هو عبارة عن النفور عن الدنيا، وترك المداخلة فيها رأساً، وزهدُ الأنبياء الذي هو عبارة عن طرح الطمع، مع العناية بإصلاح العالم، والمداخلة في المال والجاه بوجه لا يُتصوَّر أحسن منه، وذلك لله في الله، ويكون هذا الرجحان تارةً باعتبار ظهور آثار هذه الخصلة من أحدهما بتكرارٍ، بحيث يفيد أن ملكة أحدهما أرسخ من الآخر، فافهم.

النكتة السادسة: يجوِّز العقلُ أن يكون شخصٌ لم يصاحب النبيِّ، بل لم يعرفه، وجرى تقديرُ الله تعالى على أن يجعلَ هذا الشخص متمِّماً لبعض الأعمال المطلوبة من النبيِّ، ويُطْلِعُ اللهُ نبيَّه على هذا السرّ، فيتخذه خليفةً له، ويكون هو أفضل الأمة والناس لرعيته، وهذه فضيلة مستقلة.

وأيضاً يجوِّز العقل أن يكون شخصٌ في أوائل بعثة النبيّ، له سعي جميل في تبليغ الدين وإشاعته، باعتبار توحيد ما بين صفوف الناس، والتأليف بين قلوبهم، ويقوم بالإعانة والنصرة في قطع دابر الأعداء، وتشتيت شملهم، وترسيخ قواعد الملّة، ورحمة الله النازلة على النبي ﷺ

تؤثّر في هذا الشخص، لأجل هذه الخصال، ثم يُتوفَّى النبيُّ بعد ذلك، وهو حيٌّ، وهو أفضلُ الأمةِ، والآخرون من الناس تابعون له، وهذه فضيلة مُفْرَدَةٌ أيضاً.

ومن مِنَّةِ الله تعالى على الشيخين أنهما قد جمعا بين كلا النوعين من الفضيلة، وإذا كانت جماعةٌ تساوي الشيخين في الفضيلة الثانية حسب زعم بعض الناس، فإنّا لا نسَلِّمُ أن يقع الفضل الكلّي بذلك؛ لأنهما قد جمعا بين كلتا الفضيلتين.

النكتة السابعة: أراد الله تعالى أن ينشر دينه بواسطة نبيَّه في الآفاق، ولم يكن هذا المعنى ليُتصوَّر بدون العلماء والقراء، الذين قاموا برواية علم القرآن والسُّنَّة عن النبي ﷺ، فبيَّن فضائلَ جماعة من الصحابة على لسان النبي ﷺ ليكونَ حثّاً وتحريضاً على أخذ علم القرآن منهم، وهذه الفضائلُ بلسانِ النبوَّةِ في شأن أصحابه بمنزلةِ إجازات المحدِّثين لتلاميذهم، ذلك لأنَّ الذين لا يستطيعون معرفة الرجال بالأقوال، يعرفون الأقوال بالرجال، لأجل ذلك في ضوء هذه الفضائل الواردة في شأنهم، ويشترك في هذه الفضائل جميعُ علماء الصحابة، كما يظهر من كتب الحديث: «**أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابُها**» من هذا الباب، و«**أقرؤكم أُبَي**»، و«**أعلمُكم بالحلالِ والحرامِ معاذ**» من هذا الباب أيضاً.

ونتوجَّه الآن إلى أصل الكلام بعد أن ذكرنا هذه النكات وهو أن الشيخين أفضل من سائر الصحابة.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

قال الواحدي: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾؛ يعني:

فتح مكَّة[١]، قال مقاتل: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدوّ من قبل فتح مكة مع من أنفق من بعدُ وقاتل[٢].

قال الكلبي في رواية محمد بن الفضل: نزلت في أبي بكر، تدلّ على أنه أوّلَ من أسلم، وأول من أنفق ماله في سبيل الله، وأول من قاتل على الإسلام[٣].

وقال عبد الله بن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبيُّ ﷺ وأبو بكر[٤].

وقد شهد له النبي ﷺ بإنفاق ماله قبل الفتح، فيما أخبرنا عبد الله بن إسحاق بإسناده عن ابن عمر قال: كنتُ عند رسولِ اللهِ ﷺ، وعنده أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وعليه عباءةٌ قد خلَّلها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريلُ فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءةٌ قد خلّلها في صدره بخلال؟ فقال: **«أنفقَ مالَه عليَّ قبلَ الفتحِ»** قال: فإنّ الله عز وجل يقول: اقرأ عليه السلام، وقل له: أراضٍ أنتَ عني في فقركَ هذا أم ساخِطٌ؟ فقال رسول الله ﷺ: **«يا أبا بكر! إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراضٍ أنتَ في فقرِكَ هذا أم ساخِطٌ؟»** فقال أبو بكر: أأسخطُ على ربِّي؟ أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ[٥].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾، قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها،

---

(١) انظر: «الوجيز للواحدي» (١/ ٩٨٤).

(٢) ما وجدنا هذا اللفظ بعينه في تفسير مقاتل، ولكن وجدناه بعينه في «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣) بواسطة الشعبي.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣). (٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٣٦).

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٤١)، قال السيوطي: سنده ضعيف جداً.

قال الزجاج: لأن المتقدّمين نالهم من المشقة أكثر ممّا نال مَنْ بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ[١]، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]؛ أي: وكِلا الفريقين وعده الله الجنة[٢].

• أما أفضلية الشيخين بالنسبة للذين أسلموا من بعد الفتح فهي ثابتة بمنطوق هذه الآية.

وأمّا أفضلية الشيخين بالنسبة للجمع الكثير من الأنصار والمهاجرين الذين هم مشتركون في أصل هذه الصفات، فهي ثابتة بمفهوم هذه الآية أيضاً، إذ إنّ فحوى الآية يدلّ على أن إعانة النبي ﷺ في القتال والإنفاق كلّما سبقت زاد الفضل وكثر، فينعكس من خلال ذلك حال العباس وخالد، وكذلك الطائفة الذين نصروا النبي ﷺ في بداية الأمر، ولكن ما عاشوا إلى نهاية الأمر حتى يؤازروا النبي ﷺ كحمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وكذلك الذين قاموا بتبليغ الإسلام، ونشر دعوته، ولكن لم تظهر منهم نصرةُ الإسلامِ في الجهادِ والقتال كأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل.

وأما ما ينبغي ـ ختاماً ـ التحقيقُ فيه، والفحص عنه هو حال عليّ المرتضى، فنقول: أما أفضلية الشيخين باعتبار التشبُّه بإرادة الله لبعثة النبي ﷺ فهي ثابتة بوجهين.

أحدهما: البشارات الصريحة التي وقعت في المنامات، وقد صرّح فيها بحال الشيخين، بخلاف عليّ المرتضى.

والثاني: ما وقع في العالم الخارجي من الوقائع والحوادث، إذ إنّ

(١) انظر: «فتح القدير» (٧/ ١٤٦).
(٢) انظر: «زاد المسير» (٥/ ٤٨٥).

الوجود الخارجي لهذه الوقائع إنما هو مبين وشارح لبشارات الصادق المصدوق ﷺ، فقد بشَّر النبيُّ ﷺ الشيخين باستخلافهما، وانتظام أمور الدين على أيديهما، وظهور الفتوح الكثيرة على أيديهم من الغيب، وقد وقع كل ما بشَّر به النبي ﷺ بخلاف المرتضى؛ إذ إنّ الفتوحَ لم تظهر في أيام خلافته، وكيف يمكن أن يبشِّر النبي ﷺ بأمر لا يقع أبداً.

إن قلتَ: كلُّ ما يحدث في العالم من خير وشر فهو بإرادة الله تعالى، والمناماتُ مبيِّنةٌ ومخبرةٌ بالأمر المقبل، فكيف تكون المنامات والبشارات مناطَ الفضيلة؟ وكيف يحصل التشبُّه بالأنبياء بناءً على المنامات؟

قلنا: نعم! لكنّ العدلَ الذي يصدر من الملوك هو بإرادة الله تعالى، والعدلُ الذي يظهر من الأنبياء هو بإرادة الله أيضاً، وكذلك تعليم علم يكون من قِبَل العلماء، وتلقين علم يصدر من الأنبياء، كلاهما بإرادة الله، ولا بدّ أن يكون بين الطبقتين؛ أي: الملوك والأنبياء والعلماء والأنبياء بون شاسع وفرق واضح، فينبغي التأمل هنا: من أين ظهر الفرق؟

فمبدأ الفرق أنّ هؤلاء ـ غير الأنبياء من الملوك والعلماء ومن هم على شاكلتهم ـ بمنزلة الحجر والخشب في إنجاز الأمور المتعلِّقة بهم، ولا تفهم ذواتهم ونفوسهم ما هُيِّئ لها من عند الله تعالى، ولا تنصبغ بصبغة إرادة الله تعالى وهي لا تتجرَّد لخدمة إرادة الله، كالسهم الذي يرميه الرماة إلى الكفّار، وينصرون الدين بقتل الكفار به، فأي فضيلة تكون للسهم؟ وأي قربة له؟

ولكن النبيَّ يعرف بسبب لحوقه بالملأ الأعلى ما أراد الله به من شيء، وترتسم صبغةٌ من إرادة الله تعالى في نفسه، وتتفرَّع من هذه

الصبغة فروعٌ كثيرة في نفسه، وتشتغل قواه العقلية والقلبية كلها بشؤونها لله وفي الله، وشتَّان بين المرتبتين.

وبعد أن انقطعت النبوة لا يقع التشبّه بهذه الفضيلة بغير أن تقتضي نفس الإرادة الإلـٰهية التي لمعت في صدر النبيِّ المُدَاخَلَة في بعض تلك الأمور، التي صعد النبي ﷺ قبل إنجازها إلى الملأ الأعلى، وذلك بنوع من نسبة النبي ﷺ، وتظهر على يد غيره، بحسب الصورة المرعيَّة المناسبة، فهذه المناماتُ تخبِرُ بأنّ إنجاز هذه الأمور يتمُّ على يد فلان وفلان، وهذه المناماتُ والبشاراتُ بإظهار كمال الرضا في هذا الباب وتربية النبي ﷺ لهما ظاهراً وباطناً واستخلافهم بالنص والإشارة، وتمهيد أصول هذه الأمور، وتأسيس قواعد هذه المطالب نوعٌ من مداخلة النبي في هذا الأمر، فيشعر بنيابة النبي في هذا الأمر، وترتسم صبغة هذا المعنى في نفسه الناطقة، وتثير قواه القلبية والعقلية وتهيِّجها، فكأنَّه يصبح جارحةً من جوارح النبي، ورحمة الله الخاصة التي كانت تتوجَّه إلى النبي ترتكز إليه أيضاً، ومن جهة ذلك أصبحت هذه البشارات والاستخلاف مناط الفضيلة، وكما أنَّ هذه النكتة لم تخطر ببال أكثرِ العلماء لذلك لم يحسبوا لهذه البشارات حساباً، ولم يقيموا لها وزناً، ولم يعتمدوا في باب الفضائل عليها اعتماداً كلياً، ولكن الحقّ ما قلتُ.

أما أفضلية الشيخين باعتبار التشبُّه في **الجزء العلمي**، فهي من جهة أنّ العلم على نوعين، النوع الذي يختصّ بالشيخين له دخل أكثر في خلافة النبوّة من النوع الذي يختصّ بعليٍّ المرتضى، ويتوقَّف تفصيل هذا الإجمال على تحقيقين:

أحدهما: أنَّ عمرَ الفاروق وعليّاً المرتضى قد بُشِّر كل منهما بزيادة الجزء العلمي بصريح الأحاديث، وبُشِّر أبو بكر الصدِّيق بدلالة التضمُّن

في حديث: «**اقتدوا باللّذيْنِ من بعدي أبي بكرٍ وعمرَ**» إذ إنَّ الإمام لا يكون إلا مَنِ امتازَ بالعلم، ولكن يظهر من تتبّع الآثار المنقولة فيهم أن علياً المرتضى كان له فضل وزيادة في سرعة الانتقال إلى مأخذ المسألة، ولذلك نقلت عنه روايات المحاسبات العجيبة، والقياسات الدقيقة بعدد لا يُحصى، وكان عمر الفاروق أكثرَ اعتناءً بها عند انعقاد الإجماع كما قد حرَّرنا في مسائل كثيرة.

• عن **حنش بن المعتمر** أن علياً ﷺ كان باليمن، فاحتفروا زُبْيَةً[1] للأسد، فجاء حتى وقع فيها رجلٌ، وتعلَّق بآخر، وتعلَّق الآخر بآخر، وتعلَّق الآخر بآخر، حتّى صاروا أربعة، فجرحهم الأسد فيها، فمنهم من مات فيها، ومنهم من أُخْرِجَ فمات، قال: فتنازعوا في ذلك حتى أخذوا السلاح.

قال: فأتاهم علي ﷺ، فقال: ويلكم تقتلون مائتي إنسان في شأن أربعة أناسي، تعالوا أقض بينكم بقضاء، فإنْ رضيتُم به، وإلا فارتفعوا إلى النبيِّ ﷺ.

قال: فقضى للأول ربع دية، وللثاني ثلث دية، وللثالث نصف دية، وللرابع الدية كاملة، قال: فرضي بعضُهم، وكره بعضُهم، وجعل الديةَ على قبائل الذين ازدحموا، قال: فارتفعوا إلى النبي ﷺ، قال: بهز، قال: حماد أحسبه قال: كان متكئاً فاحتبى، قال: «**سأقضي بينكم بقضاء**»، قال: فَأُخْبِرَ أنّ علياً ﷺ قضى بكذا وكذا، قال: فأمضى قضاءه، أخرجه **أحمد**[2].

• وعن **زيد بن أرقم**، قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه

---

(١) **الزبية**: الحفرة لصيد السباع.
(٢) في «مسنده» برقم: (١٣١٠).

رجل من أهل اليمن، فجعل يحدّث النبي ﷺ ويخبره، فقال: يا رسول الله! أتى عليّاً رضي الله عنه ثلاثةُ نفر يختصمون في ولد وقعوا على امرأة في طهر واحد، فقال لاثنين: طيبا نفساً بهذا الولد، ثم قال: أنتم شركاء متشاكسون، إني مقرعٌ بينكم، فمن قُرِعَ له فله الولد، وعليه ثلثا الدية لصاحبيه، فأقرع بينهم، فقرع لأحدهم، فدفع إليه الولد، قال: فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجذُه، أو قال أضراسه، أخرجه **الحاكم**[1].

• وعن **زِرِّ بن حُبيش**، قال: جلس رجلان يتغدَّيان، مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلمّا وضعا الغداء بين أيديهما، مرَّ بهما رجل فسلّم، فقالا: اجلس للغداء، فجلس، وأكل معهما، واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل، وطرح إليهما ثمانيةَ دراهم، وقال: خذا هذا عوضاً ممّا أكلتُ لكما، ونلته من طعامِكُما، فتنازعا.

وقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسةُ دراهم، ولك ثلاثة.

فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لا أرضى إلا أن تكونَ الدراهمُ بيننا نصفين.

وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقصَّا عليه قصّتهما، فقال لصاحبِ الثلاثة الأرغفة: قد عرضَ عليك صاحبُكَ ما عرضَ، وخبزه أكثر من خبزِكَ، فارض بثلاثة.

فقال: لا والله لا رضيتُ منه إلا بِمُرِّ الحقِّ.

فقال علي رضي الله عنه: ليس لك في مرِّ الحقِّ إلا درهمٌ واحدٌ، وله سبعةٌ.

---

(١) في «المستدرك» (٣/ ١٤٦) برقم: (٤٦٥٩).

فقال الرجل: سبحان الله يا أميرَ المؤمنين! وهو يعرضُ عليَّ ثلاثةً فلم أرضَ، وأشرت عليّ بأخذِها فلم أرضَ، وتقول لي الآن: إنّه لا يجبُ في مرِّ الحقِّ إلا درهمٌ واحدٌ؟!

فقال له عليٌّ: عرض عليك صاحبُكَ الثلاثة صلحاً، فقلتَ: لم أرضَ إلا بمرِّ الحق، ولا يجبُ لكَ بمرِّ الحقِّ إلا واحدٌ.

فقال له الرجلُ: فعرِّفني بالوجه في مرِّ الحقِّ حتى أقبلَه.

فقال علي ﷺ: أليسَ للثمانيةِ الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يُعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقّل؟ فتُحملونَ في أكلكم على السواء.

قال: بلى.

قال: فأكلتَ أنت ثمانية أثلاثٍ، وإنّما لك تسعةُ أثلاثٍ، وأكل صاحبُكَ ثمانية أثلاثٍ، وله خمسةَ عشر ثلثاً، أكل منها ثمانيةً ويبقى له سبعة، وأكل لك واحداً من تسعة، فلك واحدٌ بواحدِك، وله سبعةٌ بسبعته.

فقال له الرجل: رضيتُ الآن، أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[(١)].

- وقال في مسألة العول: «صار ثمنُها تسعاً»[(٢)].

وكان عمر الفاروق ﷺ فائقاً في المناظرة والمشاورة في المسائل الشرعية، حتى يقوم بالموازنة بين الأقيسة المتعارضة ويُقنع جميع العلماء بالقول الراجح، ويرتفع الخلاف من بين الناس، وينعقد الإجماع الذي

---

(١) (١/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «السنن الكبرى»، البيهقي (٦/ ٢٥٣) برقم: (١٢٢٣٥).

هو أصل ثالث في الأدلة الشرعية، ولذلك قال ابن مسعود: «كان عمر إذا سلك مسلكاً وجدناه سهلاً»(١)، ولم ينعقد إجماع في زمن علي المرتضى، ولم تقع مشاورة بين العلماء، ولم يظهر العلم كان شائعاً بين جميع أهل الإسلام، وهذا المعنى لا يخفى على كل من له أدنى معرفة بآثار السلف ولا يحتاج إلى بيان، وقد أشار النبي ﷺ لكل واحد منهم إلى صفة تختص به، فقال في حق عمر الفاروق: «**فأوّلته الدين**»، وقال في حق علي المرتضى: «**أقضاكم علي**»(٢)، و«**أنا مدينة العلم وعليّ بابها**»(٣) إذ إنّ القضاء موقوفٌ على سرعة انتقال الذهن، وكذلك الحكمة أيضاً، والدين عبارةٌ عن الأمر الذي يتّفق عليه الناسُ، ويتناقلونه عن صاحب الملّة.

واختلف أصحاب المرتضى في فهم كلامه، وذهبوا مذاهب شتّى، فروى جماعةٌ عنه ـ مثلاً ـ براءته عن المشاركة في دم عثمان، وفهم جماعةٌ أخرى بكلامه رضاه بقتله، وهو «قتله الله وأنا معه»(٤)، قاله ابن سيرين، رواه ابن أبي شيبة»(٥).

وكذلك في كلِّ حادثةٍ معضلةٍ من الفقه وغيره مثل تحريم المتعة وغسل الرجلين، قد سمعوا كلمات دقيقة من عليّ المرتضى، وتحيَّروا في تطبيقها، وانفتح باب الاختلاف.

ولكنّ أصحاب الفاروق قد فهموا في معظم الأحوال من كلامه

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٤١) برقم: (٣١٠٥٧).

(٢) انظر: «الوافي بالوفيات» (٦/ ٤٤٥)، و«الملل والنحل» (١/ ٤٦).

(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٧) برقم: (٤٦٣٧).

(٤) قال الإمام أبو القاسم الطبراني (١/ ١١٢): كأنه يعني: أن الله تعالى قتله وأنا معه مقتول رضي الله عنهما.

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٨) رقم: (٣٨٨٣٤).

مفهوماً واحداً، ولم يختلفوا فيه، ولم يتحيَّروا في رأيه، وقد أشار الفاروق نفسه إلى هذه النكتة قائلاً: «إنّ الفجورَ هكذا، وغطّى رأسه إلى حاجبيه، ألا إنّ البرّ هكذا وكشفَ رأسه»[١].

ونوضّح الحاجة إلى الموازنة بين الأقيسة المتعارضة بمثال، وهو أنّ كيل اللبن وسرعة انتقال الذهن إليه ـ مثلاً ـ خصيصة عليّ المرتضى، وموازنته بالأدلة الشرعية والتنبُّه على أن كثيراً من وجود معرفة الحال يقول به الأطباء وتصدِّقه التجربة والمشاهدة لا يُعْتَبَر في الشرع، كما أنّ الأطباء يعرفون أنّ من علامات البلوغ انشقاق أرنبة الأنف، ولكن لا يعتبر في الشريعة غير بلوغ خمسة عشر عاماً، والاحتلام، والإحبال، والحيض، ونباتُ العانة، فكيل اللبن مهما كان له أصل لا يُعتبر به في مظانّ كليات الشرع، ولذلك لا يُذكر حكم هذه المسألة في المذاهب الأربعة بغير الشهادة واليمين، مثل هذه الموازنة خصيصة فاروقية.

وكذلك «الاقتراعُ هو حكَمٌ في الأمور المشتبهة» عند علي المرتضى، وإقراره بأنّ الاقتراع حُكْمٌ هو في موضع اجتماع الحقوق المتساوية، لا في موضع إثبات حق، وإن قال رجل ـ مثلاً ـ إني جامعتُ أمَّ فلانٍ في المنام، وذلك سبَّبَ إيذاء له، فيقضي علم عليّ المرتضى في هذه الصورة إقامة الرجلِ في الشمسِ وضربهِ بالدِّرَّة، إذ إن عالم الخيال ظلُّ عالم الشهادة، ويقضي علم عمر الفاروق بزجره، وتوبيخه ليكون ردعاً له عن الإيذاء، وهذا يشبه نهي النبيِّ ﷺ عن سبِّ أموات الكافرين، «**لا تؤذوا الأحياء**»، وكذلك منعُ عمر الفاروق الشعراءَ من الهجو.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٨) برقم: (٣٤٤٨٢).

والتحقيق الثاني: أنّ الأشبه بخلافة النبوة أن تُنْشَرَ العلومُ المنقولة عن الأنبياء بين الناس، ويُترك المجمل بإجماله، ويُذكر المفصَّل بتفصيله، إذ إنَّ الشارعَ لا يترك شيئاً بالإجمال إلا لحكمة، ولا يفصِّل شيئاً إلّا لمصلحة فيه، وسنَّة الأنبياء عليهم الصلوات والسلام أن العمل مقصودٌ عندهم أكثر من العلم، ويلقون من العلم ما يهذِّب نفوسَ الناس، ولا يكلِّمونهم بكلام دقيق، ولا يعملون ما يدهش أذهان المخاطبين، ويُشعرهم بأنّ في قلوبهم غير ما ينطقون به باللسان، ثم العلمُ الذي يقومون بتلقينه نيابةً عن الأنبياء مهما كثرت الإشارات فيه إلى صاحبه، وقلَّ الاستبداد بالرأي، ومهما كثر التقليد للنبيِّ، وقلَّ الخوض بالعقل، ومهما كثر الخروج من مضايق الاختلاف، وكثر الإجماعُ كانت النيابة للنبيِّ أقوى والخلافة أحكم.

وهنا أقول كلاماً أكثرَ غموضاً من ذلك، وهو أنَّ الفضيلةَ التي حصلت للخلفاء هي من جهة أنّ العلمَ الذي قام النبيُّ ﷺ بتأسيسه وتنظيمه، ولم يبلغ درجة الشهرة والكمال في حياته، فزادوه شهرةً وانتشاراً، ليكونوا جارحةً من جوارح النبي ﷺ في إنجاز أمره، وإنّ العلوم الحديثة ولو كانت أكثرَ دقةً في النظر وعمقاً في الفكر لا تساوي شعيراً بجنب كونهم جارحةً من جوارح النبي ﷺ، ولذلك كان الصحابة أحبَّ خلق الله عند الله ورسوله ﷺ وصالحي المؤمنين رغم قلَّة تدقيقهم في الكلام، وإن أصحاب العلوم العقلية في زماننا قد ازدادوا بعداً عن الله ورحمته رغم تدقيقهم وبُعد نظرهم.

فدائ كوري خفاش جشم بينائي كه بى خبر ز رُخ آفتاب نيم شبي است[1]

---

(١) ينبغي أن تفدى عينُ ذي البصر على نقص بصر الخفاش، الذي لا يشاهد نور القمرِ نصفَ الليلِ.

وخطاب هذا الكلام إلى حكماء عصرنا الذين حُرِموا ميراث الأنبياء لاشتغالهم بالعلوم المستحدثة، هدانا الله تعالى وإياهم طريق الحق.

وقد روى الناس عن عليّ المرتضى أشياء، وإن فُحِصَتْ من جهة الإسناد يتلاشى كلُّ ذلك.

أما رواية الجفر[١] الأبيض ومصحف فاطمة[٢] فهما باطلتان، إذ إنَّ عليّاً قد روي عنه بالتواتر ما يخالف ذلك ويكذِّب.

• عن **أبي الطفيل** قال: سئل علي رضي الله عنه: هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء؟

فقال: ما خصَّنا رسولُ اللهِ ﷺ بشيءٍ لم يعمَّ به الناسَ كافّةً إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرجَ صحيفةً فيها مكتوبٌ: «**لعنَ اللهُ مَنْ ذبحَ لغيرِ اللهِ، لعنَ اللهُ مَنْ سَرَقَ مَنَار الأرض، ولعنَ الله مَنْ لعنَ والديه، ولعنَ اللهُ مَنْ آوى مُحْدِثاً**»، أخرجه أحمد[٣] وأسانيده متواترة، ومن أراد فلينظر هذا الحديث في «مسند الإمام أحمد».

• وأما المعارف الدقيقة لعلم وحدة الوجود، فهي باطلةٌ باتفاق حملة العلم عن عليٍّ المرتضى، إذ إنّ حملةَ العلم عنه رضي الله عنه إمّا أهل السُّنَّة، وإمّا الإمامية وإما الزيدية، وقد عُلم بالاستقراء التامّ أنّ غير هذه الفرق الثلاث لم يُعن بأخذ العلم عنه رضي الله عنه.

---

(١) الجفر: الكنانة والجعبة التي تجعل فيها السهام، والشيعة يقولون: إن النبي ﷺ كتب لعلي أشياء مخصوصة وهو يضعها في الجفر الأبيض، **هذه رواية باطلة**.

(٢) من عقائد الشيعة أنّ جبريل كان يأتي إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة النبي ﷺ ويواسيها، ويخبر ما يعاني أولادها من الوقائع، وكان عليٌّ يكتبها، وتسمَّى هذه المجموعة مصحف فاطمة، هذه روايةٌ باطلةٌ.

(٣) «مسند أحمد» برقم: (١٣٠٧).

أما أهل السُّنَّة فإن علم وحدة الوجود لم يوجد في طبقة الصحابة والتابعين وأتباع التابعين أصلاً، ولم يعرفه علماء النقل والرواية، أمّا المتأخِّرون من أهل السُّنَّة ممّن قالوا بذلك مستندهم هو الكشف وحدَه، دون الرواية والنقل، وإن كُلِّموا في ذلك بطريق الاعتبار فإنه شيء لا يمسُّ موضوعنا بأي شكل.

وأما **الزيدية**، فإنّهم ينكرون الولاية نفسها، وينقلون هذه السلسلة عن أئمتهم خلفاً عن سلف.

وأما **الإمامية**، فإنهم ينكرون ذلك أيضاً، كما لا يخفى، فلو كانت هذه العلومُ مرويةً ومنقولةً عن علي ﷺ لكانت إحدى هذه الفرق الثلاث ناقلةً لها عنه، وقائلة بها.

وأما الكتب والبينات فأمرها أحقر شأناً بحيث لا يحتاجُ إلى بيانٍ مزيدٍ، وما ثبت عنه هو **علم السُّنَّة** والفقه وتهذيب النفس فحسب، وحملةُ العلمِ عنه في هذه الأبواب كأنّهم متشاغلون بلعبة الشطرنج، وبينهم الكرة والصولجان، ولو ثبت شيءٌ من هذه الأبواب ـ على سبيل الافتراض ـ فإنه ليس من جنس خلافة النبوة ولا علاقة له بموضوعنا هذا، وما يروى من هذه العلوم عن علي المرتضى، فإنه ليس منفرداً به، بل هو أحدُ علماء الصحابة، ورواياته تساوي روايات عبد الله بن مسعود مثلاً، والصفات التي تختص به قد ذكرناها سابقاً.

• أما أفضلية الشيخين باعتبار التشبُّه في **الجزء العملي للنفس الناطقة بالنسبة للسياسة المدنية وترتيب الجيوش**، فهذا أمر ظاهر «كالشمس في رابعة النهار»، وكان العالم الإسلامي في عهد الشيخين متفقاً على الرأي الواحد من غير اختلاف، وكان الناسُ جميعاً متحابِّين فيما بينهم، ومقاتلين الكفارَ في سبيل الله، وكانوا ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ

بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكثرت الاختلافات بين المسلمين في عهد علي المرتضى وتفرَّق الناس إلى أحزاب مختلفة، أغمد المسلمون سيوفهم عن الكفار وسلّوها فيما بينهم، وكل تدبير اختير لردِّ هذه الفوضى وفساد النظام زاد الفجوة اتساعاً ولم يعد بأمن وطمأنينة، إلى أن خرجت الأمور من يد عليّ المرتضى، ولم يبقَ في تصرُّفه غير الكوفة ومُضافاتها، وذلك مع منازعات ومزاحمات شتَّى، ويتفق المؤيِّدُ والمعارِضُ على أصل هذه القصة، ولو أنهم مختلفون في تصويبه وتخطئته وإعذاره وعدم إعذاره.

إن قلت: إنّ فتح العراق والشام ومصر، وكسر شوكة «كسرى» وقصر نطاق حكم «قيصر»، وجعل الأمة كجسد واحد بعد وفاة النبي ﷺ يحتمل أن يكونَ كلُّ ذلك لأسباب خارجية، كتعلّق إرادة الله تعالى بتأييد الإسلام وغلبة المسلمين على الكافرين، كما قال عزَّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، ولم تكن خصلة الفتنة والفساد في الناس ـ مثلاً ـ في العصر الأول ونشأت فيهم رويداً رويداً، وكانت فيهم رغبةٌ قويةٌ في الجهاد ببركة صحبة النبي ﷺ ولَمَّا بَعُدَ زمن النبيِّ ﷺ استترت هذه البركة النبوية، وفي هذه الصورة لا تكونُ هذه الأمور مثبتةً للأفضلية، إذ إنَّ المتقدِّم لو كان في زمن المتأخِّر لجرت عليه أحوالُ المتأخِّر لا محالةَ، ولو كان المتأخِّر في زمنِ المتقدِّم لتحقَّقت عليه أحوالُ المتقدِّم جزماً.

قلنا: إنَّ الفيضَ الإلـٰهيَّ رغم أنّه لا يتوقَّف على استعداد دون استعداد، لكنّ سنَّة الله جرت على أنَّ الفيض الإلـٰهي لا يجري إلا على يد من استعدَّ لذلك، فإذا جرى الفيض الإلـٰهي على يد أحدٍ، فكان ذلك سبباً لفضله، ولا نسلِّم أنّ خصلة الفتنة لم تكن في الناس في العصر الأول، ألا ترى أن الكثيرين ممن أسلموا ارتدُّوا عن الإسلام بعد وفاة

النبي ﷺ ولم تقم الجمعةُ إلا في ثلاثةِ مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد جواثى، وقد عادوا جميعاً إلى الإسلام بحسن تدبير الشيخين.

وإن جاز حملُ ما يقوم به المرء من أعمال حسنة على الصدفة والاتفاق من غير نسبتها إلى خُلُق راسخ البنيان بطلت قاعدة العقل، ولزمت السفسطة، إنْ أسندناها إلى سنَّة الله من غير أن تسبِّب المدح والذمّ لصاحبها بطلت قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفاضل بين الناس، وجرى هذا المقالُ على عليّ المرتضى ولا يُعتدّ بصفاته المدحية ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

ومن أحد الدلائل على بطلان هذا التصوّر الخاطئ أنَّ الصحابة الذين رأوا هذه الجماعة وصاحبوهم اهتدوا بأفعالهم إلى أخلاقهم، وذكروا هذه الأخلاق في تضاعيف صفاتهم، كما روينا عن ابن عباس.

وبعد التي واللتيا، فإنّ مدار الأفضلية في خلافة النبوة إنما هو أنْ يكون جارحة من جوارح النبي، وأن يتمّ أمر النبي ﷺ من بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى على يد خلفائه، ولا علاقة لنا بأصل الأخلاق مثل الشجاعة والحكمة، فلما وجدنا هذا المعنى في الشيخين اعتقدنا أفضليتهما.

إن قلتَ: إنّ الغايةَ من وراء هذه الحروب لدى عليّ المرتضى إنما كانت إظهاراً للحق، ونفياً للباطل، فكانت حروبه نوعاً من الجهاد في الحقيقة.

قلنا: لا شكَّ في أنَّ نيَّة علي المرتضى من وراء هذه الحروب لم تكن غير الإصلاح، ولأجل ذلك لا يتلوَّث بأي تهمةٍ بسبب هذه المعارك، ولكن لم يثبت أن يكون جارحةً من جوارح النبي ﷺ، ذلك

لأنَّ نفي هذه المفاسد والفتن لو كان مقدَّراً لكان النبيُّ ﷺ أمرَ بذلك، وقام بالمداخلة بوجه من الوجوه، كما قد فعل في فتح الشام والعراق وتنبَّأ به، وكان لسعيهم فيه ثمراتٌ طيبة، فلمّا لم يقع نفيُ هذه المفاسد والفوضى، بل كل تدبير جاء بنتيجة مقلوبة عرفنا أنَّ هذه ليست من جنس ما وعد الله به رسوله ﷺ، فينجزه غيره، وينجزه إذا توفِّي قبل إتمامه، نعم تحقَّق هذا المعنى في قتال الخوارج، ووقعت بشارة النبيِّ ﷺ بالنسبة لهذه الحادثة، وقد بيَّن عليّ المرتضى هذه القصة بنفسه.

عن **أبي كثير** مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قَتَلَ أهل النهروان، فكأن الناسُ وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال عليٌّ رضي الله عنه: يا أيها الناس! إنَّ رسولَ الله ﷺ قد حدّثنا بأقوام يمرقون من الدِّينِ، كما يمرقُ السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه أبداً، حتى يرجعَ السهم على فوقه، وإنَّ آية ذلك أنَّ فيهم رجلاً أسودَ، مخدّج اليدِ إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمةٌ كحلمةِ ثدي المرأة حوله سبع هلبات، فالتمسوه فإني أراه فيهم، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه، فكبَّر عليٌّ رضي الله عنه فقال: الله أكبر! صدق الله ورسوله، وإنّه لمتقلِّدٌ قوساً له عربية، فأخذها بيده، فجعل يطعن بها في مخدجيه، ويقول: صدق الله ورسوله، وكبّر الناسُ حين رأوه، واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون، أخرجه **أحمد**(١).

• عن الحسن عن **قيس بن عباد** قال: كنا مع علي رضي الله عنه فكان إذا شهد مشهداً، أو أشرف على أكمة، أو هبط وادياً قال: سبحان الله! صدق الله ورسوله، فقلتُ لرجل من بني يشكر: انطلق بنا إلى أمير المؤمنين حتى نسألَه عن قوله: صدق الله ورسوله.

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٦٧٢).

قال: فانطلقنا إليه فقلنا: يا أمير المؤمنين! رأيناك إذا شهدتَ مشهداً، أو هبطت وادياً، أو أشرفت على أكمة قلت: صدقَ اللهُ ورسولُه، فهل عَهِدَ رسولُ اللهِ إليك شيئاً في ذلك؟

قال: فأعرض عنا، وألححنا عليه، فلمّا رأى ذلك، قال: واللهِ ما عهدَ إليَّ رسول الله ﷺ عهداً إلا شيئاً عهده إلى الناس، ولكن الناسَ وقعوا على عثمان رضي الله عنه فقتلوه، فكان غيري فيه أسوأ حالاً وفعلاً مني، ثم إنِّي رأيتُ أني أحقّهم بهذا الأمر، فوثبتُ عليه، فالله أعلمُ أصبنا أم أخطأنا، أخرجه **أحمد**[1].

أما أفضلية الشيخين باعتبار الزيادة في **الجزء العملي للنفس الناطقة** بالنسبة لتأثير صحبتهما في نفوس أصحابهما بواسطة استماع أقوالهما، ومشاهدة أحوالهما، فهي ظاهرةٌ لا تخفى، وأمّا تأثيرُ أقوالهما، فبيانه أن المسلمين كانوا في عصر الشيخين متفقين على أخذ السُّنَّة من حيث الظاهر المعتبر في الفقه، ومن حيث الباطن المعتبر في الإحسان والطريقة، وكانت مؤاخذةُ الشيخين وتأديبُهما لأصحابهما من ناحية هذين الطريقين، رغم أنّهم تشرّفوا بصحبة النبيِّ ﷺ، وشاركوا الشيخين في أصل الصحبة والعلم والجهاد؛ كسعد بن أبي وقاص، ومعاذ بن جبل، وأبي عبيدة بن الجراح، وحذيفة، وعبد الله بن مسعود، وشواهدُ ذلك كثيرة جداً، يتعجّب بها الناظرُ، ويعرف أنّ ذلك بتأثير الغيب.

هيبتِ حق است این از خلق نیست هیبتِ این مرد صاحب دلق نیست[2]

وإنّ قصةَ سعد بن أبي وقاص مشهورةٌ، وهي أنه بنى بيتاً في الكوفة، ونصب فيه باباً على نمط الأكاسرة، ثم كسره بموعظة عمر

(١) «مسند أحمد» برقم: (١٢٠٧).

(٢) هذه الهيبةُ من الحقِّ تبارك وتعالى، ليست من المخلوقِ ولا من الزاهدِ.

الفاروق رضي الله عنه، وقصة عزل خالد بن الوليد رغم شجاعته وجلالة قدره، ومؤاخذة الفاروق له على صلة شاعر، وعدم انفجار الفتنة بسبب ذلك، وتهديدات الفاروق لعمرو بن العاص وأمثال ذلك من الوقائع مذكورةٌ في كتب التاريخ والرقائق، وتقريره في المسائل واتفاق الآراء حسب رأيه مثل حادثة وضع الخراج، كلُّ ذلك مكتوب في كتب الآثار، ولمّا بلغَ الأمرُ إلى خلافة المرتضى تفرّقت قلوبهم، وجمحت نفوسهم، وقد اشتدّ الأمرُ غموضاً بقدر ما طال الكلام في مسألة إثبات الخلافة، وجواز التحكيم، وعجزه عن استيفاء قصاص عثمان ذي النورين وعذره، ونشأت شبهات كثيرة في قلوب الناس، ولم يتنازل من الصحابةِ أحدٌ عن رأيه بصفة خاصة، قد اتفق على هذه الوقائع كل من المؤيد والمخالف، ولو أنَّ كل واحد قام بسرد الوقائع على مذهبه.

وأمّا تأثيرُ أحوالهما فيُعرفُ ذلك من جهة أنَّ أصحابهما جميعاً كانوا متأدِّبين بالشريعة، وراغبين في الإحسان، ولم تصدر من واحد منهم حركة شنيعة، ومعظم أصحاب عليّ المرتضى كانوا من أهل الشرطة، والمنشئين من أهل الطمع والحرص والحقد والحسد، ولم يكونوا مخلصين في حُبِّ عليٍّ، ولا راسخين في الانقياد له، كما قد شكاهم عليّ المرتضى مراراً على منبر مسجد الكوفة، فقال: «واللهِ لوددتُ أنِّي أَقْدِرُ أن أصرفَكم صرفَ الدينار بالدراهم عشرةٌ منكم برجل من أهل الشام»[1].

وقد بدا من الكوفيين الغدرُ بكثرةٍ، حتى قد اشتهر مثلٌ سائرٌ إلى يومنا هذا «الكوفي لا يُوفِي» وما قاموا به من غدرات بالحسن المجتبى والحسين بن عليّ، الذي استشهد في كربلاء لا يحتاجُ إلى بيان.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٢١).

وأما مَنْ كانوا مِنْ أهل الكوفة مخلصين في حبّهم، وكانوا كاملي الانقياد له، وقعوا فريسةً للإفراط والتفريط في الاعتقاد، فقامت طائفةٌ منهم بالإفراط في الحبّ والتعظيم له إلى أنْ بلَّغوه إلى رتبة لا يصل إليها غير النبيّ، وقد نهاهم عليّ المرتضى عن ذلك مراراً وتكراراً، ولم ينتهوا عن ذلك، كما قد نُقِلَتْ وقائعُ كثيرةٌ بالنسبة للطائفة الذين يطعنون في الصحابة، وقامت طائفةٌ أخرى بالتفريط من شأنه، ولم يستوفوا حقّه من التعظيم والاحترام، وكانت جماعةٌ على طريق التوسط والاعتدال، وهم أصحاب عبد الله بن مسعود.

وقد اختلف أصحاب عليّ في حمل كلامه على المعنى المناسب أيضاً، فكانت منهم طائفة لم تصغِ إلى كلِّ المبالغات والتأكيدات التي بيَّنها على منبر جامع الكوفة، بل قالوا: «هذا رجلٌ محارِبٌ، يكلِّم على خلاف ما في قلبِه»، وهذه العقيدة الفاسدة أصبحت نواةً للمذاهب الفاسدة كالتقيّة وما إلى ذلك، وأصبحت كذلك سبباً لاختيار كلِّ ما هو مخالف للجمهور من عقائد وأفكار كما هي عقيدة الشيعة.

وقامت طائفة أخرى بحمل كلامه على ما هو موافِقٌ للجماعة، وهم أصحاب عبد الله بن مسعود، ورواياتهم هي العمدةُ والمرجِعُ عند أهل السُّنَّة والجماعة، فلو كانت صحبةُ عليّ ﵁ أثّرت فيهم، لما نشأت فيهم مثل هذه الخلافات كما لم تنشأ في عصر النبي ﷺ والشيخين.

إن قلتَ: إنَّ عليّاً المرتضى كان يقوم بدعوة مرِّ الحق، وتنزَّل الشيخان عن مرِّ الحق درجةً، أو قلتَ: إنَّ مخاطبات عليّ كانت أدقّ وأعقد، وعامّة الناس لا يستطيعون فهم معانيها، وكان الشيخان يكلِّمان بكلام سهل التناول واضح البيان، أو قلتَ: إنّ أحوال المرتضى مائلة

إلى قطع العلائق والخصائص الملَكية، وأحوال الشيخين أشبه بالبشرية والاختلاط بين الناس، ولا بدّ من المناسبة بين المؤثّر والمتأثّر، فمنشأ اختلافِ القوم إنّما هو كمالُ المرتضى، وأفضليته أيضاً، فإنْ أمرهم عليّ المرتضى بما كان يجدُرُ بهم، وهم لم يأخذوا به، فهذا نقصٌ من هذه الجماعة العاصية دون المرتضى، مثل الجماعة الذين لم يصغوا إلى النبي ﷺ، ولم يلحق بالنبيّ ﷺ أي نقصٍ أو عيبٍ بسبب إعراضهم عنه، بل دارت دائرةُ الشقاوة عليهم أنفسُهم.

قلنا: إنَّ الحق ألّا يلحق بالمرتضى أيَّ نقص أو عيب لتمرّدهم وعدم امتثالهم لأمره، ولا ينبني مذهب أهل السُّنَّة على إثبات النقص للمرتضى بأي وجه من الوجوه، بل الكلامُ يدورُ حول الفضيلة والأفضلية باعتبار التشبّه بالنبي ﷺ، يقول الله تعالى في باب المنّة على النبيِّ وأصحابه: ﴿...هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومعلوم بطريق الجزم واليقين أنَّ العرب كانوا أجهلَ الناسِ قبل بعثة النبي ﷺ، وأقطعهم للأرحام، فجمع الله بينهم جمعاً بفضل صحبة النبي ﷺ، وألّف بين قلوبهم، وأدّب أهلَ البدو وحرّاس الضبّ واليربوع بآداب الأنبياء، وانتفع كلٌّ منهم بحسب استعداده بمائدة فضل النبي ﷺ وكرمه، إلا المردة المتمرّدين، الذين ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ٧].

وكذلك في زمن الشيخين نال أكثر الناس بحسب استعدادهم حظاً ونصيباً من بركات صحبتهما إلا الأشقياء المعدودين، فميزان الرحمة

العامة إنّما هو ظهورُ اللطف في حق أكثر أفراد بني آدم ليس جميعهم، ولا يهمّنا في هذا الموضع إلا هو.

ومن سنَّة الله وسنَّة رسله أن يمزج مرُّ الحقِّ بعسل المداراة، ليكونَ معجوناً معسولاً يستسيغه المرضى بالأمراض النفسانية، ولذلك نزلت الرخص في الشريعة، ورفق النبيُّ ﷺ بالمنافقين، وقام بمداراتهم.

وأيضاً من سُنَّة رسل الله أنهم لا يخاطبون الناس بكلام غامض دقيق لا يدركون كنهه، ويتحيَّرون في تأويله، ويخاطبونهم بالأسلوب المألوف لديهم، ليأخذوا ما نزِّل إليهم من الله تعالى، ويكسبوا منهم التعاليم الربانية، ولذلك جعل الله الإنسان نبيّاً دون الملائكة، وقد أشار الله تبارك وتعالى في القرآن العظيم إلى ذلك غير مرّة.

فالتشبّه الكامل بالأنبياء هو أن يقوموا بمثل هذه المعاملة، فمن كانت فيه هذه الصفة أكمل كان هو في الأمة أفضل باعتبار نشر الملّة وتربية أهل الملّة، هذا هو التأويل للأفضلية في الخلافة، فأيّما شيء يمنع ظهورَ هذه الصفة، سواء كان شدّة الورع أو غموض القول أو غلبة التجرّد وغير ذلك يمنع من كمال النيابة، وتمام الخلافة، وغاية التشبّه بالأنبياء فيما يجلب النفع للملّة.

وقيل هذا القول على سبيل التنزّل، وإلا فإنّا إذا فحصنا مرّ الحق كان ذلك مسلَّماً بالنسبة للتجوّز في المأكل والملبس والتقلّل في أسباب المعاش وما إلى ذلك، وهذا لا يمسّ بموضوعنا.

وإذا فحصنا بالنسبة للأمور التي تتعلّق بالخلافة والرئاسة، وبالنسبة لترك تقاتل المسلمين، إذ إن ذلك أعظم خطراً، كان مرّ الحق إلى جانب الشيخين، وغاية أمر المرتضى أنّه لا له ولا عليه.

وإذا اعتبرناه بالنسبة لقلّة الاعتناء بتأليف الجماعة الذين كانوا معه،

فكان مرّ الحق تأليف قلوبهم، كما فعل النبي ﷺ، إذ إنّ نظام المسلمين لا يتحقق بغير ذلك، وهذا المعنى واحد من الأمور المهمّة.

وكذلك إذا فحصنا غموضَ الكلام لم يبق محلّاً للبحث والكلام بالنسبة للعلوم الدقيقة، بل هو غير واقع كما قد بيّنّا بالتفصيل.

وإن اعتبرناه بالنسبة إلى التورية في الكلام، والتقصّي في السير، بمقتضى «الحرب خدعة» لم يكن موجباً للمدح، وكذلك دعوى الرغبة في التجرّد رغم كل هذه المداخلات والمنازعات والصراعات والمحاولات التي لم يظهر مثلها من أي خليفة سابق، والتي لم تأت بأي نتيجة طيبة لا يبقى مجال للتسليم لها.

وهناك بون شاسع وفرق واضح بين انهماك جميع العرب في رذائل النفس، وتخلُّصهم منها بفضل صحبة النبي ﷺ بقدر استعدادهم إلا المردة المتمرّدين، الذين ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ﴾، وبيَّنَ وقوعهم في هذه الرذائل النفسية بعد أن تخلّصوا منها، وتعوّدوا على الفضائل والمكارم بقدر استعدادهم، إلا الصالحين المعدودين الذين لم تزلزل أقدامهم عواصفُ الحوادث والكوارث.

ولو أن هذه الأشياء لا تقدح في جلالة المرتضى، إذ إن وزر هؤلاء الأشقياء يقع على عواتقهم فحسب، ولكن رجوع ثواب الأعمال إلى رئيس القوم أمر ثابت، فيقتضي ذلك عودة أجور أعمال التابعين للشيخين بزيادة وكثرة إليهما، وعودة أجور بعض أصحاب عليّ إليه، وألا يعود إليه من البواقي أجر ولا وزر، وهذا المعنى يكفي في باب الأفضلية.

- **أفضلية الشيخين باعتبار تحمُّل أعباء الدعوة:** فبيانه أن أعباء الدعوة على ثلاثة أقسام:

الأول: هو النوع الذي كان قبل الهجرة، حينما قام النبي ﷺ بإعلان دعوة الإسلام، ونهض العرب جميعاً بالكفر والإنكار، واتفقوا على إيذاء النبي ﷺ وأصحابه، أصبح أبو بكر الصدِّيق وعمر الفاروق في هذا الوقت الحرج سبباً لكسر جماعة الكفار، وفلّ وحدتهم، كما تقدّم تقريره.

وهو أنَّ أبا بكر الصدّيق أوّلُ من أسلم من الأحرار البالغين، وأنفق على فقراء الصحابة، وقال النبي ﷺ في شأنه: «**ما نفعني مالُ أحدٍ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ**»[1]، وقد نصر النبيُّ ﷺ في مشكلاته.

وكان عمر الفاروق سببُ عزَّةِ الإسلام وغلبةِ المسلمين، بخلاف المرتضى الذي كان صغيراً في ذلك العصر، إذ إنه كان عند إسلامه ابنَ سبع أو عشر سنين.

عن **عمر مولى عفرة** قال: سئل محمد بن كعب القرظي عن أول مَنْ أسلم: أعليٌّ أو أبو بكر رضي الله عنهما، قال: سبحان الله! عليٌّ أولهما إسلاماً وإنّما اشتبه على الناس؛ لأن عليّاً أخفى إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبو بكر فأظهرَ إسلامه، ولا شك أنَّ عليّاً عندنا أولهما إسلاماً، أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[2].

وعن **حبة العُرَني** قال: رأيت عليّاً رضي الله عنه ضحك على المنبر لم أره ضحك ضحكاً أكثر منه، حتى بدت نواجِذُه، ثم قال: ذكرتُ قول أبي طالب، ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسولِ اللهِ ﷺ ونحن نصلّي ببطنِ نخلة، فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: ما بالذي تصنعان بأسٌ، أو بالذي تقولانِ بأسٌ، ولكن

(١) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٦١).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٣٦)، و«أسد الغابة» (٢/ ٢٩١).

والله لا تعلوني اسْتي أبداً، وضحك تعجّباً لقول أبيه، ثم قال: اللَّهُمَّ لا أعرفُ أنَّ عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ـ ثلاث مرات ـ لقد صلّيتُ قبل أن يصلِّي الناس سبعاً، أخرجه **أحمد**[(١)].

والثاني: هو النوع الذي ظهر من بعد الهجرة إلى وفاة النبي ﷺ، وإنّ الشيخين والمرتضى رغم اشتراكهم في تحمّل أعباء الجهاد، متخالفون فيما بينهم، كان علي المرتضى يُقدَّم بشجاعة الأبطال والمصارعين، والشيخان بالمشاورة التي هي شعبة من شجاعة الملوك والأمراء، وإذا تأمَّل أحدٌ بدقّة، وقام باستقراء تامّ لا يخفى عليه أنَّ النبي ﷺ شاور الشيخين ما لم يشاور غيرهما، وأصغى إلى رأيهما ما لم يصغِ إلى رأي غيرهما، وهذا المعنى ظاهِرٌ من القصص والحكايات.

والثالث: هو النوع الذي ظهر بعد وفاة النبي ﷺ في الأمور التي كانت رديفاً لبعثة النبي ﷺ كما قال رسول الله ﷺ: «**أوتيتُ مفاتيحَ الأرضِ**»، ولكنّ انتقاله إلى الملأ الأعلى قبل ظهورها كان قدراً مقدوراً.

فأنجز الشيخان هذا المعنى بطريق النيابة، ولم يمكن للاحق اللحوقُ بهما في هذا الباب، فضلاً عن المساواة والمسابقة، وقد بيَّن المرتضى هذا المعنى بأسلوبٍ أوضح، فقال: «سبقَ رسولُ الله ﷺ، وثنَّى أبو بكر، وثلّث عمر، ثم خبطتنا فتنةٌ، فهو ما شاء الله»[(٢)]، ورُوِي هذا القول عن المرتضى بالتواتر، ومن شاء فلينظر أسانيده في «مسند أحمد»، ووقع المرتضى في أيام خلافته في مناقشات ومنازعات، ولم يُفْتَحْ بلدٌ من البلدان في خلافته، ولم يظهر أي نوع من الفتوح الإسلامية، بل

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٩٩) رقم: (٧٧٦).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ١٣٢) برقم: (١١٠٧).

توقّف الجهادُ بالإطلاق، فصار الشيخان أفضلُ وأرجحُ باعتبار تحمّل أعباء الجهاد.

ليُعلمَ أن للشجاعةِ نوعين: **أحدهما**: شجاعة المصارعين، **والآخر**: شجاعة الأمراء، **وشجاعة المصارعين**، عبارة عن الغلبة على الأقران في المبارزة بقوّة البطش وثبات القلب، **وشجاعة الأمراء**، عبارةٌ عن فتح البلاد، وهزيمة الجيوش، بسياسة الجيش، وحسن استعماله في الموضع المناسب بثبات القلب، وزيادة العقل، والعدالة، ومعرفة المطلوب من الصلح والحرب، والتأنّي والعجلة، ومعرفة صلاحيات كل فرد من أفراد الجيش، واستعماله في العمل المطلوب، وتتفرّق ـ تارةً ـ كلتا الشجاعتين في أفراد مختلفين، كما كان عنترة بن شداد العبسي ـ الشاعر الجاهلي ـ متصفاً بشجاعة المصارعين فقط، والأمير تيمور كان متّصفاً بشجاعة الأمراء فقط، فكان «تيمور» أشجع الملوك رغم أنه لم يُنقل عنه أنه بارز مصارعاً وصرعه.

ورغم أن الخلفاء جميعاً كانوا متصفين بكلتا الشجاعتين، لكنّ الشيخين لهما فضل ومزية في شجاعة الأمراء، ولعليّ المرتضى فضلٌ وزيادةٌ في شجاعة المصارعين والأبطال، وهذا المعنى بديهيّ لمن درس سيرة هؤلاء، واطلع على الآثار المنقولة عنهم، وإنّ شجاعة الأمراء أكثر نفعاً في تسيير أمور الملّة، ولشجاعة المصارعين دخل فيها أيضاً بقدرها، ولذلك كان للنبي ﷺ ـ الذي هو ميزان الشرف والفضل ومنتهاه ـ نصيبٌ من شجاعة الأمراء أوفر وأتمّ من شجاعة المصارعين والأبطال، وهكذا الأمر يتسلسل في حق رؤساء الدين والدنيا.

○ ○ ○ ○ ○

أما أفضلية الشيخين باعتبار نشر علوم الدين، فبيانه أنّ أفضل

العلوم هو القرآن العظيم، والجامع للقرآن والناصب للقرّاء في الآفاق هو الشيخان، وعلى الرغم من أن المرتضى روى القرآن، ولكن لم يحمل روايته إلا أصحاب عبد الله بن مسعود من أهل الكوفة؛ كزر بن حُبيش وأبي عبد الرحمٰن السلمي، وهؤلاء قرؤوا القرآن لأول مرة على عبد الله بن مسعود، ثم أعادوها على المرتضى، ولو لم يعيدوها عليه فإنّ رواياتهم عنه صحيحة رغم ذلك.

● عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن عثمان ﵁ عن النبي ﷺ، قال: «**خيرُكم من تعلّمَ القرآن وعلّمه**».

قال: وأقرأني أبو عبد الرحمٰن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، أخرجه **البخاري**[(١)].

ويلي القرآنَ العظيمَ حديثُ النبي ﷺ، وبعث عمر الفاروق المحدِّثين إلى الآفاق، وذلك هو أصل علم الحديث، ومن جملة هؤلاء المحدّثين عبد الله بن مسعود في الكوفة، وثبتت رواياته في الكوفة، ومنهم أبو موسى الأشعري وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ في البصرة، وكذلك كانت جماعة من الصحابة في الشام.

ولكن عليّاً المرتضى لم يبعث أحداً إلى الآفاق، وهو في الحديث مثل عبد الله بن مسعود، ولكن هنا فرق يعرفه أصحاب الحديث، وهو أنَّ أصحاب عبد الله بن مسعود فقهاء وثقات، والرواة عن عليّ رجال مستورو الحال من الشرطة والجنود، ولا يبلغ درجة الصحة من أحاديث علي إلا ما رواه أصحاب عبد الله بن مسعود ﵁.

● عن ابن أبي مُليكة قال: كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتبَ لي

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٥٠٢٧).

كتاباً، ويخفي عني، فقال: ولد ناصح، أنا أختار له الأمور اختياراً، وأخفي عنه قال: فدعا بقضاء عليّ، فجعل يكتب منه أشياء، ويمرّ به الشيء، فيقول: واللهِ ما قضى بهذا عليّ إلا أن يكون ضلَّ.

• وعن **أبي إسحاق**، قال: لمّا أحدثوا تلك الأشياء بعد عليّ رضي الله عنه، قال رجلٌ من أصحاب عليّ: قاتلهم الله أيُّ علمٍ أفسدوا.

• عن **ابن عياش** قال: سمعتُ المغيرةَ يقول: لم يكن يصدق على عليّ رضي الله عنه في الحديث عنه إلا من أصحاب عبد الله بن مسعود، روى الأحاديث الثلاثة مسلم في مقدمة «صحيحه»[1].

• وأما أهل المدينة وأهل الشام، فإنّهم لا يروون عن المرتضى إلا قليلاً، ومدار الإسلام بعد القرآن والحديث هو الفقه، وأمهات الفقه هي المسائل الإجماعية لعمر الفاروق، وإن ألقيتَ النظر على أكثر أهل الإسلام لأجل الامتحان والاختبار فهم الحنفية والمالكية والشافعية.

وأمَّا مذهب مالك، فأساسه «الموطأ»، ولا يوجد في «الموطأ» من روايات المرتضى غير بعض الأحاديث المرفوعة والآثار المعدودة، وكذلك لا يوجد في «مسند أبي حنيفة» وآثار الإمام محمد اللَّذَيْنِ هما أساس الفقه الحنفي، لا يوجد فيهما أكثر مما في «الموطأ» من بعض الأحاديث المرفوعة والآثار المعدودة المروية عن المرتضى، وكذلك في «مسند الإمام الشافعي» الذي هو مبنى المذهب الشافعي لا يوجد من روايات المرتضى سوى بعض الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة المعدودة، التي هي في غاية القلّة إزاء الأحاديث المروية عن الآخرين، ومن كان له اطلاع على أصول وأمهات هذه المذاهب (مذاهب الأئمة

(١) «صحيح مسلم» برقم: (٢٢، ٢٤، ٢٥).

الثلاثة) لا يخفى عليه أنَّ أصل هذه المذاهب هو المسائل الإجماعية لعمر الفاروق، وهذا أمر مشترك بين هذه المذاهب، ثم أصل مذهب مالك بعد ذلك هو الاعتماد على فقهاء الصحابة من أهل المدينة كابن عمر، وعائشة رضي الله عنهما، وعلى الفقهاء السبعة[1] من كبار تابعي المدينة، وعلى ابن شهاب الزهري، ومَنْ هم على شاكلته من صغار تابعيها، وهذا ما يُعطي مذهبه صورةً خاصةً من بين سائر المذاهب.

وكذلك الاعتماد على فتاوى عبد الله بن مسعود في غالب الأحوال وعلى قضايا عليّ المرتضى في بعض الأحوال بشرط رواية أصحاب عبد الله بن مسعود وإثباتهم.

وبعد ذلك أصلُ مذهب أبي حنيفة على تحقيقات إبراهيم النخعي، والشعبي وتخريجاتهم، وبسبب ذلك تكوَّنت صورة خاصة لمذهبه.

وكذلك فحص المسائل المعتمد عليها لفقهاء مكة والمدينة، وعرض أقوالهم على الأحاديث المرفوعة، وتحقيقها على قواعد الأصول، والتوفيق بين المختلفات منها وما إلى ذلك، وهذا هو السبب الأصيل في تكوين صورة المذهب الشافعي الخاصة، وليس هذا الشأن في جمع وتنقيح أحاديث المرتضى وآثاره، ولا يعرف هذا المعنى إلا ماهر في أصول وأمهات هذه المذاهب.

وبعد ذلك علم السير والرقائق، والمرتضى واحدٌ من علماء

---

(١) وهم: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد بن ثابت، وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار، وقد أبدل بعضهم بأبي سلمة وخارجة سالمَ بن عبد الله بن عمر وأبا بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام. «قواطع الأدلة في الأصول»، للسمعاني (١/ ٣٩٤).

الصحابة في هذا الباب، ويساوى بعبد الله بن مسعود وغيره، وأمّا نسبة علم النحو إلى المرتضى فشيءٌ اعتباري، ولا يوجد فيه نقلٌ صحيحٌ.

• عن **عاصم عن مورق العجلي** قال: قال عمر بن الخطاب: تعلَّموا الفرائض واللحن والسنن كما تعلَّمون القرآن، أخرجه **الدارمي**(١).

وفي «الدر النثير»: اللحن يريدُ به تعلَّموا لغةَ العرب بإعرابها.

وفي «الكشاف» في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، في تأويل رواية: «ورسولِهِ» بالجر على الجوار، وقيل على القسم كقوله: لعمرك، وحُكي أنَّ أعرابياً سمع رجلاً يقرأها فقال: إن كان الله بريئاً من رسوله، فأنا منه بريء، فلبَّبه الرجلُ إلى عمرَ، فحكى الأعرابيُّ قراءته، فعندها أمر عمرُ بتعلّم العربية. انتهى.

وتدلّ هذه القصةُ على أنَّ أول من قيّد أهل العجم بتعلم النحو هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

• وأما **التصوّف** بمعنى السلوك، وتهذيب الباطن، فلا أرى أن يكون المرتضى في روايات هذا الباب أكثر رواية من ابن مسعود وابن عمر مثلاً.

فإن قلتَ: كان عليّ أعلمَ الناس بالقرآن والسنن، وروى الناسُ عنه كلَّ ذلك، ولكن اختلط علمه بسبب سوء تحمُّلهم، ولم يمكن الانتفاع التامّ به، فأي خلل يقع في أفضليته لأجل ذلك؟

قلنا: نعم، هذا المعنى لا ينقص من فضله، ولا ينقص من كونه يستحقّ الخلافة، وهذه عقيدتُنا، ولكن نيابة النبيِّ ﷺ من جهة أن يكون واحد من أمته كالجارحية في الأمور منحها الله النبيَّ ﷺ إجمالاً،

(١) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤١) برقم: (٢٨٥٠).

والمطلوب منه تفصيله، فيقع الخلل في نيابته وخلافته من ناحية الجارحة، إذ إن خليفة النبي مثله كمثل الناي يضعه العازف في فيه.

او بجز نائي وما جز نـــے نيـم   او دمـــے بي ومابي وے نه اين

ليس هو إلا عازف المزمار، ولسنا إلا المزمار، لا يكون هو ـ أي: عازفٌ ـ بدوننا، ولا نكون ـ أي: مزمار يخرج منه صوت ـ بدونه.

فتكون إرادة الله تعالى أن يظهر العلم والرشد بين الناس، ولا يتخلّف رفع المظالم عنهم، وانقياد أهل العالم لهذا المعنى عن إرادة الله تعالى كما قال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

ثم تنصبغ بعد ذلك القوى العقلية والقلبية للنبي ﷺ بصبغة الإرادة الإلٰهية، ثم تُهيّج هذه الصبغة قواه بأفعال تناسب هذا المقصد، ويقوم النبي ﷺ بحكم هذه الصبغة بالمداخلة في صلب هذا المقصد بكل طريق ممكن.

ومثال ذلك: أن يُخرجَ العازفُ صوتاً من حلقومه، هو إجمالُ تلك الألحان التي يلحن بها فيما بعد، ولكنْ لرفع الصوت أو لتحسينه يمسِكُ المزمارَ بيده، ويجعله في فيه، ثم تعمل بعد ذلك نفس هذه الإرادة الإلٰهية بواسطة همّة النبي ﷺ وعزيمته ومداخلته ونسبته في نفس شخص فيه استعداد لذلك، وتصدر منه هذه الأفعال.

ومثال ذلك: أنّ المزمار يخرجُ منه صوتٌ حزينٌ، وليس هو أكثر من مجرّد صوت، هذا هو المعنى لخلافة النبوة، وهذه فضيلةٌ بصرف النظر عن الأهلية والاستعداد، وإذا اشتركت جماعة في فضيلة، وخصَّت إرادة الله بها واحداً منهم باعتبار المصالح التي هو متفرِّد بعلمها، كان هذا الشخص أفضلَ الأمة، ونائباً مطلقاً للنبيِّ.

والمقصود هنا هو وجود الفضيلة بالفعل، ليس وجودها بالقوة، ووقع التفاضل بين الأنبياء في كثرة الأمة من هذه الجهة، وقد جاء في حديث المعراج: أنَّ موسى عليه السلام لما رأى كثرة أمة النبي ﷺ رقَّ قلبه وقال: «**بُعِثَ بعدي غلامٌ يدخلُ الجنَّةَ من أُمَّتهِ أكثرَ ممّن يدخلُ من أُمَّتي**».

وقال النبي ﷺ: «**تزوّجوا فإنِّي مكاثرٌ بكم الأمم**»، إذا لم يكن الوجود بالفعل في هذه الفضيلة مطلوباً، فلماذا طلبَ الكثرة؟! مع أنّ فضل النبي ﷺ على الأنبياء يبقى كما كان سابقاً، فالوجود الخارجي لهذه الفضيلة في هذا الموضع إنّما هو شرحٌ لإرادة الله تعالى، وتتقوّى خلافة النبوة وتستحكم بقدر وجود الفائدة.

وهذه الفضيلة شيء لا يدرك العارف كنهه، ولا يعرف رجحانه على سائر الفضائل، ما لم ينصبغ بصبغته تحقيقاً وتخلُّقاً، ولم يدرك هذا الفقير ذلك حتى شمَّ رائحة هذا البستان، وهذا بحثٌ يتعلّق بفنّ آخر، ولذلك لا نفصِّل الكلام في هذه المسألة في هذا الموضع، وهذه الفضيلة ليست منوطةً بأيِّ استعداد بحسب حقيقتها.

توچون ساقي شوي دردِتنگ ظرفي نمي ماند
بقدر بحر باشد وسعتِ آغوشِ ساحلها(١)

لكن من سُنَّة الله أنّه لا يمنح هذه الفضيلة إلّا مَنْ كان جامعاً لفضائل شتَّى جِبلّةً وكسباً، ورحمة الله التي كانت تشمل النبيّ ﷺ عملت في هذا الشخص بواسطة النبيّ ﷺ إلى مدة طويلة، ويتحلَّى بالأخلاق الكاملة، وأَخَذَ العلوم عن النبيِّ ﷺ بوجه الكمال، وهذا هو المنشأ لهذه الشروط.

---

(١) إذا كنتَ ساقياً فلا همّ لضيق الظرف؛ لأن سعة شواطئ البحر تكون حسب سعة البحر.

أما أفضلية الشيخين باعتبار الصفات القلبية، التي يُعبَّر عنها في عرف هذا الزمان بالطريقة، فنبيّنها بوجهين:

أولهما: أنَّ زهد المرتضى كان من قبيل زهد الأولياء، وزهد الشيخين كزهد الأنبياء، وورع المرتضى كان من قبيل ورع الأولياء، وورع الشيخين كورع الأنبياء، والدليل على ذلك أنَّ جميع أهل التاريخ متفقون على أنَّ ورع المرتضى وزهده سبب عدم انتظام خلافته، وورع الشيخين وزهدهما سبب انتظام خلافتهما، ولا يخفى أنَّ من خصائص صفات الأنبياء الكاملة أنها لا تمنع من رئاسة العالم بخلاف زهد الأولياء.

وثانيهما: أنّ أعظم أنواع الزهد هو أن يكون غير راغب عن الخلافة؛ لأنها صورة الجاه، ولو رجعنا إلى الحقيقة فاتّضح أنَّ الزهد عبارةٌ عن ترك مقتضى النفس، فمن كان همُّه مالاً دون جاه، فزهده أن يترك المال دون الجاه من خشية الله، أو من جهة التفرغ لذكره تبارك وتعالى، ومن كان همُّه جاهاً دون مال، فزهده أن يترك الجاه دون المال، فبذل المرتضى جهوداً لخلافته، وحارب واختار لها التدابير، ولو أنَّ كلَّ هذه المساعي كانت حسب اجتهاده، مبنيةً على رخصة الشرع، ولكن الذي لم تحدث له أصل هذه الحوادث حاله أصفى من الذي وقع فيها.

ومن أعظم أنواع الورع أن يترك التقاتل بين المسلمين، إذ إنّ القتال أعظمُ خطراً، وأشدُّ معصيةً، وأكبرُ إثماً، ورغم أنّ وجه الإباحة يوجد في الشرع، ولكن ينبغي تركها بأدنى شبهة، ولم تقع هذه الحروب في عهد الشيخين بخلاف عهد المرتضى، وكذلك التواضع، فإنَّ من أعظم أنواعه التواضع الذي يباشره المرء مع أقرانه، ممن يساوونه في فضيلة مخصوصة، وكان الشيخان في عصرهما أكثرَ تواضعاً مع أهل العلم ومستحقِّي الخلافة من المرتضى، وكذلك كل صفة من هذه

الصفات إذا تأمَّلناها وجدنا لها أنواعاً كثيرة، ووجدنا أعظم أنواعها في حقّ الشيخين كذلك، وإذا أخذنا الزهد والورع بمعنى التقلّل في المعاش كان أفضلية المرتضى على الشيخين محلّ تأمّل بحسب ذلك أيضاً!.

• عن **محمد بن كعب القرظي** أنَّ عليّاً ﷺ قال: لقد رأيتَني مع رسول الله ﷺ، وإنِّي لأربطُ الحجرَ على بطني من الجوع، وإن صدقتي اليوم لأربعينَ ألفاً[1].

وفي رواية: وإنّ صدقة مالي لتبلغُ أربعين ألف دينار، أخرجه **أحمد**[2].

وإن أخذنا «الزهد» و«الورع» بمعنى الاحتياط في تصرّف بيت المال، كان الجميع (الشيخان والمرتضى) متساوون فيه، ولا يثبت اختصاص المرتضى وحده بذلك.

فإن قلت: كانت مداخلات ومنازعات المرتضى في هذه الأمور كلُّها لله وفي الله، وكلُّ سعيه الذي قام به كان بناءً على البقاء التام والمعرفة الكاملة، ويمكن هنا الجمع بين التوكّل والأسباب، فلا ينافي هذا المعنى أفضليته من جهة الورع والزهد والتوكلّ والتواضع وما إلى ذلك البتة.

قلنا: أحسنت، وأدركت كنه الكلام، وجئت بالتحقيق الممكن في هذا الباب، ولكن في الكلام مزيدُ عمقٍ حتى الآن:

حفظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ[3]

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٣٦٧).

(٢) في «مسنده» برقم: (١٣٦٨).

(٣) قائله هو الشاعر المعروف أبو نواس، والبيت هو:

قُلْ للّذي يدّعي في العلمِ معرفةً ... عرفتَ شيئاً وغابتْ عنكَ أشياءُ

انظر: «إعلام الناس بما وقع للبرامكة» (١/ ١٣٢).

لا شك هنا أنّ المرتضى كان من الكاملين المكمَّلين، ولا تصدر مثل هذه الأعمال من مثل المرتضى إلا لله وفي الله، ولا تنافي هذه المحاولات التوكّلَ والزهدَ، لكنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ روحَ القُدسِ نفث في رُوْعِي أنَّ نفساً لا تموتُ حتّى تستكملَ رزقَها، ألا فأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ**»[١]، وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى معرفة دقيقة من علم السلوك، وهي أنَّ الإنسان يُسند أفعاله في بداية «التوجّه إلى الله» إلى نفسه، وهو قدريّ في الطريقة في الحقيقة، ولو كان من أهل السُّنَّة باعتبار الشريعة، ثم يتقدَّم بعد ذلك إلى التوحيد ويرتقي، ثم يُسند كلَّ حركات العالم إلى فاعل واحد؛ كإسنادِ حركات قطع الشطرنج إلى أستاذ مستتر وراء الستار، وهو جبريٌّ في الطريقة في هذه الحالة.

وتجتمع فيه بعد ذلك كلتا الصفتين ـ أي: القدر والجبر ـ، ولا تمنع رؤية إحداهما عن الأخرى، واعتدل في هذه الحالة في القدر والجبر، وآمن بأمر بين الأمرين، ورجع إلى عقيدة عوام أهل السُّنَّة، ويصبح سنياً في الطريقة، ويُلبس بعد ذلك لباس آخر، وتحتقر في عينه الأسباب، رغم أنّ هذه الأسباب لا تُنافي التوحيد، بل يزداد توحيده بقدر كثرة الأسباب، لكن يجمل في الطلب رغم ذلك، بحيث يتبيَّن من مقاله وحاله أنه قد تحرَّر وتجرَّد عن كل ذلك.

فالحالة الأولى هي حالة الأولياء، والحالة الثانية هي مقام الأنبياء، ويتشرّف بهذه الحالة أكمل الأولياء من جهة وراثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك يذكر الإنسان باللسان في أول حالته، مع أنّ قلبه لم يصبح

(١) «شرح السُّنَّة» (١/ ٩٨٠)، و«حلية الأولياء» (١٠/ ٢٧).

عين الذكر بعد، ثم يتقدّم ويرتقي، فيصبح قلبه عين الذكر، ويستغني عن الذكر باللسان، بل لا يستطيع ذلك، ويقع بعد ذلك فرق بين لسانه وقلبه، يتكلَّم لسانه بكلام الناس وقلبه عين الذكر، وهذا حال الأولياء، ويُلبس بعد ذلك لباس آخر بترغيبه في الذكر، ويُرفع من مقام الذاكرين، وهذا مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أورع الناس ـ رغم كمالاتهم ـ وأزهدهم وأعبدهم، ألا ترى ما يقوله مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله تعالى في أبياته الفارسية، إنه يقول:

ترك استثناء ز مردم قسوت است نههمين گفتن كه عارض حالت است

اے بسا ناورده استثناء بگفت جان او باجان استثناء است جفت

معناه: «إنّ ترك الاستثناء ـ أي: كلمة إن شاء الله ـ ناشئٌ عن قسوة قلوب الناس، لا ينبغي تعليلُه بحالة طارئة في وقت مخصوص، ورُبَّ رجلٍ لا تخرجُ كلمة الاستثناء من لسانه، وروحُه ملتصقةٌ بروح الاستثناء».

ولا شك أن النبيَّ ﷺ كان متصفاً بأكمل معنى الاستثناء، ولكن آخذه الله ـ رغم ذلك ـ على ترك الاستثناء، وانقطع عنه الوحي لعدة أيام، وثم نزل بعد ذلك: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وكان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام متصفاً بحقيقة الاستثناء لا محالة، ولكن رغم ذلك وقع في المؤاخذة على ترك لفظ الاستثناء، وحين قال موسى عليه السلام رغم جلالة شأنه: «أنا أعلم» نزل عليه العتاب لأجل هذه الكلمة.

بالجملة: فإنَّ الأنبياء وورثتهم يميلون بظواهرهم إلى الله تعالى

بالقصد والإرادة، وذلك بعد فراغهم عن السير في الله والسير بالله، والسرّ في كلٍّ ذلك أنَّ الله يستبقي السالك على صورة أصل جبلّته، فيخلق الأنبياء وورثتهم في أصل جبلّتهم بوضع تكون قوتهم الملكية أقوى، وتنصبغ قوتهم البهيمية بصبغة الملكية ـ رغم قوتها ـ وتتأثَّر بها، وهي بمنزلة شعلة السراج التي هي مائلة إلى العلو بالطبع، والصورة التي يمنحهم من بعد الفناء تميل إلى العلو، وتنصبغ قوتهم البهيمية بصبغة القوة الملكية بخلاف غيرهم، هذا هو الوجه السليم للجمع بين الأقوال المختلفة لأئمة السلوك، قال خواجه نقشبند قدّس الله سرّه بطريق التمثيل:

موسى اندر درخت آتش ديد　　　سبز تر مي شد آن درخت از نار
شهوت وحرص مرد صاحب دل　　　اين چنين دان واين چنين النگار

معناه: «رأى موسى ناراً في الشجر، والشجرُ يتلألأ خضرةً بالنار، فقس على ذلك شهوة أهل القلوب وحرصهم».

وقال بعض أتباع خواجه نقشبند: إنّ غضب الفاني والباقي أشدّ من غضب العامي.

ويقول سيدي عبد القادر قدّس الله سرّه: بعد الحصول على الفناء والبقاء تأتي نوبة رياضة أخرى، ويلزم كسر النفس تارةً أخرى، فأخبر كل واحد منهم بمقام، واختلاف أقوالهم لاختلاف أحوالهم، وهذه المسألةُ من غوامض علم السلوك، فتدبَّر، ترشد.

هذا بيان لما أقمته من دليل نقلي وعقلي في هذه الرسالة على تفضيل الشيخين.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

الجزء الثاني

الموضوع **الصفحة**

الفصل السادس

في عمومات القرآن وتعريضاته

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل السابع

في بيان الدلائل العقلية على خلافة الخلفاء

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة